



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المثقفون الجزائريون والثورة التحريرية

(1962/1954)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه طور ثالث في تاريخ الحركة الوطنية
والثورة الجزائرية

إشراف الأستاذ الدكتور:

مجاود محمد

إعداد الطالبة:

عباد زينب

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور ولد النبية كريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
الدكتور مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
الدكتور لعوج نصر الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
الدكتور قدوسي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
الدكتور جيلالي بلوفة	استاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	عضوا مناقشا
الدكتور قنانش محمد	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرهان:

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل

كلمة شكر وعرهان إلى السيد المشرف الأستاذ الدكتور مجاود محمد على النصائح والتوجيهات التي أنارت طريقي في هذا العمل، فشكرا لك أستاذي الفاضل على دعمك المتواصل لطلبة العلم

كما أتوجه بشكري وامتناني العميقين إلى أساتذتي الأفاضل بجامعة طاهري محمد بشار على

يد العون التي لم يبخلوا بها عني يوما

إلى والديا الكريمين، زوجي، أخي هشام وكافة أفراد أسرتي الكريمة الذين تفهموني وتحملوا معي

مشقة البحث

إلى كل الزملاء الذين وجدت فيهم سندا لمواصلة طريقي

وأشكر في الأخير كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

ولو بكلمة طيبة.. جزاكم الله عني ألف خير.

إهداء :

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى من شريت من نبعهما الصافي

نبل الأخلاق وسموها فكانت سندا وزادا أواصل به دربي

والديا الكريمين شفاهما الله وأطال في عمرهما

إلى سندي طيلة مشوار البحث..زوجي العزيز

إلى كل أفراد أسرتي الكريمة ،وكل الأهل والأقارب

كما أهدي هذا العمل إلى:

كل من يعتبر بأن العلم رسالة وكرامة وقناعة

وليس وسيلة أو صناعة أو بضاعة.

قائمة الرموز:

L'O.S : المنظمة الخاصة

Comité révolutionnaire pour l'unité et l'action :R.C.U.A

Mouvement national algérien :M.N.A

Partie du peuple algérien : P.P.A

Mouvement de triomphe pour liberté démocratique: M.T.L.D

L'unione démocratique du manifeste algérien : U.D.M.A

Gouvernement provisoire de la république algérienne : G.P.R.A

A.A.E.M.N.A : الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في الشمال الإفريقي

A.E.M.A.F : جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين

U.N.E.A : الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين

Union générale des étudiants musulmans algériens :U.G.E.M.A

S.C.N.A : اللجنة الفرعية لشمال إفريقيا

C.G.T.U : اللجنة العامة للعمال الموحدين

Comité centrale : C.C

C.N.R.A : المجلس الوطني للثورة

Comité de coordination et d'exécution : C.C.E

مقدمة

أهمية الدراسة:



تعالج هذه الدراسة موضوعا هاما في تاريخ الجزائر المعاصر ،لكونه يتناول بالبحث والتنقيب دور فئة هامة من فئات المجتمع الجزائري خلال الثورة التحريرية ألا وهي فئة المثقفين الجزائريين عامة والمثقف الثوري بصفة خاصة. فلاطالما شكل المثقف ذو الإيديولوجية الثورية مسألة حساسة بالنسبة للكتاب والفلاسفة سواء من حيث المثقف كشخص، أو كمواقف من القضايا الوطنية المختلفة. ولعل أهمية الموضوع تكمن في فاعلية هذه الفئة سواء قبل إندلاع الثورة الجزائرية، أو خلالها أو حتى بعد الاستقلال وذلك داخل وخارج الجزائر. حيث كان لها عدة مواقف مختلفة نابعة من إيديولوجياتها و تكوينها الفكري من جهة ، ومن معاناتها في ظل القوانين الإستعمارية المجحفة في حقها من جهة أخرى ،فكانت تارة تلعب دور المناضل الثائر وتارة السياسي الحزبوي وتارة المصلح إلى غير ذلك.. كما تكمن أهميته أيضا في طبيعة النشاط السياسي والعسكري والثقافي لهذه الفئة في دعم القضية الوطنية ،وذلك ما يوضح لنا مدى أهمية الرصيد الثقافي في الثورة التحريرية الذي جعل منها ثورة ذات مشروع حضاري ضخم ،وجسد لنا في نفس الوقت العلاقة بين المثقف الثوري والثورة. فهي ثورة لم تعتمد فقط على المواجهة العسكرية ، بل على كل الأساليب المتاحة لتبليغ رسالتها بهدف التوعية الجماهيرية ونقل صداها إلى الرأي العام العالمي من أجل تحقيق الاستقلال الوطني وهي المهمة التي لعب فيها المثقفون على اختلاف مشاربهم الثقافية والإيديولوجية دورا بارزا.

ولعل الدارس لتطور القضية الجزائرية مابين (1962/1954) يجدها لا تكاد تشير إلى إسهام الفعاليات الشبانية في تفعيل الحدث التاريخي والنهوض بما هو راكم ،وبالخصوص مساهمة رجال الفكر والثقافة في إنجاز ذلك التحول الهام في تطور الجزائر الإيجابي ،بعد تفهم العقلية الجزائرية خبايا الحركة الإستعمارية الهادفة إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية ومقوماتها الدينية والوطنية.

إشكالية البحث :

هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها أمامنا بإلحاح وتنحصر حول الإشكالية التالية :

"هل كانت الثورة التحريرية بالنسبة للمثقف الثوري وسيلة أم هدف؟ وهل جاء إنضمامه لها نابعا من قناعاته الذاتية، أم كان ضرورة حتمية إقتضتها الظروف السائدة؟ "

كما إنطلقت الدراسة من الجزئيات التالية:

1/ من هو المثقف؟ وما الفرق بينه وبين المثقف الثوري؟

2/ هل كان مفجري ثورة نوفمبر 1954 مثقفين ثوريين، أم مجرد رجال عسكريين؟

3/ من أين استمد مثقف الثورة التحريرية إيديولوجيته الثورية؟

4/ كيف تمكنت جبهة التحرير الوطني من استيعاب جميع الإيديولوجيات الثقافية المختلفة تحت بوتقة إيديولوجية ثورية واحدة؟.

5/ كيف ساهمت موانيق الثورة التحريرية في توجيه العمل المسلح وتهذيبه؟

6/ ماهو الدور الذي لعبه المثقفون الجزائريون عبر مراحل الثورة على اختلاف مشاربهم الثقافية؟.

7/ كيف كان موقف الطالب الجزائري على إختلاف إيديولوجياته الوطنية والفرنكفونية من العمل المسلح .؟

8/ ماهي نظرة المثقف الثوري إتحاء الرعيل الجديد من الطلبة الجزائريين، وكيف كانت العلاقة بينهما؟

9/ إلى أي مدى نجحت دبلوماسية المثقف الجزائري في التعريف بالثورة التحريرية؟.

صعوبات البحث:

واجهتنا بعد الشروع في هذا العمل بعض الصعوبات نذكر منها :

1/ وجود إرتباطات أخرى غير البحث ما صعب علينا عملية التفرغ بصفة كاملة لهذا العمل

2/تعذر حصولنا على مصادر تتناول الموضوع بشكل مباشر نظرا لظروف استثنائية أحيانا

3/ ندرة المكتبات الغنية بمصادر الثورة الجزائرية في المنطقة التي نقطن بها ما دفعنا للتنقل بين الولايات المختلفة والبحث بين مكتباتها.

4/ صعوبة ضبط الخطة وتسويتها من أجل إخراجها في نسق علمي متوازن، وذلك عائد إلى غزارة المادة التاريخية في جوانب من الموضوع ، وقلتها في جوانب أخرى .وهذا ما دفعنا إلى إعادة معالجة خطة البحث عدة مرات حتى أصبحت على صورتها الحالية.

مناهج البحث:

نظرا لطبيعة الموضوع الفلسفية فقد حاولنا إتباع ثلاث أنماط من المناهج :

1/ المنهج التاريخي الوصفي: وذلك في وصف واستعراض الأحداث التاريخية حسب تسلسلها التاريخي والزمني

2/ المنهج التحليلي: وقد أعتمد هذا المنهج في دراسة الوقائع ومناقشتها ، وربطها ببعضها البعض والتوصل إلى استنتاجات من خلالها

3/ المنهج المقارن: وسنحاول من خلاله المقارنة بين الآراء والروايات المختلفة التي أوردتها المصادر والمراجع حول مواقف المثقفين المختلفة من ثورة أول نوفمبر 1954 .

دوافع الاختيار:

إن إختيارنا لهذا الموضوع لم يكن عشوائيا بل هو نابع من إعتبرات متعددة، نذكر منها:

1/ الرغبة الذاتية في الوقوف على الدور الجوهري الذي لعبه المثقفون الجزائريون في الثورة التحريرية على إختلاف توجهاتهم ومشاريهم الفكرية ، وكيف أثر ذلك الإختلاف على دور كل منهم.

2/ الرغبة الذاتية أيضا في محاولة الإسهام ولو بالشيء القليل في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 ، وذلك منذ دراستي في فترة الليسانس.

3/ إعتقادي بأن الكتابات التاريخية قد أهملت نوعا ما هذه الفئة من المجتمع الجزائري وتجاهلت دورها في صناعة الثورة التحريرية الكبرى.

4/ نقص كبير في الدراسات التاريخية حول المثقف الجزائري وعلاقته الكاملة بالثورة، منهم من هو مكتوب باللغة الفرنسية أو لغات أخرى، أو في بعض المقالات فقط من بعض المجالات أو الجرائد.

5/ التعريف بما قدمه المثقف الجزائري للقضية الوطنية بالأمس على إختلاف مشاريه الفكرية

6/ محاولة دحض الإدعاءات الغربية القائلة بأن ثورة الفاتح نوفمبر 1954 كانت ثورة مادية من أهم أسبابها الجوع والفقر الذي كان يعيشه الجزائريين آنذاك.

الهدف من البحث:

رغم الصعوبات المواجهة في هذا البحث حاولنا بلوغ الهدف المقصود منه والمتمثل أساسا في تحديد أو محاولة تحديد العلاقة الكاملة بين المثقف والثورة، والتأكيد على أن رجال نوفمبر 1954 لم يحظوا بالمؤهلات العلمية، لكنهم امتلكوا ثقافة ثورية دفعتهم إلى تبني مشروع الاستقلال وإعادة إحياء الدولة الجزائرية من خلال العنف الثوري المنظم والهادف. كما هدفتنا أيضا إلى الإثبات بأن التحضير للثورة المسلحة لم يكن مجهولا لدى الشريحة الجزائرية المثقفة، وإنما كان لهذه الفئة دورا هاما في صنع الثورة التحريرية والإستعداد لها. كما حاولنا من خلال هذه الدراسة التأكيد على أن الثورة الجزائرية لم تكن وليدة الصدفة بل لها مرجعية فكرية ثقافية تجسدت من خلال الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري تحت برائن الإستعمار وقوانينه الإستثنائية. فمن هذه المعاناة تولدت الرغبة الملحة في تغيير الواقع المتدهور وتخليص الجماهير الشعبية من حالة البؤس والاضطهاد.

منهجية البحث:

أما بخصوص الخطة المعتمدة في هذا العمل تتمثل فيما يلي:

مدخل ، ثلاثة أبواب ، وخاتمة.

- تناولنا في المدخل أولا تحديد مفهوم المثقف والتعريف به لغة وإصطلاحا وذلك من خلال عدة آراء لمفكرين وكتاب. حيث تكاد تجزم كلها على أن المثقف هو كل شخص يحمل آراء خاصة حول الإنسان والمجتمع وقضايا أخرى، ويقف موقف الإحتجاج والتنديد إزاء ما يتعرض له الأفراد والجماعات من ظلم وإستبداد من طرف السلطات أيا كانت سياسية أو دينية ، محلية أو أجنبية. كما حاولنا أيضا الوقوف على معنى المثقف الثوري وتحديد صفاته وخصائصه التي تميزه عن الفئات الإجتماعية الأخرى. حيث تتفق الآراء والكتابات على أنه هو كل مثقف يرفض الواقع السائد ويسعى إلى تغييره تغييرا جذريا، أو هو مناضل عنيد ضد الظلم والقهر والاستغلال والاستبداد والاحتلال ولدت في أعماقه معاناة المجتمع وهمومه واقتربت بمعاناته الشخصية والمعبرة عن تطلعاته نحو المستقبل. لذلك فهو مصطلح لا يرتبط دائما بالمؤهلات العلمية أو التخصصات.

تطرقنا في المدخل أيضا إلى الواقع الثقافي قبيل اندلاع الثورة التحريرية، والذي تميز أساسا بالمشاريع الاستعمارية الهادفة إلى ادماج الجزائر أرضا وشعبا بفرنسا، محاولين بذلك محو كل المقومات الوطنية والعربية والإسلامية، وجعل الجزائر مرتبطة حضاريا بالكيان الفرنسي. وذلك من خلال سياسة التجهيل ثم الفرنسية، التجهيل كان مصوبا إتجاه كافة أبناء وبنات الجزائريين لتسهيل السيطرة عليهم وجعلهم أداة

في يد المستعمر وحتى لكون، أما الفرنسية فكانت موجهة لبعض النخب والفئات المثقفة كي تلعب مستقبلا الدور الأساسي في الدفاع عن الجزائر الفرنسية والمباديء الغربية . وهذا ماحدث فعلا من خلال ظهور النخبة الجزائرية المتفرنسة التي كانت تشكل عائقا أمام المثقف الثوري في تجسيد أهدافه الوطنية، لأنها رأت في الوجود الفرنسي وسيلة لتخليص الجزائريين من التخلف والجهل. كما تناولنا الإيديولوجيات المثقفة السائدة في الجزائر قبيل اندلاع الثورة التحريرية، وهي تعود في الأصل إلى التشكيلات السياسية التي كانت تنشط في تلك الفترة، حيث اختلفت إيديولوجياتها وأفكارها ورؤيتها للاستقلال. ففي خضم هذا الاختلاف والتناقض نشأت الإيديولوجية الثورية التي تشبع بها المثقف الثوري وجعل منها عقيدة ومبدأ يسعى من خلالها إلى تحقيق الاستقلال الوطني.

تضمن الباب الأول أصول ومنطلقات المثقفين الجزائريين، والذي يحتوي على فصلين، الأول يتمحور حول الحركة الوطنية ونشأة المثقف الثوري، فإن تبلور النشاط السياسي في الجزائر منذ أوائل القرن العشرين شكل أرضية خصبة لنمو وعي وطني. مثل ظهور بعض الشخصيات المثقفة ثقافة عربية اسلامية، أو ثقافة فرنسية كلهم دافعوا عن الجزائر، ولكن منهم من كان ينادي بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، ومنهم من كان ينادي بضرورة إصلاح أوضاع الجزائريين، ومنهم من كان يرى بأنه لاجل وطني مناسب للقضية الجزائرية سوى إلتحامها بالحضارة الفرنسية. كان هؤلاء المثقفين مناضلين سياسيين طالبوا بتغيير الأوضاع ولكنهم لم يشاركوا فعليا في هط التغيير، بل إكتفوا بالتنديد .

ظهرت هذه الإتجاهات الفكرية في ظل التحولات الثقافية التي شهدتها الجزائر في تلك الفترة وإمتداد حركة الجامعة الإسلامية والنشاط الصحفي. فكل هذه التطورات والأحداث شكلت البيئة التي نشأ فيها المثقف الثوري، والمنطلقات التي على أساسها بنيت إيديولوجيته الثورية ونزعتة الوطنية.

وتعود أسباب إشارتنا لهذه النقطة الهامة التي تدور حول مرحلة سابقة للثورة. أنها تمثل وجها من أوجه نضال المثقف الجزائري السياسية والتي شكلت أرضية خصبة لإندلاع ثورة نوفمبر 1954 بسبب نمو الوعي الوطني والفكر الثوري وإكتشاف حقيقة النوايا الفرنسية. لذلك فإن الإشارة إليها ضرورة لفهم الدور الكبير لفئة المثقفين الجزائريين خلال الثورة، ومواقفهم المختلفة منها. كما لانسى أن إيديولوجية الحركة الوطنية الجزائرية هي من أدت إلى تبلور الإتجاه الثوري الذي بدأ أولا في حركة الأمير خالد، ثم نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب وحركة الإننتصار الحريات الديمقراطية، والذي انبثق عنه بدوره التيار المحايد الذي شرع في التحضير للعمل المسلح اقتناعا منه بضرورته في تلك المرحلة السياسية الحرجة. تطرقنا إضافة إلى ذلك إلى مجازر 8ماي 1945 وأثرها في فكر المثقف الجزائري على اختلاف انتماءاته السياسية والإيديولوجية. فقد تجددت الإيديولوجيات الوطنية بعد هذه الأحداث بعد إكتشافها حقيقة النوايا

والوعد الفرنسية، خاصة بالنسبة للأحزاب التي كانت تنادي بالاندماج التدريجي للجزائر بفرنسا، أصبحت إيديولوجياتها بعد مجازر 8ماي1945 تتغير تدريجيا نحو المطالبة بالاستقلال ولو أنه ذلك لم يتجسد فعليا إلا بعد اندلاع الثورة.

أما الفصل الثاني خصصناه لظهور المثقف الثوري وتفجير الثورة، حيث تناول الأزمة التي عرفتها الحركة الوطنية في 1953 والتي كانت سببا مباشرا في تبني الخيار العسكري. فإن اضطراب العلاقة بين أعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية أفرز عن ظهور التيار الثوري المحايد الذي أنجب بدوره لجنة 22 التي مثلت نموذجا للمثقف الثوري صانع ثورة أول نوفمبر1954. أعقب ذلك تعريفا بأعضاء لجنة الستة التي فجرت الثورة، بإعتبارهم النخبة الثورية التي منحت إنطلاقا من إيديولوجياتها مفهوما جديدا للمثقف والثورة، وجسدت العلاقة الكامنة بينهما. حملت ثورة نوفمبر العديد من المبادئ والرؤى الفكرية ونزعة وطنية، كل ذلك تجسد من خلال بيان أول نوفمبر 1954 الذي أعده المثقف الجزائري بغرض التعريف بالكفاح المسلح وبأهدافه القريبة والبعيدة، فهذا ما عالجنه كآخر عنصر من الباب الأول معنونا ب" ثورة نوفمبر في إيديولوجية المثقف الثوري " .

فيما يتعلق بالباب الثاني من البحث، تمحور حول جزأين. الفصل الاول تضمن المواقف المختلفة من إندلاع الثورة الجزائرية، وهي مواقف التشكيلات السياسية والزمعاء الوطنيين الذي هم بدورهم مثقفين ولكنهم لم يرووا في العمل المسلح الخيار الأنسب ولم يشاركوا فيه. إختلفت هذه المواقف وتمثل أغلبها في رفض الثورة وعدم الإلتحاق بها إلا بعد مرور عامين على اندلاعها. حيث لم تكن هذه المواقف عشوائية، بل هي نابعة من الإيديولوجيات المختلفة لهذه التشكيلات السياسية . وقد رفضت أغلبها الثورة واعتبرتها مغامرة وخطوة قبل أوانها، لكنه سرعان ما تغيرت هذه المواقف بعد تحقيق الثورة لإنتصاراتها المختلفة على الصعيدين السياسي والعسكري، داخليا وخارجيا. ولعل ذلك يدل على مدى قوة و نجاح الإيديولوجية الثورية المشبعة بالنزعة الوطنية التي انبثقت عن التيار الثوري.

الفصل الثاني كان حول الرعيل الجديد من المثقفين الجزائريين الذي درسوا في المعاهد والثانويات والجامعات، هم حاملو الشهادات والمؤهلات العلمية الذين احتاجتهم الثورة بعد انطلاقتها، بإعتبارهم مصدر التنظيم لمؤسسات وهيكل الثورة بعد 1956. اختار هؤلاء المثقفين الجدد الإنضمام لصفوف جبهة وجيش التحرير الوطني عن قناعة تامة وإيمان كامل بعدالة قضيتهم وشرعيتها في ظل معاناة شعبهم الذي يعيش القمع والابادة والاستغلال تحت برائن الاستعمار الاستيطاني الشرس. فأعطى انضمامهم للثورة دفعا نحو الأمام وقوة وشمولية، لأنه زودها بإطارات جديدة مثقفة تقتضيها تلك المرحلة الحاسمة من العمل الثوري.

وقد اختلفت إيديولوجيات المثقف الجزائري الجديد، فمنهم الطلبة الجزائريين الوطنيين الذين حافظوا على ارتباطهم بوطنهم وقد لبوا نداء الثورة منذ 1954. والطلبة الفرونكفونيين وهم نموذج النخبة المثقفة المتفرنسة التي لاطالما سعت القوى الاستعمارية لخلقها بهدف تجسيد مشروع الدمج الحضاري للجزائر بفرنسا. وقد تأخر هؤلاء في الإلتحاق بالثورة إلى غاية سنة 1956، لكنهم في الأخير اقتنعوا بفكرة الاستقلال الوطني التام الذي لم يكن واردا في أذهانهم قبل تلك السنة، إنضموا بعدها للثورة بأعداد كبيرة خاصة بعد الإضراب التاريخي في 19ماي 1956 الذي أطرته ودعت إليه جبهة التحرير الوطني، مايدل على حاجتها الماسة لهذا الرعيل المثقف من أبناء الجزائر. فقد لعب الطلبة الجزائريون في الثورة دورا بالغ الأهمية من خلال المشاركة في الميادين المختلفة التي تدعم الكفاح المسلح مثل ميدان الطب والتعليم وغيرها، إضافة إلى تزويد الثورة بالإطارات والكفاءات اللازمة للوقوف على الجانب التنظيمي للعمل المسلح و السعي إلى إنجازه.

عالجنا في الفصل الثاني أيضا العلاقات المختلفة التي ربطت المثقف الثوري بالمثقف الجديد، فإلاطالما كان ذلك المثقف الذي فجر الثورة ينظر بعين الحذر إلى الطالب الجديد الذي أصبحت الثورة بحاجته. فكانت العلاقات عموما غامضة، لكن ذلك لم يمنع من وجود مظاهر التعاون والتلاحم بين الطرفين من أجل هدف واحد فقط وهو الاستقلال الوطني. يدل تلاقي هذين النموذجين من المثقفين الجزائريين خلال الثورة، على الإيديولوجية الغنية لهذه الأخيرة، فهي على رغم بساطتها كانت عظيمة، لأنها تمكنت من جمع مثقفين من مشارب ثقافية مختلفة وجهلت الهدف بينهما واحد والوسيلة مشتركة.

ولعل مايسجل لثورة نوفمبر أنها إلى جانب كونها ثورة مسلحة ضد العدو الفرنسي، غير أنها حملت مبادئ وأفكارا ثقافية، بل ومشروعا حضاريا هادفا. حيث يظهر ذلك في ميثاق هذه الثورة، مثل ميثاق الصومام الذي أعاد تنظيم الثورة المسلحة بعد سنتين من إندلاعها، ومنحها صيتا أوسع وصورة أوضح سواء على المستوى الوطني أو على المستوى الدولي، خاصة في ظل التشكيك الذي تعرضت له الثورة من طرف السلطات الفرنسية بوصفها ثورة قطاع طرق وأنها مجرد عمل إستمد جذوره من الخارج. وهذا ما حاولنا التطرق إليه من خلال جزئيات البحث.

الباب الثالث يتضمن دراسة لإيديولوجية المثقف الجزائري بعد سنة 1956 باعتبارها مرحلة جد حساسة تستدعي الوقوف طويلا والتخطيط. تتبلور هذه الإيديولوجية من خلال ميثاق الثورة بعد هذه السنة، ميثاق الصومام 1956 وميثاق طرابلس 1962، حيث كان كل منهما استمرارا لمبادئ أول نوفمبر 1954 بطرح جديد، طرح يحتوي الإيديولوجيات المنضمة حديثا للثورة ويحاول استيعابها بما يخدم الأهداف الوطنية. فقد نظر كل منهما للثورة وأكد على أهدافها و وسائلها المتمثلة خاصة في العنف الثوري، كما أكدت هذه

المواثيق على أن الكفاح المسلح سوف يخضع للحوار والتفاوض كورقة سياسية للضغط على فرنسا والتأكيد على حكمة وقوة الثورة التي لم تهمل ولا جانباً إلا وأعطته حقه، سواء السياسي أو العسكري أو الثقافي.

فقد ساهمت إذن هذه المواثيق الثورية في توجيه وتهذيب العنف الثوري ، ودعم إستراتيجية الثورة لتكون قادرة ي مراحلها الأخيرة على التغلب على القوة الاستعمارية ومجابهة مشاريعها المختلفة.

أشرنا في الباب الثالث ايضا إلى الدور السياسي والدبلوماسي لفئة المثقفين الجزائريين خلال الثورة من خلال التعريف بالقضية الوطنية بالخارج سعياً إلى كسب التأييد والدعم العالمي والعربي لها من طرف الدول التي تؤمن فعلاً بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فإن تدويل أي قضية في المحافل الدولية يزيد من شرعيتها و وطنيتها. ويظهر ذلك كله من خلال عدة محطات حاسمة عرفتها الثورة وتتمثل أساساً في جهود الشباب الجزائري المثقف والمكافح في طرح القضية الوطنية في المحافل الدولية فقد اهتمت هذه الفئة المثقفة بالجناح الدبلوماسي، حيث ظهر الإهتمام بالعمل الدبلوماسي قبل اندلاع ثورة نوفمبر 1954. فقد تم تأسيس لجنة الثلاث المتكونة من أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين آيت حمد ،التي كانت غايتها تدويل القضية الوطنية وجلب التعاطف العالمي مع الشعب الجزائري فلم تكد تمر ستة أشهر من عمر الثورة حتى دوى صيتها في الكثير من المنابر والمحافل الدولية بما أتاح تدويل القضية الجزائرية من خلال تمثيلها بوفد في جلسات أشغال مؤتمر باندونغ وغيرها من المؤتمرات. ولعل هذا ما يثبت لنا مدى نجاح دبلوماسية المثقفين الجزائريين.

تطرقنا إضافة إلى ذلك إلى تشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية وجهود أعضائها المثقفين الرامية إلى إعادة بناء الدولة الجزائرية الحديثة والوقوف في وجه الإدعاءات الفرنسية القائلة أنها لم تجد مع من تتفاوض. فقد تشكلت هذه الحكومة من أعضاء مختلفين إيديولوجياً من مثقف ثوري من الرعيل الأول الذي فجر الثورة، و الرعيل الذي انضم حديثاً من خريجي الجامعات العربية والفرنسية ،لكن الثورة وبفعل قوتها ووحدة هدفها و وقوة وسائلها وحدت بين هؤلاء ودفعتهم إلى وضع تصور جديد للدولة الجزائرية المستقلة. تضمن الفصل الثاني أيضا إتفاقيات إيفيان بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا ودور المثقف الجزائري من خلالها في إفتكاك حرية الشعب الجزائري و إقناع السلطات الفرنسية بشرعية الثورة التحريرية الكبرى ومطامحها وفق أسلوب مقنع وحكيم في نفس الوقت ، ما يدل على المستوى الفكري والثقافي لهؤلاء المثقفين الذين أستطاعوا التغلب على عدو متعننت مثل فرنسا. فإن إتفاقيات إيفيان كانت هي الورقة السياسية الاخيرة في يد المثقف الجزائري لتحقيق الاستقلال وتجسيد ما جاء في بيان نوفمبر 1954.

وفي الأخير خاتمة نوضح من خلالها أبرز الإستنتاجات التي توصلنا إليها في هذا العمل، كما سوف نحاول من خلالها أيضا الإجابة عن الإشكاليات المطروحة في هذا البحث.

بيبلوغرافيا البحث :

نظرا لأن الإحاطة التاريخية بأي موضوع لا تتم إلا بالرجوع إلى الوثائق التاريخية المتعلقة به .فقد إعتدنا في هذا العمل على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع حيث اختلفت وتفاوتت درجة الإعتقاد على كل منها حسب مضمونها وعلاقته بالموضوع المدروس. حيث إختلفت بين مصادر ومراجع ومجلات ورسائل جامعية، ومن أهمها:

مرجع فلسفة الثورة الجزائرية لمؤلفه البخاري حمادة الذي يتعرض فيه صاحبه للبعد الفلسفي للثورة ،ويتطرق إلى دور الفئة المثقفة من الطلبة في الثورة وموقف مختلف الأحزاب والحركات السياسية منها، كما يتعرض في هذا الكتاب للجذور الفكرية لثورة نوفمبر 1954.مرجع مصطفى لشرف الجزائر الأمة والمجتمع الذي يتعرض فيه إلى كيفية تأسيس جبهة التحرير الوطني وعلاقة ذلك بسائر الأحزاب والاتجاهات، وجهود أعضائها على إختلاف مشاربهم الفكرية في تمثيل الشعب الجزائري و رسم معالم الدولة المستقلة. وكتابه أيضا المعنون بأعلام ومعالم والذي يتطرق فيه إلى كيفية إنضمام الطلبة الثانويين والجامعيين إلى صفوف جبهة التحرير الوطني بمثابة الشباب المثقف الذي ساهم في إنجاح ثورة الفاتح نوفمبر. وكتاب النخبة الجزائرية الفرونكفونية لمؤلفه غي برقلي المتضمن لدراسة معمقة حول النخبة المثقفة رغم مايشيد به من فضل على فرنسا في ذلك. إضافة إلى مصدر سنوات المخاض لمحمد حربي الذي يتطرق فيه إلى نضال الأحزاب السياسية بالجزائر والخلافات بين أعضاء الحزب الواحد، كما يتطرق أيضا إلى نضال جبهة التحرير الوطني وجهود أعضائها في إستعادة الحرية والإستقلال حتى خارج الجزائر مثل نشاط بعضهم ومنهم بن بلة ،محمد خيضر ،آيت حمد وغيرهم في القاهرة لدى وسائل الإعلام والسفارات .وذلك من أجل إعطاء الكفاح الجزائري بعدا دوليا. ولعل ذلك يجسد لنا الدور الدبلوماسي للمثقف الجزائري في دعم القضية الوطنية. بالإضافة إلى كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية للمؤلف عبد الكريم بوصفصاف الذي وظفناه في تتبع نشاط الجمعية وإبراز دور مثقفيها في الحركة الوطنية وأسباب تأخرهم عن الإلتحاق بركب الثورة. كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر لصاحبه فتحي الذيب الذي أفادنا في مسألة إنشاء جبهة التحرير الوطنية بالقاهرة عام 1955 ودور العلماء في حشد دعم مصر للثورة الجزائرية .مرجع مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ليحي بوعزيز والذي يتطرق فيه إلى موقف المثقفون الجزائريون من الإحتلال الفرنسي على إختلاف توجهاتهم حيث يصنفهم إلى مثقفين ثقافة عربية ومثقفين ثقافة فرنسية ثم المثقفين

ثقافة مزدوجة، كما يبين لنا في كتابه هذا الدور الكبير الذي لعبه الطلبة في الثورة التحريرية . وكتاب ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر 1954 لمولود قاسم نايت بلقاسم والذي أفادنا في تحديد ردود الأفعال الأولية لإتجاهات الحركة الوطنية من إندلاع الثورة التحريرية 1954 المصاليين منهم والمركزيين والعلماء والشيوعيين ،كما يتطرق مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه هذا إلى الوضع السياسي العام في الجزائر قبيل إندلاع الثورة . ومرجع العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني لأحمد سعيود الذي يتناول فيه العمل الدبلوماسي لأعضاء الجبهة خارج الجزائر من أجل إسماع صيت القضية الوطنية وتحقيق الدعم والمساندة لها ،وذلك في العالم العربي والإسلامي والمغاربي.

مصدر حياة كفاح لتوفيق المدني الذي يتمحور حول موقف الجمعية من ثورة نوفمبر وتدااعيات ذلك. مصدر المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر لصاحبه سعد دحلب، والذي يتعرض فيه إلى نضال جبهة التحرير الوطني مركزا فيه على دور الحكومات المؤقتة في دعم العمل العسكري والدبلوماسي للثورة التحريرية ،وكيف قامت هذه الحكومات الثلاثة بقيادة الشعب إلى الإستقلال بعد التوقيع على إتفاقيات إيفيان 1962. ومصدر عمر بوداود ،من حزب جبهة التحرير الوطني إلى فيدرالية جبهة التحرير الوطني، الذي يحدد فيه عدة جوانب من نضاله المتمثل في تعزيز جبهة التحرير الوطني ونقل الكفاح المسلح إلى أراضي الخصم ومتابعة أوضاع المهاجرين الجزائريين بفرنسا، إلى جانب دراسته لعدة محطات تاريخية حاسمة من تاريخ الثورة لكونه شخصية وطنية عايشة أحداث الثورة وتطوراتها.

هذا مع وجود عدة مراجع أخرى ساهمت ولاشك في دعم جزئيات البحث ومفاهيمه،منها مثلا: مرجع شارل روبيير أجبيرون تاريخ الجزائر المعاصرة المجلد الثاني والذي أفاد بحثنا في نقاط متعددة منها أوضاع الطلبة الجزائريين قبل إندلاع الثورة. مرجع دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954 للمؤلف شوقي عبد الكريم الذي يتطرق فيه إلى حياة هذه الشخصية الوطنية ودورها في الثورة وخاصة في مؤتمر الصومام ومسألة التسليح. مرجع عبان رمضان للمؤلف خالفة عمري والذي بدوره يعالج فيه محطات حاسمة من حياة هذه الشخصية الفاعلة في الثورة التحريرية . إضافة إلى مرجع نوارة حسين المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير،الذي يتضمن دراسة معمقة عن المثقف كمصطلح، وأصول المثقف في الحضارة العربية، ثم عالجت نوارة حسين في هذا الكتاب مواضيع متعددة منها كيفية إنخراط المثقفين الجزائريين في المطلب الوطني. وانضمام الطلبة الجزائريين إلى الثورة ودورهم فيها. إضافة إلى مرجع العربي الزبيري تاريخ الجزائر المعاصر بجزأيه الاول والثاني، حيث تناول فيه الاوضاع المختلفة التي سبقت اندلاع الثورة، ثم نشاط الحركة الوطنية الذي تمخض عنه تبلور التيار الثوري الاستقلالي. كما تناول هذا المرجع دراسة تحليلية لمقررات الصومام 1956، ثم مقررات طرابلس 1962. إعتدنا أيضا على كتاب عامر رخيلا الذي يتناول فيه بشكل معمق دراسة حول

أحداث 8ماي 1954 التي تعتبر فترة انتقالية في إيديولوجية المثقف الجزائري. وكتاب الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الذي تعرض فيه صاحبه يوسف مناصرية مسيرة الإتجاه الاستقلالي منذ الحرب العالمية الأولى، وهو الذي انبثقت عنه لجنة الستة من المناضلين الأوائل.

بالإضافة إلى مراجع أخرى ساهمت في إثراء هذا العمل خاصة فيما يخص تحديد مفهوم المثقف عامة والمثقف الثوري خاصة. منها كتاب المثقفون في الحضارة العربية لصاحبه محمد عابد الجابري الذي شرح فيه مفهوم المثقف وصفاته، وقارن بين المثقف في أوروبا في القرون الوسطى وظهور المثقفون في الإسلام. فقد وظفنا ذلك في تحديدنا لمفهوم المثقف وتحديد صفاته ومميزاته عن الفئات الإجتماعية الأخرى.

وفي تحديد هذا المفهوم ومن أجل الإحاطة اللازمة به إعتدنا على بعض المقالات من بعض المجالات العلمية المحكمة منها مجلة تبين التي أفادتنا في مقال بعنوان المثقف والثورة والذي خدم موضوعنا بدرجة كبيرة لاسيما وأنه من الضروري التفريق بين المثقف والمثقف الثوري. لأن هذا الأخير له علاقة وطيدة بالصراع الذي كان بين المجتمع الجزائري والإستعمار الفرنسي، ولعله استمد إيديولوجيته من ذلك الصراع. حيث ركزنا عليه أكثر في دراستنا هذه.

وفي الأخير خاتمة البحث التي حاولنا من خلالها تقديم حوصلة لموضوع المثقفون الجزائريون والثورة التحريرية، ومجموعة من الاستخلاصات والنتائج التي وصلنا إليها في هذا العمل.

المدخل:

1- نبذة تاريخية عن مفهوم المثقف

2- المعنى اللغوي والإصطلاحي لمفهوم المثقف والمثقف الثوري

3- الأوضاع الثقافية بالجزائر قبيل إندلاع الثورة

4 - الإيديولوجيات الثقافية بالجزائر قبل إندلاع الثورة .

1 - نبذة تاريخية عن مفهوم المثقف:

ظهر مفهوم المثقف والثقافة إبان قضية دريفوس، فقد استعملت هذه اللفظة في البداية للتعبير عن طليعة ثقافية وسياسية تجرأت على تحدي الدولة⁽¹⁾. ففي أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1894 في باريس حكم على الضابط اليهودي الفرنسي "ألفريد دريفوس" بالنفي إلى غويانا بتهمة التجسس لصالح ألمانيا، لكن هذه التهمة كانت محل شك من قبل أهل الضابط الفرنسي الذيت إتجهوا إلى الرأي العام مطالبين بتفعيل قضيتهم، فطالبوا بإعادة المحاكمة بعد الإثبات بزيف الوثائق التي أدين بها. فاستطاعوا بذلك أن يحشدوا شخصيات مرموقة في الفكر والأدب بفرنسا في ذلك الوقت، منهم "إيميل زولا"⁽²⁾ والذي ساهم بدوره مع آخرون في إصدار بيان يعبرون فيه عن وجهة نظرهم من هذه القضية. حمل هذا البيان توقيعاتهم ونشرته جريدة لورو الفرنسية يوم 14 يناير 1898 بعنوان بيان المثقفين⁽³⁾، إنقسم الرأي العام بعد صدور البيان إلى مؤيدين لإعادة المحاكمة، ومعارضين يطالبون بتثبيت العقوبة. دخل هذان الطرفان في صراع مرير حول مسألة المحاكمة، وفي الأخير أعيدت هذه الأخيرة وخفض الحكم إلى 10 سنوات ورفعت إلى محكمة النقض التي قامت بإلغاء الحكم وأطلقت سراح الضابط دريفوس وأعدت إليه إعتباره⁽⁴⁾.

كانت هذه الحادثة التاريخية بمثابة المرجعية الأصلية في فرنسا لمقولة المثقفين، لأن هذا اللفظ استعمل لأول مرة في وصف العاملين في مجال الفكر والأدب، وتحديدًا الذين إتخذوا موقفا من الشأن العام في فرنسا ما بين 1894/1899، في وصفهم مثقفين. استخدمها النقاد والمفكرين بعدها في وصف دور إيميل

(1): نوارا حسين، المثقفون الجزائريون بين الاسطورة والتحول العسير، سنوات من الجمر لسنوات من النار، من بداية القرن العشرين إلى بداية الاستقلال، مقدمة: محفوظ قداش، ترجمة: سعدي فتحي، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 99.

(2): إميل فرانسوا زولا، كاتب فرنسي ساهم في تطوير المسرحية الطبيعية، وشخصية هامة في المجالات السياسية، كما ساهم في تبرئة من اتهموا زورا في قضية ألفريد دريفوس.

(3): حول نص البيان أنظر: نوارا حسين، المرجع السابق، ص 47

(4): عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 2000، ص 23.

زولا ومن معه من المثقفين في سياق توقيعهم عريضة سياسية إنتقدوا فيها العداء للسامية الذي رافق محاكمة الضابط اليهودي دريفوس وتزوير الأدلة في محاكمته.

غير أن هذا لايعني أن مضمون أو مدلول مصطلح "المثقف" كان غائبا قبل ذلك. فمن بين القضايا التي حملت دلالة هامة في هذا الصدد قضية سقراط وقضية فولتير. يلخص الفيلسوف أفلاطون قضية سقراط فيمايلي:(ظننت أن النظام الجديد سوف يضع حكم العدل مكان حكم الجور، وكرست له كل إنتباهي لأرى ماسيفعله. فرأيت هؤلاء السادة في وقت قصير جدا وقد جعلوا الديمقراطية التي حطموها تبدو وكأنها العهد الذهبي. لقد أمروا سقراط - صديقي المسن الذي لن أتردد في تلقيه بأعدل رجال عصره - أن يشترك في القبض على مواطن كانوا يريدون إزاحته عن طريقهم. وكانوا يبغون من وراء ذلك إشراك سقراط ، أراد هو أو لم يرد، في أعمال النظام الجديد. وقد رفض سقراط الخنوع لهذا واستعد لمواجهة الموت، مؤثرا هذا على أن يصبح أداة لجرائمهم)⁽¹⁾. أي أن المثقف في الحالة هذه عبارة عن موقف يتحدى السلطة للوقوف في وجه الظلم والاستبداد.

أما قضية فولتير فنتلخص أحداثها في يوم 17 أكتوبر 1762 عند عودة التاجر البروتستانتي كالاس إلى منزله من العمل بتولوز⁽²⁾، حيث كان يعيش برفقة أسرته البسيطة في مدينة ذات أغلبية كاثوليكية ، أين اكتشف ابنه مشنوقا ببيته. وخوفا من عار القضية وقيام الكاثوليك بحرق ابنه الذي خالف بإنتحاره تعاليم المسيح حسب معتقداتهم، إدعى الأب أن الأمر عبارة عن جريمة قتل، لكنه كان المتهم الأول والرئيسي في ذلك بهدف منع ابنه من التحول إلى الكاثوليكية. فتعرض كالاس لمحاكمة صورية أوجبت إعدامه ومصادرة أملاكه. غير أن زوجته وأبناؤه اهتموا بالقضية وتمكنوا من إقناع أكبر الفلاسفة وهو فولتير بالدفاع عنها. فكان كتابه "محاولة في التسامح" صرخة ملتزمة في المجتمع الفرنسي أدت إلى إعادة فتح

(1): محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 14.

(2): محمد الشيخ، نفس المرجع، ص 15.

ملف القضية سنة 1765 ببرلمان باريس، الذي أعلن عن براءة كالاس ودفع تعويضات لأسرته تعويضا عما لحق بهم وبالأب من اضطهاد ديني.

- لقد أعتبرت هاتان القضيتان في تاريخ الفكر الغربي نموذجا لسلوك المثقف في مواجهة سلطة الطغيان كما أعتبرت علامة لسلطة وقدرة المثقف حين يكون مقرا لحق أو دافعا لشبهة. غير أن ماحدث في فرنسا في القرن التاسع عشر كان أقوى، سواء من حيث المشاركة المكثفة للمفكرين، أو من حيث تأثير القضية على المجتمع الأوروبي بشكل عام. شكل ذلك حدثا جديدا في تاريخ الفكر الغربي: إنه نشأة "المثقف" كما بلوره الفكر الحديث.

- لم تختف كلمة مثقف بعد حل تلك الأزمات السياسية التي حدثت في فرنسا خاصة ثم مناطق من أوروبا، بل استمر العمل بها للإشارة إلى فئات إجتماعية أحيانا، أو للإحاطة بالسلطات الحاكمة أحيانا أخرى⁽¹⁾. حيث تذكر العديد من الكتابات بأن لفظ المثقف يوازيه مصطلح "أنتلجنسيا"⁽²⁾ بالروسية كما صاغه مثقفي الحركة الشعبية الروسية، والذي لا يرتبط حسب رأيهم بالمؤهل العلمي أو الدبلوم أو الإختصاص، بل هو مرتبط اساسا برفض الواقع السائد وتغييره من منظور الشعب، حيث المشترك بين المصطلحين الفرنسي والروسي هو مبدأ رفض المثقفين للواقع السائد.

وقد كان هذا اللفظ الذي يقابله بالعربية لفظ "فكليون"⁽³⁾ يستعمل كوصف ونعت ، ثم أصبح يطلق على مجموعة من الناس وهم أولئك المفكرون والأدباء والمؤرخون .. وهم من قاموا بتلك الحركة الإحتجاجية دفاعا عن حق الضابط المتهم . شقت بعد ذلك الكلمة طريقها لتطلق على المشتغلين بفكرهم لا بأيديهم في فرع من فروع المعرفة ، وهم من يحملون آراء خاصة حول الإنسان والمجتمع ، ويقفون موقف الإحتجاج

1: نوارة حسين، المرجع السابق، ص 100.

(2): كلمة بولندية الأصل، تدل على شريحة إجتماعية تمتهن العمل الذهني المعقد ذا الطابع الإبداعي وتشتغل في إدارة الإنتاج وتطوير الثقافة وتهتم بنشرها. نوارة حسين، المرجع السابق، ص 82.

(3): جودي بكاكيرية، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري، إشراف الدكتور: عبد الغني مغربي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، سنة 2008/2009، ص 49

والتنديد إزاء مايتعرض له الأفراد والجماعات من ظلم وتعسف من طرف السلطات أيا كان صنفها سياسية أو دينية.

- يذكر قاموس علم الاجتماع في طبعة 1975 : "إن هذا المفهوم الذي ظهر بروسيا مع نهاية القرن التاسع عشر كان يدل على النخبة القادمة من الغرب أو التي كانت تدرس في الجامعات الروسية العصرية. كانت تلك النخبة تضم كتاب وشعراء واساتذة وعلماء وعلمانيين. استخدم المفهوم ابتداء من سنة 1905 للإشارة إلى كل الذين عارضوا سياسة روسيا القيصرية... ثم انتشر هذا المفهوم بأرجاء مختلفة ، إنطلاقاً من أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية ، ليصل بعد ذلك بمدة طويلة إلى العالم العربي فظهر في مصر مثلاً في حوالي 1900 في جو من الغليان السياسي ، حيث كان كل من قاسم أمين، سعد زغلول، وعمر لطفي ومصطفى كمال يصنفون آنذاك في عداد النخبة المثقفة" (1) .

أي أن المثقف ظهر في الثقافة الأوروبية ثم انتقل لدى الثقافة العربية، هو عبارة عن موقف أكثر مما هو حالة سائدة، موقف يرفض الوضع القائم ويسعى إلى تغييره بالوسائل الممكنة، فالمثقف لا يكتفي بالتنديد فقط، بل هو يحمل معاناة شعبه ويدافع عنها، وهذا ما تبلور من خلال قضية دريفوس، فولتير، وسقراط التاريخية التي شكلت مرجعيات تاريخية للفظ المثقف، حيث استمر العمل بهذا المصطلح حتى بعد حل هذه الأزمات السياسية في أوروبا.

2- المعنى اللغوي والإصطلاحي لمفهوم المثقف والمثقف الثوري:

- عند العودة لمعاجم اللغة العربية لن نجد كلمة مثقف وإنما نجد كلمة "ثقف" وتأتي بمعنى "حذق" لكننا نجد هذه الكلمة في معجم المحيط المحيط لبطرس البستاني في العصر الحديث كلمة مثقف بمعنى قريب جداً إلى المعنى المألوف والمتداول في المجال الثقافي وتأتي بمعنى: (متعلم وله معنى بالمعارف) أي ذو

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 82.

ثقافة ، ويضيف أيضا المؤلف عبارة "النخبة المثقفة" أي نخبة من أهل الفكر والثقافة ، وهي كلمات لم ترد في فترات ما قبل سنة 1894 بالمعنى المتعارف عليه الآن.

حسب بعض الكتاب، كلمة مثقف في اللغة العربية تقابلها في اللغة الأوروبية كلمة Inteligentsia ، وهي اسم مصدر والصفة منها هي Intellectuel ، وأصل الكلمتين معا هو Intellect أو Intelligence. وكلمة Intellect تعني الفطنة أو الذكاء أو العقل أو قدرة الإدراك والفهم والاستنتاج⁽¹⁾ ، أي الصفة منها تعني العاقل والمتفهم ، وتطلق على الرجل الذي يحسن التفكير، ومن ثم على أهل الفكر أو Inteligentsia على شريحة من المجتمع تكون من صفاتها المتميزة هي استعدادها الفكري والعقلي وذكاؤها .

وعليه فإن كل إنسان ذكي يبرز ذكاؤه وفكره وفهمه عن سائر مواهبه الأخرى في حياته ومجتمعه فهو مثقف، أو من النخبة المثقفة مثلما يعرفها محفوظ سماتي بأنها هي الأقلية التي تقود عمل اقتصادي، سياسي، ثقافي، روجي⁽²⁾. لكنها عموما إذا كانت على أساس فكري نقول نخبة مثقفة، قد تكون فقيرة لاتنتهي إلى طبقة أرستقراطية، لكنها تنتمي إلى الفكر المتنور وهم الذين دعوا إلى الأخذ بالمبتكرات الأوروبية.

أما في لسان العرب لم يرد تعريفا لكلمة "مثقف" في وصف شخص بل "ثقف" ، ويفسرها ابن منظور كمايلي: "إن المراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه... وثقف الخل ثقافة ، وثقف، وثقيف بالتحديد". وإن كلمة مثقف مشتقة من كلمة ثقافة تقابلها كلمة - intellegence ذكاء- في اللغة الفرنسية.

كما تدل الكلمة على عدة معان أخرى منها: الحذق، سرعة الفهم، الفطنة، الذكاء، سرعة التعلم، وتسوية المعوج من الأشياء، والظفر بالشيء، قال تعالى: (فإما تتقنهم في الحرب)⁽³⁾.

(1): علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، لبنان، دار الأمير، الطبعة الثانية، 2007، ص49
(2) : Smati Mahfoud, Les élites Algeriennes sous la colonisation, Tome 1, maisonnevre et la rose, 1999, p6.

(3): سورة الأنفال، أية 57.

وعرّف مجمع اللغة العربية (الثقافي) بأنه: "كل ما فيه استنارةٌ للذهن، وتهذيبٌ للذوق، وتنميةٌ لمَلَكة النقد والحُكم لدى الفرد والمجتمع"⁽¹⁾، ويتّضح هنا ارتباط هذا التعريف بالدلالات اللغوية السابقة.

- أما بالنسبة للمعنى الإصطلاحي للمثقف فهناك العديد من المفاهيم والتأويلات منها قاموس العلوم الإجتماعية طبعة سنة 1979 الذي يؤكد على أن مفهوم "مثقف" و "أنتلجنسيا" لايدلان على حقيقة واحدة⁽²⁾. وحسب هذا القاموس فإن مفهوم أنتلجنسيا يترجم في اللغة العربية بعبارة المتعلمين ، والمتعلمين حسب نفس الكتاب هم جميع هؤلاء الذين يشتغلون معظم الوقت في وظائف مهنية وإدارية مع الشعور بوجودهم كطبقة إجتماعية. بينما يقترح مفهوماً آخراً للمثقف كالتالي: " إنهم عناصر من المجتمع يكرسون جهودهم لبلورة أفكار أصلية جديدة ، ويشتغلون نشاطات ثقافية منتجة، وتمثل هذه المجموعة أقلية ضيقة من مجموع المتعلمين في المجتمع "⁽³⁾ .

- من الناحية الإصطلاحية فإن تفسير الكلمة في القواميس يدل على شخص يغلب عليه استخدام الذكاء . ويقال "أن المثقفون هم أفراد يتمتعون بالمعرفة، أو هم الذين تقوم أحكامهم وآراؤهم على العلم والمعرفة" وذلك حسب ماتعرفه دائرة معارف العلوم الإجتماعية الصادرة سنة 1932 . في حين تقترح دائرة المعارف الدولية الصادرة سنة 1968 تعريفاً مغايراً كمايلي: "المثقفون مجموعة من الأفراد مهما كان المجتمع يستخدمون في عملية الإتصال ونمط التعبير رموزاً تتصل بمواضيع مختلفة كالإنسان والمجتمع والطبيعة والكون..."⁽⁴⁾ .

أما دائرة المعارف السوفياتية الكبرى ،فتعرف المثقف على أنه "شريحة إجتماعية تتكون من أناس يتمثل نشاطهم في العمل الذهني المتصل أساساً بفهم وإبتكار أشياء شديدة التعقيد"⁽⁵⁾. أما قاموس علم الاجتماع في طبعة سنة 1993 يقول بأن المثقفين "هم الذين يقدمون سمعتهم أو سلطتهم كمبتكرين ليساهموا في

(1): محمد الشيخ، المثقف والسلطة، المرجع السابق، ص 14.

(2): نواره حسين، المرجع السابق، ص 82.

(3): نفس المرجع، ص 83.

(4): نفس المرجع، ص 55.

(5): نفس المرجع، ص 61.

التعبير عن قيم قديمة ونشرها في المجتمع"⁽¹⁾. من جهة أخرى يعرف القاموس العلمي للاستاذ يوسف شلالة مفهوم المثقف على أنه مذهب عقلي ، ويقدم قاموس "لاروس" عدة مرادفات لهذا المصطلح مثل مفكر وعالم.. أما قاموس اللغة والإعلام طبعة 1975 يعرف المثقف على أنه من يملك ثقافة، والثقافة حسب نفس القاموس تتلخص في إتقان العلوم والفنون والآداب. لكن قاموس البستاني يقدم معنى مغاير تماما للثقافة: "الثقافة نوع من التربية يمارسها الإنسان على نفسه لبلوغ المثل الأعلى..."⁽²⁾. وبالنسبة لقاموس العلوم الإجتماعية فقد قدم مفهوما أكثر تفصيلا مشيرا إلى أن المفهوم ظهر بروسيا مع نهاية القرن التاسع عشر ليبدل على النخبة القادمة من الغرب أو التي كانت تدرس بالجامعات الروسية.

- من ناحية أخرى قاموس العلوم الإجتماعية طبعة سنة 1979 يؤكد على أن مفهوم "مثقف" و "أنتلجنسيا" لايدلان على حقيقة واحدة⁽³⁾. وحسب هذا القاموس فإن مفهوم أنتلجنسيا يترجم في اللغة العربية بعبارة المتعلمين ، والمتعلمون حسب نفس الكتاب هم جميع هؤلاء الذين يشتغلون معظم الوقت في وظائف مهنية وإدارية مع الشعور بوجودهم كطبقة إجتماعية. بينما يقترح مفهوما آخر للمثقف كالتالي: "إنهم عناصر من المجتمع يكرسون جهودهم لبلورة أفكار أصلية جديدة ، ويشتغلون نشاطات ثقافية منتجة، وتمثل هذه المجموعة أقلية ضيقة من مجموع المتعلمين في المجتمع"⁽⁴⁾.

- لقد أوردت مختلف القواميس ودوائر المعارف الصادرة باللغة العربية تفسيرات متعددة ومختلفة لمصطلح "مثقف" وذلك في سياق خاص بالحضارة العربية الإسلامية، ما أعطى معان وقيم مغايرة تماما للقيم والمعاني المعروفة في الحضارة الغربية. غير أننا نلاحظ ومن ناحية أخرى بأن أغلب القواميس والمعاجم تربط مفهوم المثقف بالمؤهل العلمي والدبلوم، فيصبح في هذه الحالة مثقفا تقليديا لأنه لايشترك في عملية التغيير بل يكتفي بالتنظير والنقد.

(1): نفس المرجع، ص 81.

(2): فؤاد البستاني، منجد الطالب، بيروت، دار المشرق، 1986، ص 93.

(3): نواره حسين، المرجع السابق، ص 82.

(4): نفس المرجع، ص 83.

وفي بعض الأحيان وخاصة في دول العالم الثالث يرد بعض الخلط بين المثقف والمتعلم: " يجب عدم الخلط بين المثقف والمتعلم، فهذا الأخير قد يكون فاقدا تماما للاستعداد للفهم والمعرفة، وخاصة لبعده النظر والقدرة على العمل في خدمة الجميع. بينما قد يملك غير المتعلم البصيرة والذكاء و وضوح الرؤية والمعرفة التجريبية. لقد كان هناك شعراء وخطباء في الناس كانوا أميين ، لكن الرشد والحكمة اللذين يتميز بهما كلاهم يجعلهم مسموعين عند الناس ، وتضمن التقاليد الشفهية الفعالة عندنا نشر أفكارهم...".

وبالتالي يمكننا التساؤل هل من الضروري أن يحسن المثقف القراءة والكتابة ، أي بمعنى آخر هل يستطيع المثقف أن يضطلع بدوره في المجتمع دون أن يكون له رصيد ثقافي مكتسب؟.

يمكن القول بأن التعليم قاعدة اساسية يقوم عليها الكيان الإجتماعي الذي هو المثقف ويدعم مكانته بشكل أوسع، لأن ذلك يمكنه من الوسائل والأدوات والأسلحة الثقافية الضرورية للإمعان في التفكير وبلورته، وهو يحمل رسالة ومعنى ومشروع. لكنه ومن جهة أخرى لا يجب على المثقف أن يمتلك مستوى مرموقا فقط، بل أن يكتنز ثقافة تمكنه من تكوين فكرة عن أنظمة الأفكار الأخرى، حتى يستطيع في النهاية بناء قناعاته الذاتية التي تتكيف مع مجتمعه. حيث يقول المؤرخ مصطفى لشرف في هذا الصدد: "ليست الشهادة التي تصنع المثقف ، بل الإحتكاك المستمر بالثقافة الحديثة واكتساب ثقافة معرفية حديثة مؤثرة معنويا، وتلزم الشخص إزاء القيم الحية ، ولأنها تجر معها تحولا جزئيا للشخصية وعلاقة مميزة مع السلطة..."(1).

- أما عن مفهوم المثقف الثوري، فهو لم يرد بشكل مباشر في الكتابات الفلسفية والأدبية، لكنه عموما يمكن الاستخلاص بأن المثقف الثوري هو المناضل العنيد ضد الظلم والطغيان ، مناضل يحمل هموم شعبه ومعاناته ويسعى بشكل جدي إلى تغيير الوضع القائم عن طريق الثورة. أو هو الإنسان الذي يتدخل في الحياة الاجتماعية معتمدا على ثقافة واسعة محاولا استعمالها في الشأن الاجتماعي بهدف تغييره نحو الأفضل. كما حددته الباحثة ناديا ابو زاهر. فدوره يتمثل في " خلق فضاء واسع للاختلاف وللمفارقات في

(1): نفس المرجع، ص 173

الحياة الاجتماعية، إنه الممنهج لطريق الحرية التي هي حق للجميع و على الجميع احترامها باحترام الديانات المختلفة و الإيديولوجيات" (1) . إذن فالمثقف دوره الحقيقي تفسير لمعنى الحرية التي لا تحدث إلا من خلال ثورة داخلية نفسية متطلبة لعنصر الحداثة الذي يلزم الجميع مسابرة أحداث العالم و الإحاطة بكل ما يدور في فلك السلطة أو ما تتعامل به العامة من أخلاق أو من خلال الوعي.

- تتعد أنواع المثقف حسب تعريفات واقوال الفلاسف 'يقول أنطونيو غرامشي(2) في مذكراته التي كتبها في السجن أن جميع الناس مفكرون ،لكن وظيفة المفكر أو المثقف في المجتمع لايقوم بها كل الناس .ويحاول أن يبين من خلال ذلك أن المثقفين ينقسمون الى قسمين: المثقفين التقليديين مثل المعلمين و رجال الدين والإداريين ممن يواصلون اداء العمل نفسه من جيل الى جيل.. والمثقفين المنسقين (أو العضويين) المرتبطين مباشرة بطبقات أو بمؤسسات تستخدم المثقفين لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوة وزيادة السيطرة(3). ويقول أيضا غرامشي عن المثقف المنسق: " إن المثقفين بما هم مثقفون، لايشكلون طبقة مستقلة، بل إن كل مجموعة إجتماعية لها جماعة من المثقفين الخاصة بها ،أو هي تعمل على خلقها " وظيفتهم القيام لها بدور أداة الهيمنة و وسيلة السيطرة وتحقيق الإنسجام داخل المجموعة ،وبذلك يتحقق وضع المثقف من خلال المجموعة الإجتماعية التي يخدمها، من خلال الدور الذي يقوم به في السياسة والسيرورة التاريخية،فيكون مثقفا تقليديا عندما يرتبط بالطبقات القديمة والآلية للزوال . ويكون مثقفا جديدا ناقدا عندما يساهم في تعبئة المجموعة الإجتماعية الصاعدة وبلورة مطامحها وأهدافها .وبعبارة أخرى ،إن المثقفين إما أن يكونوا أدوات للهيمنة على مستوى المجتمع المدني ،الهيمنة التي تمارسها

(1): خالد ساحلي، المثقف من موقف الثورة، ثورة المثقف من الموقف، مجلة إيلاف الإلكترونية، العدد 6234، 21ماي 2001.

(2): مناضل ماركسي إيطالي، صحفي وفيلسوف سجنه موسولينى في 1926 إلى غاية 1937، وقد كتب مذكراته بالسجن، كما اصبح في كتاباته الصحفية من كبار المحللين الإجتماعيين ذوي التأملات العميقة. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص32.

(3): إدوارد سعيد، نفس المرجع، ص 34.

المجموعة الاجتماعية المسيرة على مجموع الجسم الاجتماعي، وإما أن يكونوا أداة من أدوات السيطرة على مستوى المجتمع السياسي⁽¹⁾.

كما يعتقد غرامشي أن المثقفين المنسقين يشاركون مشاركة إيجابية في النشاط الاجتماعي، بمعنى أنهم يناضلون دائما في سبيل تغيير الأفكار والآراء، على عكس المثقف التقليدي من المعلمين والكهنة الذين يظلون فيما يبدو دائما في مكانهم، ويقومون بالعمل نفسه عاما بعد عام. في حين أن المثقف المنسق أو العضوي يتميز بالحركة الدائمة والإنتاج الدؤوب الذي لا يتوقف.

أما الفيلسوف جان بول سارتر فيعرف المثقف على أنه هو ذلك الكائن الذي يتدخل فيما لايعنيه، أي أن المثقف واجب عليه أن يكون ملتزما إزاء المساهمة الفعالة في معالجة أهم قضايا المجتمع الجذرية ومحاولة إصلاحها، بما يفيد هذا المجتمع ويدفع به نحو الأفضل. وثمة نوعين من المثقف، الأول هو المثقف الحقيقي والثاني هو المثقف المزيف⁽²⁾. المثقف الحقيقي هو من يقول كلمة (لا) ولكن المثقف المزيف هو من يقول (لاولكن) أي يبرر مالا يحتمل إلا النقد والمعارضة. المثقف الحقيقي هو من يدافع عن الحريات ويغير الواقع السائد، فهو الكائن الذي يصر على قول الحقيقة..

أم الفيلسوف ادوارد سعيد يرى في المثقف أنه الشخص الذي يتحلى بقدرة خاصة في تجسيد هموم شعبه وإيصال رسالته ومواقفه وتوجهاته للناس. كما أنه رمز المعارضة والجرأة والتحدي ومواجهة الوضع القائم الذي لايتجاوب مع مبادئ الحرية والعدل. المثقف هو المنفي والهاوي والهامشي، والذي لايتفادى المخاطر ولايبترع عن المبادئ التي يشعر بأنها صائبة وقوية. فهو الإنسان الذي لايجامل ويراهن بشعوره النقدي على وجوده فهو لايقبل بالإملانات والأفكار المبتذلة والجاهزة ولايرتبط بشريحة أو مؤسسة أو حزب أو حتى قوميته وإنما هو وعي حر في العالم ولامنتمي⁽³⁾.

(1): محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 19.

(2): عدالت عبد الله، يومية إيلاف الإلكترونية، قراءة في مفهوم المثقف، 14 فيفري 2009، ص 3

(3): نفس المرجع، ص 3

وبالنسبة للفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو يذكر بأن المثقف : هو الكائن الذي يسائل ويفحص المسلمات والمصادر وذلك عبر التحاليل التي يجريها ضمن حقله الإختصاصي. أنه من يززع العادات وطرق العمل والتفكير والأشياء المألوفة والمستلمة بها، ولكن المثقف ليس هو من يلعب دور الوصي على الناس ويحدد لهم ما ينبغي فعله، بأي حق يحق له هذا؟ فالمثقف ليس هو من يكون الإرادة السياسية للناس. كما لا ينبغي أن يحكم ولا يدعي أنه ضمير الأمة أو لسان حال الجمهور أو المعبر عن الشعور الجمعي أو ممثل شريحة إجتماعية. هذا الكائن ليس حارساً للحقيقة. وإنما يختص في مجال من مجالات إنتاج المعرفة.

وفي مفهوم الفيلسوف الفرنسي جوليان بيندا للمثقف نجد أن المثقفين هم عُصبة صغيرة من الملوك و الفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الإستثنائية وبالحس الأخلاقي الفذ ويشكلون ضمير البشرية. انهم من أمثال يسوع المسيح وسقراط وسبينوزا وفولتير ونييتشة وارانست رينان.. يعرضون حياتهم لمخاطر الصلب والحرق والنبد والملاحقة والمحاكمة. و عددهم قليل جداً، كما أن موقفهم هو موقف المحاجة والمعارضة للأوضاع السائدة، كما أنهم يدافعون عن قيم أزلية كالحق والعدل⁽¹⁾.

فمن هذا المنطلق، المثقف بهذا المعنى القوي لا يتحدد وضعه بنوع علاقته بالفكر والثقافة، ولا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره وليس بيده، بل يتحدد وضعه بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع ومعترض ومبشر بمشروع، أو على الأقل كصاحب رأي أو قضية. يقول بول باران: "إنني أقترح أنه عندما يتعلق الأمر بموقف إزاء القضايا التي تطرحها الصيرورة التاريخية بأكملها، يجب أن نبحث عن الخط الفاصل بين العمال الفكريين والمثقفين"⁽²⁾. إن الرغبة في الكشف عن الحقيقة ليست إذن إلا أحد الشرطين ليكون الشخص مثقفاً. أما الشرط الثاني أن يكون شجاعاً، أن يكون مستعداً أن يصل بالبحث العقلاني إلى أبعد مدى. فالمثقف إذن هو في جوهره ناقد إجتماعي، هو الشخص الذي يسعى من خلال العمل والتحليل والنقد إلى المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام تحقيق نظام إجتماعي أفضل، نظام

(1): المرجع نفسه

(2): فاطمة الزهراء حلوى، المثقفون الجزائريون والثورة، رسالة لنيل شهادة الماجستير تربوي ثقافي، إشراف: الدكتور عبد الغاني مغربي، السنة الجامعية 2008/2009، ص 104.

أكثر إنسانية وعقلانية. فإن مكانة المثقف تتجلى من خلال الدور الذي يلعبه داخل مجتمعه وبيئته، هذا الدور الذي بإمكانه أن يكون تدميري إذا ما كان هذا المثقف عضواً مشاركاً في تآزيم العلاقات بين المستعمر والمستعمر أي السلطة الحاكمة والشعب⁽¹⁾.

هناك وجوه التشابه والتباين في التعريفات المذكورة حول المثقف، لذا لا يمكن أن نعتمد على مفهوم واحد عند ذكر هذا المصطلح وهذا بحد ذاته إشكالية كبيرة تفتح المجال أمام السجال. فإن كل تعريف ذكرناه ولمسناه عند المفكرين والفلاسفة المذكورين يحتمل بحوث ودراسات عديدة ومختلفة لشرح وتأويل نظرياتهم ورؤاهم الفكرية والمعرفية لمسألة المثقف وماهيته، وهذا بحد ذاته يدل على أن ثمة تراث ثقافي وعلمي غزير عن المثقف يمكنه أفادتنا وإفساح المجال لنا لبحث مفهوم هذا الكائن على صعيد أوسع.

- من خلال ما سبق يصح القول بأن مفهوم المثقف عامة والمثقف الثوري خاصة من المفاهيم الشائكة والتي يصعب تحديد إطار محدد لها أو تعريف واحد. وإشكالية المثقف ومن هو علاقة المثقف ببيئته ومجتمعه علاقة شائكة مرت بمراحل عديدة منذ ظهور هذا المصطلح وطرأت عليه تغيرات في أوقات كثيرة وتوسع المفهوم أيضاً في فترات وأوقات معينة يقول المفكر الدكتور محمد عابد الجابري عن المثقف: "إنسان يفكر ويعمل بعقله من خلال معطيات وأفكار لها مرجعية يدور فيها وينطلق من خلالها في أعماله وأفكاره"⁽²⁾.

حتى حديث الجابري قد لا يشبع كثيراً. وبالإمكان سرد تعاريف كثيرة للمثقف لكنها جميعاً إن لم تتفق تماماً في التعريف للمفهوم لكنها لا تختلف كثيراً في السياق الذي من خلاله تم التعريف لهذا المفهوم.

- من الملاحظ أن بعض التعريفات المذكورة سابقاً تتفق في أن المثقف عليه أن يشارك وبفاعلية في تغيير نمط الحياة، لا فقط عن طريق إبداع أفكار وقيم جديدة تؤثر على سلوك الناس، بل وكذلك المشاركة النوعية في خدمة الشأن العام بما يتماشى مع ماهية الثقافة وفق من عرّفها على أنّها "الجهد المبذول لتقديم

(1): نفس المرجع، ص 105

(2): محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 73

مجموعة متماسكة من الإجابات على المآزق المحيرة التي تواجه المجتمعات البشرية في مجرى حياتها"⁽¹⁾.

- ختام القول أنه و برغم الكتابات الكثيرة حول مفهوم المثقف، لم يتم التأكيد بعد على مفهوم دقيق ونهائي للمصطلح، إذ لم يتوصل بعد هؤلاء الكتاب والفلاسفة إلى تحديد مفهوم واحد له. خاصة مع إختلاف المرجعيات والإيديولوجيات التي ينطلق منها كل فرد في فهمه للمثقف. هذا الأخير الذي يعني في الثقافة الغربية الموقف الرافض المتصلب الذي يسعى للتغيير وهو بذلك مثقف عضوي، أما في الحضارة العربية الإسلامية فهو عادة مرتبط بالمؤهلات العلمية وهو في هذه الحالة مثقف منسق. لذلك إذن يبقى الجدل قائما حول هل المثقف هو من يمارس الفعل الثقافي والفكري كمنتج للأفكار فقط، أم هو الذي يشارك في تغيير الواقع السائد، أم هو ذلك المشتغل في المجال الثقافي الواسع. لكنه عموما يمكن القول أن المثقف ليس فقط من يقدم معنى معرفي، بل يجب عليه أن يشارك في عملية التغيير في قضايا مجتمعه. فهو ذلك الإنسان الذي يتدخل في الحياة الاجتماعية معتمدا على ثقافة واسعة محاولا استعمالها في الشأن الاجتماعي بهدف تغييره نحو الأفضل ونصرة مبادئ العدالة والحق.

4 - الأوضاع الثقافية بالجزائر قبيل إندلاع الثورة:

في الفترة التي إندلعت فيها الثورة التحريرية كان المستعمر الفرنسي قد أتم مشروعه الاستعماري بالجزائر القائم على تجهيل الجماهير الشعبية وتشويه ثقافتها المحلية. فقد أصبح الإسلام بفعل المخططات الفرنسية مجموعة من الخرافات والبدع والعبادات الظاهرية، وتراجعت العادات والتقاليد السليمة لتترك المكان إلى أنماط من الحياة غريبة جدا عن المجتمع الجزائري التي من شأنها محو مقومات الشخصية الوطنية. وقد ظهرت هذه السياسة الاستعمارية منذ الغزو الفرنسي للجزائر إذ كانت أولى توصيات القادة الفرنسيين لجيشهم الزاحف على الجزائر هي قولهم: " علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا

(1): فتحي الحبوبي، الحوار المتمدن، المثقف وهواجس قول الحقيقة وفعل التغيير واستقلالية الموقف، 02مارس 2015.

حكمت لغتنا الجزائر حكمناها حقيقة"⁽¹⁾. بمعنى أن التعليم الفرنسي بالجزائر ومنذ البداية كان يهدف إلى التأثير الروحي والفكري على الأهالي، لضمان استمرارية النتائج السياسية للإحتلال الفرنسي للجزائر. ونتيجة لهذه السياسة انتشرت الأمية في أوساط الشعب الجزائري بشكل مخيف ، وأصبحت متجذرة بين أفراد. فقد بلغت نسبتها بين الرجال 94 بالمئة، والنساء 96 بالمئة، وهذا حسب الإحصائيات الرسمية الفرنسية التي نشرتها الولاية العامة في الجزائر ، فمن مجموع 6000 طالب مسجل بجامعة الجزائر خلال العشر سنوات قبل إندلاع الثورة يوجد منهم 500 جزائري فقط⁽²⁾ ، وهذا هو السبب الذي أدى بالسلطة الجزائرية في العشرية الأولى من الاستقلال إلى جلب معلمين من الخارج، وقد سبب هذا الوضع في انتشار البدع والخرافات والعادات السيئة في أوساط الأميين خاصة في الأرياف. أما المراكز الصحية فلم يستفد منها إلا سكان المدن، بينما أغلبية سكان الأرياف كانوا يستعملون الدواء التقليدي وهذا ما أثبتته التقرير الذي قدمه مكتب جاك سوستيل الحاكم العام للجزائر عام 1955 حول الوضعية الإجتماعية المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إلى جانب تدهور المستوى الثقافي.

- كما منعت السلطات الاستعمارية تعلم لغة القرآن بحجة كونها وسيلة تساعد على الثورة ضد الإدارة الفرنسية. وطارد كل من يستعمل اللغة العربية بحجة أنه مناهض للحضارة الغربية ويقف في وجه التطور الثقافي الذي بدأ حسب رأيهم مع نزول الجماعة الأولى من المعمرين. وبنفس الحجج والإدعاءات قامت فرنسا أيضا بهدم المساجد التي كانت آنذاك مقرا للتعليم، وأغلقت الزوايا . بذلك أشارت الإحصائيات إلى أن حوالي 19%⁽³⁾ فقط من الجزائريين متعلمين، حيث يندرج في هذه النسبة كل من يحسن القراءة والكتابة سواء باللغتين العربية أو الفرنسية . وكانت جامعة الجزائر التي تعتبر نظريا من أكبر جامعات فرنسا تجمع في مدرجاتها حوالي ستة آلاف طالب لايزيد عدد الجزائريين منهم عن خمسمائة طالب، معظمهم من أبناء الطبقات التي صنعتها الاستعمار لخدمة مصالحه.

(1): سلاف نعيمة و كدرولي عبد الكريم، الثورة الجزائرية وانقسامية النخبة المثقفة، مجلة عصور، عدد 24-25، جانفي - جوان 2015، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ص 186.

(2): عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002، ص 187.

(3): العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، الطبعة الأولى، 1984، ص 45.

أما في مجال التعليم الإبتدائي، كان الأطفال الفرنسيين الذين في سن الدراسة كلهم يقبلون في المدارس التي تطبق البرامج الفرنسية نفسها المعمول بها في فرنسا. حيث جهزت لهم كافة الوسائل والإمكانيات وبواسطة معلمين أكفاء لأداء رسالتهم التعليمية على أكمل وجه. أما الأطفال الجزائريون فكانوا عند بلوغهم سن الدراسة لا يجدون سوى مقعد واحد لكل خمسة ذكور مابين 16 و 76 فتاة،

أي مايقابل نسبة 7% فقط من أبناء الجزائر⁽¹⁾ كانت تتاح لهم فرصة التعليم، هذا مع انتشار الفقر والأمراض والعجز وغيرها من المشاكل التي كانت تعرقل تعليم الأطفال الجزائريين.

لم تكتفي السلطات الفرنسية بسد باب التعليم في وجه الجزائريين، بل بذلت كل مافي وسعها لمحاربة اللغة العربية سواء في المدارس أو في الكتاتيب، لأنها الحاجز الوحيد الذي كان يمنع الجزائري من الذوبان في القومية الغربية الفرنسية. وقد نجحت فرنسا في ذلك لأبعد الحدود، حتى أن نسبة الأمية سنة إندلاع الثورة الجزائرية قدرت بتسعين بالمئة⁽²⁾ وهذا مايعكس نجاح مشاريع فرنسا في تجهيل الشعب الجزائري.

من جهة أخرى كانت فرنسا تسعى لخلق نخبة جزائرية متفرنسة تحقق أهدافها بدلا عنها في إدماج الجزائر أرضا وشعبا بفرنسا: " في حرب الحضارات هذه كانت فرنسا تستعمل الثقافة بطرق شتى في محاولة لاستخراج الأحسن، وفي الوقت المطلوب، أي فرض معاييرها الخاصة بها أو معايير جديدة متكيفة مع ديمومتها السياسية. لأجل هذا كان الأمر يتطلب ناطقين باسمها مقتنعين، ولكن ذوي مصداقية كذلك، فرضت الضرورة نفسها بتلقين حضارتنا وعاداتنا وجميع معارفنا لأنا شباب، سيكونون وسطاء نافعين بيننا وبين إخوانهم في الدين"⁽³⁾. هذا مايدل على أن فرنسا كانت لها العديد من المشاريع الثقافية الاستعمارية بالجزائر، منها مشروع التجهيل الذي باشرت فيه منذ إحتلالها الجزائر 1830، ولكنها فيما

(1): العربي الزبيري، نفس المرجع، ص 46.

(2): المرجع نفسه

(3): كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962/1830)، ترجمة: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الطبعة الأولى، 2016، ص 193

بعد إنتهت فرنسا إلى سياسية أخرى من شأنها تحقيق مطامحها بالجزائر بدلا عنها، وهي تكوين نخبة جزائرية متفرنسة تدافع عن قيم الحضارة الفرنسية ومبادئها.

شرعت فرنسا في تنفيذ تأثيرها الروحي والفكري على الجزائريين منذ سنة (1)1880، حيث بدأت بتأسيس وتطوير مؤسساتها التعليمية ودخول الطلبة الشباب إلى المؤسسات الثانوية والعالية، وهكذا بدأت تدريجيا تظهر نوع من البرجوازية الفكرية التي تتغذى من الثقافة الأوروبية، وكانت متلهفة للحرية ولعبت دورا في مجتمعاتها الأصلية. إذ يقول جورج مرسى: "أن النخبة الأهلية مكانتها بالنسبة للرأي العام الفرنسي، لأن لها بعض مظاهر النخبة الأوروبية... هذه النخبة مكونة من الأطباء الشرفاء، وبعض المحامين الشطار، والصحافيين اللامعين... إذ النخبة التي تنتمون إليها تبدو لي العنصر الأكثر فائدة للوحدة بين الشعوب، لأنها تغذت من الثقافة العربية وأمكنها أن تتخلق بالأداب الفرنسية"⁽²⁾. وقد رسم نفس الكاتب المرجعية الإيديولوجية لهذه النخبة بقوله: " إن نظرتكم وانتقاداتكم للمجتمع الجزائري صارت أكثر وضوحا بسبب دراستكم للحضارات الأوروبية وتعمقكم في تفحص المجتمع المسلم الذي يحيط - بفضل هذه المزايا - يقول مرسى - يمكنكم تصوير المستقبل خارج شبح الجامعة الإسلامية"⁽³⁾، مايدل على تخوف الفرنسيين من هذه الحركة القومية الإسلامية نظرا لما لها من تأثير على الشعوب العربية والجزائرية خاصة، فهي تهدف إلى التحرر وتحقيق وحدة إسلامية شاملة مايتنافى والأهداف الاستعمارية بالجزائر.

كما أخذت فرنسا في نفس الوقت تهتم أكثر بمقاومة تعليم اللغة العربية والتضييق على أصحابها الراغبين في تعليمها بواسطة إصدار قوانين وتشريعات تعسفية. منها قانون 21 مارس 1908 الذي طالب بإلغاء⁴لتعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين لأن ذلك سيكون خطرا على مستقبلهم بالجزائر. وفي 8 مارس 1938 أصدر وزير المعارف الفرنسي قرارا ينص على إعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ويمنع

(1): عمري الطاهري، تأثير المعلمين الفرنسيين في إتجاهات المثقفين الجزائريين إلى نهايات القرن 19، مجلة علوم إنسانية، العدد 73، مارس 2006.

(2): عمري الطاهر، النخبة الجزائرية المفرنسة (1914/1900)، مجلة علوم إنسانية، ص31.

(3): المرجع نفسه.

تعليمها تبعا لذلك. أما في 22 جويلية 1945 أصدرت السلطات الفرنسية قرارا يفرض على كل معلمي اللغة العربية معرفة اللغة الفرنسية كشرط أساسي لتوظيفهم في المدارس، واستهدفت من هذا القرار القضاء على الجهاز العربي وتحطيم كيانه، لأنها على علم بأن معظم أولئك المعلمين لا يحسنون اللغة الفرنسية.

ورغم أن دستور 20 سبتمبر 1947 نص على الإعراف باللغة العربية وتدريسها إلى جانب اللغة الفرنسية ، إلا أن الإدارة الفرنسية لم تطبق محتوى القانون⁽¹⁾ ، بل لجأ بعدها مفتشي التعليم الابتدائي الفرنسيون إلى إصدار نداء في 5 مارس 1954 يطالبون فيه بإلغاء تعليم اللغة العربية إجباريا في المرحلة الابتدائية، وتلك هي أقوى ملامح الإضطهاد العنصري وحرمان الجزائري من حقه في تعلم لغته وثقافته.

4 - الإيديولوجيات الثقافية بالجزائر قبل إندلاع الثورة:

- بين المثقف وبيئته علاقة وطيدة جدا، بحيث يتأثر بها ويؤثر فيها ، فإن الإنتاج الثقافي بجميع أنواعه مرتبط أشد الارتباط بالإيديولوجية التي يؤثر فيها ويتأثر بها. وقد عرفت الجزائر نشاطات ثقافية وفكرية منذ مطلع القرن العشرين، وذلك في إطار المقاومة الثقافية والسلمية التي عرفت لها لمواجهة المستعمر الفرنسي ومشاريعه الاستعمارية. فكان ذلك سببا في تبلور العديد من الإيديولوجيات الثقافية منذ تلك الفترة، شقت طريقها بعد ذلك إلى غاية تفجير ثورة الفاتح نوفمبر 1954. بحيث ستلعب هذه الإيديولوجيات دورا رئيسيا في تبلور فكر المثقف الثوري ومواقفه وإيديولوجيته الخاصة، فلاننسى بأن هذا المثقف قد نشأ في ظل هذه الإيديولوجيات المختلفة، بل أنه اكتسب منها أفكاره وقناعاته الخاصة التي أهلتها كي يبنتى العنف الثوري المجسد في ثورة نوفمبر 1954. ويمكن حصر هذه الإيديولوجيات فيمايلي:

1- إيديولوجية نجم شمال إفريقيا التي تكونت في مستهل الربع الثاني من القرن العشرين والتي ورثها وطورها حزب الشعب الجزائري PPA ثم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية من بعده. بحيث تهدف

(1): يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1954/1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص61.

هذه الإيديولوجية إلى خلق الظروف الملائمة لبناء مجتمع جزائري جديد تسوده الحرية وتمارس فيه الديمقراطية وتطبق فيه المساواة بين جميع الأفراد الذين من حقهم الاستفادة من ثروات بلادهم⁽¹⁾، وتمهيد الطريق لهؤلاء للخروج من دائرة التخلف، مجتمعاً يكون خالياً من الأمراض بجميع أنواعها، وقادر على إحتلال مكانة مرموقة بين مجتمعات العالم المتقدم.

وترى هذه الإيديولوجية، أنه ولتحقيق هذا الهدف لابد من استرجاع الاستقلال الوطني، وتكوين حكومة تسلم لها جميع الممتلكات والمؤسسات التي اغتصبها المستعمر منذ الإحتلال. ولن يكون الاستقلال كاملاً في نظرهم إلا إذا صاحبتة تأميمات الأملاك الكبيرة التي كانت بيد المعمرين والشركات الرأسمالية، وتوزيع الأراضي التي تم تأميمها على الفلاحين مع إحترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة. ويكون من جهة أخرى بناء هذا المجتمع الجديد في إطار جمهورية جزائرية إسلامية العقيدة عربية اللسان، ثورية المذهب و وحدوية المسعى. لأن الهدف الأسمى يبقى دائماً هو استرجاع استقلال شمال إفريقيا العربي الإسلامي كخطوة حاسمة في طريق توحيد الوطن العربي بعد تحقيق الاستقلال السياسي .

بقيت هذه الأهداف سارية المفعول بالنسبة لحزب الشعب الجزائري، بمعنى أن قادة الحزب حافظوا على الأهداف لكنهم سوف يغيرون من أسلوب عملهم، ويبدأ التركيز على العمل المسلح كحل وحيد للمشاكل الجزائري. وحتى عند ممارستهم النضال السياسي بعد الحرب العالمية الثانية، سوف يدعون التوجه العسكري من خلال إنشاء المنظمة السرية L'OS التي أنشأت جيلاً ثورياً سيكون هو النواة الأولى لجيش التحرير الوطني الجناح العسكري للثورة. كما سيتمكن هذا الجيل من استمالة مجموعة من إطارات الحزب وأعضاء اللجنة المركزية لإنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل RCUA، ثم سوف يستميل العديد من قادة التشكيلات السياسية بعد مرحلة من تفجير الثورة.

- إن الإيديولوجية الثقافية لنجم شمال إفريقيا قد تكونت في المهجر (باريس)، فقد كانت هذه الأخيرة فضاءاً لنشاط العمال المغاربة الذين هاجروا إلى فرنسا ضمن موجات متلاحقة، من أجل العمل في المصانع

(1): العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 25.

والورشات والمعامل. ومنذ العقد الثاني من القرن العشرين صارت باريس هي المدينة البترولية ووجهة لمناضلي الأقطار والبلدان التي حرمت من الحرية والاستقلال. ساعين بذلك إلى بناء دولتهم الوطنية. كما أن ميلاد النجم في المهجر لدليل قاطع على مدى سيطرة فرنسا على الأوضاع الإجتماعية والسياسية والثقافية بالجزائر، إلى حد استحالة أي إمكانية لبروز تيار وطني أو حركة أهلية. وفي كنف اليسار الفرنسي نشأت أول نواة من المناضلين الجزائريين والمغاربة عموما، عرفت باسم جمعية نجم شمال إفريقيا و وضعت فكرة الاستقلال في جملة أهدافها وحافظت على هذا المطلب طيلة مسارها النضالي . إذن فإن النزعة الوطنية الجزائرية نشأت في كنف اليسار الفرنسي و الأممية الشيوعية⁽¹⁾ ، لازمها أيضا التعامل بمصطلحات ومفردات ساعدت المناضل الوطني في تحديد خصمه الحقيقي من اجل الاستقلال والتحرر من التخلف والعبودية. ومنها: طبقة العمال، البرجوازية الوطنية، الأممية الشيوعية، الاشتراكية، الطبقة البروليتارية، الإمبريالية، الاستعمار، .. وغيرها . فقد ساعدت هذه المفاهيم المناضل الجزائري الجديد على فهم واستيعاب مهمته التاريخية والوعي بأهداف المرحلة مع تحديد الخصوم الذين يقفون عائقا في طريق الحرية والاستقلال. وكان الخطاب السياسي عاملا هاما في من العوامل التي ساعدت على المهاجرين الجزائريين في بلورة وعي سياسي نحو امتلاك ضمير جماعي يتمحور حول الوضع بالجزائر، إذ بدأت تقترن فكرة الوطن بضرورة التخلص من القوى المعادية كأفضل سبيل للإفصاح عنه وتحريره من برائن القوانين الاستثنائية المعادية للترقية والمواطنة والاستقلال.

- فلم يكن بذلك ميلاد النجم بالأمر السهل في بلاد المهجر ، بل لازمته منذ البداية وصايا اليسار الفرنسي الذي شكل تصورات وأفكاره. فقد كانت هناك مجموعة من التنظيمات السياسية والعمالية الفرنسية عمل في كنفها العمال الجزائريون والمغاربة مثل الحزب الشيوعي، اللجنة العامة للعمال الموحدون C.G.T.U ولجنة المستعمرات C.C ، اللجنة الفرعية لشمال إفريقيا S.C.N.A فضلا عن الأممية الشيوعية. فقد كان من مهمات النجم ألا يسعى فقط للمطالبة بالاستقلال الذي لم تتحدد ملامحه، ولم تنضج مدلولاته في ظل

(1): نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2015، ص 178

غياب رصيد من الوعي السياسي، بل إلى البحث أيضا عن وسائل التحرر والاستقلال عن الخطاب السياسي الوصي، من أجل التحرر قدر الإمكان من الأطر والهياكل التي وجد فيها، ومن ثمة الخروج عن طرق الإحتواء الإيديولوجي والسياسي لليسار الفرنسي. وهذا فعلا ما حققه النجم بعد امتداده لأرض الوطن.

2- إيديولوجية العلماء المسلمين الجزائريين:

- يرتبط عموما تاريخ الحركات الإصلاحية بالبحث عن أفضل الصيغ لإقامة نظام سياسي عادل من وحي الإسلام كشرعية وعقيدة ونظام حياة. وتتضمن جانبين: أحدهما يبتغي التخلص من الزوائد والغضافات والبدع الفاسدة، والآخر يريد أن يسن لنفسه سننا وعادات حميدة من أجل إعادة ترتيب العلاقة بين الإسلام والحياة الإنسانية الحديثة في المجتمعات العربية⁽¹⁾، فالجانبان متلازمان لأنهما يواجهان طرفين مختلفين: الأول هو الطرقية، ويجب تخطيها بالعودة إلى إسلام ما قبل المذاهب والفرق ونظم الطرق الصوفية وقادة الزوايا، والثاني هو الحياة الحديثة في كل تجلياتها المدنية والإجتماعية والسياسية، بقصد التكيف معها وإضفاء روح الإنسجام عليها والإنخراط الواعي في العمل السياسي.

تهدف هذه الإيديولوجية إلى تغيير أوضاع المجتمع الجزائري الذي ينبغي أن يكون عربي اللسان مسلم العقيدة وجزائري الموطن⁽²⁾، ويحافظ على مقوماته الشخصية. فإن السياسة فعل تغييرية وقد شاركت فيها جميع التشكيلات والتنظيمات السياسية والفكرية بالجزائر، كل حسب منطلقاته الإيديولوجية، فمن هذا المنطلق تكون الحركة الإصلاحية حركة تغييرية، بل إن مبرر وجودها أصلا هو الحركة لمواصلة إصلاح الأوضاع ورفض التسليم بالأمر الواقع.

يوضح نور الدين ثنيو نقلا عن كتابات علي مراد، بأن النزعة الإصلاحية تأتي بشكل دوري عند نهاية كل مئة عام تقريبا، وأن هناك جملة من العوامل الداخلية من عقل ونفس و وجدان وأدب وحرب تدفع إلى

(1): نور الدين ثنيو، نفس المرجع، ص 300.

(2): العربي الزبيري، نفس المرجع، ص 26.

إعادة إصلاح الوضع وفق مقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن جوهر مدلول الإصلاح أنه ضد الفساد⁽¹⁾. وهو بالتالي يؤكد منذ البداية أن الحركة الإصلاحية لا تتضمن العوامل الخارجية (الغزو الخارجي والاستعمار واللقاء مع الغرب) فحسب، بل إن النزعة الإصلاحية متوفرة أصلا في الاستعداد المتواصل للنهوض وإعادة النظر في واقع الدين والعادات الإجتماعية.

فمن هذه الإعتبارات استمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إيديولوجيتها، إذ هناك من يشبهها بإيديولوجية نجم شمال إفريقيا، ن حيث سعيها لتغيير الوضع، لكنه هناك اختلاف بينهما يتمثل في كون جمعية العلماء كانت رافضة لمبدأ الكفاح المسلح كوسيلة لتحقيق الاستقلال، بل كانت تدعو إلى نشر التربية وتحسين أوضاع التعليم، باعتبارهما في رأيها أنجح سبيل لتخليص الشعب الجزائري من السيطرة الاستعمارية. وقد تأثر قاداتها بالتكوين العربي الإسلامي الذي نالوه داخل المعاهد والجامعات الإسلامية. فهم كانوا يعتقدون بأن التمسك بمقومات الشخصية الوطنية من عقيدة ولغة وموطن هي السبيل الوحيد لمنع الجزائري من الذوبان في الحضارة الغربية. وقد وضح قاداتها بأن الجمعية لا تخوض في المسائل السياسية ولا تهتم لها.

3- إيديولوجية الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

تميزت حسب العديد من الكتابات بالتشويش والغموض نوعا ما، فهي تارة تهدف إلى تحقيق المساواة بين الجزائريين والأوروبيين تمهيدا لدمجهم في المجتمع الفرنسي، وتارة تهدف إلى إقامة مجتمع مستقل يعيش تحت وصاية الوطن الأم. إعتمدت في نضالها السياسي على الشرعية والقوانين الفرنسية. وقد استمدت إيديولوجيتها جذورها من التكوين الفرنسي الذي ناله أغلب أعضائها وتشبعهم بالتعاليم والمبادئ الفرنسية التي تحصلوا عليها من المدارس والجامعات التي درسوا وتخرجوا منها.

- قبل تأسيس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أسس فرحات عباس زعيم التيار الإدماجي حزب أحباب البيان والحرية، الذي عكس من خلال برنامجه السياسي ومواده مدى الإلتحام العميق بين الخطاب

(1): نورالدين ثنيو، المرجع السابق، ص 302.

السياسي والإيديولوجي وبين مستجدات المرحلة التاريخية التي أصبح عليها العالم ومعطياته. حيث كان هذا الحزب يتطلع إلى استيعاب التشكيلات السياسية ضمن قوة جديدة، يمكنها التجاوب مع التحديات الفرنسية، حيث يشير مضمون الخطاب السياسي لهذا الحزب إلى أن زمن النضال الفردي أو الذي يقتصر على تنظيم واحد قد ولى، وأن الوقت أصبح يستدعي زيادة جهد قوة الفكر والجهد السياسي وجميع الوسائل من جميع أطراف النضال الوطني⁽¹⁾. فقد كانت إيديولوجية هذا التيار السياسي تهدف إلى جعل فكرة الأمة الجزائرية مقبولة من الجميع ومؤيدة لقيام جمهورية في الجزائر ذات حكم ذاتي ضمن نظام فدرالي مع جمهورية فرنسية متجددة مناهضة للاستعمار ومعادية للإمبريالية، والكشف عن تصرفات القوى الرجعية والإقطاعية من المسلمين والفرنسيين ومناوراتها، وجميع من لهم صلة باستمرار النظام الاستعماري وبقائه، والدعوة إلى المساواة بين الأفراد، وإلى حياة وطنية للشعب الجزائري والتذكير بحياته الماضية والمساهمة في إثراء الفكر الإنساني، إضافة إلى الطموحات والمطالب التالية:

- إبراز جميع التضحيات التي فرضت على فرنسا والشعوب الأوروبية من أجل أن تستعيد الحرية ومسألة الديمقراطية.

- الكفاح بوسائل شتى من أجل تخطي عقدة النقص التي حاول الغزو العسكري عام 1830 فرضها على الجزائريين، وكرستها الإدارة الاستعمارية بعد ذلك في تعاملها مع الأهالي.

- توفير نوع من الشعور بالمساواة بين السكان الجزائريين مسلمين ويهود ومسيحيين، يدفع إلى الوجود المشترك وينمي الرغبة في التضامن الجزائري.

ولعل مايكشف فعلا عن الوجه الإنساني للخطاب الوطني هو دعوته إلى التعايش المشترك بين الجزائريين مسلمين ويهود ومسيحيين، على خلفية الإرادة والوعي بقيمة الاختلاف ودوره في بناء الأمم والدول والشعوب والثقافات. ففي فكر فرحات عباس الذي ترأس هذا الإتجاه وصاغ خطابه الوطني، أن هناك تواصل وتطور في مسار بناء فكرة الدولة الجزائرية، إذ يخصها "بجمهورية ذات حكم ذاتي في إطار

(1): نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 511.

فيديرالي مع الجمهورية الفرنسية". وهي الفكرة نفسها التي وردت في بيان الشعب الجزائري سنة 1943 الذي أرجأ الحديث عن نوعية النظام الجزائري اللائق بالمسلمين إلى مابعد إنتهاء الحرب الجزائرية. فالطابع الإنساني في فكر فرحات عباس حقيقة ملازمة لفكره، فهو بذلك رجل الجمهورية بإمتياز لأنه تعلق بها كفكرة وكمشروع قابل للتحقيق في الجزائر. فقد انتقل فرحات عباس من المطالبة بالهوية الجزائرية إلى النضال الوطني، ثم إلى طلب الاستقلال⁽¹⁾. لقد مر فكره من المطالبة بالمساواة إلى المشاركة الحرة، إلى الاستقلال كمشاريع للجزائر.

تجسد إلتزامه بفكرة الاستقلال بحرب ثورية حتى أصبح رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة عام 1958، لكن فرحات عباس كان مقتنعا بأن لا ينساق للعبة النحل والملك ويشعر بعظمة الثورة، لكنه يحس بتلوثها للأخلاقي، ومظاهر الكراهية والتناقضات من أجل السلطة، ثورة ستأكل أبناءها على حد تعبيره.

4- إيديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري:

- لم يكن هذا الحزب موجودا قبل سنة 1936، وإنما كان الشيوعيون الجزائريون منتظمين في إطار مايسمى "الفرع الجزائري في الحزب الشيوعي الفرنسي"⁽²⁾ وكان عبارة عن تشكيلة مختلطة تتكون من جزائريين وأوروبيين، إلا أن الطاقة الفرنسية كانت تهيمن على تلك التشكيلة بسبب إنتمائها إلى الأقلية الأوروبية وتقاسمها العديد من الإمتيازات . فعندما لاحظت الاممية الشيوعية بأن الفكر الشيوعي قليل الإنتشار في الجزائر، أوجبت على الحزب الشيوعي الفرنسي أن يهيكل فرعه فيها في صورة تشكيلة سياسية مستقلة بذاتها. لذلك فإن إيديولوجيته هي امتداد لإيديولوجية الحزب الشيوعي الفرنسي.

كان الحزب الشيوعي الجزائري بعد تاسيسه يساند فكرة استقلال الجزائر، لكنه غير من موقفه سنة 1935 لاسباب متعلقة بالمعطيات الإستراتيجية الطارئة على الصعيد الدولي، فاصبح ينادي بسياسة الإندماج

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 224.
(2): بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 2012، ص 80.

إمتثالا لأوامر موسكو. وكان هذا الحزب الحديث النشأة يتمتع بحرية المناورة من الناحية النظرية فقط، غير أنه ظل من الناحية العملية على تبعيته للحزب الشيوعي الفرنسي سواء إيديولوجيا أو فيما يتعلق بالخيارات السياسية، فلم يكن يتحرك خارج الخط الذي ترسمه له توجيهات الحزب الشيوعي الفرنسي.

5- الإيديولوجية الاستعمارية التي ترى أن المجتمع الجزائري لا يمكن إلا أن يكون تابعا للمجتمع الفرنسي في كل شيء، لذلك يدعو المستعمر إلى الفرنسية الكلية للفئات المثقفة والواعية، وتقر من جهة أخرى على إبقاء الجماهير الشعبية الواسعة في حالة جهل وضياع وأمية، كي تبقى دائما مستعبدة ومستعملة من طرف المستعمر لتنفيذ مختلف مخططاته. كما أن جهلها سوف يجعلها أداة سهلة في يد المستعمر يفرض عليها مايشاء من قوانينه ومشاريعه الاستعمارية. فلاشك أن المستعمر يعتبر الفئة المثقفة المتفرنسة هي وسيلته الأساسية لتنفيذ مشروع الإدماج الحضاري لذلك فهو يركز عليها بشكل كبير ويوليها أهمية كبرى.

- سعت هذه الإيديولوجيات على اختلاف توجهاتها للإنتشار والتوسع بين الشرائح الإجتماعية بمختلف فئاتها، حتى دخلت في صراع حول ذلك، وبات كل حزب أو جمعية أو إتجاه يسعى إلى السيطرة على حصة الأسد بين فئات الشعب الجزائري. ف قد كانت هذه الإيديولوجيات تستهدف الإنسان وتزوده بكل مايلزم من سلاح ليتولى بنفسه تغيير الواقع الذي يعيشه، فإن المثقفين بجميع أنواعهم وفي جميع الحالات هم الذين يشاركون فعليا في التغيير ويعملون على تطوير الإيديولوجية التي ينهلون منها.

فمن هذا المنطلق حسب رأي العربي الزبيري لايمكننا أن نتعامل مع كل المثقفين الجزائريين الذي عاشوا قبل انطلاق الثورة التحريرية بنفس الطريقة، كما لايمكن أن نطبق عليهم نفس مقاييس التقييم، وإنما يجب إرجاع كل فئة إلى إطار إيديولوجيتها ثم محاولة تقييم أو دراسة ماقامت به هذه الفئة من نشاطات وهل كانت وطنية أم غير ذلك. نظرا لتأثير الإيديولوجية الثقافية لكل مثقف على نشاطاته ومواقفه من القضايا الوطنية كما رأينا سابقا.

الفصل الأول:

أصول ومنطلقات المثقفين الجزائريين وعلاقتهم بالثورة

المبحث الأول: الحركة الوطنية ونشأة المثقف الثوري

أولاً: تبلور الوعي الوطني وظهور المثقفين

1- النهضة وبوادر الوعي الوطني

2- كتلة المحافظين وجماعة النخبة

ثانياً : الإتجاهات الفكرية وتبلور التيار الثوري

1 - إنخراط المثقف الجزائري في تيارات الحركة الوطنية

2 - أحداث 8ماي 1945 في منظور المثقف الجزائري

المبحث الأول: الحركة الوطنية ونشأة المثقف الثوري

إن الحديث عن المثقفين الجزائريين يستدعي الحديث عن الحركة الوطنية باعتبارها المدرسة التي تخرج منها هؤلاء المثقفين على إختلاف توجهاتهم وثقافتهم. فإن نمو الوعي الوطني للفرد الجزائري جاء نتيجة تفاعل عدة عوامل وظروف داخلية وخارجية منذ بداية الإحتلال، هيأت الجو المناسب لتبلور الحركة الوطنية. فلاشك أن المقاومات الشعبية وظهور النخب التقليدية والنشاطات الثقافية كلها ظروف ساعدت على نشأة الوعي الوطني والسياسي وتشكيل إيديولوجية المثقف الجزائري، إضافة إلى معاناة المجتمع الجزائري من القوانين الاستعمارية. حيث ستلعب هذه المعاناة دورا بالغا في تصاعد الثقافة الثورية والرغبة في التحرر والاستقلال. إذ عرف هذا الوعي الوطني بدوره مراحل وتطورات أبرزها مرحلة ما بعد أحداث 8ماي 1945 التي شكلت منعرجا تاريخيا حاسما أدى إلى تغيير الكثير من الأفكار والأحداث والإيديولوجيات كما سوف نستعرض لاحقا.

أولا: تبلور الوعي الوطني وظهور المثقفين

1- النهضة وبوادر الوعي الوطني:

إن الدارس للسياسة الاستعمارية خلال بداية القرن العشرين، يجد أنه خلال هذه الحقبة تحطم المجتمع الجزائري وتراجع بعمق نتيجة هشاشة بنيته الإجتماعية والفكرية والثقافية، وذلك بفعل مظاهر هذه السياسة وسلوك المستعمر، خاصة مايتعلق بقانون الأهالي الذي جعل الجزائريين غرباء عن وطنهم، وفقدوا الكثير من مؤسساتهم الثقافية⁽¹⁾، لكنه خلال هذه المرحلة بالتحديد ظهر جيلا جديدا حاول الاستفادة من التناقضات والتجاوزات التي أفرزتها الإدارة الاستعمارية المتناقضة في ظل ظهور محاولات جادة للبناء الوطني، والتحكم خاصة في عملية التنقيف من منظور النخبة

(1): أخطرها قانون الأهالي الصادر في 28 جوان 1881 وهو عبارة عن سلسلة من العقوبات الزجرية لاصلة لها بالقانون العام ألغيت نظريا في 1930، لكن استمر بها العمل إلى ثورة نوفمبر 1954. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص38.

الجديدة الذي بدأ يتبلور تدريجيا في ظل ذلك التناقض الاستعماري. حيث يشير إلى ذلك أحد الكتاب

قائلا: "لقد أفرز النظام الاستعماري دون وعي ظاهرة بروز أحزاب سياسية ونقابات ومنظمات

استمدت مواصفات بعدها الوطني من الأرضية التي حددها الاستعمار نفسه."⁽¹⁾

من الواضح إذن بأن ميلاد النخب الجزائرية جاء بعد مخاض عسير وسط التراكم المعرفي الذي

أفرزه الوجود الاستعماري الذي هيمن منذ الوهلة الأولى على منابع المعرفة الثقافية والاجتماعية

للمجتمع الجزائري بهدف فصله عن مرجعيته الحضارية.

ففي مطلع القرن العشرين اشتدت وطأة الاستعمار على الجزائريين، فاضطرت الكثير من العائلات

للهجرة إلى الشام وتركيا، خاصة بعد اصدار فرنسا لقانون التجنيد الاجباري في 3 فيفري 1912

وقانون الضمان الاجتماعي الذي يعمم مسؤولية الجرائم الفردية على الجماعات كلها⁽²⁾. كانت

هجرة هؤلاء الجزائريين إلى المشرق، في حين هاجر البعض الآخر إلى فرنسا فرارا من البطش

والقمع والاستغلال، بحثا عن الاستقرار والعمل. فبرزت بين هؤلاء العمال طبقة صغيرة من

المتقنين بالثقافة الفرنسية، فلم يكونوا على معرفة كبيرة بتاريخ أجدادهم، بل اقتصرت معرفتهم على

الأمجاد الفرنسية والأدب الفرنسي وتاريخ بلاد الغال. فمن هذه المنطلقات اقتصرت مطالبهم على

تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، وحملوا على عاتقهم إسماع أصواتهم فأصدروا بذلك

عدة صحف وطنية منها: الهلال والراشدي.

وعندما تبلورت حركتهم السياسية سموها "الجزائر الفتاة" ومن أعضائها: المحامي أحمد بن

اسماعيل بوضربة، النائب المالي الحاج عمار، والصحفي الصادق دندان. غير أن حركة الجزائر

(1): أحمد مريوش، الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة مقدمة لنيل

شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 5009/5005، ص 13

(2): بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ضغط المستوطنون الأوروبيون على فرنسا حتى أصدرت قرار إصدار

قانون التجنيد الاجباري ضد الشباب الاهالي عام 1912 زاعمة أنها تحقق المساواة بينها وبين الأوروبيين. يحي

بوعزيز، المرجع السابق، ص 44.

الفتاة كانت حركة اجتماعية كما يوضح بعض الكتاب أكثر منها سياسية⁽¹⁾ لأنها أظهرت نفسها نشيطة بفعالية كحركة نهضة في عدة ميادين، كالإنعاش الثقافي والهيجان السياسي في مظهر من الإتجاهات الحديثة مرتكزا على الإتجاه المحافظ في الطبقات الإجتماعية، غير أنه لم يبلغ درجة التنظيم الحزبي لأن الأحزاب السياسية بالمعنى المتعارف عليه لم تكن بعد موجودة بالجزائر. لكنه ومن جهة أخرى ترى نفس الكاتبة أن حركة الجزائر الفتاة كانت عبارة عن حزب سياسي جزائري، حيث كان في نظرها أول حزب جزائري لم يكتب له عمرا طويلا نظرا للظروف السائدة آنذاك بالجزائر وخارجها.

وقد حددوا أهداف حركتهم في عريضتهم المقدمة للحكومة الفرنسية كما يلي:⁽²⁾

– إلغاء القوانين الأهلية

– إلغاء الضرائب الخاصة المفروضة على الجزائريين.

– التوسع في تمثيل الجزائريين في الجمعيات والمجالس المنتخبة.

– كما طالبت الحركة أيضا بتوسيع مجال التعليم والإهتمام به وتطويره.

من خلال هذه المطالب نلاحظ بأن أهداف حركة الجزائر الفتاة لم تعبر فعليا عن الواقع الحقيقي المعاش من طرف الجزائريين، رغم أنها انبثقت عن عناصر مثقفة ومتعلمة، لكنها لم تحمل في مطالبها بوادر السعي إلى تغيير الوضع الجزائري المتأزم. ولعل هذا ما كان سببا في زوالها، خاصة في ظل الأوضاع العالمية السائدة آنذاك المتمثلة أساسا في اندلاع الحرب العالمية الأولى وانشغال السلطة الفرنسية بها فقد اتخذتها ذريعة لإهمال مطالب المثقفين والجزائر الفتاة، هذا ما يؤكد يحي بوعزيز. لكنه ومن جهة أخرى فإنه يمكن القول إنطلاقا من مطالبها وأهدافها بأن

(1): عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920-1936)، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 30

(2): يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 74

حركة الجزائر الفتاة هي أول تنظيم وعى قدرة الجزائري على العمل السياسي داخل مؤسسات الدولة، وذلك راجع إلى طبيعة مثقفها ومتعلمها الذي تخرجوا من المدارس الفرنسية فساهموا في نشر وعى وطني يتطلع إلى تبوأ المجال العام والمساهمة في إدارة الشأن القانوني والإداري والسياسي، وهذا ما يؤكد الكاتب نور الدين ثنيو بقوله أن النخبة كانت تبحث عن دور لها داخل مؤسسات الدولة بحكم تعليمها النظامي ذي المضمون العلمي والمدني⁽¹⁾، كما كانت ترى بأن قضايا المجتمع الأهلي يجب أن تحل من داخل الهيئات الإدارية والسياسية والتشريعية، فقد تميزوا منذ ظهورهم بالإنخراط الإيجابي والإلتزام بقواعد العمل العام وتحمل تبعاته كما تمليه ثقافة الدولة الحديثة⁽²⁾، خلافا للمثقفين التقليديين أو المحافظين الذين اقتصررت مواقفهم على الإبقاء على الوضع القائم وعدم التفاعل مع قضايا المجتمع.

فلو تأملنا مطالب هذه الحركة "الجزائر الفتاة" نجد أن النخبة قد ركزت في مطالبها على ثلاث نقاط هامة، وهي تحسين أوضاع الأهالي بإلغاء القوانين الاستثنائية المفروضة عليهم، وإشراك الجزائري في الجمعيات السياسية والمجالس المنتخبة للمشاركة في عملية بناء مؤسسات الدولة، إضافة إلى الإهتمام بمجال التعليم وإصلاحه. وهذا ما يدل على أن مثقفي الجزائر الفتاة ربما هم أول من إلتمس طريق إعادة الإعتبار إلى الأهالي و وضعهم في المكانة المناسبة لهم في المجتمع والدولة. ومثل جميع البدايات إتسمت بداية الوعي الوطني بمسألة الدولة بالإعتدال والتعقل، إذ بلورت خطابا تاريخيا كان مرجعية للتنظيمات السياسية التي جاءت بعد ذلك .

من ناحية أخرى يرجح بعض الكتاب والمؤرخين أن حالة الغليان التي عرفها المجتمع الجزائري في مطلع القرن العشرين لم تكن أسبابها مظاهر السياسة الاستعمارية المختلفة فقط، وإنما يعود ذلك أيضا إلى عوامل خارجية ترتبط ربما بالشعور بالإنتماء إلى العالم العربي الإسلامي، وفي هذا

(1): نور الدين ثنيو، المرجع السابق ، ص94.

(2): نفس المرجع، ص 100

الصدد تقول الكاتبة جوان غليبيسي في كتابها الجزائر الثائرة: "يعتبر الشعور القومي في الجزائر مزيدا من نوعه بين المشاعر القومية في العالم المعاصر ، حتى بالنسبة لتلك المشاعر الموجودة في البلاد المجاورة للجزائر والواقعة في الشرق الأوسط وإفريقيا"⁽¹⁾ . اي أن الثورات المسلحة التي ظهرت في نهايات القرن التاسع عشر قد تغيرت إلى شكل جديد تمثل في المقاومة السياسية، وهذا مايدل على تغير طبيعة الفكر الوطني وإتخاذ مسارا جديدا نحو تحقيق الاستقلال الوطني. ومساعد على ذلك كما ذكرنا سابقا هو مختلف القوانين الفرنسية الاستثنائية المفروضة على الجزائريين وعلى راسها قانون الأهالي (l'indigénat) الذي بقي سيفا يسيطر على الجزائريين منذ 1856. تقول الكاتبة غليبيسي: "بعد فرار الأعداد الكبرى من المدن إلى الأرياف، ثم الهجرات على نطاق أوسع نحو الشرق الأوسط طيلة القرن التاسع عشر، وبعد الاضطرابات الإقتصادية التي أدت إلى خفض ماتملكه الطبقات الوسطى من ثروات ،وبعد وقوع مجاعة 1867 التي أدت إلى وفاة عدد كبير من الضحايا...وكانت مدينة قسنطينة -استثناء لما وقع في المدن الأخرى - قد انتعشت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فأصبحت مركز المعارضة السياسية والدينية للحكم الفرنسي. وكانت للطبقة الوسطى في هذه المدينة جذور عريقة وتقاليد فكرية وثقافية رفيعة، وإنتاح على داخل البلاد ،وقدرتها على السيطرة على الطبقة التركية المتكئة في الحقل الثقافي . وتمكنت الطبقة المثقفة المختارة بمعونة باي قسنطينة من تجنب الدمار الذي ألحقه الفرنسيون بالمدن الجزائرية الأخرى"⁽²⁾.

وتضيف الكاتبة: "وليس من الغريب والحالة هذه - أن تكون هذه المدينة مسقط رأس الكثيرين من زعماء الثورة الجزائرية - تقصد ثورة التحرير". أي أن الكاتبة توضح بأن المقاومة المسلحة قد انتهت وظهرت المقاومة السياسية بشكلها الجديد ،حيث تقول أيضا: "وأدى القضاء على الثورة بمنطقة بلاد القبائل إلى نهاية فترة من الوطنية الريفية وبداية فترة أخرى من جهود أهل المدن

(1): عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المرجع السابق، ص 27.

(2): عبد الرحمن بن العقون، المرجع السابق، ص 28

يقودهم سكان قسنطينة للحصول على امتيازات من الفرنسيين عن طريق الوسائل السلمية، وظلت الطبقة المختارة في الناحيتين السياسية والدينية في مدينة قسنطينة مترابطة مشتبكة، وهكذا ربطت المعارضة للحكم الفرنسي بتعابير دينية " (1).

من خلال كتاباتها واضح أن الكاتبة أكدت على أمر هام وهو إرتباط المقاومة المسلحة وحتى السياسية بخلفية واحدة مشتركة وهي "الدين". فالمقاومة المسلحة التي بدأها الأمير عبد القادر ثم المقراني والشيخ الحداد، وأولاد سيد الشيخ وغيرهم..كلها إرتكزت على العقيدة الإسلامية. إذ نجد ذلك طبيعي جدا نظرا لعدة عوامل منها:

1- لأن الشعب الجزائري مرتبط جدا بالعقيدة الإسلامية ومبادئ الشريعة الدينية ويحافظ دائما على روابطه مع العالم الإسلامي.

2- لأن معاهدة الإحتلال إلتزمت للجزائريين بحفظ دينهم ومعتقداتهم وأخلاقهم، لذلك المكافح الجزائري كان يحاول صبغ كفاحه ومقاومته بالصبغة الدينية الإسلامية حفاظا عليها من مظاهر القومية.

- من جهة أخرى لم تكن المقاومة الشعبية وحدها من ارتكزت على الجانب الديني، بل حتى المقاومة السياسية التي ظهرت في العصر الحديث ارتكزت بدورها على العقيدة الدينية من خلال مجموعة من العلماء والمفكرين الجزائريين الذين يحملون في داخلهم روحا دينية صادقة وروح وطنية متدفقة، حيث ساهم العديد منهم في نشر الوعي الوطني الثوري من خلال دروسهم الإسلامية منهم: عبد القادر المجاوي، حمدان لونيبي، صالح بن مهنا، أحمد الجبياتي، عبد الحليم بن سماية، وعمر راسم.. جاء بعدهم تلامذتهم مثل عبد الحميد بن باديس، المولود بن موهوب،

(1): نفس المرجع، ص 30

عمار بن أحمد العطوي، وعمر بن قدور.. وغيرهم كثير ممن واصلوا المسيرة التي بدأها أجدادهم من خلال النشاط الصحفي وغيرها من النشاطات الحديثة في الجزائر والمشرق العربي وتركيا. كانت هذه الأوضاع وإضافة إلى إفرزات وانعكاسات الحرب العالمية الأولى نقطة تحول حاسمة من حركة المقاومة التقليدية إلى إنبعثت الحركة الوطنية في شكلها الحديث، وأمام هذه التطورات فقدت المؤسسات التقليدية - من زوايا وقبائل خاصة - المدفوعة بالأيديولوجية الشعبية الكثير من فاعليتها كوسائل واساليب تعبر عن رفض النظام الاستعماري. فتخلت بذلك عن دورها لصالح التنظيمات السياسية والإجتماعية الجديدة أكثر تماشياً مع تطورات تلك المرحلة وتجلت أغلب مظاهرها في العمل الصحفي والانتخابات والمطالب المنظمة، وهذا ماسوف يشكل الأرضية الخصبة التي تنبثق منها التيارات السياسية بمختلف أيديولوجياتها.

بينما لجأت الجزائر القديمة إلى الثورة لمعارضة الحكم الفرنسي، لجأت الجزائر الفتاة إلى النشاطات الإجتماعية والثقافية لنفس الهدف. حيث تمكن الجزائريون لأول مرة من خلق صحافة وطنية ونوادي وجمعيات إصلاحية ونادوا بالتحريير عن طريق التعليم. وقد بدؤوا لأول مرة أيضا يحاولون كتابة تاريخ أجدادهم وإحياء لغتهم الوطنية. وهكذا فقد شهد العقد الأول من هذا القرن نشاطات حية قادها كل من المحافظين والنخبة، خاصة بانتشار الوعي الوطني لدى الجماهير الشعبية التي بدأت تتطلع إلى التعبير عن نفسها ضمن أطر جديدة⁽¹⁾ تمكنها من تجسيد مطالبها على أرض الواقع، ما أدى إلى تراجع نفوذ الوجهاء والأعيان كقوة سياسية.

كانت الصحافة إلى غاية سنة 1900 محتكرة من طرف الكولون. فقد كانت هناك صحيفتان رسميتان فقط وجهتا من طرف الإدارة الفرنسية بالجزائر. فالأولى هي "الأخبار"، وجريدة

(1): أحمد مسعود، الحركة الوطنية الجزائرية بين النضال القيادي والنضال الجماهيري، مجلة المصادر، العدد 11، عدد خاص المقاومة والحركة الوطنية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، 2005، ص 186.

"المبشر". وقد اشتغل فيها عدد من النخبة الجزائرية في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20⁽¹⁾.

حيث كان هدف الصحيفتين هو إطلاع الجزائريين على الأخبار الرسمية وتوجيههم لصالح فرنسا.

لكن الإحتكار الفرنسي للصحافة قد إنتهى بعد أن قام بعض الرواد⁽²⁾ الجزائريين بخلق صحافة

وطنية بداية القرن 20، حيث إختلفوا في إتجاهاتهم، كان بعضهم ليبيروا ينتمي إلى النخبة

،وبعضهم تقليدي مرتبط بالطبقة القديمة. لكنهم جميعا رأوا في الصحافة وسيلة مناسبة للتعبير عن

مطالبهم الوطنية. فقد لعبت الصحافة الجزائرية دورا كبيرا في تثقيف الجزائريين خاصة في الفترة

(1900-1914)⁽³⁾ وإنهاء عزلتهم عن الأحداث التي كانت تحيط بهم، فساهمت تلك الصحف في

تبلور القضايا التي أصبحت تمثل في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى مرجعيات للبرامج

السياسية للنخب والأحزاب الوطنية.

وكانت جريدة المغرب من أكثر الجرائد تأثيرا على الرأي العام بالجزائر خلال تلك الفترة، وهي

صحيفة أسبوعية ذات لسان عربي وتوجه إصلاحية. ومن بين المثقفين الذين كتبوا فيها:⁽⁴⁾

الشيخ عبد القادر المجاوي، المولود بن موهوب، محمد ابن أبي شنب، ومحمد كحول. إضافة إلى

جرائد أخرى مثل: الفاروق، الحق، الرشيدي... وغيرها.

- إذن فقد تمكن الجزائريون المثقفون من خلق صحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة، رغم أن شكل هذه

الصحف وتكتيكها كان ناقصا حسب آراء البعض، غير أن روحها وإتجاهها والقضايا التي درستها

ساهمت كثيرا في بلورة القضية الوطنية وتوجيه الرأي العام الجزائري. خاصة وأن الصحافة تعتبر

رسالة حضارية دفعت الجزائريين إلى استعمالها في الهجوم على الإدارة الاستعمارية ورفض

(1): أصدرتها الإدارة الفرنسية باللغتين العربية والفرنسية. أنظر: أبو القاسم سعدالله، الحركة

الوطنية(1930/1900)، ج 2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، الطبعة 4، ص 133.

(2): منهم العربي فخار، عمر راسم. للمزيد أنظر أبو القاسم سعدالله، نفس المرجع، ص 134.

(3): منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1954/1830، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة

الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص 236.

(4): أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 135.

سياساتها، وتنبيه المواطنين الغافلين منها. خاصة فيما يتعلق ببعض القوانين الفرنسية على رأسها قانون التجنيد الإجباري الذي أثار سخطا كبيرا في المجتمع الجزائري.

ومن مظاهر تلك الفترة أيضا طبع وإحياء الأعمال التاريخية الجزائرية، فالعصر الذهبي قد فتح أمام الجيل الجديد. وبين سنتي 1910/1900 نشرت أعمال ابن عمار وابن مريم والورتلاني والغبريني.

أما في سنة 1907 قام أحد المثقفين الجزائريين بتشكيل موسوعة تراجم شخصية من الجزائريين الذين ساهموا في التاريخ السياسي والإجتماعي والثقافي لبلادهم(1).

إضافة إلى تأثير النهضة على الصحافة والتاريخ ، فقد أثرت أيضا على النوادي والجمعيات الثقافية.

من بينها الجمعية التوفيقية(2) التي أنشئت سنة 1908 وأعدت النخبة تنظيمها سنة 1911، حيث

كان هدفها هو مساعدة الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم، ترأسها ابن

التهامي أحد زعماء النخبة آنذاك. إضافة إلى مراكز أخرى متعددة منها: نادي صالح باي الذي

أسس من طرف بعض المثقفين الجزائريين سنة 1908 مثل ابن الموهوب(3) أحد أبرز المثقفين

آنذاك. كان النادي يهدف إلى نشر التعليم والتوفيق بين المجموعتين الجزائرية والفرنسية.

كما ساهمت الجمعية الرشيدية(4) في تحقيق نفس أهداف النادي، حيث كان من بين أعضائها ابن

التهامي، وابن بريهمات. لقد ساهمت كل هذه النوادي والجمعيات مساهمة فعالة في يقظة الجزائر

خلال تلك الفترة ، ذلك أن زعمائها من المثقفين الجزائريين ركزوا على التعليم والتقدم والتحرر

(1): نفس المرجع، ص 136.

(2): ظهرت في 1908 بالجزائر العاصمة وتم تجديدها في 1911 تزعمها الدكتور ابن التهامي أحد أبرز وجوه النخبة، تبنت الجمعية شعار السعي نحو تحقيق تجمع للجزائريين الراغبين في الإرتقاء الفكري والإجتماعي. منطلقات وأسس الحركة الوطنية، منشورات المركز الوطني، مرجع سابق، ص 238.

(3): المولود بن موهوب تلميذ الشيخ المجاوي ولد في 1866 في مدينة قسنطينة، حفظ القرآن الكريم وأخذ قسطا من مختلف العلوم. كان من أحد شيوخه محمد الشاذلي القسنطيني، كان متأثرا بأفكار محمد عبده، دعى إلى نبذ الخرافات ومحاربة البدع ونشر العلم، من تلامذته مالك بن نبي.

(4): تأسست في الجزائر العاصمة سنة 1902 على يد جماعة من الشبان الجزائريين خريجي المدارس الفرنسية المتعاطفين مع الجماهير الجزائرية المسلمة أعلنت بأن أهدافها هي نشر العلوم والمعارف في أوساط الجماهير. منطلقات وأسس الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 237.

من أجل تطوير المجتمع الجزائري. فلم يكن زعماء هذه المراكز الثقافية لاثوريين ولا وطنيين متطرفين، بل أنهم لم يحاولوا حتى القيام بنشاط معاد لفرنسا.

في سنة 1911 كتب أحد الفرنسيين العارفين بشؤون الجزائر قائلاً: " إن بين 5ملايين جزائري لا يوجد أكثر من 450 مثقفاً" ويضيف قائلاً أن الأقلية المتعلمة لاتمتلك تعليماً كافياً(1)، ولعل هذا الرأي يدل على ضعف النخبة الجزائرية في تلك الفترة. حيث تعود أسباب هذا الضعف إلى الإهمال الفرنسي المتعمد لتعليم الجزائريين، خاصة أمام رفض الكولون القاطع مسألة تعليم الأهالي، حيث إدعوا بأن "الجزائري غير قابل للتصحيح" خوفاً من ظهور عناصر وطنية مثقفة تهدد مستقبل فرنسا بالجزائر.

فقد حاربت فرنسا جاهداً تعليم الأهالي وجعلته مربوطاً بقضية المواطنة وقانون سيناتوس كونسيلت 1865 الذي اشترط الجنسية الفرنسية على الجزائري الذي يرغب بالحصول على حقوقه كمواطن فرنسي مقابل التخلي عن أحواله الشخصية.

ففي مجال التعليم عملت فرنسا على تجهيل الأهالي، فهدمت معظم المدارس وأغلقت الكثير وحاربت الباقي، وعرقلت إنضمام الأطفال الجزائريين بمؤسسات التعليم الفرنسية. ففي عام 1870 كان هناك 36مدرسة ابتدائية، و1300 تلميذ ومعهدان عربيان فرنسيان و03 مدارس دينية عربية، وقد عمل جول فيري على تأسيس 15 مدرسة وزاوية. وفي عام 1883 طبق التشريع الفرنسي الجديد بالجزائر، فاستاء المستوطنون وشيوخ البلديات ورفضوا تماماً بناء المدارس للأهالي، خوفاً من سعي هؤلاء لتحقيق الجزائر العربية مستقبلاً.

وفي سنة 1890 كانت نسبة الأطفال الذين يرتادون المدرسة الابتدائية تقدر بـ 1.9% أي مايعادل 10آلاف طفل. وقد حاول مدير التعليم آنذاك "جان مير" تحسين وضعية التعليم للأهالي، لكن

(1): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 141.

المعمرين حاربوه ورفضوا سياسته وأجبروه على تحويل المدارس التي أنشأها إلى ملحقات. حيث بلغت نسبة التلاميذ المتمدرسين عند استقالته سنة 1908 : 4.3% . وفي سنة 1914 بلغت 5%، وفي سنة 1922 بلغت النسبة 6% . أما تلاميذ الثانوي فقد كان عددهم حوالي 150 تلميذا سنة 1914⁽¹⁾ .

إن هذا التدهور الخطير لوضع التعليم قد هز أولئك الجزائريين سواء من النخبة أو التقليديين، لأنهم أدركوا أن تدهور هذا المجال سوف يدفع بالجزائر إلى التقهقر والتخلف. وهذا مادفعهم إلى خلق جمعيات تنويرية ونوادي ثقافية إضافة إلى الصحافة لإنقاذ مواطنيهم من الإنحطاط ، كما أنهم ركزوا في مطالبهم من فرنسا على قضية التعليم، فهم قد إقتنعوا كمتقنين بأن النهضة بالجزائر لايمكن لها أن تنجح دون النهوض بمجال التعليم.

يمكن القول إذن من خلال ماسبق بأن بداية الوعي الوطني في الجزائر كان لها أسباب وعوامل مختلفة ، على رأسها طبيعة القوانين الاستعمارية التي كانت تركز على محو الهوية الوطنية وإدماج الجزائري بالحضارة الفرنسية وعلى رأسها قانون الأهالي، وقانون التجنيد الإجباري.. هذا إضافة إلى الزخم الوطني الذي خلفته المقاومات الشعبية الجزائرية على إختلاف إطارها الزمني والمكاني، فهي قد ساهمت في حماية الشخصية الوطنية من الذوبان في الحضارة الفرنسية، خاصة وأنها إرتكزت على أساس ديني محض. إضافة إلى الهجرة إلى الخارج التي لم تمس فقط العائلات الجزائرية، بل شملت العديد من الشخصيات المرموقة الجزائرية التي أبعد عن الجزائر وعاشت في المشرق العربي وتركيا أمثال حمدان خوجة، حمدان لونيبي، الشيخ المكي، الشيخ طاهر الجزائري⁽²⁾... وغيرهم. فإن كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى ظهور شخصيات وطنية رافضة جدا لهذا الواقع المتدهور والصعب، فماكان عليها إلا بدء العمل من أجل النهوض بواقع المجتمع

(1): يحي بو عزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 43.
(2): منهم حمدان لونيبي بالمدينة المنورة، حمدان خوجة بتركيا، الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ المكي بن عزوز وغيرهم كثير. عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936/1920)، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 56

الجزائري، من خلال نشاطاتها الإجتماعية والثقافية في إطار ماسمي بحركة "الجزائر الفتاة" والتي إتخذت من العمل الصحفي بإعتباره أول وأسهل وسيلة استجاب لها الجزائري، وسيلة للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية. كما إهتموا خاصة بالتعليم كونه الخطوة الأساسية نحو تخليص المجتمع الجزائري من التخلف والرجعية وتشكيل جيل جزائري جديد ومتقف قادر على مجابهة المستعمر والوقوف في وجه ممارساته اللإنسانية.

2 - المحافظين والنخبة:

رغم فترة الهدوء التي مرت بها الجزائر بداية القرن العشرين، أو الذي يصطلح على تسميتها بفترة الركود وهي المرحلة الانتقالية بين نهاية المقاومات الشعبية وبوادر العمل السياسي السلمي. غير أن ذلك لم يمنع من وجود بعض العناصر التي كانت تدعو إلى الإصلاح السياسي والإجتماعي دون أن تصل دعوتهم إلى مستوى الحركة الوطنية القائمة على الوعي السياسي وبرنامج محدد. حيث يصطلح البعض على تسمية الظاهرة "بظهور النخبة" لما في هذا المصطلح من تمييز لجماعة من الناس بتفوقها العلمي والثقافي والاجتماعي، وأحيانا بقوتها الإقتصادية وسلطتها ونفوذها السياسي. و رغم إختلاف مصالحهما وبرنامجهما وحملاتهما من أجل تحرير الجزائر، قد ساهم كل منهما في دفع النهضة الجزائرية نحو الأمام وترسيخ الفكر التحرري الراض للاستعمار.

أ- نخبة المحافظين:

تتعدد المفاهيم حول مصطلح المحافظين أو المحافظة، التي تعني بالجزائر ثقافيا الإبقاء على النظم الإسلامية والتعليم العربي والقيم القديمة، أما سياسيا فتعني الإذعان إلى إرادة الله إلى غاية حدوث

معجزة تخلص الجزائري من الأجنبي⁽¹⁾، ويراها البعض الآخر على أنها في تلك المرحلة تعني التمسك بالقيم الإسلامية ومعارضة الأفكار الغربية العلمانية والإجراءات الاستعمارية⁽²⁾.

تعني كتلة المحافظين - حسب سعد الله- الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظة بناء على المفهوم المذكور سابقا . إذ كانت تتكون من المثقفين التقليديين ، العلماء، المحاربين القدامى، زعماء الدين وبعض المرابطين. كانوا في معظمهم متحمسين للوطنية وفكرة الجامعة الإسلامية، رفضوا تماما مسألة التجنيس والخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي. بدأ تبلور هذه النخبة منذ سنة 1900 كان من أقطابها: الشيخ عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، مولود بن الموهوب، حمدان لونيبي، وبعض الصحفيين مثل محمد بن أبي شنب وعمر راسم... حيث كان برنامجهم يشتمل على النقاط التالية:⁽³⁾

1- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والكولون

2- المساواة في الضرائب والفوائد من الميزانية

3- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية

4- معارضة التجنيس والتجنيد الإجباري العسكري

5- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية

6- استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي

7- إحترام العادات والتقاليد الجزائرية

8- نشر وإصلاح وسائل تعليم اللغة العربية

(1): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 145
(2): بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1989/1830، دار المعرفة، الجزائر، ص 329
(3): سعد الله، المرجع السابق، ص 146

9- عدم استعمال العنف

10- حرية الهجرة لاسيما نحو الشرق

- يتضح من برنامجهم بأن المحافظين قد آمنوا بأنه لا يمكن الإنتصار على فرنسا إلا بالحفاظ على الشخصية الجزائرية ومقوماتها، والتضامن مع جميع المسلمين لمنع إذابة الجزائريين في الحضارة الفرنسية. فهم رغم ذلك قد استطاعوا المحافظة على الارتباط بالثقافة العربية الإسلامية.

إلى جانب المرابطين والأعيان، فإن الكتلة ضمت إليها عددا صغيرا من المثقفين التقليديين أو العلماء، وقد تكونت هذه الطبقة في المدارس القرآنية والجزائرية الفرنسية. من بينها: عبد القادر المجاوي، سعيد بن زكري، حمدان لونيبي، حيث إحتل هذا الأخير مكانة هامة في كتلة المحافظين، إضافة إلى عبد الحليم ابن سماية الذي اتهمه الفرنسيون بالارتباط بصلات مريبة مع الشرق، وهو الذي استضاف الشيخ محمد عبده عند مروره بالجزائر سنة 1903⁽¹⁾. وابن موهوب مفتي قسنطينة الذي كان من خلال كتاباته يحث أبناء وطنه على الاستفادة من تقدم أوروبا، حيث يرجح بعض الكتاب أنه هو من أثر في الشيخ عبد الحميد ابن باديس مؤسس جمعية العلماء.

لقد عاصر هؤلاء العلماء الجزائريون ما بين (1900/1914) حركة الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى، حيث مثلوا آنذاك الثقافة الجزائرية القديمة وكانوا هم المتحدثين باسم الجامعة الإسلامية⁽²⁾ بالجزائر. وقد إنقسم أعضاء الكتلة الذين نادوا بالإصلاح إلى قسمين: القسم الأول أراد الإصلاح داخل الإطار العربي الإسلامي للجزائر حيث رفضوا التجنيس والتعليم الإجباري الفرنسي، وطالبوا بتنظيم مدارس عربية واسترجاع العمل بالقضاء الإسلامي، والمساواة في الحقوق السياسية، وعدم

(1): صلاح العقاد، المغرب العربي الكبير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر تونس المغرب الأقصى، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص 287.

(2): حركة دينية استعملت الإصلاح الديني والتعليم الإسلامي وسيلة لنهضة الشعوب الإسلامية والعربية تعود إلى الشيخ جمال الدين الأفغاني وبعده محمد عبده. عبد الرحمن بن ابراهيم، الكفاح القومي، مرجع سابق، ص 54.

التدخل في العادات والتقاليد الجزائرية ، كان شعار هذا الجناح "الإصلاح لكن من خلال المحافظة على الشخصية الجزائرية وتقاليدها"⁽¹⁾ حيث ضم هذا الجناح أغلب أعضاء الكتلة.

في ظل إختلاف الآراء حول أسس وبرنامج دعاة الإصلاح، يرى البعض بأن هذه الفئة كانت متعاونة مع الاستعمار، ذلك لأنها لم تطالب بالاستقلال بل بالإصلاح فقط . لكن إذا انتبهنا إلى إتجاهات الحركة الوطنية سنجد بأن هذا الإتجاه حافظ على مبادئه خاصة أمام مطلب دعاة الإدماج بالإندماج في الحضارة الفرنسية. كما أن بعض المستشرقين أكدوا في كتاباتهم بأن هؤلاء المحافظين يعتبرون أشد خصوم فرنسا ، وهذا ما ينفي ماورد من كتابات تدعي بأن المحافظين كانوا متعاونين مع السلطة الاستعمارية.

أما القسم الثاني فقد شجع التعليم بالفرنسية للجزائريين وحمل رسالة فرنسا الحضارية بالجزائر، عارضوا التجنيس والخدمة العسكرية والإندماج، كان شعار هذا الإتجاه هو "الإصلاح بكل الوسائل نظرا للتدهور الكبير الذي آل إليه المجتمع الجزائري"⁽²⁾. من أعضائه: المجاوي، ابن موهوب، ابن رحالة، ابن سماية. ومن بين المثقفين الذين لعبوا دورا هاما في كتلة المحافظين "الشيخ عبد القادر المجاوي"⁽³⁾ حيث تمتع بإحترام كبير بين الجزائريين نظرا لشخصيته المحترمة كعالم مثقف وعالم ديني. حتى أن بعض أعضاء النخبة قد رحبوا ببرنامجهم وندائه للإصلاح.

(1): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص146
(2): نفس المرجع، 147. حمل هؤلاء في أعماقهم روحا دينية صادقة و وطنية متدفقة نشروا قدرا كبيرا من الوعي الوطني الثوري بواسطة دروسهم الإسلامية. أنظر: عبد الرحمن بن براهيم، المرجع السابق، ص30
(3): ولد عبد القادر المجاوي سنة 1848 بتلمسان، درس في مسقط رأسه ثم في كل من فاس وطنجة وجامع القرويين، درس بالمدارس الحرة والمساجد، وأحدث تأثيرا كبيرا في الأوساط الشعبية بدروسه ومحاضراته، فكان إماما قديرا وأستاذا متمكنا ومؤلفا نشيطا ورجل إصلاح، تخرج على يده الكثير مثل: ابن الموهوب، حمدان لونيبي، أحمد الجيباتني...

مثقّف آخر لعب دورا هاما في كتلة المحافظين وهو "عبد الحليم ابن سماية"⁽¹⁾، الذي كان أحد الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية بالجزائر. وقد عرف ابن سماية بموقفه المناهض لقانون الخدمة العسكرية سنة 1911 نظرا لرفضه التخلي عن الحقوق السياسية والدينية للجزائري. وهكذا فإن المحافظين قد فازوا تحت قيادة ابن سماية في معركتهم ضد التجنيد الإجباري. إضافة إلى شخصية المولود ابن موهوب زعيم كتلة المحافظين آنذاك. والذي تميز بمكانة دينية هامة، وبرنامج تقدمي لتحرر الجزائر، ماجعله يؤثر بشكل فعال على معاصريه سواء من المحافظين أو الليبراليين.

كان زعيم المحافظين "ابن موهوب" يرى أن الجزائر قد وصلت إلى أعلى درجات التدهور، ولكي تتخلص من هذه الحالة عليها الإيمان بالتقدم والتعليم بكل الوسائل، والعودة إلى منابع الإسلام الصافية. ولهذا السبب أعلن ابن الموهوب الحرب ضد الجهل والإجفاف والكسل لتحرير الجزائر من الإنحطاط، فهو كان يؤمن بأن كل الأوضاع المتردية التي آلت إليها الجزائر لا تنتهي إلا بخلق "المدارس، المدارس، ثم المدارس"⁽²⁾.

إذن فإن مساهمة ابن الموهوب كمصلح في الحركة الوطنية الجزائرية والجامعة الإسلامية كانت مهمة جدا. فمنذ حمدان خوجة ليس هناك مثقف جزائري آخر قد فهم وأثر على تاريخ بلاده كما فعل ابن الموهوب. حيث أخذت أفكاره تنتشر في المجتمع الجزائري، فخلال أقل من عقد من الزمن أصبح مذهب ابن الموهوب مطبقا في الإصلاح، فكان دور هذا المثقف ذو توجهين: وجه وطني، ووجه إصلاحي إسلامي. فبمبادراته للجزائريين بالعلم واليقظة والتنافس مع الأمم الأخرى، يكون قد ساهم بشكل كبير في دعم الحركة الوطنية في وقت كانت فرنسا تعيق فيه هذه الحركة.

(1): عبد الحليم ابن سماية عالم دين وشاعر جزائري ولد سنة 1866 وتوفي في 1933، كان من أشد الناقمين على الاستعمار الفرنسي، عمل صحفيا في عدد من الصحف الجزائرية والتونسية، أشاد به كثيرا الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر، له عدة مؤلفات حول الفقه والفلسفة والتصوف.
(2): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 151.

وتحت قيادة ابن الموهوب تحولت كتلة المحافظين من مجموعة مفككة بدون فعالية إلى مجموعة نشيطة مؤثرة تتمتع ببرنامج إصلاحي معين، خاصة بعد نجاحه في استمالة بعض العلماء والنواب وأعضاء النخبة ومعظم الطلبة.

ب/ النخبة العصرية :

يسميه أيضا المؤرخ الفرنسي لوروي بوليو (Leroy Beaulieu) بالجزائريين المتأوربين⁽¹⁾، الحائزين أحيانا على شهادات ثانوية وجامعية ومعظمهم متجنسون، منهم أطباء وصيادلة ومحامون وقضاة وصحفيون ومترجمون وتجار.. أمثال الدكتور بن علي فكار، شريف بن حبيلس، المحامي أحمد بوضربة، التاجر عمر بوضربة، والدكتور ابن تهامي..، كانت هذه المجموعة منافسة للمحافظين، وقد تأرجحت المفاهيم حول مصطلح النخبة ففي سنة 1911 عرفها أحد أعضائها بأنها مجموعة الشباب المتخرجين من الجامعات الفرنسية الذين استطاعوا وضع أنفسهم في مصاف ناشرين حقيقيين للحضارة. وبعض الكتاب الفرنسيين عرفوها بأنها تعني الذين جمعوا بين الثقافة العربية والفرنسية. كما عرف علي مراد النخبة بتعريف مشابه نوعا ما ، فالنخبة الجزائرية في رايه هي جماعة تحسن اللغتين وتنتمي إلى الطبقة المثقفة⁽²⁾ ،أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية.حتى أن المفكر جان جوريس يصفهم بأنهم ضائعون بين حضارتين. يتفق معظم الكتاب على أن ظهور هذه الجماعة بالجزائر جاء متأخرا- أواخر القرن 19 – فالكتاب الفرنسي بوسكي يصف طريقة ظهورها أنها كانت مؤلمة بطيئة، كما يشير الكاتب الفرنسي "ألود" إلى أنه سنة 1907 لم يوجد بالجزائر سوى 450 مثقفا جزائريا.

كما اختلف الكتاب أيضا حول تكوين جماعة النخبة، فأعضاؤها اعتبروا أنفسهم أقلية ممتازة منفصلة عن غالبية ناقصة. تشمل حسب البعض : المحامين، المترجمين، الأطباء، المعلمين،

(1): بشير بلاح، المرجع السابق، ص 330.

(2): أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص159

القضاة، والصحفيين. ويضيف إليها بعض الكتاب الآخرين التجار، العمال الزراعيين والطلبة(1). ولعل السبب في هذا الإختلاف هو طريقة فهم كل طرف للنخبة. فمنهم من يقصد بها حتى اصحاب الطبقة الوسطى الجزائرية، ومنهم من تحدث عن الجماعة الجزائرية ذات الثقافة الفرنسية(2). إن جماعة النخبة لم يتبنوا أفكار الغرب ووسائل عيشه، وثقافته وتعليمه فقط، بل أيضا أرادوا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أروبي. فهم قد ضاعوا بين المجتمعين الجزائري والفرنسي حسب رأي الكتاب. نظرا لتعليمهم وانقطاعهم عن مجتمعهم الاصيل، وكانوا في الوقت نفسه يشعرون بعقدة النقص بالنظر إلى المجتمع الفرنسي، خاصة بعد إنغماسهم في حياة فرنسية بحثة من خلال زواجهم بفرنسيات، تكلمهم باللغة الفرنسية، وإرسال أطفالهم إلى المدارس الفرنسية لتربيتهم على الطريقة الفرنسية.

أما برنامج النخبة فقد تركز على نقاط كثيرة تعكس توجهاتهم منها: محاربة العادات القديمة والخرافات والبدع في ظل رفضهم لبرنامج العلماء، كما أنهم وجهوا حملتهم ضد الكولون وإتهمهم بالإستبداد والعنصرية والتصرفات غير الديمقراطية. علنا من فرنسا تنفيذ ماكانت قد كتبتة على الورق بخصوص الجزائر، والمقصود هو سياسة الإدماج. كما طالبوا أيضا بما يلي: المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، إلغاء قانون الأهالي والقوانين الإستثنائية، التمثيل النيابي للجزائريين، والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العمل(3). أي أن جماعة النخبة قد وافقوا على الإدماج الكامل وكل الإجراءات التي من شأنها توحيد الجزائر مع فرنسا. حيث اشترطوا عليها شرطا واحدا وهو ألا تطلب منهم فرنسا التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين (أي إلغاء قانون سيناتوس كونسيلت 1865 المتعلق بالجنسية)(4). وهذا مايدل على تمسكهم بالوطنية وحفاظهم على

(1): أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 160

(2): صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 288

(3): أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 163.

(4): صدر في 14 جويلية 1865 يحدد كيف يمكن للجزائري الحصول على الجنسية الفرنسية بشرط تخليهم عن أحوالهم الشخصية كمسلمين. للمزيد أنظر: يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، مرجع سابق، ص 21.

حقوقهم السياسية كجزائريين رغم رغبتهم الواضحة في الحصول على الحقوق السياسية كمواطنين فرنسيين، وهذا ما يوضح بعض التناقض في موقفهم.

إن رغبة النخبة في الاندماج يمكن أن تتبع من إقتناع أعضائها بأن الاستعمار الفرنسي بالجزائر كان له عدة محاسن، حيث وافقوا رأي بعض المستعمرين في مدح فرنسا بسبب إدخالها الأمن والهدوء إلى الجزائر، بعد أن كانت تعيش حالة فوضى وإضطراب، وقالوا بأن الاستعمار كان له محاسن إجتماعية وإقتصادية، منها توفير مناصب عمل للجزائريين ولو بدخل ضعيف، وإدخال بعض التغييرات على حياة الجزائريين وعقليتهم.

كان التعليم من أعلى وأهم المطالب الجزائرية للنخبة، حيث لاموا فرنسا على عدم فعل شيء في هذا المجال ونفوا فكرة أن الجزائري غير قابل للتعليم، بل أثبتوا أنه يجب أن يتعلم مثله مثل الطالب الفرنسي، فقد رأوا في التعليم طريقا لتحقيق حياة أفضل وتطوير المجتمع الجزائري إلى جانب الثقافة الفرنسية.

من جهة أخرى إهتم أعضاء النخبة بالشباب الجزائري، ودعوهم إلى المحافظة على التقاليد القومية وتحمل المسؤولية والإهتمام بالتعليم، كما نادوا بضرورة إصلاح أوضاع الفلاح الجزائري الذي كان مضطهدا منذ 1830. حتى أنهم شجعوا الهجرة إلى فرنسا بهدف تحسين أوضاع المهاجرين هناك وتفتح لهم عدة أبواب مثل التعرف على مجتمعات جديدة والاستفادة من تجاربها. كما طالبوا أيضا بإلغاء قانون الأهالي والمساواة في دفع الضرائب⁽¹⁾. أي أنهم لم يطالبوا بالمساواة دفعة واحدة وبشكل مباشر، بل طالبوا أولا ببعض الحقوق السياسية وإلغاء بعض القوانين الاستثنائية.

وجه أعضاء النخبة هجوما ضد كتلة المحافظين متهمين إياهم بعبادة الوطنية ومعارضة الإسلام الحقيقي والتعصب والإجحاف والرجعية. أما الفرنسيين فقد إتهموا أعضاء النخبة أنفسهم بأن لهم

(1): شارل روبري اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة 1، 1982، ص 115.

علاقة بحركة الجامعة الإسلامية . غير أن الأخيرين نفوا ذلك من خلال توضيح عدة نقاط في مطالبهم كالتالي: (1)

- 1- برنامجهم لم يشتمل على أية مطالب للجامعة الإسلامية
 - 2- قبولهم لمبدأ التجنس والتجنيد الإجباري قد أظهر عكس ذلك
 - 3- مناداتهم بالتعليم الفرنسي، والزواج المختلط، وعيشتهم على الطريقة الفرنسية. وعلمهم بالدين بطريقة بسيطة جدا، فكل ذلك يشير أنهم لم يكونوا حركة إسلامية .
 - 4- كون الجزائر لم تعرف هذه الحركة منذ ثلاثين سنة، وقد أصر جماعة النخبة على أنه إذا كانت المناقشة حادة بخصوص حركة الجامعة الإسلامية بالجزائر، فذلك يعود إلى أن الحركة كانت آنذاك موضوعا شعبيا لكنها لم تكن مذهباً لهم.
- يتضح لنا من خلال برنامج النخبة رغم تناقض مواقفها، أن لهم دورا وطنيا وقد واجهوا عدة عراقيل منها: طبيعة المجتمع الجزائري، سوء التفاهم، إحفاف الكولون، سياسة الفرنسية الإضطهادية.
- لكنهم رغم ذلك لم يكونوا متطرفين، بل نادوا بالعدل والتسامح من أجل بناء مجتمع جزائري متقدم جديد قائم على التقدم والتسامح والمساواة. غير أن عدم وجود منظمة فعالة وقيادة حاسمة لهم أدى إلى ضغطهم وفشل مواقفهم. فهي كانت لا ترى في الاستقلال مطمحا إلا في إطار تكوين كونفدرالية جزائرية⁽²⁾ لها خصائصها وميزاتها الخاصة داخل الجمهورية الفرنسية الواسعة الأطراف. وأن ذلك لا يكون إلا إذا لبت الحكومة الفرنسية المطالب المقترحة والتزمت بمبدأ المساواة بين الجزائريين والفرنسيين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

(1): سعد الله، المرجع السابق، ص 169
(2): يوسف مناصرية، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين 1939/1919، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 20

مجمل القول من خلال ماسبق أن كلا من المحافظين والنخبة اقتصر تأثيرهم على بيئات المثقفين المحدودة ، أما مسألة التجنيد فقد مست جميع فئات الشعب الجزائري ما أدى إلى معارضتها بشكل كبير. فقد عارضتها المحافظين والنخبة ولكل طرف في ذلك أسبابه الخاصة، فالمحافظون مثلا قالوا أنها تتعارض مع المبادئ الدينية ومع تعهد فرنسا سنة 1830 بعدم المساس بالإسلام في الجزائر. فقد كان قانون التجنيد الإجمالي من القوانين الاستثنائية التي دفعت بهذه النخب الجزائرية إلى ممارسة العمل السياسي من أجل الدفاع عن المواطن الجزائري وحمايته من هذه القوانين التعسفية، اثار هذا القانون سخطا و غضبا كبيرين جدا وسط الشعب الجزائري حيث قال العامة: "بأن فرنسا إذا كانت قد أخذت منا أموالنا فلن تستطيع أن تأخذ منا أبناءنا" . فاختلقت بذلك المواقف بين المحافظين والنخبة. لم يكن موقف المحافظين موقفا قويا يعكس رفضهم التام لهذا القانون فقد كانوا ملتزمين بجميع قوانين وأوامر الإدارة الفرنسية. في حين أن جماعة النخبة الجزائرية لم تقبل بهذا الوضع وسعت جاهدة للإفلات منه، خاصة وأن أعضاء النخبة كانوا مثقفين ثقافة غربية وعلى معرفة واسعة باساسيات العمل السياسي وأساليبه. دخل هؤلاء المعركة السياسية مباشرة بعد صدور قانون التجنيد الإجمالي بأسلوب جديد استنبطوه من الثقافة والافكار الغربية.

- من الملاحظ أيضا أن بؤادر نشأة الحركة الوطنية و منذ الوهلة الأولى لم يعني القطيعة مع قيم الماضي ، بل السعي إلى تحقيق توافق هذه القيم مع العصر، وهذا ما يصطلح على تسميته بالحادثة⁽¹⁾، فقد كانت هذه المسألة نقطة إختلاف وتمايز بين إتجاهات الحركة الوطنية. فقد كانت تعني لدى الشباب الجزائري نوعا من الفرنسية بإختصار رغم التمسك بقانون الأحوال الشخصية ، في حين كان التيار الديني المحافظ يدعو إلى الحادثة من زاوية تطهير الشعائر و رفض الخرافات الدخيلة بسبب الجهل والطرقية.

(1): أحمد مهساس ، الحركة الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود ومحمد عباس، دار القصة للنشر، الجزائر، ص 59.

بالإعتماد على مفهوم المثقف المتفق عليه والذي تطرقنا إليه سابقا، نخلص إلى القول بأن المحافظين والنخبة كانوا مثقفين فعلا لأنهم ذوي مؤهلات علمية ثقافية ونفوذ سياسي، فالمحافظين هم مثقفين تقليديين أما النخبة مثقفين عصريين. لكن كلاهما أعطى مفهوما محدودا للمثقف، مفهوما مرتبط بالمؤهل العلمي فقط، ذلك أنهم اكتفوا بالتنديد للأوضاع المعاشة داخل الجزائر، فالمحافظين اكتفوا بالمطالبة بإصلاح الوضع القائم، والنخبة رأت في الإصلاح المرتبط بالوجود الفرنسي حلا مناسباً للقضية. لذلك فلا يمكن وصفهم بالمثقفين الثوريين بالمعنى الدقيق للكلمة، لكنه ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار هذه الظاهرة أي تبلور النخبة المحافظة والعصرية عبارة عن مرحلة أولية ممهدة لتبلور الفكر الثوري الذي سوف يشارك في المعركة الفاصلة ضد الاستعمار .

ثانيا: الإتجاهات الفكرية وتبلور الإتجاه الثوري

ظهرت الإتجاهات السياسية الجزائرية الكبرى منذ مطلع القرن العشرين⁽¹⁾، حيث اختلف المؤرخون في تقسيمها لكنه عموما تتجلى في الإتجاه المحافظ الذي سيطر عليه بعض الإقطاعيين الجزائريين، الإتجاه الليبرالي الذي كانت تمثله النخبة الجزائرية، والإتجاه الثوري الذي مثله الأمير خالد، والإتجاه العربي الإسلامي الذي تزعمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأخيرا الإتجاه الأممي الذي نادى به الشيوعيون الذين نشؤوا في أوساط الحزب الشيوعي الفرنسي. وبما أن الإتجاه الثوري الذي يسعى فعلا إلى التغيير الكلي للوضع داخل الجزائر مثله إتجاه الأمير خالد، فمن الأجدر تتبع مراحل نشأة هذا الإتجاه وبرامجه وأهدافه، لمعرفة وتشخيص الظروف التي نشأ في ظلها المثقف الجزائري الثوري الذي سوف يكون العامل الأساسي والمحرك في ثورة نوفمبر 1954.

(1): ورد في بعض المراجع بأن ذلك كان مباشرة بعد صدور قانون التجنيد الإجباري 1912. أنظر: يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 9.

1- إنخراط المثقف الجزائري في تيارات الحركة الوطنية:

إن الحركة الوطنية الجزائرية ذات إيديولوجية وطنية ثورية، تمتاز عن غيرها من الحركات التحررية في العالم العربي والإسلامي بأساليبها الثورية ونظراتها الشمولية للقضية الوطنية، وكان ميثاق النجم 1933 ببساطته وعمقه وروحه النضالية هو الحلقة المتممة لمسار الإيديولوجية الوطنية. وقد استمدت هذه الإيديولوجية مسارها ومنطقاتها من التراث الإسلامي العقائدي، ودور الطرق الصوفية والزوايا التي برزت أكثر عند ازدياد وتطور سلطة الدولة ومركزية الحكم وعقلنة المؤسسات⁽¹⁾. حيث لعبت أدوارا هامة في الحفاظ على بيئة الفرد داخل مجتمع أصبح يحاصر حريته وارتباطاته العضوية التقليدية. كما كان لمبادئ الثورة الفرنسية صدى في الأوساط المثقفة، تسربت إليها بعض المصطلحات الجديدة كالحرية الديمقراطية والدستور. ثم ظهرت في القرن التاسع عشر فكرة القوميات المستقلة، وتجلت في الجزائر في تشكيل دولة جديدة على أنقاض حكم الدايات بواسطة الأمير عبد القادر الذي كان يرمز بأعماله إلى تركيز الحداثة الإسلامية المسيرة للعصر. وكان حمدان خوجة أول من تعرف على القومية بالمفهوم الحديث. غير أنه لايفوتنا أن نوضح وحسبما جاء في الكتابات التاريخية بأن الوعي الوطني الجزائري قد بدأ من المهجر، وذلك بعد الهجرة الكبيرة التي شهدتها الجزائر منذ أوائل القرن العشرين نتيجة السياسات الاستعمارية والقوانين الاستثنائية التي كانت تحرم الفرد الجزائري من أبسط الحقوق والحريات. فلم يجد هذا الأخير حلا لهذا الوضع سوى الهروب والهجرة الجماعية إلى الخارج بحثا عن الاستقرار وظروف معيشية أفضل، فوجد في المهجر مناخا ملائما لطموحاته اليومية التي أفرزت عن وعي سياسي ورغبة في التحرر والتغيير داخل وطنه، بعد احتكاك هذا المهاجر الجزائري بالنقابات والمثقفين والنخب السياسية والفكرية في الخارج. بذلك بدأت بوادر عمل سياسي تلوح في الأفق سرعان ما امتدت إلى أرض الجزائر. لذلك يذكر العربي الزبيري بأن الحركة الوطنية تحمل نوعين من

(1): محمد قناش، المسيرة الوطنية، آفاق مغاربية وأحداث 8ماي1945، منشورات دحلب، الجزائر، ص 37.

المبدعين⁽¹⁾: أحدهما مشبع بإيديولوجية العلماء المسلمين الجزائريين وبالتالي فإن إنتاجه يغلب عليه التوجه الثقافي والتربوي وطابع الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، أما الثاني فهو مشبع بإيديولوجية نجم شمال إفريقيا، الذي تتمثل إيديولوجيته في الدعوة إلى الثورة على المستعمر والاستعداد لخوض الكفاح المسلح من أجل استرجاع الاستقلال الوطني. فكان بذلك النجم هو أول إطار سياسي للتيار الاستقلالي الذي أخذ بعدها اسم حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية والتي كانت تنتقي أفكارها وإيديولوجياتها من المرجعيات الفكرية التالية: "الإسلامية، الماركسية، الليبيرالية" كما حددتها مبادئ الثورة الفرنسية⁽²⁾، ثم تقوم بعملية المزج والتوفيق بين مختلف هذه الأفكار لتظهر فيما بعد كإيديولوجية وطنية نابعة من ذات الأمة.

- جاء جمال الدين الأفغاني بعدها وأثار عاصفة هوجاء ضد التدخل الأجنبي والاستبداد الذي كان ينخر الجامعات الإسلامية فأضحت طريقته الثورية هي الأساس. فمن هذه التطورات تكونت إيديولوجية الحركة الوطنية الجزائرية. عرفت بعدها تطورا عسريا بعد الحرب العالمية الأولى، إذ لا يدل ذلك على قطيعتها مع الماضي، بل سعيها إلى تحقيق توافق وإنسجام بين الماضي والحاضر. وقد اختلفت هذه الحداثة بين تيارات الحركة الوطنية، فقد كانت تعني لدى الشباب الجزائري نوعا من الفرنسية رغم التمسك بقانون الأحوال الشخصية.

أما تيار العلماء فكان يدعو إلى الحداثة من خلال تطهير الشعائر الدينية والتخلص من الخرافات والبدع⁽³⁾. كما أن هذين التيارين لم يعبرا عن طموحات الشعب وأفكاره بقدر ما عبرا على أفكار نخبة برجوازية متميزة وجدت نفسها بين النظام الاستعماري من جهة والمصالح الشعبية من جهة أخرى. غير أن ذلك لا ينفي دورهما الفعال في الحركة الوطنية. لكنه مع ذلك وحسب آراء عدة مؤرخين وعلى رأسهم أحمد مهساس نجد أن أفضل الطاقات تكمن في نجم شمال إفريقيا، ذلك أن

(1): العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون، مرجع سابق، ص 27.
(2): رابح لونيسي، دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة 1، 2012، ص 83.
(3): أحمد مهساس، المرجع السابق، ص 61.

هذا الحزب كان من الاوائل الذين طالبوا بالاستقلال حتى قبل تحوله إلى حزب وطني. ولو أن الحديث عن الاستقلال وفكرة التحرر سنة 1926 يعتبر مغامرة كبرى⁽¹⁾، نظرا لطبيعة تلك المرحلة التي تميزت خاصة بقوة القبضة الفرنسية أمام الوعي الثوري الذي كان لايزال في بداياته، كما ورد ذلك أغلب في الكتابات التي أكدت على أن فكرة الاستقلال خلال الثلاثينات كانت جنونية وغير ناضجة⁽²⁾ حتى عند أكبر القادة السياسيين، خاصة في ظل الأوضاع الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري في تلك الآونة. فكان لزاما بذلك تعبئة هذا الشعب ومساندته وتأطيره لضمان تنامي الوعي الثوري الوطني وتصاعده.

- لقد أدت القوانين الفرنسية الاستثنائية وعلى رأسها قانون التجنيد الإجباري الذي دفع بعض النخب الجزائرية إلى ممارسة العمل السياسي من أجل الدفاع عن المواطن الجزائري وحمائته من هذه القوانين التعسفية. قانون التجنيد الإجباري الذي أثار سخطا واستياء كبيرا في أوساط الشعب الجزائري حيث قال بشأنه العامة: "بأن فرنسا إذا كانت قد أخذت منا أموالنا فلن نستطيع أن تأخذ منا أبناءنا"⁽³⁾.

فظهر بذلك إتجاهين: إتجاه المحافظين الذي كان ملتزما بجميع أوامر وقوانين الإدارة الفرنسية، في حين أن جماعة النخبة الجزائرية لم تقبل بهذا الوضع و سعت جاهدا إلى الإفلات من هذه القوانين الاستعمارية. كان أعضاؤها جزائريين مثقفين ثقافة غربية، على معرفة واسعة بأساسيات العمل السياسي واساليبه. دخل هؤلاء المعركة السياسية مباشرة بعد صدور قانون التجنيد الإجباري، وبأسلوب جديد استنبطوه من الثقافة والأفكار الأوروبية، وذلك من خلال إرسال وفد جزائري إلى باريس يحمل عريضة بمجموعة مطالب جزائرية تتعلق خاصة بالجانب السياسي والعسكري. وقد جاء على رأس المطالب التخفيف من حدة الخدمة العسكرية ومراعاة بلوغ الشباب

(1): محمد لحسن زغدي، البعد الثوري للحركة الوطنية والثورة التحريرية، مجلة الذاكرة، العدد 3، 1999، ص 72.

(2): عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، مرجع سابق، ص 371.

(3): يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 10

الجزائري سن الرشد، وزيادة تمثيل الجزائريين في الجمعيات المنتخبة، والتوزيع العادل للميزانية بين مختلف عناصر الشعب الجزائري، إضافة إلى إلغاء الضرائب المفروضة على المسلمين. وقد تضمن نص العريضة بأن الجزائريين على أتم الاستعداد للقيام بواجبهم الوطني نحو الوطن الأم (فرنسا)، وفي مقابل ذلك يرجون تحسين أوضاعهم المتدهورة.

يدل ذلك على مدى معرفة جماعة النخبة بأسرار السياسة والتعامل مع السلطة الفرنسية لتحقيق أهدافهم. هذا مايبثته قول الرئيس الفرنسي: "إن فرنسا تتلقى بحفاوة كبيرة مطالبكم التي تعتبرونها شرعية، وتعتبرها هي مكافآت عادلة على العمل الجديد الذي فرضته عليكم"⁽¹⁾ ويقصد بذلك قانون التجنيد الإجباري.

إن الغريب في الأمر أن هذه النخبة ورغم أفكارها الغربية ومستوى ذكائها، لم تطالب بالاستقلال، وربما يعود ذلك إلى اعتقادهم بأن هذا المطلب لم يحن وقته بعد لعدة إعتبارات منها: غياب حزب وطني يقود السلطة، إضافة إلى قوة القبضة الفرنسية آنذاك وسيطرتها على الجزائريين، فإن مرحلة إصدارها القرارات التعسفية تثبت مدى قوتها ورغبتها الكبرى في إحكام هيمنتها على الجزائر والجزائريين.

لكنه ورغم ذلك لم تتوانى النخبة في الدفاع عن الجزائريين أمام الحكومة الفرنسية من خلال مثلا المطالبة بالمساواة مع الفرنسيين، ومنح النواب الجزائريين الحرية والاستقلال الذاتي للدفاع عن مصالح الجزائريين. في مقابل ذلك طالب الكولون باستقلال الجزائر الفرنسية عن الوطن الأم، ولعل ذلك سببا آخر منع النخبة من المطالبة بالاستقلال. وعليه يمكن القول بأن النخبة كانت تثق نوعا ما في الإدارة الفرنسية واعتبرت عدوها الوحيد والاساسي هو الكولون (المعمرين).

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهرت النخبة على الساحة السياسية بوجه جديد، خاصة خلال الإنتخابات البلدية في شهر سبتمبر 1919 بالجزائر العاصمة، حيث ظهر الجناح المعارض للأمير

(1): نفس المرجع السابق، ص 12

خالد وقد كانت نقطة الخلاف بينهما هي مسألة إدماج الجزائريين بفرنسا وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية. وافقت النخبة التي كانت تمثل الإتجاه الليبيرالي على تجنس الجزائريين دون قيد ، في حين رفض الأمير خالد⁽¹⁾ ذلك إلا في إطار الأحوال الشخصية للجزائري المسلم.

لقد كان هذا الموقف سببا في تراجع مكانة أعضاء النخبة لدى الجزائريين، لأنها بموافقتها على مسألة التجنيس اللامشروط يكونوا قد ضربوا بمبادئ الدين الإسلامي عرض الحائط. إلتف الجزائريون بذلك حول حركة الأمير خالد وناصروه في الإنتخابات تاركين الإندماجيين لوحدهم في المعترك السياسي. ولعل ذلك يدل على مدى حمل حركة الامير خالد لطموحات وآمال الشعب الجزائري الهادفة إلى الحفاظ على الهوية الوطنية العربية الإسلامية، والتخلص من السلطة الفرنسية، إذ يعتبر ذلك بداية تشكل أرضية خصبة لظهور مثقفي الثورة مستقبلا أعداء الظلم والقهر والاستغلال.

من جهة أخرى بقيت النخبة في معزل عن الساحة السياسية بعد نفي الأمير خالد إلى فرنسا سنة 1923، فحققت إنتصارا في الإنتخابات البلدية خاصة بعد إنضمام عناصر جديدة لها وذات فعالية، أبرزها الدكتور ابن جلول والصيدلي فرحات عباس حيث يعتبرون من النخبة المثقفة بثقافة فرنسية عالية⁽²⁾. غير أن برنامجها لم يخرج عن نطاق المطالبة بإصلاحات سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية في إطار المساواة بين الجزائريين والفرنسيين .

من الملاحظ إذن بأن مطالب النخبة الجزائرية لم تستمد من المقومات الوطنية، بل ركزت على الإصلاح والتعليم والثقافة في إطار الفكر الفرنسي والحضارة الغربية، وهذا ما يعكس لنا طبيعة

(1): هو حفيد الأمير عبد القادر من الأمير هشام ولد في فيفري 1875 بالعاصمة السورية دمشق، ترعرع فيها إلى غاية 1892 تاريخ إنتقال عائلته إلى الجزائر، حيث كان آنذاك طالبا ثانوسا بالعاصمة باريس، دخل المدرسة العسكرية الفرنسية في 1893 بإقتراح من والده. شارك في الحرب العالمية الأولى ، وبعد نهايتها دخل الجزائر وقرر الدخول في المعترك السياسي ، يعتبر شخصية تنتمي إلى الميثولوجيا التاريخية للجزائر المعاصرة. بشير بلاح، مرجع سابق، ص 392.

(2): إنتسب هؤلاء إلى الأمير خالد لكنهم لم يشاطروه نفس المطالب، كانوا مثقفين بالثقافة الفرنسية ومدمجين جزئيا بها حيث كانوا يمثلون الأنتلجنسيا الجديدة التي لم تطعن في النظام المسيطر ولكنها لم تقبل بدور الخادم المطلوب منها. أنظر: أحمد مهساس، المرجع السابق، ص 69.

تكوينها الذي يستمد جزء كبير من أصوله من الثقافة الفرنسية. على عكس حركة الأمير خالد التي أكدت في مطالبها على ضرورة احترام الهوية الوطنية ووضع حد لكل أشكال القوانين الاستثنائية والتعسفية في حق الجزائريين.

وهذا ما يؤكد الكاتب يوسف مناصرية في قوله، بأن الأمير خالد هو أول من مثل الإتجاه الثوري من خلال مطالبه التي تهدف أساسا إلى فصل الجزائر التام عن فرنسا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا(1). واصل هذه المواقف بعده نجم شمال إفريقيا الذي بدوره كانت مطالبه كلها ثورية تهدف إلى إنفصال الجزائر التام عن فرنسا وبناء أسس دولة جزائرية مستقلة. غير أن كفاحه من هذا المنطلق لم يحقق هدفا ملموسا مع السلطات الفرنسية، هذا ماجعله يدخل بعض الليونة على برنامجه من خلال المطالبة بالمساواة أمام القانون الفرنسي وإلغاء القوانين الاستثنائية، غير أن الاستعمار ومن جديد رأى في ذلك تطرفا فواجهه بشدة.

فقد قدم الأمير مطالب عديدة إلى فرنسا في ظل برنامجه الذي يطالب خاصة بالتمثيل النيابي في البرلمان للجزائريين الأصليين والأوروبيين، وإلغاء القوانين والمحاكم الاستثنائية والعقوبات الإدارية، والعمل بالقانون العام، وتطبيق نفس الواجبات والحقوق على الجزائريين والفرنسيين في قانون الخدمة العسكرية(2). فمن الملاحظ أن برنامج الأمير كان مبنيا على فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، ماجعل جميع الفئات الجزائرية توافق عليه، كما وافقت عليه جماعة النخبة لإعتماده على فكرة المساواة بين المجموعتين، وأرضى المحافظين لأنه معادي للإدماج. لكن ومن جهة أخرى رفض أرويو الجزائر بشدة برنامج الأمير خالد وأثار غضبهم حكومة وكولون ورأوا فيه تطرفا ومن الواجب التخلص منه، لأنه يتضمن مطالب سياسية واجتماعية لفائدة الجزائريين وهذا ما أجبر الأمير على الهجرة سنة 1923. ومواصلة كفاحه بالمهجر من أجل الدفاع عن حقوق

(1): يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 112.

(2): حول مطالب الأمير بالتفصيل أنظر: سعد الله، المرجع السابق، ص 366.

الجزائريين، والعمل أيضا على تحقيق استقلال البلدان العربية التي لازالت ترزخ تحت وطأة المستعمر من إفريقيا وآسيا.

من الواضح إذن بأن الإتجاه الثوري جسده الأمير خالد في حركته السياسية الهادفة إلى تحقيق الاستقلال بالوسائل السلمية، حيث واصل نهجه حزب جديد ظهر ونشأ في المهجر أين وجد الظروف والإمكانات المساعدة على العمل والكفاح من أجل استقلال الجزائر وهو نجم شمال إفريقيا. والذي ورث عنه مطالبه الانفصالية وتبنت النخبة مبادئه وأفكاره، حيث تميز بدوره بإيديولوجية ثورية لخصها في ثلاث نقاط أساسية: استقلال الجزائر، سحب قوات الاحتلال الفرنسية، وتكوين جيش وطني .

تأسس النجم سنة 1926 من طرف عبد القادر حاج علي⁽¹⁾ بباريس، حيث إنخرط فيه العمال الجزائريون المقيمون بباريس وضواحيها. حيث إحتوى برنامج هذا التنظيم مطالب سياسية وإجتماعية منها استقلال الجزائر، وانتخب مصالي الحاج⁽²⁾ رئيسا للنجم في 1927 ما ساعد على تجنيد العديد من الجزائريين للكفاح المسلح بباريس. كما إتخذ من جريدة الأمة منبرا أساسيا له للتعريف ببرامجه وأهدافه الاستقلالية وتدعو الجماهير الشعبية من خلالها إلى التمسك بالحضارة العربية الإسلامية وفكرة الاستقلال. كما رفع النجم سنة 1936 العلم الوطني. وإن دل ذلك على شيء، إنما يدل على التوجه الثوري لهذا الحزب ومواقفه الثورية الرامية إلى إنفصال الجزائر التام عن فرنسا.

(1): كان شخصية طريفة في الحركة العمالية، تجنس بالجنسية الفرنسية عام 1911 ناضل في صفوف الفرع الفرنسي للأممية العمالية ثم إنضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، آخر مساهماته السياسية تنحصر في مساندته لفرحات عباس سنة 1948. محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد صالح المثلوثي، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 180.

(2): ولد مصالي الحاج في عائلة من فقراء الفلاحين حتى نهاية الخدمة العسكرية التي قام بها في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، هاجر إلى فرنسا أين مارس عدة حرف 1923، خطى خطواته السياسية الأولى في إطار نجم شمال إفريقيا التي ساهم في تأسيسها. ملقب بابي الحركة الوطنية نظرا لمكوته 16 سنة منفيًا أو سجينًا، من أبرز الشخصيات السياسية بالجزائر إلى غاية اندلاع الثورة نوفمبر 1954. محمد حربي، نفس المصدر، ص 181.

لم يكن نشاط النجم يتم بالمهجر فقط، بل إمتد إلى الجزائر عن طريق الإعلام⁽¹⁾. فقد كانت له عدة خلايا بالجزائر، كما كان له نشاط على المستوى الدولي، مثلا من خلال المذكرة التي قدمت لعصابة الأمم في 1930 لمناهضة الإمبريالية بأشكالها. وقد إعتد نشاطه على المنشورات والصحافة والمؤتمرات، حيث كانت طريقته ثورية ومباشرة ومن أعضائه الجزائريين: محمد جفال، حاج علي عبد القادر، مصالي الحاج، أحمد بلغول، محمد بن الأكل، عمار إيماش .. وغيرهم.

كان أغلب أعضاء ومؤسسي نجم شمال إفريقيا من العمال الجزائريين والجنود السابقين والعصاميين الذين عاشوا بفرنسا، فكانت إتصالاتهم بأروبا أكثر تأثيرا على عقولهم وحركاتهم من إتصالاتهم بوطنهم، فلم يبق مايربطهم به سوى ماضيهم وعائلاتهم. ولعل ذلك ماجعل تأثيرهم فعالا بين المهاجرين بفرنسا والبلدان الأوروبية، ولم يصل برنامجهم بفعالية إلى الجزائر سوى خلال الثلاثينات. إذ يسمي بعض الكتاب هذه المرحلة(مرحلة الثلاثينات) بفترة تثبيت الجزائريين حقهم في أن يكونوا أمة، ويرجع بعضهم الآخر بداية المعارضة الجزائرية للوجود الفرنسي إلى ظهور الأمير خالد الذي مثل في نظرهم الطبقة الأرستقراطية، وابن جلول الطبقة البرجوازية، بينما فرحات عباس جماهير الشعب رغم أنه كان برجوازيا، ثم جمعية العلماء والنجم ثم حزب الشعب بعده يمثلون العمال والفلاحين والمتقنين الفقراء⁽²⁾. أي أن حزب الشعب الجزائري وريث نجم شمال إفريقيا كانا يمثلان باستمرار في مسار السياسة الجزائرية التيار المتطرف في الميدان الإيديولوجي، والطبقة العاملة في الميدان الإجتماعي.

كان ميثاق النجم ببساطته وعمقه وروحه النضالية هو الحلقة المتممة لمسار الإيديولوجية الوطنية. كما كانت له عدة مطالب تعكس ذلك فهي ليست بالجديدة، تشبه سابقتها من مطالب الأمير خالد،

(1): يذكر روبيير أجيرون بأن حزب الشعب لم يعرف بالجزائر إلا في أفريل 1936، شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 140.
(2): أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 118

حيث تم عرضها في مؤتمر بروكسل الذي كان أول تجمع عالمي يشارك فيه النجم ما بين 10-15

فيفري 1927. من بين هذه المطالب مايلي: (1)

1- الاستقلال الكامل للجزائر

2- جلاء الجيش الفرنسي

3- مصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة للكولون والشركات الإقطاعية

4- إرجاع الأراضي والغابات التي أخذتها فرنسا للدولة الجزائرية

5- الإلغاء الفوري لقانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية

من الواضح أن مطالب النجم كانت ثورية في أغلبها ما أدى إلى تخوف فرنسا من النجم فأصبحت تضيق عليه بالعراقيل والصعوبات. كما أن الحديث عن فكرة الاستقلال في هذا الوقت المبكر (سنة 1926) يعتبر مغامرة كبرى نظرا لصعوبة المرحلة التي تميزت خاصة بقوة القبضة الفرنسية أمام الوعي الثوري الذي كان في بداياته، خاصة في ظل الأوضاع الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري آنذاك (الثالوث الاسود..). فكان لزاما تعبئة هذا الشعب ومساندته وتأطيره لضمان تنامي الوعي الثوري وتصاعده.

إن اقتناع فرنسا بقوة النجم وطبيعة مطالبه و وسائله الثورية جعلها تشعر بمدى خطورة الوضع، ما دفعها إلى حل الحزب بقرار رسمي في 20 نوفمبر 1929. حيث أرجع بعض المؤرخين قرار الحل

(1): نفس المرجع، ص 379

إلى سبب كون نشاطات النجم كانت مضرة بالسيادة الفرنسية بشمال إفريقيا، فتم بذلك حله في ظل الظروف الصعبة التي فرضتها عليه الإدارة الفرنسية(1).

لكن زعماء النجم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل لجؤوا إلى العمل السري وتمكنوا في 1932 من إعادة تكوين الحزب تحت اسم جديد هو "نجم شمال إفريقيا المجيد"، وعندما اصدرت فرنسا في حقهم قرارات دفع غرامة مالية بحجة إعادة خلق منظمة صدر قرار رسمي بحلها، رد هؤلاء الزعماء بخلق حزب الشعب الجزائري سنة 1937 الذي لعب دورا هاما في الحركة الوطنية منذ ظهوره، والذي إتخذ نفس برنامج نجم شمال إفريقيا، ولخص إيديولوجيته في ثلاث نقاط: "لا للإندماج، لا للإنفصال، نعم للاستقلال"(2). كما أن ميلاد النجم قبله كانت أحد الاحداث الهامة في تاريخ الجزائر السياسي، فقد ساهم بأعضائه المثقفين وإتجاهه الثوري في تدعيم وتوجيه الحركة الوطنية، ويظهر ذلك خاصة في تحول النجم من التركيز على بعض أعضاء النخبة والطبقة الوسطى إلى الفلاحين والعمال والطلبة، وسوف تظهر الآثار الإيجابية لهذا التحول في العهود اللاحقة(3)، خاصة في تبلور الإيديولوجية الوطنية الثورية لجبهة التحرير الوطني.

بتأسيس حزب الشعب الجزائري، يكون النجم يبدأ تحوله نحو الوطنية بشكل تدريجي، فقد واصل هذا الحزب عمل نجم شمال إفريقيا، وكان حزبا وطنيا ثوريا تدرج مع مرور الزمن إلى أصالته العربية الإسلامية(4). حيث من مطالبه الأساسية الاستقلال الذاتي، البرلمان، واستعمال اللغة العربية..، إذ يتضح من خلال هذه المطالب أن حزب الشعب الجزائري كان يهدف أساسا إلى تحقيق استقلال الجزائر التام وبناء دولة جزائرية تكون مرتبطة بماضيها الحضاري العربي والإسلامي.

(1): محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919/1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 52

(2): يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 113

(3): يؤكد زهير إحدادن والكثير من الكتابات بأن حزب الشعب الجزائري هو الإنجاه الوحيد الذي نادى بوجود الأمة الجزائرية قبل الإحتلال الفرنسي. للمزيد أنظر: زهير إحدادن، شخصيات ومواقف تاريخية، مرجع سابق، ص 160

(4): يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 104.

،وبعد مضايقات من طرف الإدارة الفرنسية للحزب، دخل في السرية بعد أن كان يعمل في إطار القانون . غير أن تأثيره إتسع بين الجماهير ليس فقط بفرنسا بل حتى بالجزائر. قامت بعدها فرنسا بحل حزب الشعب في 29/09/1939 بعد مظاهرات كبيرة قام بها أين رفع الراية الوطنية باللون الأخضر والأبيض لأول مرة. وبعد أحداث ماي 1945 قامت السلطات الفرنسية بإلقاء عدة مناضلين من حزب الشعب في السجن، وبعدها بحوالي سنتين تم تأسيس حزبين متعارضين حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، إلى جانب جمعية العلماء الجزائريين. حيث كانت حركة الإنتصار تطالب بالاستقلال التام و وجود دولة جزائرية بكل مقوماتها⁽¹⁾.

عرف هذا الحزب خلال مؤتمر له في أفريل 1953 أزمة سياسية حادة بين المركزيين والمصاليين⁽²⁾، كادت هذه الأزمة أن تعصف بالحزب لولا ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23/03/1954، حيث كان هدفها الأساسي هو العمل على تحقيق المصالحة بين الطرفين المتنازعين قصد المضي بالحزب بأكمله نحو الثورة.

تم بعدها في شهر جوان 1954 استدعاء 22 إطارا للجزائر العاصمة بمبادرة من: بن بولعيد، بوضياف، ديدوش مراد، رابح بيطاط، والعربي بن مهيدي قصد الاستفادة من تجربة المنظمة الخاصة، ومناقشة أزمة الحزب والتحضير للثورة المسلحة التي ستنتقل في أول نوفمبر 1954. كانت الأحزاب في بداية الأمر غير موافقة على إندلاع الثورة في تلك الفترة، حيث أسس مصالي الحاج في 1954 الحركة الوطنية الجزائرية⁽³⁾، وفي جانفي 1956 إنضم إلى جبهة التحرير الوطني الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والمركزيون والعلماء، ورغم أن الأحزاب حاولت الحفاظ على

(1): نوارة حسين ، المرجع السابق، ص 187.
(2): من بين أسباب هذه الأزمة السياسية هو عدم إقتناع بعض القادة بفكرة العمل المسلح وإعتبارها ضربا من الخيال أو حلما مستحيلا أو عملية إنتحارية على حد قولهم . زهير إحدادن، المرجع السابق، ص 162.
(3): أسسها مصالي الحاج وأتباعه في 22 ديسمبر 1954 وهي حركة مناوئة للثورة التحريرية ومنافسة لجبهة التحرير الوطني . كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية (1962/1954)، مرجع سابق، ص 243.

تميزها عن جبهة التحرير الوطني غير أن ذلك لم يمنعها من الاستفادة من مبادراتها والتعاون معها للوقوف في وجه المستعمر.

يتضح من خلال الأحداث التاريخية المتتالية بأن الوضع المتأزم الذي وصلت إليه الحركة الوطنية وخاصة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية هو الذي أفرز عن وجود نخبة ثورية مستعدة للبدء في التحضير للثورة المسلحة، حيث رأت في الخيار الثوري الحل الأمثل للمضي قدما نحو تحقيق الاستقلال وتفادي الخلافات القيادية حول السلطة، والتي من شأنها تغييب الهدف الأساسي للثورة وهو الاستقلال.

إذا وافقنا أنطونيو غرامشي في رأيه الذي يقول: "...أن لاوجود لأي تنظيم بدون مثقفين، أي دون عناصر تمنحه إنسجامه و وعيه بمهمته"⁽¹⁾ لا مجال للشك إذن أن دخول الحركة الوطنية الجزائرية الميدان من خلال نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري بعدها سيمكن الطبقات الشعبية من تكوين نخبتها. إنطلقت هذه الأخيرة في بداية الأمر من أوساط إجتماعية معينة مثل: العمال المهاجرين، عمال السكك الحديدية بالجزائر، وسوف تستقطب عناصر كانت مهمة.

ففي الوقت الذي كانت فيه الحركة الوطنية الراديكالية حزب الشعب الجزائري بزعامة مصالي الحاج تتفوق فيه بالمبادرة على منافسيها أي الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري طرأت تحولات هامة على تركيبها الإجتماعية، وتأطيرها وأساليب كفاحها. فلم تعد الهجرة الجزائرية تشكل دعائمها الرئيسية فقد توسعت قاعدة المصالية إلى الشرائح المتوسطة، مثل التجار الصغار والحرفيين وأصحاب الأعمال الحرة.

- نلاحظ أن التركيبية توسعت إلى فئات وشرائح جديدة. إذن فإن هذه الفئات لايمكن أن يوحدتها إلا مشروع كامل لإعادة بناء المجتمع حيث يصبح العنصر الشعبي في الصدارة والمقدمة بدلا من العنصر العمالي. كما أن تأطير الحركة تغير تماما، فقد كان إحتياطي الإطارات إلى غاية سنة

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 188.

1939 مستمدا من الهجرة بعد إعتقال القادة الرئيسيين لحزب الشعب الجزائري . غير أنه في سنة 1937 تسلم قيادة المنظمة كحال رزقي، ثم عبدالله فيلالي، وفي سنة 1939 أصبح المناضل مسعودي (وهو تاجر) أمينا عاما للحزب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ومنذ سنة 1939 أقبل على الإنخراط في الحركة العديد من حاملي الشهادات والطلبة الشباب وطلبة الثانويات (1) .

إذن فإن حزب الشعب لم يكون الإطارات، بل كان يستخدم الإطارات التي يمد بها المجتمع. وقد قدم المثقفون بتنظيمهم الخاص واعتلى العديد منهم مناصب قيادية على المستوى الجهوي والوطني. ويذكر من حاملي الشهادات: الدكتور لمين دباغين²، دردور (جراح أسنان)، حاج سعيد شريف (محامي)، محفوطي (أستاذ)، دماغ العتروس (مترجم)، معيزة (محامي)، أما الطلبة فمنهم: بن خدة، مصطفى، بن مهل. وطلبة الثانويات منهم: آيت أحمد، ولد حمودة، عمر أصدق، ولايماش. وبعد فقدان جمعية العلماء زعيمها ابن باديس في 1940، رحل العديد من أعضائها إلى حزب الشعب منهم: الشادلي المكي، الشيخ سعيد زموشي، الشيخ كربوش، الشيخ بلقاسم البيداوي، سيدي السعيد علي..

إذن فذلك هو الجيل الجديد الذي لم يكن مهيكلا إجتماعيا ولا إيديولوجيا ولم تكن تجمع بينه وحدة حقيقية، هو الذي استغل تحت غطاء أحباب البيان والحرية رصيذا سياسيا تكون بفضل العمل الذي قام به رواد نجم شمال إفريقيا، الذين استشهد أغلبهم في السجون الفرنسية، وهكذا تجذر هذا الجيل في أوساط الشعب وأيقظ وعيه من أجل الثورة.

فمن هنا كان الدور الذي اضطلع به بعض المثقفين الجزائريين قبل إندلاع ثورة التحرير في التأطير دورا حاسما. رغم أن معظم المتعلمين الجزائريين آنذاك كانوا يميلون إلى تشكيلات أخرى غير

(1): نفس المرجع السابق، ص 190
(2): ولد سنة 1917 بالجزائر العاصمة درس الطب وتخرج كطبيب، كان من أعضاء حزب الشعب الجزائري ومثل النخبة المثقفة فيه، عين في الوفد الخارجي لجهة التحرير سنة 1956. للمزيد أنظر: مريم سيد علي مبارك، أعلام الجزائر، دار المعرفة الجزائر، ص - ص 218 - 219.

حزب الشعب الجزائري مثل UDMA :بالنسبة للمتعلمين باللغة الفرنسية ، وجمعية العلماء بالنسبة للمتعلمين باللغة العربية. إذ يؤكد بن يوسف بن خدة أن حزب الشعب لم يكن يتوفر على مثقفين بالمعنى الكامل هذه العبارة⁽¹⁾ ، لكنه كان يقصد الرجال الموهوبين من ذوي التكوين الثقافي المزدوج التقليدي والعصري في آن واحد ،الذين سوف يجعلون من الكفاح المسلح عقيدة لا مبدأ. لقد أبرز عدة كتاب في كتاباتهم مدى الضعف التنظيمي المميز للمثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية، وضعف تأثيرهم على إتخاذ القرارات التاريخية في تلك الفترة ،ويتجسد هذا الضعف أيضا في غيابهم الشبه كلي من قيادات الحزب الوطني طيلة مدة الكفاح من خلال وجودهم الهامشي في التنظيم الثوري: "في كل المراحل، لم يكونوا رفاق الطريق للثوار الثوريين الذين شرعوا منذ 1920 ينظمون أنفسهم في صفوف البروليتاريا⁽²⁾ الجزائري المهاجر في فرنسا، ومن هنا جاء الإحساس السلبي والحذر من المثقفين لدى الثوار.."⁽³⁾ .

إن النخب الثقافية موزعة فعلا إلى تيارات كبيرة لم تكن تلتقي بالوطنية إلا في مناسبات معينة. فإن جمعية العلماء حملهم الطابع العالمي للدين إلى رفض المنهج الوطني، فقد ركزت في برنامجها على نشر الوعي الفكري والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية، من خلال تثبيت العقيدة وضمأن استمرارية سلامة اللغة من الذوبان، لكن المتأمل في أدبياتها خاصة ماجاء على لسان زعيمها عبدالحميد بن باديس يجد الروح الثورية الرامية إلى الجهاد في سبيل تحرير البلاد⁽⁴⁾ . أودعاة الإدماج الذين راحوا يتفاوضون مع فرنسا حول طبيعة علاقة التبعية بينهم ، وأخيرا الشيوعيين الذين ربطوا المطلب الوطني بإستراتيجية يحددها الكومنتارن.

(1): بن يوسف بن خدة، جذور نوفمبر1954، ترجمة:مسعود حاج مسعود، ، الطبعة الثانية، دار الشاطبية،

الجزائر، 2012، ص 211

(2): تأسست بموسكو في 2مارس1919 ترأسها زينز فياف وتنبأت بانتصار الشيوعيون في كامل أوروبا، تعتبر كتشكيلات لجيش دولي يهدف إلى الإستيلاء على السلطة بكل الوسائل. نوارا حسين، المرجع السابق، ص 119.

(3): نفس المرجع ص 191.

(4): محمد لحسن زغدي، البعد الثوري للحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 73.

وعليه فإن المثقف الجزائري شارك فعلا في الحركة الوطنية، ولكن بصورة معتدلة. حيث تميزت هذه المشاركة بوجوده الهامشي في قيادات الحزب الوطني، ولم يكن لهذا الوجود أي طموح في السيطرة على النواة المركزية. فقد وضع المثقفون أنفسهم في خدمة الثورة وإلتحقوا بالجبال في الداخل أو بالجامعات بالخارج حيث أرسلهم مسؤولوا جبهة التحرير الوطني، وهو في الواقع وجود خال من المبادرة، وخال خاصة من أي نية في فرض تغييرات أو تحقيق تحسينات. على عكس المثقف الثوري الذي كان وليد تبلور التيار الثوري وأفكار التغيير وسط حزب الشعب الجزائري وحركة الإنتصار بعدها، التغيير الذي يتجسد حسب رأيهم وإيديولوجيتهم في تحقيق الاستقلال التام والسيادة الوطنية الكاملة. ولعل هذا ماجعل حركة الامير خالد ونجم شمال إفريقيا بعده، ثم حزب الشعب الجزائري الممثل السياسي الوحيد للتيار الثوري والفكر الرافض للاستعمار، والذي سوف يسعى بشتى الوسائل والإمكانات إلى تغيير الأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري، وهنا يكمن المعنى الحقيقي للمثقف الثوري .

لقد عرف عن حزب الشعب الجزائري ومنذ ظهوره كحزب وطني مواقفه الإرتجالية والمختلفة عن مواقف غيره من الأحزاب. فقد كان مثلا الحزب الوحيد الذي ندد بمشروع فيوليت ، وقد صرح قائلا: "نعلم جيدا أنفسنا بأن معارضتنا لمشروع فيوليت ستتجر عنها معارضة المستفيدين منه، لكننا قمنا بذلك لأننا مقتنعون بأنه عنصر تفكيك للمجتمع المسلم، وأنه يجب علينا أن نفعل كل شيء لنمنع الشعب المسلم الذي يثق كثيرا في مثقفيه ، من أن يكون صانعا لخسارته الشخصية"⁽¹⁾. إذ بعد فشل المؤتمر تأكدت النظرة الصائبة لحزب الشعب ، وهذا ما جلب إليه تعاطف شباب المؤتمر الإسلامي، الذي إلتحقوا بمواقف حزب الشعب الجزائري مثلما تشهد عليه التوصية التي صوت عليها خلال اجتماع 6 فيفري 1938 ،الذي جمع شباب الحزب مع شباب المؤتمر: "نظرا إلى الأحداث الخارجية التي تملي علينا الضرورة العاجلة لوحدة الشعب الجزائري". " ونظرا لأن هذا الوفاق وهذه المطالب العاجلة، والمستوحاة من جميع المنظمات والأحزاب المكونة للرأي في البلاد،

(1): أحمد مهساس ، المرجع السابق، ص 165.

مع إحترام إيديولوجياتها الخاصة". "فإن شبيبة المؤتمر وشبيبة العلماء بإعتبارهما مؤتمرين ،وحزب الشعب الجزائري، يتعهدون أمام الله وأمام الشعب، بإنتداب ممثلين قصد التشاور و وضع برنامج مشترك للوفاق والعمل بين الجميع"⁽¹⁾ .

وبذلك فقد أثر موقف حزب الشعب الجزائري على باقي الشبان الذين أفلتوا من مراقبة المؤتمر، ورغم جهود الشيوعيين في الحفاظ على نشاطات هذا الأخير فقد فشل، في مقابل تصاعد صوت وصدى حزب الشعب الجزائري، حيث كان هذا النجاح بفضل كفاح مناضلي الحزب ضد الإدارة الفرنسية من جهة، وضد الفاشية والمنظمات السياسية الجزائرية من جهة أخرى. لكن نجاح وتصاعد حزب الشعب قد عرضه إلى العديد من الهجمات والإفتراءات وذلك شيء طبيعي، فقد كتب فرحات عباس: "...مصالي ودون علم منه يظهر كرجل العناية الإلهية. لكن هذه المناورة من الطراز العالي(المزايدة في المؤتمر الإسلامي ببرنامج لايمكن تحقيقه) قد أحبطت. وباريس تبقى ثقتها فينا والحاج مصالي بقي لوحده في مواجهة عمله، في حين يضحى به أولئك الذين استغلوه، ومصيره هو السجن والإدانة الثقيلة"⁽²⁾ .

من خلال خطاب فرحات عباس وعباراته الموجهة للحزب، يظهر جليا أن هذا الأخير وشركائه من الإصلاحيين عجزوا عن فهم حقيقة الوضع آنذاك وإدراكها بشكل صحيح ماجعلهم كضحايا للنظام الاستعماري وطموحاته الخفية. كما يتضح من ذلك مدى اقتناع حزب الشعب الجزائري بمواقفه النضالية و وقوفه في وجه الفاشية، حيث صرح: " أن حزب الشعب الجزائري ليس له أي شبه مع حزب الشعب الفرنسي، ولايمكن إطلاقا أن يكون بين هذا الحزب الذي يمثل الأمل الجديد للبرجوازية ، وحزب كبار الكولون في الجزائر، وبين حزب الشعب أي قاسم مشترك"⁽³⁾ .

(1): أحمد مهساس، نفس المرجع، ص 166

(2): نفس المرجع، ص 167.

(3): نفس المرجع ، ص 168

نتيجة لهذه المواقف النضالية الخالية من اي خلفيات غير الإصرار على الاستقلال التام والسيادة الوطنية الكاملة، التي تميز بها حزب الشعب الجزائري منذ ظهوره، أصبح بذلك وجهة سياسية للعديد من الشباب المثقف الذي أصبح يعي بدوره ضرورة الإلتزام السياسي، مثلما يبينه هذا التصريح من طرف أحد مثقفي الحزب: "...أما الإمبريالية الغافلة التي تجتر طرقها التقليدية ، وجه مصالي الحاج نداءا لنوي الإرادة الحسنة الذي لا يكتفون بالمعرفة، ولكن يريدون العمل."، " نتعهد بأن نعمل على أن نكون جديرين بالثقة التي وضعها فينا مصالي". أخذ بذلك المثقفون يلتحقون بالحزب شيئا فشيئا مقتنعين بفكرة النضال والكفاح المستمر من أجل الاستقلال، وبذلك إذن سيتشكل الرصيد الثقافي الثوري الذي سوف ينبثق منه التيار الثوري المحايد الذي يتحمل مسؤولية الثورة ، ليمنح بذلك مفهوما جديدا للمثقف، بأنه شخص يناضل من أجل مصلحة شعبه و وطنه ويتمرد ضد النظام الحاكم، وهو من أتفق على تسميته بالمثقف الثوري.

لكنه ورغم النشاط المحدود للحركة الوطنية واختلاف المواقف والإيديولوجيات بين أحزابها، فإنها كانت تتسم عن غيرها من الحركات الأخرى بالاساليب الثورية ونظرة الشمولية للقضية الوطنية(1)، ومن هنا تشكلت الإيديولوجية الوطنية الجزائرية بمسارها التاريخي وتحديها النضالي، والتي انبثقت بدورها عن التراث الإسلامي العفائي ودور الطرق الصوفية والزوايا التي برزت أكثر عند تطور سلطة الدولة ومركزية الحكم وعقلنة المؤسسات. حيث لعبت أدوارا هامة في الحفاظ على بيئة الفرد داخل مجتمع أصبح يحاصر حريته وارتباطاته العضوية التقليدية.

2- أحداث 8ماي 1945 في منظور المثقف الجزائري:

كان العالم آنذاك يعيش أياما تاريخية، فقد أجبرت ألمانيا على الاستسلام تحت ضربات الإنجليز والسوفييات والأمريكان . وقد تم تحديد 8ماي1945 يوما للإحتفال بالنصر. وفي هذه المناسبة التاريخية عرفت الجزائر مظاهرات شعبية حاشدة، تم قمعها من طرف المستعمر بواسطة حمام من

(1): محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، مرجع سابق، ص 37.

الدماء رغم سلمية المظاهرات وتأكيد ذلك من طرف منظميها الذين يتفق أغلب المؤرخين على أنهم ينحدرون من حزب الشعب الجزائري(1) ، فكان لهذه الأحداث انعكاسات عديدة على الصعيد الوطني. وهي انعكاسات وإن اختلفت من حيث طبيعتها وتأثيرها، لكنها إلتقت عند نقطة واحدة وهي أنه لاجدوى من استمرار النضال السلمي الذي كان سائدا قبل تلك الأحداث.

يرى أغلب المؤرخين في التاريخ المعاصر بأن حركة ماي 1945 هي التي أنضجت فكرة الكفاح المسلح وسط الحركة المصالية وشكلت القاعدة الأساسية لإنطلاق ثورة نوفمبر 1954. لكن هذا الرأي حسب ما يوضح العربي الزبيري هو بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع، لأن فكرة العمل المسلح كانت موجودة بشكل مبكر(2)، ويؤكد أن قول ذلك يعتبر إجحافا في حق المناضلين الذين آمنوا مبكرا بالعمل المسلح كأفضل وسيلة لتحقيق الاستقلال الكامل . فلو عدنا إلى أواخر القرن التاسع عشر نجده حافلا بالمقاومات الشعبية في أماكن وأزمنة متعددة ومختلفة من الوطن. حيث كانت تتدلع بقيادة طلائع مثقفة ماجعل الإدارة الاستعمارية تبتذل كل مافي وسعها لضرب وتدمير الثقافة الوطنية التي كانت تسعى إلى توعية الجماهير لحمايتها من الإعتداءات الفكرية للمخطط الفرنسي.

كان الجيش الفرنسي كلما إنتصر في معركة ما أو أخمد مقاومة معينة ،يتوجه بعدها إلى تدمير المدرسة الجزائرية بجميع أنواعها والمسجد الجامع، والتنكيل بأحياء المثقفين الذين كثيرا ما أرموا على الهجرة إلى البلاد الإسلامية، أو يساقون إلى سجون فرنسا عبر مستعمراتها النائية. ومما لاشك فيه أن هذه الأعمال التخريبية كانت أكثر خطرا من العمل العسكري على الجزائريين. حيث تكمن خطورتها في القضاء على المصادر الثقافية وإلغاء المثقفين بمختلف الوسائل. وسوف

(1): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 141.
(2): العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، جزء 1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1999 ص 100.

تظهر نتائجه في الأمد البعيد حيث تتمثل في حرمان البلاد من الإنتاج الفكري الأصيل الذي سوف يساهم في بناء دولة قوية وحمائتها.

وهكذا تمكن الاستعمار الفرنسي تدريجيا وطيلة العشر سنوات من تغييب المثقف الجزائري وتهميشه. وفي مقابل ذلك إتجه إلى تكوين مصادر جديدة لثقافة غريبة وهي الثقافة التي سوف تؤدي إلى ظهور النخبة التي سوف تساهم بدورها في ترسيخ قواعد الاستعمار وإعداد أرضية خصبة لنشر أفكاره ومنظومته. وعلى هذا النهج الاستعماري تمكنت فرنسا من تحقيق عدة نتائج لاستئصال ثقافة الشعب الجزائري. لكنه رغم ذلك م يتمكن من القضاء نهائيا على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية ، التي استطاعت رغم كل العراقيل أن توجج روح المقاومة لدى عدد لا يستهان به من الإطارات الذين استطاعوا التمتع سياسيا وثقافيا. ثم إتجهوا إلى العمل بشتى الوسائل على نشر الوعي وإيقاظ العقول وسط الجماهير الشعبية.

فتمكن بذلك هؤلاء من مواصلة النضال رغم العنف الاستعماري، وواصلوا حلقات المقاومة المسلحة التي يزعم بعض الفرنسيين وخريجي المدارس الفرنسية أنها انتهت مع نهاية القرن 19، واضعين في طي النسيان مقاومة الأوراس والهقار سنة 1916، وفي الأوراس والشمال القسنطيني سنتي 1934، و(1)1935.

فمن هذا المنطلق إذن وحسب رأي الزبييري، إن فكرة الكفاح المسلح في الجزائر ليست وليدة ما بعد أحداث 8ماي 1945 والحرب العالمية الثانية ، بل وجدت منذ اللحظات الأولى للعدوان الفرنسي على الوطن. إذ لم تكن تلك الأحداث إلا أحد الحلقات الثورية لجهاد الشعب الجزائري الذي لم يؤمن طيلة الفترة الاستعمارية سوى بفكرة واحدة لاسترجاع السيادة الوطنية، ألا وهي فكرة الكفاح المسلح.

(1): العربي الزبييري، نفس المرجع ، ص 102.

كما يمكن القول بأن هذه الأحداث أو المجازر لم تقم إلا بتجديد منطق ولغة الكفاح المسلح التي كان قد تخلى عنها الشعب الجزائري لمدة من الزمن وإعادة بعثها من جديد. حيث يعود ذلك التخلي لأسباب وعوامل كثيرة جدا. فجاءت الأحداث في تلك المرحلة لتؤكد الألتقاء عند نقطة واحدة، وهي أنه لافائدة من استمرار أسلوب النضال السلمي الذي كان سائدا قبل هذه الأحداث في تعامل الحركة الوطنية مع السلطات الاستعمارية.

ولو تعمقنا في هذه الأحداث سنجد أنها تعود في الأصل إلى إنشاء أحباب البيان والحرية في مارس 1944⁽¹⁾، وما أعقب ذلك من نشاط ودعاية ويقظة وطنية. ودفع ذلك أيضا إلى القيام بإتصالات علنية وسرية بين قيادات الحركة الوطنية بهدف تحقيق أهداف البيان المعلنة فيه. تألف هذا الحزب بمدينة سطيف، وقد ضم أعضاء من النواب والنخبة وحزب الشعب والطلبة والكشافة والعلماء، فكان عبارة عن جبهة متكونة من متحالفين مثقفين أكثر منه حزب متماسك العضوية والإيديولوجية. وماشجع أعضاء الحزب هو النفوذ الأمريكي الإنجليزي بالجزائر، والضعف الذي كانت تعانيه فرنسا، إضافة إلى استعداد الشعب الجزائري للتضحيات. حيث خلال وقت قصير انضم إلى حزب الأصدقاء - كما يسميه سعدالله - عدد كبير من الأتباع بلغ عددهم 500 ألف شخص⁽²⁾، وكان الهدف الأسمى هو الدفاع عن مطالب البيان، ونشر أفكار جديدة بين الشعب، واستنكار النظام الاستعماري بالجزائر وهو بداية التغيير الذي سوف يشكل مسقبلا منطلقا هاما لدى المثقف الثوري الذي تبنى تفجير ثورة الفاتح نوفمبر 1954. فهذا ما يؤكد عليه زهير إحدادن بقوله: "إن أحداث 8 ماي 1945 هي نتيجة لنشاط بدأ سنة 1943"⁽³⁾ وهو يقصد بذلك بيان 10 فيفري 1943 الذي وقع عليه عدد من النواب والشخصيات المثقفة على رأسها فرحات عباس.

(1): سعدالله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1992، ص

227

(2): سعدالله، نفس المرجع، ص 228

(3): تضمن هذا البيان إعراف بالسيادة الوطنية، وضرورة تكوين حكومة جزائرية تتولى شؤون البلاد. للمزيد أنظر: زهير إحدادن، شخصيات ومواف تاريخية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص 136.

ونظرا لأن حزب الشعب قد حل منذ 1939 فلم يكن يوسع العمل العلني، مادفع بالكثير من أتباعه إلى الإنضمام إلى أحباب البيان كستار لأهدافهم. أما العلماء فقد أيدوا هذا الحزب تأييدا ماديا ومعنويا،، كما أن الشيوعيين أيضا قد أيدوا الحزب فسانده كاتبهم العام السيد عمر أوزقان(1). ومن جهة أخرى لقي الحزب تأييدا من جمعية الكشافة الإسلامية الجزائرية والمنظمة الشيوعية "أحباب الديمقراطية". وأمام هذا الوضع تضخم عدد أحباب البيان وأصبح له 165 فرعا في جميع أنحاء البلاد.

عودة النشاط السياسي:

إثر عمليات القمع الرهيب التي جرت في شهر ماي 1945، عاشت الحركة الوطنية مرحلة عصيبة جدا بحيث كان زعمائها وإطاراتها إما رهن الإعتقال أو مضطرين إلى التخفي في كنف السرية. فلم يبق على الساحة السياسية سوى الحزب الشيوعي الجزائري المرتبط بالحزب الشيوعي الفرنسي، وهو الحزب السياسي الوحيد الذي كان ينشط في ميدان النشاط السياسي الشرعي. فبعد مرور خمسة أشهر على هذه المجازر الدامية حيث الجزائريون لازالوا تحت الصدمة، وجدوا أنفسهم أمام دعوة الفرنسيين لهم بالإشتراك في إنتخابات المجلس التأسيسي الأول المقرر إجراؤها في 21 أكتوبر 1945(2). حيث لم ينشط على الساحة السياسية آنذاك سوى الحزب الشيوعي الجزائري، وإتحادية المنتخبين المسلمين بزعامة ابن جلول، في حين أن زعيم حركة أحباب البيان والحرية فرحات عباس، وزعيم حزب الشعب مصالي الحاج، ورئيس جمعية العلماء المسلمين البشير الإبراهيمي كانوا رهن الإعتقال. حيث رفض حزب الشعب وحركة أحباب البيان المشاركة

(1): عمر أوزقان ولد بمدينة الجزائر، بدأ يمارس نشاطه السياسي منذ العشرينات وهو موظف بالبريد، وشغل عدة مناصب نقابية، إلتحق بالحزب الشيوعي الجزائري وأصبح بذلك كاتباً للمؤتمر الجزائري. كان من دعاة مجتمع متعدد الأجناس، ومن دعاة تحرير المرأة، إلتحق عام 1955 بجهة التحرير وكان من محرري ميثاق الصومام. للمزيد أنظر: محمد حربي، المصدر السابق، ص 185.

(2): عامر رخيطة، أحداث 8ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 88.

في الإنتخابات، ووزعو مناشير تدعو إلى عدم المشاركة فيها، إذ لقيت إستجابة كبيرة لدى الشعب الجزائري باستثناء إتحادية المنتخبين(ابن جلول) التي دخلت الإنتخابات وحصلت على 7 مقاعد من أصل 13 مقعدا، حيث قدم ابن جلول بعض المقترحات حول سياسة الإدماج لكنها رفضت من طرف المجلس.

ومن أجل تفادي تفاقم الوضع بعد مجازر ماي 1945، وتأزم العلاقة أكثر بين الطبقة السياسية الجزائرية والسلطات الفرنسية. قامت هذه الأخيرة بإصدار قرار العفو العام في 16 مارس 1946، والذي بموجبه أطلق سراح فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي الذين كانوا رهن الإعتقال على إثر أحداث 8 ماي 1945.

تأسيس UDMA:

تمكن فرحات عباس بعد إطلاق سراحه بحوالي شهر من تأسيس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، حيث لم يختلف برنامج هذا الحزب عن سابقه. فقد طالب بالقضاء على الاستعمار الفرنسي وحق تقرير المصير، والقضاء على الملكية الإقطاعية، وترسيم اللغة العربية. والملاحظ أن هذه المطالب تعكس التطور الإيجابي الحاصل لدى أفراد الحركة الوطنية بعد مجازر ماي 1945. على رأسها الإتحاد الديمقراطي والذي أوضح زعيمه فرحات عباس برنامجه قائلا: "لأنريد إدماجا ولا سييدا جديدا ولا انفصال، بل غايتنا هي إبراز شعب فتني يتكون تكويننا ديمقراطيا وإجتماعيا ويجهز في الميدان الصناعي والعملية وبدأت على تجديد ثقافته وأخلاقه، ويشترك مع دولة قوية وحررة وغايتنا هي إنشاء دولة تقود خطاها الديمقراطية الفرنسية، هذه هي الصورة التي كنا نحلم بها وهذا ماكانت تسعى إليه بالضبط حركتنا الرامية إلى بعث الجزائر"⁽¹⁾. إذن فمن الملاحظ أن فرحات عباس رغم تخليه عن فكرة الإدماج لكنه لازال يؤمن بفكرة الارتباط بفرنسا ولو بشكل جديد.

(1): يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، مرجع سابق، ص 117.

شارك الإتحاد رغم قاعدته الشعبية الضعيفة في إنتخابات الجمعية التأسيسية التي جرت في جوان 1946، حيث قاطع حزب الشعب الجزائري هذه الإنتخابات ودعى الجماهير إلى مقاطعتها مدعياً أن المشاركة فيها قد يعني قبول الإندماج. وبلغت في الأخير نسبة الممتنعين عن المشاركة حسب أحد الإحصائيات 700 ألف ، مايدل على القاعدة الشعبية الواسعة لحزب الشعب بين الجماهير الجزائرية ،من جهة أخرى حصد الإتحاد 11 مقعداً من أصل 13 (مايعادل 458 ألف صوت)⁽¹⁾، بينما حصد الشيوعيون 53396 صوتاً. شجع هذا النجاح فرحات عباس ورفاقه على محاربة الإندماج من خلال تقديم برنامجه الجديد إلى البرلمان الفرنسي. لكنه لم يحقق شيئاً ملموساً خاصة بصدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة في أكتوبر 1946 ، الذي من بين بنوده "الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا".

حركة MTLD:

بعد إطلاق سراحه، إنتقل مصالي الحاج إلى الجزائر العاصمة في 12 أكتوبر 1946، أين طرحت مسألة المشاركة في إنتخابات المجلس الفرنسي خلال لقائه بالمسؤولين في حزب الشعب. غير أن الإدارة الفرنسية اشترطت عليه تغيير اسم الحزب للسماح له بالمشاركة في الإنتخابات. وهو ماحدث فعلاً، فقد أنشأ مصالي الحاج إلى جانب الدكتور لمين دباغين ، حسين الأحول، أحمد مزغنة ومحمد خيضر حركة أسموها حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وهي في الاصل استمرار لحزب الشعب الجزائري الذي حل في 1939 تحت غطاء جديد. أما أهداف ومطالب الحركة تمثلت في:⁽²⁾

– إلغاء النظام الاستعماري وإقامة نظام سيادة جزائرية ، وإجراء إنتخابات عامة على درجة واحدة من غير تفريق في العنصر أو الدين

(1): عامر رخيطة، المرجع السابق، ص 94.

(2): نفس المرجع، ص 91

- إقامة جمهورية مستقلة ديمقراطية اجتماعية تتمتع بكامل الصلاحيات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وأن تكون سياستها مبنية على:

- الحياد الإيجابي، وتدعيم الصلات بالمجموعتين العربية والأسبوية

- العمل على إيجاد إتحاد إفريقي.

أي أن مطالب الحزب لم تتغير بشكل كامل، بل بقيت متمسكة بمطلب الاستقلال والسيادة الوطنية الكاملة، رغم كون الحزب في هذه المرحلة سوف يمارس الإنتخابات لأول مرة في تاريخ كفاحه السياسي بالجزائر، فقد رأى في ذلك طريقة جديدة للتعامل مع السلطات الفرنسية تمهيدا لإيصال صيت القضية الوطنية للمحافل الدولية بالخارج، لكنه لم يحد عن مطلبه الرئيسي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الطبيعة الثورية لقادة حزب الشعب الجزائري وحركة الإنتصار من بعده.

إن مشاركة حركة الإنتصار في الإنتخابات تدعو إلى القول ببعض التناقض في مواقفها، فبعد أن قاطعت إنتخابات جوان 1946 ودعت إلى مقاطعتها، شاركت في إنتخابات المجلس الفرنسي بعدها بدعوى أن تلك المرحلة كانت مرحلة تأثيرات للحرب العالمية الثانية وكثرة المشاريع الرامية إلى إلحاق الجزائر بفرنسا. حيث لا يجب حسب رأيهم أن يبقى الحزب بعيدا عن المعارك الانتخابية بإعتبارها أحد وسائل النضال السلمي. كما أن مصالي الحاج رأى في المشاركة في الإنتخابات وسيلة لعرض القضية الجزائرية أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي.

من الملاحظ أن الإدارة الاستعمارية قد سمحت لكلا الحزبين سواء حركة الإنتصار أو الإتحاد الديمقراطي بالمشاركة في الإنتخابات وممارسة نشاطهما بشكل عادي، بنية أن يدخلوا في صراع بينهما ويزيد من تآزم الوضع أكثر. أما هي فتبقى مرتاحة تطلع على الوضع من بعيد. خاصة وأن فرحات عباس ورفاقه ورغم تخليهم عن فكرة الإدماج وإعترافهم بأهمية دعوة حزب الشعب إلى عدم الثقة في الفرنسيين، لكنهم لم يقرروا استعمال العنف نظرا لطبيعة تكوينهم.

لكن السلطات من جهة أخرى قد غفلت عن أمر مهم، وهو أن أتباع حزب الشعب الجزائري والعديد منهم كان معتصما بالجبال يتدربون على استعمال السلاح وحرب العصابات والكمائن استعدادا للمعركة المقبلة.

إن مشاركة حزب الشعب الجزائري في الإنتخابات الفرنسية لم تحقق الأهداف التي كان يطمح إليها الحزب، ذلك لأن السلطة الفرنسية وخاصة المستوطنين كان هدفهم الأول هو تهميش حركة إنتصار الحريات الديمقراطية داخل المجلس الجزائري، حيث كان بإمكانه الفوز بأغلبية ساحقة لولا اللجوء إلى تزوير الإنتخابات⁽¹⁾. فكانت بذلك هذه التجاوزات عبرة لحزب الشعب الجزائري وسببا كافيا للإقتناع بأن العمل السياسي الرسمي والمشروع ماهو إلا وهم لاغير. وهذا ماكان له أثر حاسم في تشجيع حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية إلى إتخاذ موقف أكثر راديكالية ولجونه إلى العمل السري، ودفعه بشكل أخص إلى البحث عن جهاز عسكري قادرا على تجسيد أهدافه أي المنظمة الخاصة.

وعموما فإن أحداث ماي1945 لم تأتي عشوائيا، ولم تكن حادثة تسببت فيها مجموعة أشخاص أو منظمات بل هي تسلسل تاريخي فرضته الأحداث المتتالية وحتمية الظروف القاسية، فأدت إلى تبلور الإتجاه الثوري وتمسكه أكثر بفكرة الاستقلال التام، وبداية الإقتناع بالحل العسكري كسبيل وحيد لتحقيق الاستقلال. أي أنه يمكن القول بأن مجازر 8ماي1945 تعتبر عاملا مساعدا على تبلور فكر المثقف الثوري، لأنها جعلت مناضلي الأحزاب الوطنية وعلى رأسهم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية يقتنعون بعدم جدوى العمل السياسي، وبأن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة، فرأوا بأنه من الضروري البدء في الاستعداد للكفاح العسكري المنظم في هذه المرحلة المبكرة. فظهرت فكرة تشكيل منظمة سرية مهمتها الإعداد السري للعمل المسلح، وسوف تكون بمثابة الجناح العسكري لحزب الشعب الجزائري.

(1): بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، مصدر سابق، ص 169

لكن أمر هذه المنظمة إنكشف عام 1950 عن طريق الصدفة⁽¹⁾ ، بعد أن قام بعض مناضلي الحزب بعملية بحث عن أحد عملاء الإدارة الفرنسية الذي قام بالتقرب من بعض أعضاء المنظمة خفية، لكن الشرطة الاستعمارية سرعان ما انتبهت إلى الأمر وقامت بملاحقة هؤلاء وإلقاء القبض عليهم، فتعرفت فوراً على السر وشنت بذلك حملة إعتقالات واسعة في جميع أنحاء القطر شملت أكثر من ألف شخص كلهم أعضاء في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.

عاشت هذه المنظمة السرية ثلاث سنوات كاملة استطاعت قيادة الأركان خلال العامين الأول والثاني من إرساء قواعد آلة حربية قوية قادرة على نقل النضال الوطني إلى مرحلة العنف الثوري. لكن ذلك لم يحدث ليس بسبب الظروف الخارجية كما يوضح ذلك بن يوسف بن خدة⁽²⁾ الذي لم يأخذ في الإعتبار أوضاع فرنسا التي لم تكن قوية كما أصبحت عليه سنة 1954. بل لأن الإدارة الاستعمارية تمكنت بشتى الوسائل من خرق القيادة السياسية لحزب الشعب ، ولأنها من جهة أخرى أحكمت التخطيط لما يسمى بالأزمة البربرية.

إن المتتبع لمجازر 8 ماي 1945 يستخلص بوضوح بأن موعد الكفاح المسلح بدأ يقترب بشكل تدريجي ، وأن الثورة أصبح ضرورة حتمية ولا بد منها، فقد كان لها العديد من الإنعكاسات والمواقف سواء على الصعيد السياسي بالنسبة لمتقفي الحركة الوطنية وخاصة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، أو على الصعيد الشعبي يمكن حوصلتها كالاتي:

– أشعلت هذه المجازر روح الإنتقام من المستعمر سواء بالنسبة للمناضلين السياسيين أو الجماهير الجزائرية، مايدل على تشكل الروح الثورية على الصعيدين واستعدادهما لخوض العملية الثورية.

(1): يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 30
(2): يذكر بن يوسف بن خدة أن هناك عوامل خارجية متعددة زادت من استحالة قيام أول نوفمبر في ذلك التاريخ 1950 منها الأوضاع التي كانت تعيشها الدول الشقيقة مصر تونس والمغرب التي لم تصل بعد إلى الإيمان بفكرة النضال العسكري نظرا للوقائع التي كانت سائدة فيها آنذاك. للمزيد أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق ، صص 212-213

- الإقتناع الشعبي التام بأن العمل المسلح هو العمل الوحيد الكفيل بتحرير الجزائر، وفي هذا الصدد يذكر أحد الدارسين أن "المناضلين أثناء قيامهم بالدعاية في الأوساط الريفية وجدوا أن الناس أصبحوا يطالبون بالأسلحة بدلا من الكلام الذي أصبح عندهم لايفيد " .

- العزوف عن المشاركة في الإنتخابات، إذ إقتنع الرأي العام الشعبي بعدم جدوى سياسة الإنتخابات والتي بدأ منذ 1945 بمقاطعتها، ومما زاد في هذه القناعة هو ذلك التزوير العلني لنتائج إنتخابات 4 أفريل 1948 وماتلاه من قمع للمواطنين عامة ومناضلي الحركة الوطنية خاصة.

- لقد أثر السخط والرفض الشعبي بشكل كبير ومباشر على مثقفي حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، الذي أصبحوا يتخوفون من تحول حركتهم إلى حركة إصلاحية غير مؤهلة لإحتواء الطرح الثوري المتبلور في الإتجاه الشعبي والذي ينادي بضرورة الإنتقال للعمل المسلح الثوري.

خلاصة المبحث الأول:

يتضح من خلال ماسبق بأن الحركة الوطنية الجزائرية قامت على أكتاف العمال الجزائريين، وكانت تمثل الطبقة العاملة المهاجرة أولاً، فتأثرت بالأوضاع التي كانت تسود أوروبا في تلك الفترة من أفكار تحررية وايدولوجية ثورية، ونهاية الحرب العالمية الأولى التي أفضت إلى حركة عمالية ثورية على إثر إنتصار الثورة البلشفية بروسيا القيصرية. إضافة إلى مبادئ ولسون الأربعة عشر التي أثمرت على مستوى الشعوب وليس الحكومات.. فكل هذه الأحداث قد أثرت بشكل فعال على العنصر الجزائري وصبغت الإيديولوجية الجزائرية بالصبغة الثورية ومنحتها روحاً جديدة ونظم مساهمة للتطور التاريخي الحاصل، فأدى ذلك إلى تكوين المناضل السياسي الذي يفرض وجوده واحترامه على المستعمر في عقر داره ويساهم في معركة التحرير دون مراعاة للإعتبارات الجنسية واللونية.

هذا من ناحية التأثيرات الخارجية، أما داخليا فقد تفاعلت العديد من التطورات أيضاً أدت كلها إلى تبلور فكر المثقف الثوري الجزائري. فقد كان هناك رصيد اسلامي قوي جمع بين المهاجرين في أرض الغربة فأثار فيهم النخوة والكرامة وبعض العادات والتقاليد التي كانت لهم حصناً يمنعهم من الدوبان في الحضارة الفرنسية. إضافة إلى أحداث المشرق العربي وخاصة حركة الجامعة الإسلامية الهادفة إلى إصلاح أوضاع المسلمين والتخلص من تبعات الاستعمار عبر أقطار العالم العربي والإسلامي.

فأما هذه الأوضاع ظهرت حركة الجزائر الفتاة التي يتفق الكثير من المؤرخين على أنها لم تتمكن من تحقيق وتجسيد مطالبها لأنه لم تعش طويلاً، لكنها كانت أول من وعى الجزائري بقدرته على الإنخراط في العمل السياسي والمشاركة في إعادة بناء مؤسسات الدولة الجزائرية والمجتمع، لأنها جمعت بين عدة مثقفين ومتعلمين تخرجوا من المدارس الفرنسية وكانوا على وعي تام بأوضاع الأهالي آنذاك، مادفعهم إلى التركيز في مطالبهم على إلغاء القوانين التعسفية والتمثيل السياسي

والإهتمام بالتعليم. فقد بلوروا بذلك خطابا تاريخيا كان مرجعية لسائر التنظيمات السياسية التي سوف تظهر بعده.

من الملاحظ إذن أن مثقفي الجزائر الفتاة كان لمطالبتهم مرجعية إيديولوجية واضحة وهي مدى إدراكهم لمعاناة الشعب الجزائري، وتطلعاتهم العميقة للمشاركة في بناء مؤسسات الدولة، خاصة وأنهم درسوا في مدارس فرنسية وتمكنوا من المقارنة بين تعليم الجزائري والفرنسي، واكتساب أفكار تحررية ومنهجية العمل السياسي. فإن هذه النخبة لم تنحدر من عائلات أرستقراطية أو إقطاعية ولا من طبقات المال والثراء، ولا تستند كما يقول نور الدين ثنيو إلى اعتبارات النسب الشريف ولا إلى العائلات العريقة ونظم الطرق والزوايا، بل دخلت إلى الميدان برصيدا من التكوين والتعليم ونمط التفكير الحديث الذي تلقته في المدارس الفرنسية، خلافا للطرقيين ورجال الدين ومن ينتمون إلى فئة المحافظين الذين لم يستوعبوا فكرة المجال العام، ولا ثقافة الدولة الحديثة التي تعمل بالمؤسسات، فإن حزب الجزائر الفتاة كان يضم مجموعة من الشباب المتعلم القادر على النظر في المسائل الإجتماعية والسياسية من وحي ثقافة الدولة.

وهذا ما يدل كما ذكرنا أنفا على مدى تأثير بيئة المثقف على فكر وتفكير المثقف بحد ذاته، فإن المثقف هو ابن بيئته. فمن هذه البدايات والإعتبرات أضحت الحركة الوطنية تتميز عن غيرها من الحركات العربية والإسلامية بعدة خصائص وامتيازات منها:

- شمولية وعمق نظرتها للقضية الجزائرية التي جعلت من الهدف الأساسي هو تحقيق الاستقلال التام وتحرير الجزائري من السيطرة الأجنبية بجميع مظاهرها السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية.

- وجود العنصر العمالي منذ ظهور بواذر العمل السياسي كركيزة أساسية ثورية، في حين ضمت الحركات الوطنية في البلدان الأخرى المثقفين فقط وأصحاب المناصب العليا، غير أن العنصر

العمالي في الحركة الوطنية هو من منحها إيديولوجية ثورية لأنه كان مطلعاً وواعياً بالأوضاع السائدة آنذاك داخل وخارج الجزائر وحقيقتها.

– إعتادها على العمل الثوري لتربية المناضل وتدريبه على تحمل المسؤولية بشجاعة وحزم.

– إحتكاك الأحزاب السياسية ببعضها البعض، رغم تخصصها أحيانا واختلاف أهدافها وبرامجها، وهذا ماجعل المناضل السياسي مستعداً لكل جديد ولأي هجوم.

– الديمقراطية التي اتسمت بها الحركة ماجعل سائر المناضلين يشاركون بأرائهم في الإجتماعات العامة ويدافعون عنها بكل حرية وقناعة.

– أثرت نظرياتها الثورية في ميدان العمل، فكانت الأفكار تتولد من العمل وتقود إلى العمل.

– ومن أهم خصائصها هي طبيعة إيديولوجيتها الثورية التي تبلورت من خلال كفاح ونشاط نجم الشمال الإفريقي والواقع الاستعماري الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري إجتماعية معينة، و واقع تاريخي يأخذ بعين الإعتبار العقيدة الإسلامية والعادات والتقاليد.

وبذلك يمكن القول بأن الحركة الوطنية لم تظهر بشكل عشوائي، وإنما هي تطور تاريخي تبلور بظهور المقاومات الشعبية التي ورغم نجاحها المحدود فقد أرست فكرة رفض الاستعمار بكل أشكاله، والسعي إلى التخلص من السيطرة الاستعمارية بكل الوسائل المتاحة. فما إن انتهى عهد المقاومات الشعبية الجزائرية، ظهرت مجموعة تغيرات ثقافية وسياسية وفكرية التي ظهرت في العالم نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ساعدت على تبلور نشاط مجموعة من

المتقنين والمتعلمين رغم أن نشاطهم هذا لم يكن يرقى آنذاك إلى مكانة حركة وطنية أو تيار سياسي، تمثل في الشبان الجزائريين الذين مكنتهم ثقافتهم الفرنسية وأصولهم العربية الإسلامية من النظر الدقيق في القضية الوطنية، فكان الشبان أول من حاول التعبير عن حاجات الجزائريين من خلال بيانات وعرائض وصحف ولقاءات مع شخصيات سياسية فرنسية. فهم فعلاً لم يمثلوا حزبا

سياسيا بالمفهوم الدقيق، لكنهم نجحوا في التعريف بالمسألة الجزائرية بكافة جوانبها، فقد اتسم نضالها السياسي منذ البداية بصبغة سياسية ذو خلفية ثقافية مستمدة أصولها مما درسه في المدارس الفرنسية.

لو تعمقنا أكثر في بدايات الحركة الوطنية الجزائرية سنجد أن الوعي الوطني الجزائري قد بدأ من المهجر، هذا ماجسده حركة الجزائر الفتاة، وأكدت عليه ظهور الأحزاب السياسية من جهة أخرى. فقد تأسس نجم الشمال الإفريقي في المهجر، أي أن الوعي الوطني الحقيقي بالقضية الجزائرية بدأ من المهجر من خلال نشاط الطبقة العمالية هناك بعد احتكاكها بالنقابات والفئات المثقفة، فأضحى التغيير واسترجاع الحريات المسلوبة من أول إهتماماتها. فإن الماساة التي كان يعيشها الجزائريون تحت نير الاستعمار هي من دفعت بهم نحو الهجرة سواء داخل أو خارج الجزائر، ومن هنا بدأ انتعاش الحركة الوطنية الجزائرية. أما بعد ظهور حزب الشعب الجزائري 1937 فقد تراجعت سلطة الأشراف والأولياء نوعا ما وتقلص نفوذهم، فخلال عقد من الزمن (1926/1937) تغيرت العلاقات بين مختلف الجماعات المثقفة والنخب، وظهرت أحزاب سياسية إنساق الشعب الجزائري معها للخوض في حرب الاستقلال ضمن استراتيجية جديدة تتركز على أساليب وطرق نضالية جديدة لم تعدها الجزائر من قبل.

رغم تعدد الأحزاب والتنظيمات السياسية في تلك المرحلة، غير أن حزب الشعب الجزائري حظي بقاعدة شعبية عريضة، وذلك راجع إلى طبيعة إيديولوجيته الثورية المرتكزة على مطلب الاستقلال التام والحرية الكاملة، وهو الحزب الذي سوف ينبثق منه المثقف الثوري بالمعنى الدقيق للكلمة، ذلك لأن هذا الحزب قام على أساس مجموعة من الإعتبارات، منها أساسا أنه بدأ بنجم شمال إفريقيا في المهجر أي أنه ضم في صفوفه مجموعة كبيرة من الجزائريين الذين هاجروا هروبا من بطش الاستعمار لأنهم كانوا أكثر تضررا بالقوانين الاستثنائية على غرار غيرهم جماعة النخبة أو أعضاء أحباب البيان والحرية الذي درسوا ونشئوا في مدارس فرنسية وكانوا أكثر انفتاحا على الفكر

والثقافة الفرنسية. ففتتعت بذلك الاستقرارهم بفرنسا بضرورة الاستقلال عن السلطة الفرنسية بعد العودة لأرض الوطن. ففي الوقت الذي بدأ الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - وهو حزب موظفين ومعتدلين ذوي ثقافة غربية - يفقد شعبيته ،كانت حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية تحاول إيقاظ الوعي الثوري لدى الفلاحين بإعتبارهم الأكثر تواجدا في صفوف الحزب ،والأكثر تضررا من القوانين الفرنسية أيضا.

فمن رحم المعاناة الجزائرية التي دفعت بالكثير نحو الهجرة، تبلور الوعي الوطني الذي مر بمراحل وتطورات تاريخية أفضت في الأخير إلى ظهور نخبة ثورية مثقفة تسعى إلى تغيير الوضع القائم، نخبة ليست حاملة لشهادات ودبلومات أكاديمية ،لكنها عاشت معاناة عميقة خلقت في نفسها رغبة في التمرد ضد السلطة الاستعمارية، لأنها رأت في ذلك الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف المرجوة. على ذكر التطورات التاريخية، فقد عرفت الجزائر منعرجا تاريخيا حاسما خلق العديد من التغيرات السياسية والفكرية، وهو أحداث 8ماي1945، التي رغم بشاعتها على الشعب الجزائري فقد كان لها أثرا إيجابيا على التنظيمات والأحزاب السياسية. فقد بدأت هذه الأخيرة تقتنع شيئا فشيئا أن مبدأ "ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة" يجب أن يتم تجسيده على أرض الواقع، خاصة وقد انكشف الوجه الحقيقي للسلطة الفرنسية وحقيقة وعودها الكاذبة. إذن لقد تأكد المثقف الجزائري عامة والمثقف الثوري خاصة بشرعية وصحة طرحه المتمثل في الحل العسكري لتحقيق الاستقلال، فقد زادت هذه المجازر من قناعة الثوريين المؤمنين بأن السبيل الوحيد لمواجهة العدو واقتكالك حق تقرير المصير لن يكون إلا بإعتماد طريق العمل المسلح.لذلك بدأت قواعد حزب الشعب الجزائري تعرف بعض التأزم في صفوفها كاد أن يؤدي في مرات عديدة إلى إنفجار الوضع داخل أهم حزب سياسي في الحركة الوطنية ، هذا الوضع الذي عاشته الحركة طيلة سنوات 1947/1954 بسبب التناقض بين إتجاهين رئيسيين: أحدهما يمثل جزء من القيادة الملتفة حول شخص مصالي الحاج،

والآخر يمثل قاعدة التيار الداعي إلى تجسيد العمل الثوري ميدانيا. حيث لقي هذا الأخير صدى إيجابيا في الأوساط النضالية القاعدة الشعبية العريضة.

لكنه ورغم ذلك فإن مجازر 8 ماي 1945 رغم بشاعتها هي من أنضجت فكرة العنف الثوري لدى مثقفي الحركة الوطنية وخاصة مثقفي حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، بإعتباره الحزب الثوري الوحيد ، فأدى ذلك إلى تطور الأوضاع بشكل تدريجي من خلال ظهور المنظمة الخاصة ثم لجنة 22 ولجنة الستة التي وضعت حدا للأوضاع المتأزمة آنذاك من خلال إعتمادها الحل الثوري العسكري مقتنعة بأنه الأنسب لتحقيق مطلب الاستقلال وتغيير الوضع القائم.

- يتضح من خلال ماسبق أيضا بأن الحركة الوطنية مرت بمراحل مختلفة، عملت من خلالها على صياغة وإعداد جيل نوفمبر الثوري الذي تشعب بفكرة الثورة كوسيلة ضرورية للتغيير، كما هيأت له الأرضية الصالحة للعمل الثوري، فظهرت بذلك المنظمة الخاصة L'OS التي تعتبر بدورها محصلة نضالات ثورية سابقة، حيث فرضت على مناضليها شروطا دقيقة ومتعددة منها خاصة الغيمان بضرورة الثورة، والتركيز على الاستقلال كهدف اساسي.

المبحث الثاني: المثقف الثوري وعلاقته بالثورة التحريرية

أولاً: التحضير للثورة وتبلور النخبة الثورية

1- المنظمة الخاصة والإعداد للثورة

2- أزمة الحركة الوطنية وموقف المثقف الثوري

ثانياً: لجنة 22 نموذج المثقف الثوري

1- دراسة لأعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل

2 - ثورة نوفمبر في إيديولوجية المثقف الثوري

المبحث الثاني: المثقف الثوري وعلاقته بالثورة التحريرية

لقد شكلت إنطلاقة الفاتح نوفمبر 1954 بداية التغيير الجذري في الجزائر، هذا التغيير الذي كان وراءه طليعة ثورية من الشباب المناضل من أجل حرية بلاده بكافة الوسائل. فقد اقتنع هذا المناضل بفشل الحلول السياسية لتحقيق الهدف الوطني، فبدأ يستعد للتحضير للثورة المسلحة التي رأى فيها السبيل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية والحريات المسلوبة. وقد اختلفت انطلاقة نوفمبر عن كل انتفاضات التمرد، فبينما كانت الانتفاضات تهدف إلى النهوض الجماعي وتبحث عن الصدمات الحاسمة ضد الخصم، فإن إنطلاقة الفاتح نوفمبر جسدت بداية نشاط مجموعات صغيرة من المناضلين. هدفها الإستراتيجي كان قبل كل شيء تنظيم الشعب ونشر التعليمات الوطنية⁽¹⁾، فإن مهمتها الرئيسية هي إنهاض بنى جبهة التحرير الوطني. كما أن زعماء الفاتح نوفمبر 1954 من أمثال: ديدوش مراد، زيغود يوسف، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي.. وغيرهم لم يكونوا أصحاب ميول حربية كما يدعي البعض، بل إن ميزتهم الأساسية تتمثل قبل كل شيء في خبرتهم كمناضلين ثوريين. فمنذ نوفمبر 1954 وجدت غستراتيجية هذه الحرب تطبيقاتها في الجزائر. وهو ماسمح لها بأن تنمو على قواعد صحيحة وأن تؤدي إلى ولادة جيش التحرير الوطني المحور الاساسي للكفاح المسلح.

أولاً: التحضير للثورة وتبلور النخبة الثورية

1- المنظمة الخاصة والإعداد لتفجير الثورة:

كانت مجازر 8 ماي 1945 التي ذهب ضحيتها 45 ألف جزائري بين رجال ونساء وشيوخ وأطفال سببا في وضع حد نهائي لجميع الآمال التي كانت تراود مختلف الأحزاب السياسية بعود السلطات الفرنسية على إثر اندلاع الحرب العالمية الثانية، بتحقيق بعض المطالب التي سبق وأن تقدمت بها

(1): أنريه ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، ترجمة: ميشال سطوف، مراجعة وإشراف: سمير سطوف، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والعشهار، الجزائر، 2008، ص 35.

أغلبية الأحزاب الوطنية آنذاك. وهو مادفع بالتيارات السياسية وعلى رأسها حزب الشعب الجزائري إلى مراجعة نفسها لاكتشاف مواقعها الحقيقية. فكان لابد من تكريس مصداقية الحزب أمام مناضلي القاعدة ليتماشي مع مبادئه وأهدافه في استعادة الاستقلال بواسطة الكفاح المسلح، ومن هنا وقع التفكير في إنشاء جناح عسكري لحزب الشعب، وبالفعل تم تأسيس المنظمة السرية في 15 فيفري 1947 على إثر المؤتمر الأول للحزب الذي أصبح بعدها يحمل اسم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وعين محمد بلوزداد عضو المكتب السياسي على رأس المنظمة السرية والذي كان يمثل بجدارة الجيل الثوري⁽¹⁾. كما تشكلت من ثمانية أعضاء : محمد بلوزداد، آيت أحمد، محمد بوضياف، جيلالي رقيمي، أحمد مهساس وماروك. حيث كانوا كلهم مناضلين في حزب الشعب الجزائري ومشبعين بأفكار هذا الحزب الثورية الرامية إلى تحقيق الاستقلال التام. لذلك فإن إنشاء هذا التنظيم السري الشبه عسكري يعتبر منعرجا حاسما في مسار التيار الثوري للحركة الوطنية الجزائرية، فهي تجسد ذلك التطور النوعي من الناحية النظرية وتبلور جدية المنهج الثوري من الناحية العملية⁽²⁾، وثمره لجهود الرعيل الأول من المثقفين الثوريين الوطنيين الذي يعود لهم الفضل أساسا في وضع اللبنة الأولى للكفاح المسلح من خلال تشكيل تنظيمات ثورية توجت في الأخير بإنشاء المنظمة الخاصة التي قال بشأنها الزعيم مصالي الحاج: "إني موافق على إنشاء جناح عسكري يتولى تدريب المناضلين عسكريا ويكونهم سياسيا، وبذلك نكون قد هيأنا واستعجلنا جميع الوسائل من أجل تحرير البلاد"⁽³⁾.

كان المثقفين الثوريين قادة حزب الشعب مقتنعين جدا بفكرة العمل المسلح، حتى أن بعضا منهم حاول الحصول على دعم من الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، حيث منذ 1944 كان هؤلاء قد شكلوا فرقة كومندوس بمدينة الجزائر تتألف من 20 عضوا، كان هذا التنظيم تحت مسؤولية أحمد

(1): عرف محمد بلوزداد بذكائه وتواضعه وكفائه العالية في التنظيم وروح التضحية في سبيل القضية الوطنية. أحمد مهساس، الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 293
(2): أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر، مرجع سابق، ص 300.
(3): الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية(1954/1962)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: أ، د يوسف مناصرية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/2008، ص 29

بودة و محمد طالب. ويمكن إعتباره التشكيلة الأولى للمنظمة الخاصة، حيث انحصرت مهمته في حراسة مسؤولي الحزب والإشراف على سير الأمور بأمان خلال التجمعات الشعبية للحزب. ومن بين أعضائها: محمد بلوزداد، مصطفى عبد الحميد، و اعلي بناي، مصطفى دحمون، عبد القادر بودة، محمد هني... وغيرهم. أما الأسلحة فقد كان التنظيم يتزود بما يتم استرجاعه من الأسلحة الأمريكية المهربة إثر نزول الحلفاء بشمال إفريقيا في نوفمبر 1942.

في سنة 1945 كانت هناك حسب بعض المؤرخين محاولة إعلان ثورة شاملة⁽¹⁾، لكنها فشلت بسبب عدة عوامل منها إنعدام تنظيم مسلح على المستوى الوطني. وبعدها بسنتين تم تدارك هذا الخلل بمناسبة إنعقاد المؤتمر الأول لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.

أول مؤتمرات الحزب 15-16 فيفري 1947:

من التقاليد الراسخة لحركة الإنتصار الإمتناع عن المشاركة في الإنتخابات، لكنه بعد عودة مصالي الحاج من منفاه سنة 1946 أمر اللجنة المركزية بأن تتخذ موقفا إزاء إنتخابات المجلس الوطني الفرنسي. وبناءا على ذلك أقحم الحزب نفسه في ميدان الإنتخابات، لكن قيادة الحزب ومن أجل الحفاظ على مبدأ الكفاح المسلح وخوفا من الإنزلاقات، أمرت بعق مؤتمر للحزب جرت أعماله يومي 15 و 16 فيفري 1947. دارت خلالهما مناقشات ساخنة حول مسألة المشاركة في الإنتخابات، التي تقرر في الأخير بأنها ضرورية من الناحية الإستراتيجية.

لكنه ومن جهة أخرى تجادل المؤتمرين حول أساليب الكفاح: هل العودة إلى السرية مسألة ضرورية أم لا؟. وقدمت عدة تقارير لدراسة الكفاح المسلح من كل الجوانب، أهمها تقرير حسين حول الذي أفضى إلى ضرورة الإحتفاظ بالتنظيم الأم حزب الشعب الجزائري تحت غطاء قانوني "حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية". ثم قدم تقريرا آخر عن سير أعمال الكفاح المسلح

(1): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 176

وضرورة تعزيره وتجسيده هذه التحضيرات بإنشاء تنظيم شبه عسكري يسمى المنظمة الخاصة أو المنظمة السرية، وهي نواة جيش التحرير الوطني. ومن حيث أهدافها هي إمتداد للجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا(1) .

بعد يومين من المناقشات أقر المؤتمر مبدأ التحرر الوطني بجميع الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح، إذ اعتبرت المشاركة في الإنتخابات وسيلة من وسائل الكفاح . تم بعدها الإتفاق على تعيين اللجنة المركزية بشكل سري ،حيث تتشكل من خمسة أعضاء "مصالي الحاج، حسين لحول، دباغين، بوقادوم، بودة" وذلك من أجل كتمان هوية المسؤولين أمام السلطات الاستعمارية التي تسعى جاهدا إلى معرفتهم.

من بين الشخصيات المثقفة التي لعبت دورا في المؤتمر لمين دباغين وقد كان على رأس حزب الشعب من 1941 إلى 1945، أي عندما كان مصالي وقادة آخرون في السجن. قامت بعدها اللجنة المركزية التي تم تعيينها بإنتخاب مكتب سياسي يتكون من عدة أعضاء منهم: مصالي الحاج، حسين لحول، محمد لمين دباغين، عمر أوصديق، محمد بلوزداد، حسين آيت أحمد... وغيرهم.

محمد بلوزداد أول قائد هيئة أركان المنظمة الخاصة:

كان محمد بلوزداد أول مسؤول للمنظمة الخاصة. الذي لم يكن عمره يومها يتجاوز 23 عاما حيث شهد له قادة الحزب ومناضليه بالذكاء والشجاعة والقدرة الفائقة على التنظيم السري(2) .فكان بذلك أحد الإطارات الثورية المثقفة التي أعدت للثورة منذ سنة1947. حيث كان قبل ذلك من المشرفين على مظاهرات أول ماي 1945 بالجزائر العاصمة، لذلك كان من المطلوبين لدى الشرطة الفرنسية . ومع ذلك واصل بلوزداد نشاطه في كنف السرية تحت اسم مستعار (سي مسعود)، قرر بعدها

(1): عامر رخيعة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم، مرجع سابق، ص 113
(2): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 211.

التنظيم الحزبي نقله إلى شرق البلاد أين تمكن من رأب الصدع الذي لحق بالتنظيم جراء حملة القمع الفظيعة في ماي 1945، كما أشرف أيضا على تحضير مؤتمر فيفري 1947.

كان تاسيس هذا التنظيم السري وفي تلك المرحلة الحساسة بالتحديد، مسألة في غاية الدقة والأهمية، فقد رأى البعض من المناضلين غي حركة الإنتصار أن هذا التأسيس لن ينجح إلا إذا توفرت إطارات نشيطة على جميع المستويات⁽¹⁾، لذلك فقد منحوا قضية إختيار مناضلي المنظمة الخاصة أهمية كبيرة وحذرا شديدا، والواقع أن الشعور الثوري لدى المناضلين والجماهير لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال النشاطات المنظمة وبصورة مستمرة. خاصة وأن دور الإطار لم يتوقف على إبلاغ توجيهاً القيادة فحسب، بل إن دوره هو تنمية الصفات النضالية والتنظيم والسهر على تطبيق سياسة الحزب وتمثيله عموما.

فعندما كلف بلوزداد بتشكيل وقيادة المنظمة الخاصة، قام بمهمته على أساس معيارين: إختيار الرجال الذين يثق فيهم وكتمان السر. وقد أقيم بين المنظمة الخاصة والتنظيم الأم حزب الشعب حاجزا محكما وكان الشعار السائد يومئذ هو "أن تعرف أقل مايمكن" لتفادي تسرب المعلومات التي يسعى المستعمر إلى إنتزاعها تحت وطأة التعذيب. ويذكر حسين آيت أحمد في مذكراته أنه من الواجب على مناضل المنظمة الخاصة أن تتوفر فيه الشروط التالية⁽²⁾: النضال والوفاء للحزب أن يكون العضو مناضلا عتيدا فيه، أي من كان له عمل مستمر بالحزب من أجل استقلال الجزائر، والشجاعة هي المعيار الثاني فالذين ذاقوا القمع ومحنة السجون والاستنطاقات البوليسية ينظر إليهم بشكل إيجابي. أما المعيار الثالث أن يكون المجند من الشباب حيث كان التنظيم يبحث عن ديناميكية الشباب وقدرتهم على التأقلم. وكان المعيار الرابع هو الذكاء مع أنه لم يكن من الممكن تحديد مستوى تعليمي أدنى للمجندين، ولكن كانت تعطى الأولوية لذوي القدرات الفكرية. وبالنسبة

(1): أحمد مهساس، المرجع السابق، ص 296.
(2): حسين آيت أحمد، روح الاستقلال، مذكرات مكافح(1952/1942)، ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، ص 149.

لآخر معيار فهو ألا يكون العنصر ملفتا للإنتباه ويعرف معنى السرية. إضافة إلى ذلك اشترطت المنظمة على المنخرط فيها ان يتوفر على إمكانيات لمناقشة القضايا السياسية ذات البعد النضالي القوي(1)، ولعل ذلك كان كوسيلة لتفادي وقوع المنظمة الجديدة في صراعات أو نزاعات داخلية تحيد بها عن هدفها الاساسي وهو الإعداد للثورة.

من الملاحظ أنه في اختيار مناضلي رجال المنظمة الخاصة، وضعت شروط دقيقة جدا تركزت على الذكاء والتضحية والتشبع بمبادئ الحرية التي جعل منها حزب الشعب عقيدته الأولى، فكان أول وأهم شرط هو الوفاء لمثل وكفاح حزب الشعب الجزائري، باعتباره مدرسة ثورية تخرج منها العديد من المناضلين الذين سوف يحملون على عاتقهم مسألة تفجير العمل المسلح، وهم من شكلوا النخبة الثورية أو المثقف الثوري الذي جسد أهداف حزب الشعب والجزائريين في الثورة على أرض الواقع. أي أن ملامح المثقف الثوري الذي فجر ثورة نوفمبر 1954 بدأت في الظهور منذ هذه المرحلة المبكرة، مايدل على أن هذا الكائن كان وليد تطور مجموعة من الأحداث والتطورات الاستراتيجية جعلته يتبنى الثورة كحتمية لا بد منها.

وفي مارس 1947 أي بعد المؤتمر مباشرة، بدأت عملية إختيار المناضلين الأوائل في التنظيم بعد إجراء إنتقاء صارم من طرف بلوزداد نفسه، كما كانت خطته تتمثل في تأسيس مخازن للأسلحة في المناطق الجبلية بالأوراس ، والشمال القسنطيني ومنطقة القبائل والونشريس، وفي المدن الرئيسية (الجزائر، وهران، قسنطينة)(2).

- إذن فإن المنظمة الخاصة لم تظهر إلى الوجود صدفة، بل تعود جذورها إلى قرارات المؤتمر الثاني لحزب الشعب الجزائري. ولئن كانت حركة الإنتصار قد وجدت صعوبات كبيرة في أعمال الهيكله والتعبئة ، فإن المنظمة السرية قد تمكنت في ظرف عام واحد من تجنيد حوالي ألفي

(1): علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946/1962، دار القصة للنشر، الجزائر، ص 35.
(2): نفس المصدر، ص 34

مناضل⁽¹⁾ من الشباب الثوري الواعي بضرورة العمل المسلح والمخلص لوطنه. ثم زودتهم بتعليم عسكري في إطار حرب العصابات ودربتهم على استعمال الأسلحة. و منحتهم تكوينا سياسيا محضا من خلال تهيئة المجدد على التأطير الناجح في أوساط الجماهير وقيادة المظاهرات في المدن وتوعية المواطنين و غرس الروح الوطنية في الشباب ، مايدل على أن المنظمة الخاصة كانت بمثابة مدرسة لتكوين المناضلين تكوينا شاملا يجعلهم قادرين على تحمل مسؤولية الثورة بشكل كامل، إذ يقول المناضل محمد بوضياف عن التكوين السياسي داخا هذا التنظيم: " كان تكوينا معنويا أكثر منه سياسيا فهو يتضمن دروس حول صفات المناضل الثوري، حقوقه و واجباته، دوره، روح التضحية، المبادرة، نكران الذات، تصرف المناضل في مواجهة الشرطة..."⁽²⁾.

لكن أمر هذه المنظمة إنكشف عام 1950 عن طريق الصدفة⁽³⁾ ، بعد أن قام بعض مناضلي الحزب بعملية بحث عن أحد عملاء الإدارة الفرنسية الذي قام بالتقرب من بعض أعضاء المنظمة خفية، لكن الشرطة الاستعمارية سرعان ما انتبهت إلى الأمر وقامت بملاحقة هؤلاء وإلقاء القبض عليهم، فتعرفت فورا على السر وشننت بذلك حملة إعتقالات واسعة في جميع أنحاء القطر شملت أكثر من ألف شخص كلهم أعضاء في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.

عاشت هذه المنظمة السرية ثلاث سنوات كاملة استطاعت قيادة الأركان خلال العامين الأول والثاني من إرساء قواعد آلة حربية قوية قادرة على نقل النضال الوطني إلى مرحلة العنف الثوري. لكن ذلك لم يحدث ليس بسبب الظروف الخارجية كما يوضح ذلك بن يوسف بن خدة⁽⁴⁾ الذي لم يأخذ في الإعتبار أوضاع فرنسا التي لم تكن قوية كما أصبحت عليه سنة 1954. بل لأن الإدارة

(1): العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 179.

(2): عامر رخيبة، المرجع السابق، ص 117.

(3): يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 30

(4): يذكر بن يوسف بن خدة أن هناك عوامل خارجية متعددة زادت من استحالة قيام أول نوفمبر في ذلك التاريخ 1950 منها الأوضاع التي كانت تعيشها الدول الشقيقة مصر تونس والمغرب التي لم تصل بعد إلى الإيمان بفكرة النضال العسكري نظرا للوقائع التي كانت سائدة فيها آنذاك. للمزيد أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق ، صص 212-213 .

الاستعمارية تمكنت بشتى الوسائل من خرق القيادة السياسية لحزب الشعب ، ولأنها من جهة أخرى أحكمت التخطيط لما يسمى بالأزمة البربرية.

إذن فقد كانت المنظمة الخاصة ل'Os بمثابة العقل المدبر للثورة التحريرية، ذلك أن النخبة الثورية المثقفة التي تبنت كفاح الفاتح نوفمبر 1954 قد تكونت داخل هذا التنظيم سياسيا وعسكريا، وتدربت على قواعده وتبلور لديها الشعور الثوري، إذ استطاعت خلال سنتي 1947/1949 تجسيد شعار حركة الإنتصار "العمل الثوري" على أرض الواقع وفي الميدان. فكان هذا التنظيم عبارة عن مركز إيديولوجي ومنظمة كفاح تولت تربية المنخرطين فيها لتكون منهم رجالا مستعدين لكل أشكال التضحية التي يقتضيها تحرير البلاد. فهي كانت تهدف عموما كتنظيم عسكري إلى تكوين نوع خاص من المناضلين ذوي القناعة الثورية الراسخة، الصامدين أمام القمع الاستعماري والقادرين على مواصلة العمل التحسيسي والتنظيمي وسط الجماهير مهما كانت العوائق. فكان بذلك على مناضلي المنظمة الخاصة أن يجسدوا مبادئ هذه التنظيمات التي شاركت في إعدادهم فكريا ونفسيا، مع إظهار المرونة الكافية والتكيف مع الوسط الذي ينشطوا فيه فالتفاني، والقناعة، والتضحية والعمل الناجع هي كلها صفات المناضل الثوري الواعي بشرعية وعدالة قضيته الوطنية التي يكافح من أجلها.

فقد تشكلت إيديولوجية المثقف الثوري في الكفاح المسلح من مبادئ حزب الشعب الجزائري الذي إنخرط فيها أولا، ثم واصل تكوينه السياسي والعسكري داخل جناحها العسكري المتمثل في المنظمة الخاصة ل'Os ليتمكن في الأخير من تجسيد هذه الإيديولوجية على أرض الواقع وهو تبني ثورة الفاتح نوفمبر 1954.

2- أزمة الحركة الوطنية وموقف المثقف الثوري:

تعود جذور هذه الأزمة إلى مطلع شهر مارس 1950⁽¹⁾، ففي هذا التاريخ اجتمعت اللجنة المركزية بمدينة الأربعاء بضواحي الجزائر العاصمة بمزرعة المناضل مصطفى صحراوي. حيث توزع المشاركون إلى لجان متفرعة أسندت لكل منها قضية خاصة من القضايا المسجلة في جدول أعمال الحزب. وقد أرفقت المسائل المطروحة للنقاش بنص توضيحي صادر من القيادة وجرت المناقشات في جو من النظام التام، ثم توجت بصياغة خلاصة عامة تضمنت عددا من الإقتراحات.

كان مصالي الحاج بصفته رئيسا للحزب يأمل في تعزيز زعامته الشخصية والحصول على رئاسة الحزب وعلى "حق النقض" مما يساعده على حرية المبادرة متى أراد ذلك بإلغاء قرارات اللجنة المركزية. غير أن هذه الأخيرة كانت جد متمسكة بمبدأ القيادة الجماعية وحرية التشاور، فتمكنت بذلك من تفادي مطمح مصالي الحاج في الحصول على أغلبية الاصوات. فقررت اللجنة بعدها تأجيل مناقشة مشروع يتعلق بتحديد دور وصلاحيات رئيس الحزب والأجهزة القيادية بما يتماشى وتطلعات زعيم الحزب. وهذا ما أثار غضب مصالي الحاج الذي خرج من الإجتماع في قمة غضبه واستيائه⁽²⁾.

في ظل شروع القيادة في تنفيذ قرارات اللجنة المركزية، تعرضت المنظمة الخاصة لزلزال مدمر جراء حملة القمع الشرسة التي شنتها ضدها الإدارة الفرنسية. فقد تمكنت هذه الأخيرة في مارس - أفريل - ماي 1950 من الحصول على الأدلة الكافية التي تثبت ضلوع حزب الشعب - حركة إنتصار الحريات الديمقراطية مع المنظمة الخاصة، ماجعل الحزب عرضة للحل والقمع واعتقال قادته.

(1): حول اكتشاف المنظمة الخاصة من طرف فرنسا أنظر: بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر، مصدر سابق، صص 214-215

(2): مازاد الوضع تعقيدا هو الوضع المادي الصعب إضافة إلى الأزمة البربرية كلها ظروف كادت أن تعصف بالحزب لولا ظهور التيار الثوري المحايد. للمزيد أنظر: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، مصدر سابق، ص

لقد تسببت عمليات القمع والإعتقال في تقليص صفوف الحزب وأرغمته على البقاء في موقف ضعيف لرأب الصدع الذي أصابه. سارع بعدها إلى شن حملة واسعة النطاق للتنديد بالأساليب الفاشية التي انتهجتها قوات الاستعمار متهما إياها بتدبير مؤامرة بغرض وضع الحزب خارج إطار القانون.

تميزت المناقشات على مستوى قيادة حزب الشعب بالحدة والإثارة كما يقول بن يوسف بن خدة: "ذلك أننا عانينا صعوبة جمة لإقناع أنفسنا بتلك السهولة الخارقة التي تمت بها الاعتقالات ناهيك عن التسليم بحقيقة تفكيك المنظمة الخاصة في مدة وجيزة لم تتجاوز ثلاثة شهور"⁽¹⁾. فعمل الأوضاع التي كان يعاني منها الحزب هي من جعلت الحوار والمناقشة يبلغ أشده على مستوى قياداته. رغم ذلك فقد تواصلت المناقشات على مستوى اللجنة المركزية في مؤتمرها المنعقد بتاريخ ديسمبر 1950، حيث اصطدمت أطروحتان اثنتان: فإما العودة إلى النضال في كنف السرية مما يكفل وضع ماتبقى من قوات المنظمة الخاصة في مأمن من ضربات العدو. وإما توسيع نطاق النشاط السياسي المشروع قانونا من أجل تعزيز وسائل الكفاح. وفي الأخير قررت اللجنة المركزية إنتهاج خيار ثالث كحل وسط بين الطرفين ويمثل في العودة إلى إنتهاج الخط السياسي الذي قرره مؤتمر 1947 والذي يسمح للحزب بالعمل وفق منهجين اثنين: منهج النشاط السياسي في العلن، ومنهج العمل السري المحظور، مع مراعاة كلا الخيارين شرطا واحدا أساسيا وهو تحديد الهدف الأسمى لهما وهو مواصلة الكفاح إلى أن يتحقق الاستقلال⁽²⁾.

لم يكن مصالي الحاج - حسب بعض المؤرخين - ملتزما بكامل واجباته داخل الحزب ، بل كان يتهرب منها وفي حالة الإنتصار ينسب لنفسه ذلك. أما في حالة الإخفاق سرعان ما يلقي اللوم على غيره. تلك هي بعض أسباب سوء التفاهم الذي بدأ يدب على مستوى اللجنة المركزية، قبل

(1): بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر ، مصدر سابق، ص 267.

(2): بن يوسف بن خدة، نفس المصدر ، ص 268

استفحالها شيئاً فشيئاً لتتحول إلى أزمة عميقة كادت أن تعصف بالحزب في شهر مارس 1951، حيث أدت إلى استقالة حسين لحول من منصبه كأمين عام للحزب.

كانت استقالة حسين لحول من منصبه بسبب أخطاء الزعيم مصالي الحاج⁽¹⁾. لكن من خلال ذلك عموماً إتضح جلياً أنه من الضروري والمستعجل إضفاء المزيد من النظام والوضوح والدقة وإنتهاج صرامة أكبر في أساليب سير الهيئات القيادية، فقد كانت أغلب النقاشات تدور حول منهجية العمل والإنضباط الفردي والجماعي وضرورة التحديد الدقيق لدور كل مناضل سواء كان رئيس الحزب أو الأمين العام أو اللجنة المركزية أو اللجنة المديرة، لضمان سير العمل بشكل منظم ودقيق نحو تحقيق الهدف .

من الواضح أن الشغل الشاغل الذي كان يكتسي إهتماماً بالغاً من طرف مسؤولي الحزب قمة وقاعدة هو محاولة وضع استراتيجية عمل واضحة ودقيقة للحزب لمواصلة نشاطه في إطار قانوني من أجل تحقيق الاستقلال. وهذا مايدل على حاجة حزب الشعب القصى قبل ذلك إلى إدخال إصلاحات جذرية على مناهج تفكيرها وعملها.

تصاعد الصراع على مستوى قيادة الحزب، في ماي 1951 بشأن الإتحاد مع كل من الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء، وقد أعرب الإتحاد عن استعداده لقبول الوحدة بينهما في حالة توفر شرطين أساسيين:⁽²⁾

أولاً: أن يتم الإتحاد مع حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بإعتبار هذه الأخيرة حزبا معتمدا قانوناً، وليس مع حزب الشعب الجزائري الذي ينشط في كنف السرية.

(1): رغم أن لحول أختير من طرف مصالي الحاج بعد رفض تعيين الأمين دباغين، حيث عرف يذكر بأن لحول كان أهلاً للمنصب وقام بوظيفته على أكمل وجه، قام بعملية تحويل عام لهيكل المنظمة الخاصة مركزاً الجهد المادي ونشاط المناضلين على التوغل العميق للحزب في أهم المعامل الشعبية. أنظر: حسين آيت أحمد، روح الاستقلال، مذكرات مكافح (1952/1942)، ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص 180

(2): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 268

ثانيا: أن يبنى الإتحاد على اساس الصراحة والوضوح وإدانة النشاط السياسي غير المشروع لتفادي أي أزمات أو مشاكل قد يقع فيها الحزب مستقبلا.

رحب بعض القادة بفكرة الإتحاد، وعلى راسهم شوقي مصطفى الذي اعتبرها ضرورة حتمية ووضح رأيه قائلا: "ينبغي على أي حزب ثوري أن يعمل ضمن حركة جماهيرية ذات قاعدة شعبية واسعة"⁽¹⁾. لكنه ومن جهة أخرى رفض البعض منهم هذا الطرح، وعلى راسهم مصالي الحاج الذي استشاط غضبا على موقف شوقي مصطفى. ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها مصالي الحاج ومدى احترامه وتقديسه من طرف العديد من المناضلين، فقد استقال عدد كبير من المناضلين (شوقي مصطفى، الحاج شرشالي، عمراني، وشتوف..). بذلك بدأت صفوف اللجنة المركزية تضمل ويتقلص عدد أعضائها.

يذكر بن يوسف بن خدة بعد تعيينه أمينا عاما لحزب الشعب في أوت 1951 أن الحزب في تلك الفترة كان يعيش مرحلة صعبة وأوضاعا مزرية بسبب ما أصابه جراء أزمة النزعة البربرية وانسحاب أربعة من قياديين البارزين، واكتشاف المنظمة الخاصة وتفكيكها⁽²⁾، إضافة إلى الإعتقالات الكثيرة وسوء إنضباط عدد من النواب، رغم كون مصالي الحاج رئيسا للحزب الأمر الذي يبعث على الإرتياح والثقة.

قررت اللجنة المركزية بعدها التحضير لعقد مؤتمر أيام 12 و 13 و 14 جويلية 1952، حيث سيكون المؤتمر ثاني مؤتمرات حزب الشعب الجزائري. وقد كانت القضايا المزمع مناقشتها في هذا المؤتمر ذات أبعاد حساسة وأهمية قصوى وهي: ضبط حصيلة نشاطات الحزب خلال خمس سنوات، تحديد الخط الإيديولوجي والعقائدي والإستراتيجي، تأسيس النقابة الوطنية، تحسين الموارد المالية للحزب، رفع مستوى صحافة الحزب التي أصبحت مزدوجة اللغة، تعزيز تواجد الحزب في

(1): نفس المصدر، ص 270.

(2): نفس المصدر، ص 274

المناطق التي كان حضوره فيها ضعيفا، إقرار قوانين داخلية بغرض تحديد مسؤوليات كل شخص، رسم آفاق بناء إتحاد شمال إفريقيا، تحسين تأطير المهاجرين الجزائريين في فرنسا. فقد شكلت هذه النقاط أهم محاور المؤتمر وجدول أعماله.

المؤتمر الثالث لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية: (1)

تحدد تاريخه أيام 6/5/4 أفريل 1953 بعد تأجيله مرتين قبل هذا التاريخ ما أثر سلبا على مستقبل الحزب الذي بقيت بعض مشاكله عالقة دون إيجاد حل لها في وقتها المناسب. وقد حضر المؤتمر مايقارب مائة مندوب من الجزائر وفرنسا، إضافة إلى نواب الحزب وأعضاء اللجنة المركزية، استغرق المؤتمر ثلاثة ايام نوقشت خلالها مسائل جد هامة داخل الحزب(2): سياسة الحزب وإيديولوجيته، التوجهات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تصور الحزب لمفهوم القوة، موقفه من القضايا الدولية، واقع المنظمة الخاصة، تطوير قوانين الحزب العضوية، إنتخاب أعضاء اللجنة المركزية. أوصى بعدها المؤتمر على نقاط عديدة منها:(3)

- وافق المؤتمرين وبالإجماع على إقامة نظام جمهوري بطبيعة الحال بإعتباره الأنسب للبلد.
- ركز المؤتمر على شعار واحد وهو "الدولة من الشعب وإلى الشعب، أي أن الشعب هو مصدر السيادة الوطنية، مما يستوجب إجراء إنتخابات حرة لتأسيس مجلس وطني كامل السيادة يتولى إصدار القانون الأساسي بمثابة دستور الجزائر.
- أوصى المؤتمر بإجراء إصلاح زراعي وإقامة صناعة تعتمد على استغلال الموارد الطبيعية المتوفرة وتأمين وسائل الإنتاج.

(1): يذكر عمار بوحوش أنه خلال المؤتمر برزت قوة المنظمة الخاصة بشكل ملحوظ إذ طالب أحد أعضاء الجناح العسكري "رمضان بن عبد المالك بإنشاء منظمة عسكرية وقد تقرر ذلك بالفعل. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، 1997، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 347

(2): للمزيد أنظر: بن يوسف بن خدة، نفس المصدر، ص - ص 312- 313

(3): يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 127-128

- أعاد الحزب تأكيده على تمسكه بالمعهد بالثقافة العربية الإسلامية وضرورة إحترام المعتقدات الدينية الأجنبية بما تقتضيه حرية وسماحة الدين الإسلامي.

- أكد المؤتمر على الفرق الكبير بين الطرفين حيث الإمكانيات والقوى، مما يستدعي السعي إلى تكثيف الكفاح اليومي، فالحزب بذلك عليه تجديد وتعبئة كل طاقاته وفي سائر المجالات.

- أكد المؤتمر وفي خطوة هامة على أن مفهوم ميزان القوى لابد أن يشمل جميع الفئات والشرائح الجزائرية دون استثناء.

يتضح من خلال قرارات وتوصيات المؤتمر أن الحركة كانت تهدف خاصة إلى الكفاح ضد القمع الاستعماري الفرنسي، من خلال توطيد أسس الوحدة الوطنية وتكوين إطارات مثقفة، والعمل على تأطير فئات العمال والشباب والنساء، إضافة إلى إعادة هيكلة المنظمة الخاصة على أسس جديدة باعتبارها الجناح العسكري الهام داخل الحزب، والذي سوف يتولى الإعداد المادي والعسكري للكفاح ضد الاستعمار. وهي مرحلة النضج السياسي كما يسميها البعض.

يعتبر هذا المؤتمر من أكثر مؤتمرات الحزب أهمية وحساسية، ومرحلة جد حاسمة أعقبتها تغييرات سياسية ومواقف جديدة شكلت أرضية خصبة لظهور المثقف الثوري الذي سوف يتمرد عن هذه الأوضاع ويعلن تبنيه المباشر للثورة المسلحة، هذا ما اتضح لنا من خلال النقاط التالية:

- تم خلاله تعيين اللجنة المركزية في مطلع شهر ماي 1953، وهي أهم سلطة داخل الحزب حيث ضمت كل من: بن يوسف بن خدة، حسين لحول، مزغنة، سيد أحمد عبد الحميد، عبد الرحمن كيوان... إذ يمثلون نخبة مثقفة تسعى إلى تفادي أي صراع داخل الحركة والحفاظ على وحدتها قصد المضي بالحزب قدما نحو الكفاح المسلح. إذ بادرت هذه اللجنة بحد ذاتها في تشكيل لجنة المنظمة الخاصة.

- أولت اللجنة المركزية تشكيل المنظمة الخاصة الجديدة عناية كبيرة، تفاديا للوقوع في نفس أخطاء الماضي التي ساعدت على اكتشافها من طرف فرنسا سنة 1950. إذ تعمقت جدا في اسباب ذلك الإنكشاف. فاتفقت على تزويدها بإطارات مهمة كما تم استدعاء قدماء المنظمة الخاصة مثل محمد بوضياف، ديدوش مراد.. وغيرهم.

- تدهورت العلاقة والثقة التي كانت تربط بين مصالي الحاج والأمين العام للحزب، إذ كان ذلك سببا لبداية الانشقاق داخل الحركة. فيشبه البعض موقف مصالي الحاج بالموقف العدائي، في حين تبنت اللجنة المركزية موقفا دفاعيا حفاظا على وحدة الحزب وحمايته من الانشقاق الذي بدأ يلوح في الأفق. إذ تمسك مصالي بموقفه الرفض لأدنى معارضة، ومطالبته المباشرة بالسلطات المطلقة داخل الحزب رغم تواجده بفرنسا، إضافة إلى عدم اقتناعه بقرارات اللجنة المركزية، بل بمسار الحزب ككل. حيث قام بجولاته داخل الجزائر لتحرير الجماهير ضمنا ضد الجناح المعتدل داخل الحزب⁽¹⁾، لكنه أخطأ عموما في عدم منح ثقته للإطارات الثورية القادرة على تصحيح الوضع الحرج الذي أصاب الحركة.

- إن إنفجار الأزمة داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خاصة في مستهل سنة 1954 والتي تعود جذورها إلى غاية سنة 1950. حيث ارتكزت أسباب هذه الأزمة على تضارب المواقف والآراء بين المصاليين بزعامة مصالي الحاج الذي أصبح أكثر تمسكا برأيه المعارض لتوحيد الصفوف وتشكيل المنظمة الخاصة والثورة المسلحة، بل كان مقتنعا فقط بأمر واحد وهو أحقيته بقيادة الحزب لوحده، أما المركزيين فقد ركزوا على الاستعداد للعمل المسلح وتفادي الوقوع في مشاحنات مع الطرف الآخر.

(1): أحمد مهساس، المرجع السابق، ص 349.

ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل:

في مارس 1954 بمدينة الجزائر بعد أن تنازلت اللجنة المركزية عن صلاحياتها لصالح مصالي الحاج، إنتقل أنصار هذا الأخير إلى مرحلة الهجوم وفي الحقيقة كانوا قد بدؤوا منذ مدة مساعيهم في محاولة إعادة تنظيم الحزب دون علم قيادته بذلك، وهاجموا مخالفيهم في الرأي من المركزيين ما أدى إلى وقوع مشادات بين الطرفين في شوارع العاصمة وبعض المدن الأخرى.

أمام هذا المشهد المؤلم بين أعضاء الحزب الواحد بالأمس، لم يتحرك مصالي الحاج⁽¹⁾ وهو بإقامته بمدينة نيور، ولم يعر أذنا صاغية للنداءات المتصاعدة حول نجدة الحزب الذي على وشك أن يتحول إلى أشلاء، بل أصر مصالي على موقفه المتصلب. وفي ظل هذه الأوضاع بدأت المشاورات بين إطارات حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية المسؤولين على الولايات والدوائر من أجل إنقاذ وحدة الحزب، وقد تجسد هذا التيار في "اللجنة الثورية للوحدة والعمل".

تأسست هذه اللجنة في 23 مارس 1954⁽²⁾، ولم تكن حزبا ولا تنظييا سياسيا، بل هي عبارة عن لجنة تسعى منذ ظهورها إلى إعادة بناء وحدة الصف داخل حزب الشعب - حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. وذلك من خلال وضعه لهدف واحد وهو بعث حركة واسعة في أوساط الراي العام، تكون قادرة على لم شمل القاعدة النضالية لكلا الفريقين المتنازعين. في ظل هذه الأوضاع كان محمد بوضياف يعمل جاهدا لإعادة حشد قداماء المنظمة الخاصة، في حين تمسك المصاليون بموقفهم بل أنهم استأثروا كثيرا من تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، لدرجة إعتقادهم بوجود تواطؤ بين اللجنة الثورية والمركزيين، بل وصل بهم الأمر إلى الإعتداء على بعض المناضلين مثل بيطاط وبوضياف، مادفع بهذا الأخير إلى الإسراع في الإتصال بأعضاء المنظمة الخاصة القدامى الذين نجوا من الإعتقالات سنة 1950 للإلتحاق بصفوف التنظيم الجديد وهم على التوالي:

(1): ظل مصالي الحاج متمسكا بموقفه الراض للإنضواء تحت لواء الجبهة حيث أقدم رفقة جماعته في ديسمبر 1954 إلى تأسيس مايعرف بالحركة الوطنية الجزائرية MNA
(2): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص

رابح بيطاط، عبد الحفيظ بوصوف، العربي بن مهدي، رمضان بن عبد المالك، زيغود يوسف،
لخضر بن طوبال، مصطفى بن عودة، بشير شيهاني، ومصطفى بن بولعيد. إضافة إلى أعضاء
الوفد الخارجي: حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، ومحمد خيضر.

تسارعت بعدها الأحداث، ففي شهر جوان 1954 إجتمع القادة 22 وجميعهم أعضاء في المنظمة
الخاصة، حيث سوف ينبثق منهم لجنة الستة مجموعة من المناضلين الذي سوف يحملون على
عاتقهم وبشكل مباشر مسؤولية تفجير الثورة المسلحة دون أي إنتظار أو تماطل. حيث صادقت
بعدها لجنة 22 على لائحة جاء فيها:

" إن إندلاع الثورة المسلحة هو الوسيلة الوحيدة لتجاوز الصراعات الداخلية وتحرير الجزائر." (1)
فقد كان هذا الإتجاه أول من نادى بفكرة الاستقلال التام ، واعتبر الثورة هي الوسيلة الوحيدة الناجعة
لتحقيقه، إذ يقول المناضل الثوري العربي بن مهدي: "ألقوا بالثورة إلى الشارع فإن الشعب
يتبناها" (2).

هكذا إذن إحتل الخيار العسكري إهتمامات حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، بإعتبارها التيار
الثوري الوحيد الذي نادى قبل ذلك بالاستقلال التام والسيادة الوطنية الكاملة . فلو تأملنا في تشكيلته
البشرية، أي مناضلي حركة الإنتصار وحزب الشعب الجزائري قبل ذلك، سنجد أنهم ينتمون إلى
مختلف فئات الشعب الجزائري، من فلاحين وعمال وحرفيين وموظفين وتجار صغار وطلاب في
مرحلتى التعليم الثانوي والجامعي وخريجي المدارس العربية والبطالين أيضا. وهي تركيبة
سوسولوجية تحمل في طياتها ملامح الفكر الإجتماعي لحزب جبهة التحرير الوطني باعتبار هذا
الأخير وريثا طبيعيا للأول. وتتميز إطاراته الحزبية بإنتمائها إلى الفئة الشبانية الحيوية والنشطة.
حيث كان الكثير منهم يمارس نشاطه السياسي في كنف السرية. وهؤلاء من أطلق عليهم المثقفون

(1): بن يوسف بن خدة، نفس المصدر، ص 340

(2): زهير إحدادن، شخصيات ومواقف تاريخية، مرجع سابق، ص 162.

الثوريون لأنهم سعوا إلى تغيير الوضع القائم والتخلص من السيطرة الاستعمارية من خلال الثورة، وقد ساعدتهم في ذلك معرفتهم بحقيقة الوضع المضطرب بالجزائر في ظل الوجود الفرنسي بل أنهم عايشوا ذلك الواقع الصعب، كما أن الكثير منهم امتلك قدرا من المعرفة والثقافة، التي ورغم تواجدها مكنتهم من العمل المنظم في إطار حزب الشعب الجزائري، وحركة الإنتصار بعدها، ثم المنظمة الخاصة واللجنة الثورية للوحدة والعمل. ليشكلوا في الأخير النخبة الثورية المثقفة التي ستحمل على عاتقها مسؤولية تفجير ثورة الفاتح نوفمبر 1954.

وبإعلان الثورة المسلحة يكون العسكريون مناضلي المنظمة الخاصة أو كما يسموا بالمتقنين الثوريين قد حسموا الصراع السياسي العقيم بين المركزيين والمصاليين وأنقذوا الجزائر من حرب أهلية بين أنصار الطرفين المتنازعين، فيكون بذلك الخيار العسكري هو المنتصر دائما على الخيار السياسي. بعبارة أخرى فإن المثقف الثوري الذي ظهر على إثر أزمة الحركة الوطنية 1953 قد نجح في تجسيد إيديولوجيته الثورية في أمرين أساسيين: أولهما هو إنقاذ الحركة الوطنية مما آلت إليه من أوضاع مزرية واستفحال ظاهرة حب الزعامة والسيطرة الفردية، وثانيهما هو الإثبات بأن الحل العسكري هو الوسيلة المتاحة الوحيدة لتحقيق الاستقلال والتخلص من قيود وسيطرة الإدارة الاستعمارية، وبالتالي فشل الحل السياسي في إخراج القضية الجزائرية عموما والحركة الوطنية خصوصا من المأزق الذي آلت إليه.

ثانيا: لجنة 22 نموذج المثقف الثوري

1- دراسة اجتماعية لبعض نماذج المثقفين الثوريين:

إن إنهزام القوات الفرنسية أمام قوات الجيش الفيتنامي في 8 ماي 1954 في معركة ديان بيان فو، كان له أثرا بالغا في تراجع هيبة فرنسا وفي المقابل ضاعفت هذه الهزيمة عزيمة وتصميم مناضلي

اللجنة الثورية التواقين لخوض المعركة. لذلك فقد إحتل خيار العمل المسلح صدارة الإهتمام قبل أي إعتبرات أخرى وأصبح من الأولويات.

خلال صيف 1954 أصبحت اللجنة الثورية مستقلة بصفة نهائية ،حيث تمكن مناضليها من تنظيم صفوفهم وأحكموا هيكلتها عسكريا وتمكنوا من إكمال تحضيرات الثورة. وذلك من خلال إجتماعات كثيرة منها إجتماع 5جويلية1954 بمدينة الجزائر العاصمة وهو المعروف بإجتماع لجنة 22⁽¹⁾ وكان أهم ماتوصل إليه خلاله هو إختيار العمل المسلح كحل وحيد أوحد، ومن أجل ذلك تشكلت لجنة من خمسة أعضاء: محمد العربي بن مهدي، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، رابح بيطاط، ومحمد بوضياف، وتم الإتصال فيما بعد بكريم بلقاسم، فسميت بذلك لجنة الست.

وبذلك تكون قد برزت على الساحة السياسية قوة جديدة "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" والمتكونة من قداماء المنظمة الخاصة ، إنبثقت عنها لجنة 22 ثم لجنة الستة التي أسفرت عن وجهها أمام أعين العالم في أول نوفمبر1954 تحت تسميتها التاريخية "جبهة التحرير الوطني"، حيث لم تكن هذه التسمية عشوائية بل كان لها اعتبارات وخلفيات نابعة من مدى إيمان المناضلين الثوريين بحق الجزائريين في الحرية والاستقلال، كما يؤمن أعضاؤها بضرورة الكفاح الموحد والمشارك لجميع العناصر المناهضة للاستعمار ، حتى ولو بقيت هذه العناصر خارج إطار الجبهة، فيكفي لها أن تؤمن بالإيديولوجية الثورية وفي هذا الصدد يقول المناضل الفضيل الورتلاني: "وهو أن جبهة التحرير عبارة عن تجمع الطاقات السلمية في الشعب الجزائري...إن حركة الإنتصار كانت تعتقد أن تحرير الجزائر عمل حزبي – وهذا خطأ – وجبهة التحرير تؤكد أن تحرير الجزائر هو عمل يشارك فيه جميع الجزائريين، لاجزاء واحد منه مهما كانت قيمته..."⁽²⁾.

(1): عامر رخيعة، المرجع السابق، ص 158

(2): الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص70.

كانت هذه الجبهة هي جبهة كل الجزائريين المؤمنين بأهدافها بغض النظر عن إنتماءاتهم الحزبية أو الإجتماعية. وهو ما عبر عنه بيان أول نوفمبر 1954 الذي دعى أبناء الشعب الجزائري للإلتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني بصفة فردية بقوله: " أيها الجزائري.. إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة ، وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك"⁽¹⁾ .

كانت استجابة الجزائريين على اختلاف إنتماءاتهم لهذا النداء استجابة واسعة، جعلت الحركة السياسية التي كانت تتنازع على اكتساب الشارع الجزائري قبيل الثورة أمام وضع محرج. فقد لاحظت حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية بجناحيها المصالي والمركزي أن القواعد التي كانت تعتقد الإستناد عليها قد تفاعلت مع الجبهة وبدأ المناضلين بالإلتحاق بها. نفس الحال بالنسبة للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقيادة فرحات عباس ، إذ سجل في أول سنة لإندلاع الثورة إلتحاق أعضاء منه بصفوف جبهة التحرير الوطني، ونفس الحال بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي الجزائري.

إذن يمكن القول بأن جبهة التحرير الوطني كانت تعكس طموحات الجماهير الواسعة في الإتحاد والعمل من أجل الاستقلال ،تلك الطموحات التي لم تجد طيلة فترة النضال السياسي إطارا مناسباً للتعبير عن نفسها فكانت بذلك الجبهة تمثل هذا الإطار المناسب ،خاصة وأنها أي الجبهة كانت تمثل وحدة الهدف وليس وحدة الفكر عند كافة الجماهير الجزائرية والرموز الوطنية.

يرجع المؤلف عامر رخيطة سبب كون جبهة التحرير الوطني تجمعا لكل القوى السياسية ، هو "الوضوح"⁽²⁾ ، والذي يبرز جليا من خلال محتوى بيان نوفمبر 1954 الذي حدد الأرضية التي سوف تنطلق منها الثورة التحريرية. فقد عبرت الجبهة عن سائر أهدافها و مبادئها من خلال هذا

(1): بيان أول نوفمبر، ملحق ص 342
(2): عامر رخيطة، المرجع السابق ، ص 136

البيان. من بين ذلك أنها جبهة مستقلة عن كافة التنظيمات التي أوصلت الحركة الوطنية إلى طريق مغلق، وضرورة العمل من أجل الاستقلال الوطني مع التركيز على العمل الثوري المحض ضد الوجود الاستعماري.

لقد تمكنت جبهة التحرير الوطني من خلال نداء أول نوفمبر 1954 من إيجاد الحلقة الضائعة في نضال الحركة الوطنية التي كانت تتنازع حولها مختلف التنظيمات. فهي لم تدعو إلى تشكيل إتحاد أو جبهة أحزاب وطنية، بل حاولت جمع المؤمنين بهدف واحد هو الاستقلال تحت رايتها بغض النظر عن المعتقدات السياسية أو المصالح الإجتماعية. فإن قضية التحرير الوطني هي القاسم المشترك الوحيد. لأجل هذه الإعتبارات وجدت التشكيلات السياسية نفسها بإندلاع الثورة أمام موقف حرج فإما الإلتحاق بها أو التخلف عنها الذي يعني التخلف عن إرادة الجماهير التي استجابت بشدة للدعوة نحو الكفاح المسلح. بل حتى أن بعض التنظيمات السياسية تخلت عن فكرة الإندماج واقتنعت تماما بفكرة الكفاح الثوري المنظم⁽¹⁾.

نلاحظ إذن بأن جبهة التحرير الوطني كانت حكيمة كفاية بإفساحها المجال أمام جميع المواطنين للمساهمة في الثورة مهما كانت إنتماؤاتهم السياسية والإجتماعية تحت رايتها. ولعل ما يؤكد ذلك هو النتائج التي بدأت تظهر بعد تسعة أشهر فقط من إندلاع الثورة والمتمثلة أساسا في الإلتفاف الشعبي الكامل حول الجبهة، ماخيب ظن فرنسا في أن الجزائريين يدينون لها بالولاء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تخلصت الحركة الوطنية من الطريق المسدود الذي وصلت إليه، فإنهارت بذلك أسطورة الشرعية التي كانت التنظيمات السياسية تتشبث بها.

هكذا إذن فإن جبهة التحرير الوطني كانت جبهة شعبية ضمت في صفوفها المناضل الثوري الذي يحظى بإنتماء واحد هو الإنتماء للشعب الجزائري. هذا رغم أنها ضمت من جهة أخرى تركيبة متناقضة إجتماعيا وسياسيا فقد كان الفلاحين يمثلون الرصيد الأساسي للجبهة إضافة إلى العمال

(1): زهير إحدادن، شخصيات ومواقف تاريخية، مرجع سابق، ص 136.

،التجار، الأغنياء، الفقراء، الطلبة، المحافظين، التقدميين...، لكن قوة أهدافها وتركيزها على المستعمر وحد هذه التناقضات تحت راية واحدة كانت بمثابة الإتحاد الروحي للشعب الجزائري.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا وبإلحاح، كيف تمكن القادة الستة من حشد كل الجماهير الجزائرية تحت راية الكفاح المسلح؟، هل ساعدتهم على ذلك مستواهم الثقافي والمعرفي؟ أو إقتناعهم العميق بحتمية الخيار العسكري في تلك المرحلة؟..

من أجل معرفة ذلك، نحاول أن نلقي الضوء ولو بشكل موجز على أهم الشخصيات في لجنة 22 التي انبثقت منها لجنة الستة، باعتبارهم من صنعوا الثورة وتحملوا مسؤوليتها في مرحلة مبكرة⁽¹⁾. وهم من مثلوا وجه التيار الشعبوي الثوري، هادفين من هذه الدراسة إلى تحديد المستوى العلمي والاجتماعي لكل منهم والتعرف على مؤهلاتهم الفكرية. وهذا ماينطبق – كما وضحنا سابقا – على المثقف الثوري الذي يتميز عن غيره من النخب المثقفة، باكتسابه ثقافة شعبية مصدرها حجم المعاناة التي عاشها هذا المثقف وسط شعبه ومجتمعه الذي يرضخ تحت وطأة المستعمر، فكان ذلك محفزا لرغبته في تغيير الوضع القائم في وطنه. رغم كون مصطلح المثقف كثيرا أو غالبا ما يطلق على حاملي الشهادات والمتعلمين، ويشترط أن يسبق أي حركة تحررية ظهور تيارات فكرية وثقافية تعكس إيديولوجية هذه الحركة، مثلما وقع في الثورة الفرنسية في 1789 التي كانت قد سبقتها ظهور تيارات فكرية انبثقت من فلسفة الأنوار وحتى الثورة البلشفية التي قامت عام 1917 بالاتحاد السوفياتي سابقا، قامت هي الأخرى على فكر سيطر على روسيا في منتصف القرن الواحد والعشرين، وهذا دليل على الدور الأساسي للمثقفين، وقد أشار ليون تورتسكي إلى هذا في كتابه بقوله: "الثورة الروسية جرت في المصانع، التكنات، ولكن أيضا في مختبر دماغ لينين".

لكنه وبالنسبة للثورة الجزائرية فقد استندت هي الأخرى إلى ثقافة ثورية خالصة تبلورت من خلال معاناة الجزائري من ظلم وتعسف القوانين الاستعمارية، ماجعلها أقرب إلى الواقع. إذ لايعني ذلك

(1): ترجمة حول أهم النماذج الثورية أنظر الملحق ص 355-362

أن مفجريها لم يكونوا مثقفين، بل تمتعوا بدورهم بمستوى من التعليم - كما سنرى لاحقا - كما اكتسبوا قدرات تتجاوز الحقل الضيق لنشاطاتهم المهنية.

- إن الإطلاع على أهم الشخصيات الثورية التي انخرطت في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني وحملت على عاتقها مسؤولية تفجير الثورة، يسمح لنا بتحديد بعض النقاط والخصائص التالية في دراستنا هذه:

أ - من حيث السن:

من الملاحظ أن أغلب أعضاء لجنة 22 التي فجرت الثورة التحريرية كانوا أثناء مشاركتهم فيها شبابا في ريعان العمر. إذ كان أصغرهم حسين آيت أحمد الذي كان يبلغ من العمر 28 سنة، وأكبرهم محمد خيضر الذي بلغ 42 سنة آنذاك. أما البقية فالأغلبية الساحقة منهم انحصرت أعمارهم ما بين 30 و 38 عاما. وهذا مايدل على تحمل المثقف الثوري للمسؤولية رغم صغر سنه نتيجة نضوجه المبكر، ومسايرته للأحداث التي تعيشها الجزائر منذ الغزو الاستعماري. تلك المسايرة والتحمل جعلت منه مناضلا شابا مشبعا بمبادئ الثورة والتغيير والكفاح من أجل الاستقلال والحرية في سن مبكرة.

ب - من حيث المستوى التعليمي:

كان العامل المشترك بين المثقفين الثوريين هو تحصيلهم جميعا على الشهادة الابتدائية، أربعة منهم فقط واصلوا تعليمهم إلى الثانوي وهم: أحمد بن بلة، بوضياف، آيت أحمد والعربي بن مهدي. كما أن أغلبهم لم يصل إلى المرحلة الجامعية ، فقد كان لهم مستوى تعليمي محدود خاصة وأنهم تحولوا بعدها مباشرة إلى عالم الشغل والعمل. ولعل ذلك يدل على أوضاع عائلاتهم المزرية التي عانت الفقر ، وهذا ماخلق في أنفسهم رغبة في إصلاح الأوضاع المتردية التي عاشوها. فتحملوا المسؤولية في سن مبكرة، ماساعد على نضوجهم الإجتماعي والسياسي مبكرا. من جهة أخرى أتقن

المتقف الثوري اللغة الفرنسية التي اكتسبها وأتقنها من خلال المدارس الفرنسية التي درس فيها(1)، إضافة إلى الشارع الجزائري الذي شكل بالنسبة له وسيلة للتواصل مع غيره من الثوار والمناضلين وكافة الطبقات الشعبية.

ج - الإلتفاء الإلتماعي:

في مقابل التقارب الثقافي والتعليمي بين أعضاء لجنة 22، نلاحظ أن هناك إلتلاف وتباين كبير في أصولهم الإلتماعية، حيث ينتمي إثنان منهم إلى أسرة عريقة ومالكة وهما محمد بوضياف وحسين آيت أحمد. في حين أن محمد خيضر و رابح بيطاط ينتسبان إلى طبقة البروليتاريا. أما ديدوش مراد وأحمد بن بلة فينحدران من أواسط الفلاحين، وبالنسبة لكريم بلقاسم ومصطفى بن بولعيد ينتميان إلى طبقة الأعيان.

د - الإلتخراط في حزب الشعب والكفاح داخل المنظمة الخاصة:

إلتحق هؤلاء المناضلين بصفوف الحركة الوطنية مبكرا و ناضلوا في حزب الشعب الجزائري وحركة الإلتصار للحريات الديمقراطية(2). بمعنى أنهم قد تشبعوا بمبادئ هذا الحزب الثورية، بإعتباره أول من نادى بفكرة الاستقلال التام والسيادة الوطنية الكاملة، فنشؤوا بذلك في ظل إيديولوجية ثورية، اكتسبوا منها ثقافة ثورية تهدف إلى تغيير الوضع القائم. من جهة أخرى عايش هؤلاء المناضلين والثوار الأزمة التي عرفها حزب الشعب سنة 1953 والتي كادت أن تعصف به، فلعب كل منهم دور المنقذ للحزب بعد تبنيهم الخيار العسكري.

(1): فهم قد تأرجحوا في تعليمهم بين المدار الفرنسية والأهلية. لقاء مع الدكتور "حجازي عمر" ، 2018/09/22، الساعة 10:00، جامعة بشار.
(2): تطرقنا إلى ذلك في الأجزاء السابقة من البحث.

- يتضح لنا من خلال ماسبق بأن المثقف الثوري الجزائري تلقى تكوينه الحقيقي وسط المجتمع الجزائري والتجمعات الشعبية، وكان يتعامل مع جميع الأصناف والطبقات الشعبية حتى مع المستوطنين الأروبيين، هذا ماجعله قادرا على التعامل معها بعين الحذر، إضافة إلى قدرة هذا المثقف على إحتضان مشاكل شعبه ومجتمعه والإحساس العميق بها.

يمكن القول إذن أن هناك العديد من القواسم المشتركة بين أعضاء لجنة 22 التي أشركتهم كلهم في العمل المسلح، وجعلت كل منهم على أهبة الاستعداد للتضحية بالثورة المسلحة بروح ملؤها الإيمان بعدالة وشرعية القضية الوطنية. فرغم إختلاف أصولهم الإجتماعية وتباعد مستوياتهم الثقافية نوعا ما، لم يمنعهم ذلك من قطع روابطهم مع بيئاتهم الاصلية ليقوموا بعلاقات مع العامة في الريف والمدينة مشكلين بذلك جماعة متميزة، ظهرت بشكل مفاجيء وسريع لتقود العمل الثوري مصممة على بلوغ هدفها. وفي هذا الشأن يقول فتحي الذيب وصفا لهذه النخبة: "...إن مجموعة الشباب التي يمثلها ابن بلة و زملائه هي نوعية ثورية فريدة في عالمنا العربي...فهي تتطلب منا الدعم والتأييد، إنطلاقا من أنهم على وشك المغامرة بحياتهم في مواجهة المستعمر. واعين بأن عملهم هذا لايمكن أن يكون عملا إنتحاريا لنقص تسليحهم..ورغم ذلك صمموا وقرروا أن يبدؤوا الكفاح مهما كان الثمن مكتفين بالأمل"⁽¹⁾.

إن مصطلح المثقف حسب العديد من الفلاسفة والمفكرين لا ينطبق فقط على حاملي الشهادات والمؤهلات العلمية، بل هناك صنف آخر من المثقفين والذين ينعتونهم بالمثقفين العضويين، لأنهم يحملون ثقافة شعبية ومعرفة عميقة بحجم معاناة شعوبهم فيساهمون بذلك في عملية التغيير، ويشكلون تحديا للسلطة الحاكمة، ويسعون إنطلاقا من ذلك إلى تجسيد قيم العدل والمساواة والحرية وسط المجتمع، وهذا إذن ما ينطبق على لجنة الستة المفجرة للثورة، فقد تجاوز هؤلاء كل الأوضاع المزرية التي كان يعيشها الحزب آنذاك والمرحلة الحرجة التي وصلت إليها الحركة الوطنية

(1): فتحي الذيب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1990، ص 41

الجزائرية، و وضعوا الخيار العسكري هو الخيار الأول والوحيد لكونه الحل الأوحده سواها للتخلص من الاستعمار وممارساته اللإنسانية، أو من ناحية الأزيمة التي كانت تعيشها الحركة الوطنية آنذاك.

من ناحية أخرى يشترط بعض المفكرين مثل أنطونيو غرامشي وجان بول سارتر وغيرهم في المثقف شرط الفعل وعدم الإكتفاء بالتنديد والرفض فقط(1) ، أي أنه على المثقف إنتاج أفكار والسعي إلى تجسيدها حتى يكون مثقفا بالمعنى الكامل والدقيق. فلو أسقطنا ذلك على أعضاء لجنة الستة المفجرة للثورة ، سنجد أنهم ورغم مستواهم المحدود قد توصلوا إلى فكرة تبني العمل المسلح وفي تلك المرحلة بالتحديد. غير أنهم لم يكتفوا بإنتاج الفكرة فقط، بل قاموا بتجسيدها في الفاتح نوفمبر 1954 من خلال الإعلان عن بداية الثورة التحريرية الكبرى الهادفة حسب إيديولوجياتها إلى تحقيق الاستقلال وإعادة بناء الدولة الجزائرية التي قام المستعمر بتحطيمها في جويلية 1830، وقد تمكنوا فعلا من تحقيق الأهداف المرجوة من فكرة العمل المسلح والثورة، من خلال حصول الشعب الجزائري على استقلاله في جويلية 1962.

من هذا المنطلق إذن فإن من فجر ثورة نوفمبر 1954 كان مثقفا بالمعنى الدقيق الذي حدده الفلاسفة، ونظرا لكونه شارك في تغيير الوضع القائم بشكل كبير جدا، فهو قد خلص الشعب الجزائري من الوجود الفرنسي الغاصب، وهذا في حد ذاته تغيير جذري أي "ثورة". فبإمكاننا إذن تسمية هؤلاء المناضلين بالمثقفين الثوريين، لأن المثقف كما وضحنا سابقا ليس مرتبط دائما بالمؤهل العلمي، وفي ذلك يقول المؤرخ مصطفى لشرف: "ليست الشهادة التي تصنع المثقف، بل الإحتكاك المستمر بالثقافة الحديثة واكتساب ثقافة معرفية حديثة مؤثرة معنويا، وتلزم الشخص إزاء القيم الحية، ولأنها تجر معها تحولا جزئيا للشخصية وعلاقة مميزة مع السلطة"(2) .

(1): إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، مرجع سابق، ص 34
(2): نواره حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، مرجع سابق، ص 173.

2 - إيديولوجية المثقف الثوري من خلال مبادئ بيان أول نوفمبر 1954:

يعتبر بيان أول وفمبر 1954 أهم وثيقة إيديولوجية ضمن وثائق الثورة، خاصة من ناحية البناء المستقبلي للجزائر المستقلة، خاصة وأنها الأكثر تعبيراً عن التوجهات السائدة في المجتمع الجزائري، لأنها صيغت في ظروف كان أصحابها يسعون إلى اكتساب ثقة كافة الشعب والتفافه حول الثورة. فالبعض يرى فيه وثيقة كاملة تتضمن كل ما يعبر عن الجزائر في ثورتها وما هو أبعد من ثورتها¹. كما يرى فيه آخرون أنه وثيقة ظرفية الهدف منها توضيح أسباب الثورة وهدفها المتمثل في تحقيق الاستقلال، إضافة إلى شروط الصلح ووقف القتال مع فرنسا.

فقد تمكن القادة الستة -السابق ذكرهم- الأكثر وفاءاً للمثل العليا لحزب الشعب كما يذكر ذلك بن يوسف بن خدة من تسطير هدف الكفاح المسلح تحت منظور واضح أساسي وفق لغة سليمة ومصطلحات واضحة ومؤثرة في نفس الوقت، وهذا ما تميز به المثقف الثوري رغم بساطة مستواه التعليمي "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية". فكانت بذلك جبهة التحرير الوطني هي المؤتمن الوحيد على أهداف الاستقلال التي قام على أساسها نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وأخيراً حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وهي وريثة هذا الرصيد من الوطنية الشعبية التي تراكمت خلال سنين عديدة من النضال السياسي العسير. كل ذلك تمكنت جبهة التحرير من إدراجه في مسارها مسار العنف الثوري الهادف إلى القضاء على الاستعمار، ولعل ذلك ما يفسر إنضمام قداماء حزب الشعب وحركة الإنتصار إلى جبهة التحرير الوطني ليلعبوا دور المحرك الرئيسي فيها.

إن إختيار هؤلاء المناضلين للحكم الثوري لم يكن إختياراً براغماتياً دعت إليه مصالح معينة، بل هو حتمية لمنطق ثورة نوفمبر بنفسها. فقد أحدثت جبهة التحرير إنقلاباً ملموساً في الأفكار البالية

(1): أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر (1962/1954)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 76.

القائمة على الكفاح الشرعي والقانوني ضد الاستعمار في إطار المشروعية⁽¹⁾. بل منحت الجبهة للكفاح مفهوماً جديداً كما أعطت للقاعدة الشعبية نفساً جديدة، أي أنها أرادت قطع الصلة مع ماضٍ كله ثغرات وأخطاء. فمن ذلك تولدت ثورة نوفمبر، التي لم تكن ثورة طبقية أو توافقاً حزبياً وسياسياً، بل ثورة محضة بما تحمل هذه الكلمة من معنى موجهة ضد قوى استعمارية فرضت نفسها بقوة، ولابد من مواجهتها بالقوة.

إن مفهوم الثورة يحمل الكثير من الدلالات والمعاني والقيم، وهي بمعناها الدقيق تتضمن محتوى سياسياً واجتماعياً وثقافياً كما هو الشأن بالنسبة للثورات العالمية مثل الثورة الفرنسية 1789 التي استطاعت أن تحدد الكلمات الثلاث "الحرية، الإيحاء، المساواة"⁽²⁾ مصدر الدولة المستقلة.

- يرى البخاري حمادة أن الثورة في معناها هي العودة إلى الذات حسب ما جاء في اللغات الأجنبية، ويعرفها أيضاً بأنها إعادة لما كان من قبل. وإن ربط الثورة بما كان لا يعني أمر سلبى أبداً بل هو التطور العائد في حركة دورانية مكررة لنفسها مثل حركة الطبيعة⁽³⁾. كما تعني الثورة في اللغة العربية الغضب والنهوض والعودة إلى ما كان من قبل. وإن التغيير الجذري هو الهدف النهائي لكل ثورة. ومن ثمة فإن الفرق بين التغيير والثورة يكمن في الوسائل وفي مدى التحقيق الفعلي للأهداف. أما اصطلاحاً يقول البخاري حمادة بأن الثورة تعني التبدل السريع والعنيف غالباً في السياسة وفي نظام الحكم، ويوضح بأن القطيعة مع كل من الماضي والحاضر نسبية وليست مطلقة أو شاملة⁽⁴⁾. ولعل ذلك يسقط على ثورة نوفمبر 1954 التي أعلنت في أول بيان لها أن هدفها هو "استعادة الدولة الجزائرية ذات السيادة الديمقراطية والاجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية"⁽⁵⁾.

(1): ادريس فاضلي، حزب جبهة التحرير ثوابت ومرجعيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 31.

(2): رابح لونيسي، دراسات في تاريخ الثورة، مرجع سابق، ص 82.

(3): حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 44

(4): حمادة البخاري، نفس المرجع، ص 45

(5): أنظ ملحق بيان أول نوفمبر، ص 342

لكنه ورغم ذلك يرى بعض من انتقدوا بيان أول نوفمبر، بأن هدفها الأساسي كان انطلاق الثورة وليس بناء المستقبل. بسبب أنه كتب على عجل وبقلم بسيط وساذج.

ربما قد يكون ذلك صحيحا إذا ما ربطنا ذلك بالمستوى التعليمي البسيط لصانعي البيان ومفجري الثورة من الرعيل الثوري. لكنه يجب الإشارة إلى أن بيان أول نوفمبر تحدث عن القومية الجزائرية ومطالبة فرنسا بإلغاء جميع القرارات والقوانين والمراسيم التي جعلت الجزائر أرضا فرنسية، كما ينص البيان أيضا على ضرورة إجراء مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري على أساس احترام السيادة الوطنية. وفي ذلك إشارة واضحة لملاحم ومقومات⁽¹⁾ الدولة الجزائرية بعد الاستقلال.

يرى أبو القاسم سعدالله أن هذه التعابير "الديمقراطية والاجتماعية" لم تكن جديدة فقد وردت في بيانات اللجنة المركزية لحركة لانتصار والحزب الشيوعي أحيانا، والاتحاد الديمقراطي أيضا، إذ يعيب سعدالله على بيان نوفمبر العديد من التعابير والمصطلحات، ويصفها بالتعابير الشيوعية⁽²⁾. لكنه لا غرابة في ذلك لأن الحزب قد نشأ أولا في بيئة شيوعية بعيدة نوعا ما عن التراث العربي الإسلامي للجزائريين. هذا ويوضح أن بيان نوفمبر قد أشار فقط إلى الإطار السياسي والاجتماعي والديني للدولة الجزائرية، في حين أهمل الجانب الثقافي رغم أهميته.

هذا ما تؤكدته كتابات أخرى، بأن الاختلاف والغموض الذي يظهر في بيان أول نوفمبر 1954 يعود خاصة إلى تعدد القوى السياسية والإيديولوجية والطبقية التي شاركت في الثورة، كما أن الأفكار

(1): من جهة أخرى يرى بعض المنتقدين بأن البيان لم يشير بصراحة واضحة عن المقومات الأساسية مثل الدين واللغة والتاريخ بسبب الخوف من تخلي الأقليات الأوروبية عن دعمها للثورة، كما أن محرري البيان كوطنيين يساريين لم يتمسكوا بمبادئها واعتبروها رجعية على حد تعبيرهم. للمزيد أنظر: سعدالله، المرجع السابق، ص 78-77

(2): أبو القاسم سعدالله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1962/1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة 1، 2007، ص 161.

السياسية الواردة في البيان تعود في مصدرها غالبا إلى موائيق الإتجاه الاستقلالي خاصة وثائق المؤتمر الثاني لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية المنعقد في أبريل 1953⁽¹⁾.

لكنه وبالنظر إلى هدف الثورة الأساسي والذي يتمثل في استعادة الدولة الجزائرية، فالمقصود هو استعادتها بكل تراثها وتقاليها وأطرها، ونشمل هنا التراث العربي أي اللغة العربية، غير أن ذلك لم يشر له من صاغ البيان، لربما رأوا فيه أمرا سابقا لأوانه، فلننتحرر أولا ثم نتحدث عن شكل ومضمون الدولة الجزائرية الحديثة.

وإسقاطا لكل هذه المفاهيم الفلسفية على ثورة نوفمبر 1954، نخلص إلى القول بأن هذه الثورة لم يكن بإمكانها إنجاز ما أنجزته لو أنها لم تستند إلى نظرة نقدية للواقع الجزائري آنذاك، تلك النظرة التي جعلت طلائعها الثورية هي الفئة الوحيدة التي نظرت إليها بشكل يختلف عن نظرة كل الأحزاب الوطنية الأخرى، فضلا عن نظرة المستعمر إليه. وما يؤكد هذا هو ماجاء في الفقرة التالية من بيان نوفمبر: "فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية... وأن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال والعمل"⁽²⁾.

وفي حين لم تستطع الأحزاب السياسية بلورة الشعور الوطني للشعب الجزائري، تمكنت الطليعة الثورية من ذلك واكتشفت قواه الكامنة. حيث لم يكن باستطاعتها ذلك لو أنها لم تكن نابعة من أعماق الشعب الجزائري وأعماق معاناته في ظل السلوكات الاستعمارية اللاإنسانية منذ الإحتلال 1830.

وإستنادا لهذه الإعتبارات فإن ثورة نوفمبر 1954 لم تكن مجرد حرب فقط وسفك للدماء، بل هي تغيير جذري لم يلعب فيه العنف العسكري سوى وسيلة لتحقيق أهدافها. وحتى لو سلمنا بأنها عبارة

(1): رابح لونيبي، دراسات في تاريخ الثورة، مرجع سابق، ص 83.
(2): بيان أول نوفمبر، ملحق ص - ص 342-349

عن تمرد كما يدعي بعض المستعمرين فهي تمرد أخلاقي عسكري تولد عن حواجز الظلم والقهر الذي عاشه الشعب الجزائري منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر. تغيير كان وراءه طليعة ثورية مثقفة ذات إطلاع واسع على حجم المعاناة الجزائرية في ظل الوجود الاستعماري.

- إن إيديولوجية الثورة الجزائرية هي من جعلتها نموذجا عالميا لمختلف حركات التحرر بالعالم، فقد مزجت في طبيعتها بين البساطة والعظمة. بسيطة لأنها جعلت من الاستقلال التام هدفها الأسمى ومطلبها الرئيسي، وعظيمة لأنها استطاعت مواجهة أعتى قوة استعمارية بالعالم آنذاك وهي القوة الاستعمارية الفرنسية، فإن الكثير من المفكرين إعتبروا الثورة الجزائرية ثورة ضد المستحيل، لأن المجتمع الجزائري آنذاك كان يعاني من الفقر والتخلف لكنه تمكن رغم ذلك من تحقيق النصر ضد الاستعمار. ولعل هذه الخاصية تعود إلى كون المثقف الذي تبنى هذه الثورة عاش بدوره هذا الوضع وعانى الكثير في ظل الوجود الاستدماري، فكانت فكرته في الثورة والتمرد ضد المستعمر نابغة من حجم معاناته الخاصة ومدى إحساسه بمعاناة شعبه أيضا.

وقد استند هذا المثقف الثائر في ثورته إلى مبادئ وأسس جعلت منها مشروعا حضاريا متكاملًا، وهي أصالة هذه الثورة العربية الإسلامية⁽¹⁾، والتي هي مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي للشعب الجزائري، إضافة إلى طابعها الجماهيري فهي وقبل كل شيء ثورة بطلها الأول هو الشعب الجزائري الذي كان مقتنعا بها منذ إنطلاقها وبمختلف فئاته الإجتماعية. فإذا كانت ثورة نوفمبر من أولى الثورات التي نجحت في مشروعها التحرري، رغم كونها لم تعرف الشعارات إلا نادرا. فمناضل جبهة التحرير الوطني لا يكثر في الكلام، بل هو يعمل وينشط وبعد ذلك يشرح وعندما يشتد الأمر فهو يسكت⁽²⁾. فإذا ذلك راجع إلى نجاحها العملي قبل ذلك، من خلال بلورة الوعي الوطني الجزائري بإقناعه بأن الاستعمار الفرنسي بالجزائر ليس مجرد استعمار عادي، وإنما هو من أشرس أنواع الاستعمار، حمل معه خصائص استيطانية وتدميرية خطيرة ماديا ومعنويا، جعلت

(1): حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 238

(2): زهير إحدادن، المرجع السابق، ص 163

كل مساومة معه أو حل سياسي معين خطوة فاشلة لا أمل منها. هذا ما جعل التيار الثوري المحايد الذي ظهر بعد أزمة الحركة الوطنية، لا يؤمن إلا بالحل الثوري، الذي هو في نظره الحل الموضوعي الوحيد أمام هذا النوع من الاستعمار الإستيطاني.

من جهة أخرى وبتبنيه الحل الثوري العسكري، يكون مثقف الثورة الجزائرية قد حقق قطيعة، سواء مع النظام الاستعماري قتالا وتضحية، أو مع الأحزاب السياسية التي لم تؤمن بالحل الثوري في تلك الفترة.

وعموما فإن الثورة الجزائرية اكتست العديد من الخصائص والميزات المختلفة التي شكلت مبادئ وأسس أمن بها مفجريها واقتنعوا بها، بل وجعلوها إيديولوجية ثورية ثابتة لن تتغير. ومن هذه الخصائص نجد:

- امتلكت ثورة نوفمبر نظرة أصيلة عميقة للواقع الجزائري المزري⁽¹⁾. تلك الاصاله التي دفعت بالثورة إلى تجاوز هذا الواقع المزري لأنها نابعة من أعماق الشعب الجزائري معبرة عن آلامه وأماله. وقد ميزت هذه النظرة فقط حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وميزتها عن غيرها من الأحزاب السياسية الأخرى. وهذا ماتؤكداه الفقرة التالية من بيان أول نوفمبر: " فنحن نعتبر وقبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقق وأن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال والعمل"، ففي حين لم ترى الأحزاب السياسية الأخرى غير ضعف الشعب الجزائري، استطاع هذا الحزب استكشاف القوى الكامنة لدى هذا الشعب. ماجعله يؤمن بنصره الحتمي في حين رأت باقي الأحزاب السياسية فشل الشعب الحتمي أمام قوة المستعمر.

- تميزت الثورة التحريرية وعلى غرار غيرها من حركات التحرر بوحدة القيادة، فقد تمكنت جبهة وجيش التحرير الوطني الجناح السياسي والعسكري للثورة، أن تصبح القوة المركزية والوحيدة

(1): البخاري حماتة، نفس المرجع، ص 241

التي تمثل الثورة، ثم ما لبثت أن انصهرت داخلها كل الأحزاب الوطنية على اختلاف برامجها السياسية السابقة وايدولوجياتها، ودون أي معارضة سياسية أو عسكرية خاصة بعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي انعقد بعد مرور عامين حافلين بالإنجازات السياسية والعسكرية للثورة 1956. فتعتبر هذه النقطة من أهم أسباب نجاح الثورة. ذلك أن سبب فشل المقاومات الشعبية في بدايات الإحتلال، لم يكن تفوق المستعمر ماديا وعسكريا، وإنما هو غياب القيادة الموحدة لهذه المقاومات وافتقارها إلى قيادة وطنية ثورية مركزية مثل قيادة الثورة 1954. فقد مكنت هذه القيادة الثورية الوطنية من نجاح هدف الثورة الأساسي وهو إعادة بعث الدولة الجزائرية ضمن إطار المبادئ الإسلامية، كما ورد في بيان أول نوفمبر. كما تكمن أهمية هذه القيادة الثورية في أنها تشكلت في ظروف خاصة، تمثلت في القمع الاستعماري والاضطهاد والمتابعة المسلطة عليهم كمناضلين وطنيين من طرف الإدارة الفرنسية من جهة، ومن جهة ثانية تشكيك بعض رموز الحركة الوطنية في المشروع الثوري المسلح الذي تبنته هذه القيادة، ومن طرف أعضاء من حركة الإنتصار نفسها، التي راحت عشية الثورة تبحث عن المشاركة الانتخابية لأنها رأت في هذا المشروع الثوري تهديدا للحزب ووجوده. كما لا ننسى سعي هذا القائد الثوري إلى تقادي مسألة الزعامة الفردية، لما لها من آثار سلبية على الحركة الوطنية قبل ذلك، فرأت بذلك في القيادة الجماعية ونبذ كل أشكال الطموحات الفردية وسيلو ضرورة لتجسيد أهداف الثورة وتحقيق الاستقلال الوطني.

- تمكن المثقف الذي قاد الثورة المسلحة من توحيد الشعب الجزائري بمختلف فئاته تحت الكفاح المسلح للفتح نوفمبر 1954، وهذا بدوره عامل جد مهم في نجاح الثورات والمقاومات عبر التاريخ. فنلاحظ مثلا بأن المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر في القرن 19 افتقرت نوعا ما للشعبية ما ساعد على فشلها في الأخير. وإن نجاح الثورة التحريرية في تحقيق وحدة شعبية يعود أساسا إلى إلتحام المثقف الثوري الذي قاد هذه الثورة مع أفراد شعبه، وإحساسه العميق بمدى معاناة هذا الشعب. وهذا ما تؤكد عليه بيانات الثورة ابتداء من بيان أول نوفمبر 1954، وبيان مؤتمر الصومام

1956، إلى ميثاق طرابلس 1962. فلم تكن وحدة الصف فقط، وإنما هي وحدة الهدف أيضا لأن

كل الفئات الجزائرية المشاركة في الثورة كان هدفها الأول والوحيد هو الاستقلال الوطني.

- إرتكزت ثورة نوفمبر على مبدأ أساسي وهو نزعتها الإنسانية والأخلاقية⁽¹⁾، فقد آمنت بأن الإنسان الجزائري بشكل عام والإنسان بشكل خاص هو أساس أي فعل ثوري حقيقي، فإن أعلى ما يملكه الإنسان هو كرامته. وهو مبدأ استلهمته من تقاليد شعبها العربي الإسلامي، ومن ومن منظورها للحياة بشكل عام. فقد ربطت إيديولوجية الثورة كرامة الإنسان عموما بالحرية، واستنادا إلى عقيدة الشعب الجزائري الإسلامية فإن الإنسان أيا كان ولد حرا، والإنسان الجزائري فقد هذه الحرية والكرامة معا بفعل الوجود الاستعماري وتجاوزاته، لذلك جعلت هدفها الأسمى هو تحطيم قواعد هذا المستعمر الغاصب، ليس في الجزائر فحسب وإنما في كل بقاع العالم والعالم الثالث خاصة. وهذا ماجعلها من أولى الثورات في العالم التي وضعت حدا لكل أشكال الاستعمار والعبودية.

يقول البعض بأن الثورة الفرنسية قد سبقت ثورة نوفمبر في ذلك، لكن الملاحظ وحسب كتابات أخرى بأن الثورة الفرنسية رغم أنها نادى بشعار العدالة والحرية والمساواة، لكنها خانت ذلك في الأخير من خلال قيام الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت بإعادة نظام الرق في أكثر من بلد إفريقي وأمريكي جنوبي، وهذا ماكان غائبا تماما في ثورة نوفمبر، بل بالعكس قد تمكنت في الأخير من تحقيق حرية الإنسان الجزائري واستعادة كرامته.

من خلال ما سبق، نلاحظ بأن المثقف الثوري الذي تبنى تفجير الثورة المسلحة، قد سطر لها إيديولوجية ثورية خالصة، إيديولوجية تكونت من خلال كفاحه الطويل داخل الحركة الوطنية وخاصة حركة الإنتصار للحرية الديمقراطية، والمنظمة الخاصة من بعدها. إرتكزت بذلك إيديولوجيته على أسس مستمدة من الواقع المزري الذي عاشه الشعب الجزائري في ظل الوجود

(1): حمادة البخاري، نفس المرجع، ص 248

الاستعماري من جهة، ومما عرفته الحركة الوطنية من أزمات ومشاكل في مسارها النضالي من جهة أخرى . لذلك فإن ثقافة هذا المناضل هي ثقافة ثورية قائمة على هدف أساسي يتمثل في حمل معاناة شعبه المضطهد والسعي إلى تغييرها من خلال تمرده على السلطة القائمة آنذاك السلطة الفرنسية الاستدمارية.

خلاصة المبحث الثاني:

يكتسي مفهوم المثقف تأويلات متعددة أبرزها أنه ذلك الشخص الحامل لرصيد معرفي وثقافي يوظفه في مجال معين. أو هو ذلك الشخص الواعي والمؤهل بالمعرفة والخبرة والتجربة، يمتلك رؤية معرفية متميزة وشجاعة قوية على نقد الظواهر السلبية في المجتمع، بل أنه يشارك في تغييرها وليس نقدها فحسب. أما المثقف الثوري فهو ذلك الذي يحظى بثقافة ثورية، أي معرفة ولو كانت محدودة لكنها تؤهله كي يسعى في تغيير الأوضاع السائدة. المثقف الثوري هو ذلك الشخص الذي يتمرد على السلطة الحاكمة في إطار منهجي منظم من أجل إيصال قيم العدل والمساواة لأبناء مجتمعه. فلو اسقطنا هذه التعريفات وغيرها على مفجري ثورة نوفمبر 1954، سنجد أنهم مثقفين ثوريين بكل ماتحمل الكلمة من معنى، هم فعلا لم يمتلكوا شهادات أو مؤهلات علمية، بل أغلبهم لم يصل إلا إلى المرحلة الثانوية أو المتوسطة. غير أنهم اكتسبوا ثقافة مغايرة، تستمد جذورها من الواقع الماساوي الذي عاشوه إلى جانب الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار الفرنسي.

فقد كانت لجنة 22 ولجنة الستة المنبثقة عنها مثالا حيا عن المثقف الثوري الذي لم يدرس في الجامعات ولا المعاهد الغربية، لكنه تدرس وتكون، بل واكتسب ثقافة التغيير من خلال الواقع المعاش، فهذا الأخير قد دفعه إلى الانضمام وبشكل مبكر في صفوف الحركة الوطنية، وعلى رأسها حزب الشعب الجزائري، وحركة الانتصار للديمقراطيات الشعبية من بعدها. بإعتباره الحزب الوحيد الذي يمثل الإتجاه الثوري الاستقلالي منذ أوائل القرن العشرين. فنهل هذا المناضل الشاب من مبادئ هذا الحزب واقتنع بأفكاره وإيديولوجياته الثورية، إعتقادا منه أن النضال السياسي والمقاومة السلمية هي الوسيلة المناسبة آنذاك لتحقيق الاستقلال والحرية الوطنية. غير أن أحداث الثامن ماي سنة 1945 جاءت لتغير أفكار هذا المناضل الثوري، الذي بدأ يقتنع تدريجيا بعدم جدوى الحل السياسي. فظهرت لديه فكرة جديدة كانت هي بذرة أولى لظهور مايسمى مستقبلا بالثورة التحريرية. لذلك فإن النتيجة المتمخضة عن مجازر 8ماي 1945 جاءت عكس ماكانت تأمله الغدارة الاستعمارية، فإن فكرة العمل المسلح صارت ذات جاذبية شديدة لا في أوساط

الجماهير الشعبية فحسب، بل حتى في أوساط العديد من المناضلين الذين تربوا تربية سياسية وتمرنوا على المواجهة السياسية في إطار النضال السياسي، فصاروا بذلك يطمحون إلى حمل السلاح ومواجهة القوات المستعمرة ميدانياً، وهو ما يجعلنا نقول بأن تلك المجازر أظهرت ضرورة التنظيم التقني للكفاح المسلح.

فقد قرر مناضلي التيار الثوري بعد هذه المجازر الشنيعة بدء الإعداد للكفاح المسلح من خلال تأسيس تنظيم سري يكون بمثابة الجناح العسكري لحزب الشعب الجزائري. كان بدوره هذا التنظيم السري شبه العسكري بمثابة مدرسة لمناضلي حزب الشعب، فقد تكونوا على قواعدها الداخلية وتربوا على مبادئها وأسس كفاحها تمهيدا للعمل الثوري المرتقب، خاصة وأن هذه المنظمة قد حرس مسؤوليها على تنظيمها وهيكلتها بشكل جد محكم ومنضبط لأنها النواة الأساسية التي سوف تنشيء جيل نوفمبر 1954.

هناك بعض الكتابات التي تؤكد على أن الثورة التحريرية فرضتها الأحداث في تلك المرحلة فقط، أي أنه لولا الأزمة التي عصفت بالحركة الوطنية وحركة الانتصار لما قام المناضلين بالإعلان عن الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، فكان ذلك في رأيهم إنقاذاً للحركة الوطنية، وتنادياً لتشعب الوضع أكثر. ربما كان هذا الطرح صحيحاً إلى حد ما. لكنه أليس من الغريب أن أن تفتقر أي مقاومة أو ثورة إلى أدنى معايير التنظيم والهيكلة إذا ماتمت بصورة مفاجئة إضطرارية؟..، لكنه وعلى العكس فقد جاءت الثورة في صورة جد منظمة ومهيكلية في وسائلها وإستراتيجياتها وأهدافها. فعلا كان عنصر المفاجأة حاضراً في ثورة نوفمبر، لكنه زاد من قوتها و تصاعدها بشكل إيجابي لأنها كانت مفاجأة بالنسبة للاستعمار الفرنسي من جهة، وبالنسبة للعناصر السياسية المشككة بها من جهة أخرى.

لقد شكل حزب الشعب الجزائري بالنسبة لمناضلي الكفاح الثوري مدرسة تكونوا على مبادئها وأفكارها، فإن الحزب يكتسي أهمية وشأناً كبيراً ضمن تيارات الحركة الوطنية، كان عبارة عن

منظمة مهيكله تطمح قبل كل شيء إلى تكوين قوة قادرة على إحباط عمليات الردع الاستعماري ومواصلة الكفاح من أجل الاستقلال مهما كانت الظروف. فإنه من الناحية النظرية كان هذا الهدف بمفرده كافيا لحث كل المناضلين على الإنخراط في الحزب ، وعلى المناضل المنخرط أن يلتزم إلى أقصى حد بقواعد الحزب. لذلك فإن أغلب المنخرطين كانوا من فئة الجماهير الشعبية أي العمال والفلاحين والتجار وبعض المثقفين وبعض الأعيان أيضا. كان هذا الحزب حزبا ثوريا من حيث أهدافه وتركيبته البشرية و وسائل كفاحه، وتطلعاته كانت مستوحاة من هدف أساسي وهو التحرير الوطني الكامل، لذلك قام بتجنيد الجماهير الشعبية وتنظيمها كي تتصدى للنظام الكولونيالي، ونمى وعي الفئات الشعبية بالمحتوى الإجتماعي لمفهوم التحرر والوعي الثوري لتحضيرها للمشاركة في الكفاح المسلح.

الفصل الثاني:

موقف المثقفين الجزائريين من الثورة وإنضمام الطلبة الجزائريين

المبحث الأول: إندلاع الثورة التحريرية وموقف المثقفين منها

أولاً: موقف المثقف الجزائري في ظل التشكيلات السياسية

1- موقف المركزيين والمصاليين

2- جمعية العلماء المسلمين ونوفمبر

3- موقف الإدماجين والشيوعيين

ثانياً: الطلبة الجزائريين والثورة التحريرية

1- إتحاق الطلبة بالثورة ومواقفهم المختلفة منها

2- الإيديولوجيا الثقافية للطلبة الجزائريين الوطنيين والفرونكفونيين

المبحث الأول: إندلاع الثورة التحريرية وموقف المثقفين منها

- إن أي حدث تاريخي لا يسع أي شخص إلا إتخاذ أحد الموقفين: فإما أن يأوي إلى ملجأ يعصمه من التيار أو يخوض غماره مهما كلفه ذلك من ثمن. فالفاتح نوفمبر 1954 هو تاريخ إنطلاق الثورة التحريرية الكبرى. خلق هذا الحدث التاريخي مواقف متعددة ومتضاربة إنطلاقاً من إيديولوجيات وثقافات مختلفة، فإن قادة الأحزاب الوطنية إعتقدوا أن هذه الإنتفاضة لا أمل لها في النجاح، فعندما كانوا يحتجون ضد القمع المسلط على مناضلي حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية كانوا منشغلين بحماية أنفسهم أكثر من انشغالهم بمساندة هؤلاء الثوريين.

أولاً: موقف المثقف الجزائري في ظل الأحزاب السياسية

بعد إندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، إتسمت مواقف التشكيلات السياسية بالتردد والمعارضة، ويرجع بعض المفكرين أسباب ذلك إلى عوامل متعددة منها:

- أن المجموعة التي حضرت وفجرت الكفاح المسلح لم تكن معروفة على الساحة السياسية، ماصعب على التشكيلات السياسية الأخرى القبول بالأمر الواقع والسير وراء جهة تجهل عنها كل شيء قد تدخل البلاد في مغامرة مجهولة العواقب.

- إنشغال بعض التشكيلات السياسية بأزمات داخلية، إضافة إلى أزمة حزب الشعب الجزائري 1953، شهدت جمعية العلماء المسلمين أيضاً مايسمى بأزمة سبتمبر 1954⁽¹⁾.

- فشل المسعى الوحدوي بين هذه التشكيلات وجبهة التحرير الوطني في تكوين قيادة جماعية ومشاركة، وقد أجهض الإتفاق المبرم في 10 فيفري 1954 بعد تدخل المخابرات المصرية بإيعاز من أحمد بن بلة، الذي يبدوا أن خوفه على مستقبل الثورة هو الذي دفع به إلى ذلك⁽¹⁾.

(1): (ب، د) كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954/1962 مرجع سابق، ص 31.

يمكن أن نبرر المواقف المعارضة لهذه التشكيلات لحدث نوفمبر وفق العديد من الأسباب والمبررات، غير أن النجاحات التي بدأت الثورة بتحقيقها ومنذ عامها الأول، تنفي وترفض هذه المواقف المترددة والمعارضة لها ، خاصة بعد هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955 التي نفذت للقضاء على التردد الذي أصاب الفئات الوطنية وبعض أفراد الشعب في الإلتحاق بالثورة. هذا مايدفعنا للقول بأنه ربما أن عنصر المفاجأة الذي تميزت به الثورة إضافة إلى العوامل المذكورة سابقا كانت هي المتحكم في طبيعة هذه المواقف السياسية، لكن بعد ذلك بفترة وجيزة سوف يصبح المتحكم في طبيعة هذه المواقف هو أمر آخر جديد ومختلف، يتمثل في مصالح هذه التشكيلات السياسية وإعتباراتها السياسية والإيديولوجية، بمعنى أن المتقف السياسي الجزائري بعد 1955 أصبح ينظر لحدث نوفمبر وفق ثقافته الخاصة وبيئته السياسية والثقافية، كما سوف نوضح لاحقا.

1- موقف المركزيين والمصاليين:

كان موقف مصالي الحاج وأتباعه من حدث نوفمبر 1954 غريبا بشكل واضح، ولايعود ذلك كما يدعي البعض إلى رفض مصالي الحاج للثورة بل كان من أول المباركين له مبدءا وأهدافا، كما يؤكد ذلك تصريح مولاي مرباح الأمين العام للمكتب السياسي لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية يوم 03 نوفمبر 1954 ،والذي أعلن فيه أن الحدث يحمل نفس الدلالة التي تحملها الأحداث في تونس والمغرب⁽²⁾. فإن تلك الغرابة تكمن في محاولة المصاليين وخاصة المركزيين تصدر قيادة ذلك الحدث. فقد حاول مصالي الحاج نسبة الثورة إليه⁽³⁾ وعندما تبين أنها من فعل جبهة التحرير الوطني، وأن عليهم الانضمام تدريجيا والذوبان فيها خدمة للقضية الوطنية، أنشأ المصاليين جبهة موازية لجبهة التحرير كي تأتمر بأوامر مصالي الحاج ، حيث تعتبر هذه الجبهة من الأخطار التي واجهت الثورة في مرحلة الإنطلاق.

(1): نفس المرجع، ص 32

(2): حمادة البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 148.

(3): أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 167

من جهة أخرى يؤكد ملود قاسم نايت بلقاسم بأن المصاليين منذ اندلاع الثورة ناصبوا العداء لجبهة التحرير الوطني(1) ، غير أن الكثير منهم إنضم إليها فيما بعد وبشكل تدريجي.

في 8 نوفمبر 1954 وجه مصالي بيانا إلى الفرنسيين عامة والطبقة العاملة منهم خاصة. دعاهم فيها إلى مقابلة اليد التي يقدمها لهم لوضع حد للنظام الاستعماري بالجزائر. وقد تم ذلك في الوقت الذي كانت فيه بعض القيادات المصالية تتفاوض مع زعماء جبهة التحرير الوطني في القاهرة ومنطقة القبائل حول قيادة المقاومة. إن هذا البيان الموجه للفرنسيين هو أحد أسباب تدهور العلاقة بعد ثلاثة أشهر فقط من إندلاع الثورة بين مصالي الحاج ورجال جبهة التحرير الوطني ، ثم بينهم وبين رموز الحركة الوطنية الأخرى.

وضمن هذا المنظور سوف تتحول العلاقة سنة 1955 إلى إقدام مصالي الحاج على تأسيس "الحركة الوطنية الجزائرية" M.N.A كقوة عسكرية لمواجهة جيش التحرير الوطني ،حيث وقعت صدامات عنيفة بين مناضلي الحزب الواحد بالأمس ،وضمنه أيضا كانت إتهامات مصالي ورفاقه لجبهة التحرير الوطني ورجالها بوضع الحزب والقضية الوطنية تحت وصاية جمال عبد الناصر ، كما إتهموه هو أيضا بخيانة القضية الوطنية.

ولعل جذور الصراع حسب البخاري حمادة تعود إلى سنة 1947 سنة تشكيل المنظمة الخاصة(2) وإلى التردد والرفض الذي قوبلت بهما من طرف البعض من قيادات ذلك الحزب والكرهية التي ولدتها تلك المواقف لدى رجال المنظمة. إن هذه المواقف الغريبة تعود إلى تفاعل عدة عوامل منها: الطابع الفجائي لحدث نوفمبر جعل مصالي وجماعته وكل الأحزاب الوطنية تتعامل مع الحدث إنطلاقا من خطها السياسي المعهود. وهو الخط الذي سيظل يحكم سلوكها إتجاهه برغم إنضمامها له بعدها في أبريل 1956. أما ثاني تلك العوامل أو الحقائق هو عمق العلاقة الإنسانية والنضالية

(1): ملود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 69

(2): ملود قاسم، نفس المرجع، ص 149

التي ظلت تربط مصالي الحاج برجال نوفمبر. فهو كان يمثل وبعترافهم رمزا للوطنية، وبحزبه رمز مدرستها النضالية الأولى هي التي كانت وراء الحقد الذي ميزها بسبب رفض مصالي وقيادته الحزبية مثلما يفعل معظم الآباء، التسليم بأن الأبناء قد ينجحون في مشاريع ثورية وغير ثورية، إذ يرون أنفسهم وحدهم القادرين على تجسيدها.

أما ثالث تلك الحقائق فهي التي تؤكد أن رجال نوفمبر قد تعاملوا إزاء المصاليين وغيرهم من الأحزاب الوطنية إنطلاقا من تلك الشرعية الوطنية الجديدة، التي عملوا على تكريسها كشرعية واحدة، وذلك من خلال تحويلهم لهذا الحدث الثوري إلى مرحلة جديدة للوطنية الجزائرية المعاصرة، والموافق منه إلى مقياس لتلك الوطنية سواءا كانت مؤيدة أو مناوئة له. بذلك يكونوا قد لغوا الدور الوطني لرجال الماضي وشككوا في مواقفهم.

نفس التفسير يذهب إليه بن يوسف بن خدة تقريبا في موقف المصاليين من الثورة، فحسب رأيه كان مصالي الحاج يعيش وضع الأب الذي ينظر إلى ابنه الكهل بنفس النظرة التي كان يراه بها يوم كان صبيا. فهو لم يصدر منه اتجاه ما يحدث آنذاك سوى كلمة "لا" وخاصة مع إقتراب الأزمة: لا لتوحيد الصفوف، لا للتعاون في المجالس البلدية، بل لا للمنظمة الخاصة ذاتها، "ثم إن إقدام مصالي على تفجير الأزمة في الوقت الذي كنا فيه نستعد فيه لإعادة بعث المنظمة شبه العسكرية على أسس جديدة، إنما هي طريقة أخرى لقول: لا للثورة المسلحة، لا للتحضيرات بدل تقديم يد المساعدة في ذلك" (1).

هذا ما دفع ببعض المناضلين إلى القول بأنه لو بقي مصالي على رأس حزب الشعب لما كان ثمة أول نوفمبر 1954 أبدا. فرغم أنه كان رمزا للوطنية ومقداما غير أنه كان مفتونا بالحياة الفرنسية والشعب الفرنسي الذي خالطه لمدة طويلة جدا. كما لا ننسى أن مصالي الحاج صنيعة اليسار الفرنسي الذي كان تصوره إتجاه الكفاح هو المظاهرات وتحريك الجماهير وإعتلاء المناصب. فهو

(1): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 333

لم يكن بمقدوره القيام بعمل منهجي منظم رغم أنه كان دوماً ينادي بضرورة التنظيم في خطابه
فربما فعلا كان يود أن يكون المحاور الوحيد والأساسي لفرنسا دون غيره من الزعماء الوطنيين.
غير أن موقف المصاليين تغير تدريجيا ليتحول إلى انضمام شامل للثورة وتبني أهدافها ومبادئها:
"إننا جماعة من مسؤولي الحركة الوطنية الجزائرية التابعة لمصالي الحاج، قررنا الانضمام إلى
صفوف جبهة التحرير الوطني بعد التفكير الطويل مراعاة لمصلحة وطننا المكافح من أجل
استقلاله"⁽¹⁾. وهذا ما يدل على قوة الإيديولوجية الثورية التي اقتنع بها مفجري الثورة وتبنوها على
أرض الميدان، ما أدى إلى اقتناع باقي المتقفين السياسيين بهذه الإيديولوجية، كما لانسى أن
المصاليين ومفجري الثورة رغم تصاعد أزمة سياسية وانشقاق بينهما، غير أنهما ينتميان إلى نفس
الحزب ونهلا من نفس المبادئ الوطنية.

المركزيون ونوفمبر:

إذا كان ذلك موقف المصاليين من حدث نوفمبر، فإن موقف المركزيين قادة لا قاعدة لم يختلف
عنه كثيرا خاصة من حيث المبدأ نظرا لإنتمائهم لنفس الحزب وإرتباطهم بنفس الزعيم (مصالي
الحاج). فهم لم يروا فيه حدثا فجائيا مثل باقي الأحزاب، بل اعتبروه إنقلابا داخل الحزب قاده أحمد
بن بلة من القاهرة⁽²⁾. فكان تعاملهم الأول مع الحدث هو محاولة العمل من خلال مبعوثهم (حسين
لحول ومحمد يزيد) إلى وفد جبهة التحرير الوطني بالقاهرة على تأخير الحدث بحجة التركيز على
تحويل القضية الوطنية أولا. لكن فشلهم في ذلك دفعهم إلى محاولة إحتوائه، لكنهم فشلوا أيضا في
ذلك. قاموا بعدها بالدعوة إلى إقامة تجمع وطني للأحزاب والشخصيات الوطنية بمثابة البديل عن
جبهة التحرير الوطني ورجالها الذين إعتقدوا جازمين أن فرنسا لن تتفاوض معهم.

(1): جريدة المجاهد، العدد 34، 1958/12/25، ص 28.

(2): حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 152

يذهب بعض الباحثين إلى أن مواقف المركزيين من الثورة كان يهدف الوصول إلى تحقيق استقلال داخلي للجزائر مع فرنسا، أو أكثر من ذلك أو أقل. أما الحقيقة التي لا يمكن التشكيك فيها هي أن المركزيين والمصاليين مثل غيرهم من الساسة الوطنيين الآخرين قد ركبوا قطار نوفمبر بعد إنطلاقه في غفلة وفي تشكك منهم جميعا. غير أنه بعد قيام مصالي الحاج بتأسيس الحركة الوطنية الجزائرية، كان موقف المركزيين مغايرا نوعا ما، فهم قد رفضوا ذلك الأمر وأرسلوا عدة برقيات إلى باريس يحتجون ويقترحون ويؤكدون أن المشكل سياسي، وأن الأحداث نابعة من الجزائر⁽¹⁾. وشاركوا بعدها في وفد مشترك من الأحزاب السياسية للتوجه إلى باريس لشرح القضية إلى أن تم إعتقالهم ثم أطلق سراحهم بعدها، فبدؤوا بالإنضمام فرادى وبالتعاقب إلى جبهة التحرير الوطني. وربما يعود ذلك إلى الإعتقالات الواسعة التي قامت بها السلطات الفرنسية في صفوف حركة الإنتصار لاسيما الأعضاء البارزين من اللجنة المركزية، إعتقادا بأنهم هم المسؤولين عن تفجير الثورة.

2- جمعية العلماء المسلمين والثورة:

جمعية العلماء وبحكم طبيعة نضالها ورجالها، هي أقرب للثورة من غيرها من الأحزاب الأخرى، فقد هيأت الذهنيات وأيقظت المشاعر بأناشيدها وتعليمها ومبادئها ومواقفها وخطبها⁽²⁾. فلم يكن من المنتظر أن تتخذ موقفا من حدث نوفمبر في غياب رئيسها الإبراهيمي، وهي لم تكن تعرف شيئا عن ذلك.

فقد فوجئت بدورها في حدث نوفمبر، ويذهب بعض الباحثين إلى أن أنصار هذه الجمعية حين يعملون على تقديم أنفسهم على أنهم الملهمون لثورة نوفمبر، لايقومون سوى بمحاولة إدعاء بنوة طفل ليس لهم. كما وضحت لسان حال الجمعية "البصائر" سنة 1955 قائلة: "أن الجمعية لاتعلق

(1): مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 68

(2): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 169

لها على ذلك الحدث لأنها لاتملك أخبارا مفصلة عنه". وهذا ما يؤكد رد الشيخ محمد خير الدين على طلب ممثل جبهة التحرير الوطني "بن الشيخ الحسين" بانضمام الجمعية إلى هذه الجبهة. حيث قال : "بأننا لانريد أن نكون أعداء... غير أننا تحالفنا في ماي 1945 مع حزب الشعب وضمن أحباب البيان ودفعنا ثمن ذلك. إن الموقف مختلف هذه المرة.. فنحن لسنا مورطين.. لقد تصرفتم لوحدكم.. وستدفعون الثمن وحدكم"(1).

لكنه ومن جهة أخرى يؤكد توفيق المدني دعمهم ومساندتهم لثورة نوفمبر، حيث قدمت نداء للشعب بهذا الحدث الثوري على لسان رئيسها آنذاك الشيخ البشير الإبراهيمي (2)، مفادها الدعم المعنوي الكامل للثورة ورجالها. فقد أيدتها منذ شهرها الأول على لسان رئيسها بالقاهرة كما أذنت لرجالها بالإنضمام للجبهة، وكان رجالها التبسي وخير الدين على صلة بقيادة الثورة مقتنعين قبل ذلك بأن حركة الانتصار كانت هي المهيمن الكبير على الحياة السياسية في مرحلة ما قبل الثورة، إضافة إلى كون أعضاء هذه الحركة إنبثقت منهم فكرة الكفاح المسلح من أجل الاستقلال. وفي مقابل ذلك لم يطلب قادة الثورة من الجمعية حل نفسها لأنها بالأصل لم تكن حزبا سياسيا، وإنما طالبوها بتقديم الدعم المادي والمعنوي، من خلال وسائلها كالإعلام والاتصال والدعاية. حيث كان مفتشو التعليم وصحافيوها يقومون بدور هام لصالح الثورة في الربط بين المناطق، كما كان عدد من معلميهما بالارياض يؤدون مهمة مؤثرة في التوعية وحث الناس على الإلتحاق بالثورة، ومهما كان الأمر فإن جمعية العلماء فتحت صدر جريدتها "البصائر" لأخبار الثورة : أما في جانفي 1956 كشفت الجمعية عن تأييدها المطلق لجبهة التحرير الوطني(3) .

حيث يوضح توفيق المدني وبشكل موجز المسيرة النضالية للجمعية من خلال جهودها في إحياء فريضة الوعي والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المساجد والنوادي والاجتماعات

(1): حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 153

(2): نص الرسالة كاملا، أنظر توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الثالث، مع ركب الثورة الجزائرية، الشركة

الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص - ص 26- 29

(3): نفس المصدر، ص 32

الخاصة والعامّة، وبتّ الوعي الاجتماعي في كل طبقات الشعب الجزائري ومحاربة التفرقة العنصرية والطائفية، بإعتبار أن الإسلام الحنيف دين وحدة عامّة، أوجدت أخوة جديدة في الدنيا هي أخوة الإسلام. ويوضح بأن الجمعية قد نجحت في تحقيق أهدافها قائلا: "...أصبحنا لانرى في الجزائر إلا ماشذ - أمة واحدة ، دينها الإسلام، ولغتها العربية، وطنها الجزائر المجاهدة"(1).

أما من جهة أخرى فقد كانت الجمعية منذ تأسيسها إلى غاية الفاتح نوفمبر 1954 تبشر بمسقبل الجزائر الحر والمزدهر، وتدعو الناس إلى إقتفاء أثر الرسول (ص)، وأثر الرعيل الأول من المؤمنين الصادقين الذي جاهدوا في سبيل نشر الدين الإسلامي وتعاليمه وفضائله، ونشر العلم والمعرفة بين الناس.

هكذا إذن كانت مسيرة جمعية العلماء التي وضحتها توفيق المدني، إلى غاية ذلك اليوم، يوم إندلاع الثورة التحريرية، إذ تذكر الجمعية اصطدامها بحزب الشعب أولا وحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (وهي نفس الحزب) ثانيا، بل وصل هذا التصادم إلى مبارزة صحفية حادة شارك فيها الشيخ البشير الإبراهيمي مشاركة حادة بفرقه وقلمه. حيث اعتبر أعضاء الجمعية أنفسهم قد شاركوا في الثورة بشكل غير مباشر من خلال مسيرتهم النضالية القائمة على تأسيس المعاهد والمدارس التي من شأنها زرع العلم والمعرفة بين أبناء الشعب الجزائري ، وبالتالي انتشر الوعي الوطني بينهم والرغبة في إصلاح الوضع، خاصة وأن بيان أول نوفمبر قد أشار إلى أن الثورة هي ثورة شعبية لاحتزبية، وأن قيادتها جماعية لافردية، وأنها تدعو الأمة الجزائرية بكاملها إلى المشاركة في تحقيق الاستقلال الوطني. كما صرح توفيق المدني في ذلك قائلا: "وبعد مذكرات طويلة ومفاهيم خاصة وعامة، رأينا أننا من الثورة ومع الثورة ولا يمكن إطلاقا أن لانكون مع الثورة.."(2). ويذكر أيضا في نفس السياق بأن الشيخ العربي التبسي دعم الثورة وتدرج معها إلى ذروتها، إذ ألقى رجال المنظمة العسكرية الاستعمارية القبض عليه ليلا وساقوه إلى ساحة الإعدام.

(1): توفيق المدني، نفس المصدر، ص 21

(2): توفيق المدني، نفس المصدر، ص 23.

فإنطلاقاً مما سبق يتضح لنا بأن جمعية العلماء قد باركت الثورة منذ اندلاعها، بل وطالبت من رجالها وطلبتها أن يعملوا ما استطاعوا مع الثورة، مع وجوب المحافظة على مكتسبات الأمة الجزائرية على حسب رأيهم وهي المعاهد والمدارس الابتدائية التي ساهمت الجمعية في إنشائها.

كما يضيف باحثون آخرون بأن إنضمام الجمعية إلى حدث نوفمبر لم يكن تلقائياً، بل جاء إثر محاولات بائسة وآمال مبهضة. وتفسير ذلك حسب البعض أن العلماء ينحدرون من أصل برجوازي ليس بالمفهوم المادي للكلمة فحسب بل حتى معناها الثقافي. فأى علاقة مشتركة يمكن أن تربطهم مع هؤلاء الفلاحين المعدمين الذين فضلوا المقاومة. هؤلاء هم شبه البروليتاريا الذين يزرعون الرعب في المدن أو مع أولئك العصامين الذين تصدروا حركة التحرير⁽¹⁾.

إن القضية أبعد من مجرد سوء تفاهم بين أشخاص من طبقات مختلفة، لأن مايفرق بين جبهة التحرير وهؤلاء البرجوازيين المتقفين هو وجود فروقات بين صفوفها. إن جبهة التحرير وباعتبارها وريثة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية التي جمعت داخلها أفراداً من كل الأنواع: مخبرين للشرطة الفرنسية، سارقين، مجرمين سابقين، تجاريين... وغيرهم قد أخذت نفس هيكل الحزب وجندت كل من كانوا إطاراته ومناضليه.

وعن مثل هذه التساؤلات والأفوال يرد بعض المتعاطفين مع الجمعية، أن هذه الأخيرة ليست من يدعي ذلك الدور الإلهامي لحدث نوفمبر. بل المستعمر نفسه يؤكد ذلك مثلما صرح جنرال فرنسي قبل الحدث وبعده، والذي أعلن فيه أن علماء مدرسة قسنطينة معهد ابن باديس حين روجوا للمذهب الوطني الإسلامي، قد نجحوا في جعل المؤمنين بها يخلطون من تقاليد البالية ومن حفلاتها وفولكلورها، تمهيدا بذلك الطريق لعمل أعوان حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية الذين وجدوا نتيجة لذلك جوا ملائماً.

(1): حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 154

بعد إندلاع ثورة نوفمبر لم يطلب أبدا من جمعية العلماء حل نفسها، وإذا كان موقفها من الحدث فعلا كما أقرت بأنه فاجأها مثلما فاجأ غيرها ماجعل ردها إزاءه متأخرا، فإن ذلك لا يعود إلى رفضها المبدئي له، بل إلى تخوفها أن يتحول ذلك الحدث إلى 8ماي1945 من جديد. وإلى تلك الأزمة التي شهدتها عام 1951 بعد إنتقال الشيخ البشير الإبراهيمي إلى القاهرة وتولي الشيخ العربي التبسي رئاسة الجمعية بعده.

من خلال ذلك فإن هناك العديد من التساؤلات والإيماءات حول موقف جمعية العلماء المسلمين لكن لا بأس ببعض التحفظ كما يوضح البخاري حمانة إزاء الحكم عليها، وهو الحكم الذي وصل بالبعض لإتهامها بالخيانة⁽¹⁾. كما لاننسى حقيقة أنه لا يمكن أن نطلب ممن تكون في ظل المساعي السياسية القديمة أن يتحول إلى بين عشية وضحاها إلى ثوري، خاصة بعد رؤيتهم لثوريين تخلوا عن ثورتهم قبل نوفمبر1954، وأصبحوا يؤمنون بالحلول السياسية وإمكانية تحقيق شيء عن طريق الإنتخابات التي تنظم في إطار الشرعية الفرنسية، بل ويعود التحفظ أيضا إلى استحالة تصور أي عاقل لتلك الخيانة خاصة من طرف كبار رموزها.

3- موقف الإدماجين والشيوعيين من الثورة

الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

كان وضع هذا الحزب قبل اندلاع الثورة يختلف نوعا ما عن باقي الأحزاب، وذلك بسبب السمعة السياسية التي كان يتمتع بها مؤسسه وأمينه العام فرحات عباس، كما أن الحزب كان يحوي على الكثير من المثقفين والتجار الكبار في صفوفه. وقد تمكن من جهة أخرى من الإنتشار في مختلف أنحاء الوطن، فقد أصبح في ذلك منافسا لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية⁽²⁾. لكنه ورغم مكانته المتميزة فإن موقفه من الثورة في عامها الأول لم يختلف كثيرا عن مواقف الأحزاب

(1): البخاري حمانة، فلسفة الثورة، مرجع سابق، ص 63

(2): محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، الطبعة الأولى، 1984، ص151

السياسية الأخرى. فإن فرحات عباس كمتقف سياسي لم يؤمن بالعنف الثوري في التغيير، ويرفض أن يكون حل القضية الوطنية في الانفصال عن فرنسا الوطن الأم حسب رأيه، هذا ماجعله يصف الثورة المسلحة في أول تعليق له بأنها:

"اليأس والفوضى والمغامرة"⁽¹⁾، إذ تعتبر هذه الكلمات الثلاث إمتدادا للتعبير الذي كان عباس يصف به حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية في مرحلة العمل السياسي تحت غطاء الشرعية. أي أن فرحات عباس رفض الحدث مبدئيا، لأنه حسب رأيه العنف ليس وسيلة لحل القضية الوطنية ولا أي قضية أخرى. كان من الأجدر حسب رأيه تمكين الشعب الجزائري من الإختيار الديمقراطي لممثليه عن طريق إنتخابات حرة من أجل إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة فيدراليا بفرنسا، واستعداده لقبول قانون 1947 في إنتظار مثل تلك الجمهورية. وقد نشر في جريدته الإفتتاحية تذكيرا بمشروعه القديم وأنه لايزال حلا ناجعا وهو الاستقلال الداخلي تكون مهمته أساسا: "تسيير الأمور الداخلية لكل جزء من أجزاء الوحدة الفرنسية، في إطار إتحاد فيدرالي يجعل الدفاع والخارجية والبنك من اختصاص فرنسا الأم"⁽²⁾.

يوضح فرحات عباس من جهة أخرى بأن حركة الإنتصار قد وقعت في التزييف وأخطأت التقدير وانخدعت للنظام الاستعماري، وبفضل النقد الشديد الموجه لها من عناصرها الأكثر صلابة استتيقت وأسست المنظمة الخاصة. وعندما وقعت في الأزمة سنة 1953 وتكرس الإنقسام في صفوفها، ظهرت نزعة ثالثة وأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي حددت هدفها المتمثل في تحقيق الصلح بين الطرفين المتنازعين، وفي حالة الفشل تتولى التحضير للعمل المسلح المباشر، ومن خلال ذلك فإن اللجنة الثورية تحولت إلى قيادة أركان ثم أعطت الإشارة للإنتلاق في عمليات الفاتح نوفمبر 1954. بمعنى آخر فإن حزب الإتحاد الديمقراطي إعتبر حدث نوفمبر حدثا طبيعيا

(1): محمد العربي الزبيري، نفس المرجع، ص 152

(2): مولود قاسم، المرجع السابق، ص 70.

أمام تزوير الإنتخابات وتصلب المستوطنين وفشل الإدارة في إدراك نفسية الجزائريين، أي أنه توقع حدوثه أمام هذه التجاوزات.

ومن خلال طرح فرحات عباس رغم نقده الموجه لحركة الإنتصار، فقد اعترف بشكل غير مباشر بأن اللجنة الثورية للوحدة إنبثقت عن حركة الإنتصار، وأن جبهة التحرير الوطنية بدورها إنبثقت عن هذه اللجنة. لكنه لم يتخذ بذلك موقفا ثوريا لكونه رجل سياسي لا يؤمن بالعنف الثوري، و متمسكا بالشرعية الاستعمارية يملك مشروعا وبرنامجا سياسيا ناضل من أجل تحقيقه منذ الاربعينات فكان من الصعب نوعا ما التحول إلى مشروع آخر مختلف عنه تماما.

وفي كتابات أخرى يذكر فرحات عباس أنه التقى بالسيد محمد خيضر بالقاهرة في جويلية 1954 فقال له أن استراتيجية الأحزاب السياسية يجب أن يتم تجاوزها في وقت قريب جدا، لأن وضعنا جديدا على وشك الظهور، وضعنا سيفرض علينا - حسب قول عباس - العمل في حزب واحد. وقد أكد له محمد خيضر ذلك بشكل غير مباشر (1).

إن كل هذه الأدلة والإعترافات تثبت لنا بأن فرحات عباس كان على دراية بإنطلاق الثورة المسلحة في موعدها المحدد، رغم إدعائه بالعكس. وفي الوقت الذي اندلعت فيه الثورة، كانت اللجنة المركزية للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في إجتماع لدراسة بعض المسائل منها قضية تقديم إعانات مالية لمنكوبي زلزال الأصنام، إضافة إلى مسألة النتائج السياسية المترتبة عن انقسام حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. ونظرا لأن الأحداث الجديدة قد فرضت نفسها بعنف، فإن أعضاء القيادة السياسية قد تعرضوا لها بالبحث والتمحيص. وحسب رأي عباس فإن تلك الأحداث التي عرفتها البلاد في الفاتح نوفمبر 1954 إنما هي تجسيد للإنذارات المتكررة التي كان يوجهها الإتحاد

(1): و ردا على سؤال عباس الذي استفسر عما إذا كان الوضع الجديد يشبه زمن احباب البيان والحرية، فأجاب خيضر بنعم. أنظر: العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 152.

للسلطة الفرنسية، وهي من جهة أخرى أيضا إنتصار على مزيفي الانتخابات وأنصار الإضطهاد المسلط على الأهالي.

وفي حقيقة الأمر فإن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لم يكن يؤمن بأن جبهة التحرير الوطني التي ظهرت فجأة ونقلت الصراع السياسي إلى ميدان المعركة المسلحة قادرة على الاستمرار في الكفاح المسلح لمدة طويلة. ومع ذلك إعتقد أن الهزة العنيفة التي وقعت للمعمرين سوف تفتح طريق المفاوضات ، وسيكون هو أول المستفيدين منها نظرا لخبرته السياسية وحنكته.

وبعد اجتماع اللجنة المركزية بحوالي عشرة أيام، صدر العدد السادس والأربعون لجريدة الجمهورية اللسان المركزي للإتحاد، وفيه مقال لفرحات عباس خاص بأحداث نوفمبر قائلا فيه (1) :
أ - " إن موت العلم (ويقصد السيد مونرو الذي أعدمه الثوار في طريق آريس) قد أثر فينا تأثيرا عميقا وبكيفية خاصة...إنها خسارة أصابتنا في الصميم، بل إن الشعب الجزائري كله قد أصيب في أعماقه"

ب - يجب أن يقتنع الفرنسيون والمسلمون بأن تشتتهم أمر قاتل بالنسبة للبلاد بأكملها.

ج - إن موقفنا (أي الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) معروف وهو لايشكو أدنى غموض، إننا سنظل مقتنعين أن العنف لايسوى أي شيء."

- يتضح لنا جليا ومن خلال تصريحات ومقال فرحات عباس بأن موقف حزبه السياسي كان مناهض تماما وبشكل صريح للكفاح المسلح ونداء جبهة التحرير الوطني، رغم أنه يشير إلى العكس كما يوضح العربي الزبييري، وهذا ما يدعو للتناقض، أو ممكن أنه كان مع الثورة لكن بقلبه فقط.

(1): العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 154.

- من جهة أخرى يذكر فرحات عباس في العدد الرابع والخمسين من جريدة الجمهورية الجزائرية بعض الشروط التي وحسب رأيه أنها وسيلة لدرء الخطر للوجود الفرنسي بالجزائر، وهي: (1)

1- إحترام القانون والعودة إلى حرية التصويت.

2- إحترام حرية التفكير وإطلاق سراح المسجونين السياسيين مع تطبيق العفو الشامل على كل المحكوم عليهم بسبب أفكارهم.

3- إيقاف حملات القمع في الأوراس ومنطقة القبائل.

4- العمل على إعطاء نصف الوظائف العمومية للأهالي مع السماح لهم بالإسهام في تسيير الشؤون السياسية المنصوص عليها في الدستور.

5- فتح المدارس في وجه كافة الأطفال المسلمين.

6- المساواة في التمثيل بين الأوروبيين والمسلمين داخل المجالس البلدية خاصة.

ومن أجل التخلي عن هذه الفكرة كان لابد من إنتظار تصاعد مد نوفمبر، خاصة أحداث

20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، وتزييف المستعمر مرة أخرى لتلك الإنتخابات (أفريل 1955)

، وتزايد رفض الإداريين والمعمرين لمحاولاته الهادفة لحل القضية الوطنية عن طريق الشرعية

التطورية. ليتخلى فرحات عباس بذلك وفي الأخير عن لعب دور رجل المطافيء بعد أن تخلت عنه

قاعدته الحزبية، فقد استقال أغلب النواب المنتخبون التابعون لحزبه من جميع الهيئات في

23 ديسمبر 1955، وسط إنقسامات الأحزاب الوطنية الأخرى. وبعد تأكده بأنه أصبح لعبة في يد

المستعمر بدأ في القطيعة معه بشكل جاد، والتي انتهت به بالإنضمام مثل جمعية العلماء إلى مسيرة

(1): نفس المرجع، ص 155

الثورة في 25 أبريل⁽¹⁾ 1956. حيث كان لانضمام فرحات عباس إلى الثورة صدى دبلوماسي كبير في الجزائر وفرنسا.

الحزب الشيوعي الجزائري ونوفمبر:

يرى بعض الباحثين أن رد فعل الشيوعيين من حدث نوفمبر كان أسوأ من رد فعلهم إزاء مجازر 8 ماي 1945⁽²⁾. أكدت ذلك نتائج إجتماعهم يوم 2 نوفمبر 1954 التي أكدت أن تلك العمليات مجرد حركة أقلية لاسمؤولة، وبمثابة استفزازات هادفة إلى تبرير لجوء السلطات الاستعمارية ومن جديد إلى عمليات قمع الشعب الجزائري كما فعلت ذلك في ماي 1945. ومن ناحية أخرى رفض الشيوعيون حدث الثورة واعتبروها مغامرة جديدة مثل التي حدثت يوم 8 ماي 1945، لكنهم أخذوا يغيروا من موقفهم تدريجيا. غير أن هذا الحزب لم يرضى بحل نفسه لإنضمام أعضائه في الجبهة، بل كون فرقة خاصة باسم "مكافحو الحرية" كجناح عسكري وأبقوا على اسم الحزب الشيوعي موازاة لجبهة التحرير الوطني. غير أن فعالية مكافحو الحرية كانت جد محدودة (العاصمة والشلف فقط)⁽³⁾. رغم ذلك إنضم أعضاء الفرقة هذه إلى جيش التحرير، في حين بقي الحزب متمردا على جبهة التحرير التي إعتبرته بدورها خطرا على وحدة الكفاح المسلح مثل حركة مصالي الحاج. وفي هذا الصدد ومن اجل تبرير موقفهم من الثورة قال الشيوعيون: "إن العمل المسلح كان ضمن استراتيجيتهم، وأنهم قد أدانوا القمع الاستعماري ضد الشعب الجزائري وطالبوا بتلبية مطالبه من خلال حل ديمقراطي لقضيته، حل يأخذ بعين الإعتبار كل سكان الجزائر دون تمييز ديني أو عرقي، وأنهم قد شاركوا ومن خلال منظمة المقاتلين من أجل الحرية عام 1956 في القتال المسلح ضد

(1): يذكر أبو القاسم سعد الله أن تاريخ إنضمام فرحات عباس للثورة وجبهة التحرير الوطني كان في مارس 1956. أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 169
(2): مولود قاسم، المرجع السابق، ص 76
(3): أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 168.

المستعمر"⁽¹⁾ . لكن مثل هذه التبريرات لا يمكن أن تغير كثيرا من موقفهم إتجاه ثورة

نوفمبر 1954.

من جهة أخرى تتضح بعض المواقف الفردية الصادقة لبعض رموز الحزب الشيوعي الجزائري، الذين أدانوا بوضوح ومن دون تردد القمع الاستعماري ضد الشعب الجزائري متحملين الكثير من أجل ذلك. فإن موقفهم المطالب بتلبية مطالب الجزائريين ضمن جزائر متعددة الأجناس والأديان، يؤكد بشكل واضح طروحات قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي حول الأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين، وتجاهل حقيقة الأمة الجزائرية التي لا تختلف عن حقيقة أي أمة أخرى. رغم ما عانته من محن وفي مقدمتها الأمة الفرنسية كما لاحظ ذلك الشيخ عبد الحميد ابن باديس⁽²⁾.

وأخيرا لا يمكن أن ننكر أن العديد من المناضلين الشيوعيين الجزائريين (مايو، إيفتون، أودان، توفيني...) قد شاركوا في الكفاح المسلح ودفَعوا حياتهم في ساحات القتال. فتلك مشاركة فردية رغم تعليمات قيادة الحزب التي لا طالما إنشغلت بمصالح فرنسا، أكثر من إنشغالها بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال. لكنها بالنهاية مثل باقي الأحزاب قد إنضم الحزب الشيوعي الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني.

لا يقتصر مفهوم المثقف كما سبق وأشرنا إلى من يشتغل بفكره وقلمه فقط ولا يبدي موقفا ثابتا حول قضية معينة، بل عليه أن يكون صاحب موقف أو قضية أو رأي معين يهدف من خلاله إلى إحداث التغيير. فمن هذا المنطلق يمكن اعتبار زعماء الأحزاب السياسية مثقفين حزبيين يختلفون نوعا ما عن المثقف الثوري الذي يجسده أساسا مناضلي حزب الشعب أعضاء اللجنة الثورية، أو مثقفين تقليديين بالمفهوم الفلسفي، حيث كانت لهم مواقف تعكس بيناتهم الثقافية التي نشؤوا فيها ونهلوا من مبادئها وأفكارها. فالمثقف في الأخير هو ابن بيئته.

(1): كان الحزب الشيوعي ينظر إلى العمل المسلح أنه عملية استنزافية مصيره ما حدث في 8 ماي 1945 لذلك كان يدعو لليقظة المطلقة. للمزيد أنظر: علي كافي، المصدر السابق، ص 51.

(2): كان هدف الشيوعيين القريب هو الخبز ومكافحة البطالة أما هدفهم البعيد فهو إنتصار الثورة العالمية للبروليتارية. مولود قاسم، المرجع السابق، ص 82.

من خلال ماسبق إذن يتضح جليا أن إندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954 كان حدثا حاسما تبلورت حوله العديد من المواقف المختلفة التي أبقاها المثقفين الجزائريين زعماء الأحزاب السياسية، فقد باركت أغلب هذه الحركات هذا الحدث واعتبرته مناسبة في تلك المرحلة. لكن في الواقع نجد أن المواقف الفعلية قد اختلفت بينهم، حيث لعبت المرجعية الفكرية والبيئة الثقافية دورا هاما وكبيرا في بلورة هذه المواقف. فنلاحظ أن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وزعيمه فرحات عباس لم يحبذ مطلقا العنف الثوري، واعتبر حزب الشعب قد وقع في نوع من التزييف، وكان عليه حسب رايه أن يفتح باب الحوار والانتخابات مع الطرف الفرنسي⁽¹⁾. ولاننسى من جهة أخرى بأن فرحات عباس كان مثقفا بالثقافة الفرنسية ونشأ بين مدارسها وتشبع بمبادئ الحضارة الفرنسية والأفكار الغربية. لذلك فإن موقفه في رفض العنف وتحقيق استقلال ذاتي مع فرنسا هو طبيعي جدا بالنظر إلى نشأته الثقافية كمتقف مفرنس متشبع بأفكار الحضارة الفرنسية ومرتببط بها. أما جمعية العلماء المسلمين بدورها قد باركت هذا الحدث وتفاعلت به حسب عدة كتابات، غير أنها قد أوصلت على لسان رئيسها محمد البشير الإبراهيمي بدعم الثورة وخدمتها، لكنه وضع شرطا مع ذلك وهو وجوب الحفاظ على المعاهد والمدارس الابتدائية التي أشرفت الجمعية على تأسيسها، بهدف نشر التعليم وإصلاح وضعية أبناء الجزائر⁽²⁾. أي أن موقف الجمعية كان نابعا من طبيعة منهجها الإصلاحية الذي اتبعته في نضالها منذ تأسيسها. فإن مؤسسي هذه الجمعية ورؤسائها بدءا بعبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي..، كلهم كان نخبة مثقفة بالثقافة العربية الإسلامية، مشبعة بأفكار الإسلام والداعية إلى إصلاح أوضاع الجزائري المسلم من خلال إصلاح أوضاع التعليم أولا.

(1): وقد إتهم فرحات عباس الإدارة الفرنسية بالتعفن السياسي الذي أدى إلى هذا الوضع، إذ عليها القيام بإصلاحات سياسية جذرية في إطار القانون الفرنسي. وكل ذلك تفاديا للعنف الثوري. كتاب مرجعي عن الثورة، مرجع سابق، ص 33.

(2): أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مصدر سابق، ص 23.

وبالنسبة لموقف المصاليين كمتقنين سياسيين من ثورة نوفمبر 1954، فنجد أيضا أنهم في أول الأمر رفضوا هذا الحدث لكنه ليس رفضا مبدئيا، ولكنهم حاولوا إنساب الثورة إليهم، لأنهم عهدوا تصدر الأحداث الوطنية والسياسية⁽¹⁾. ولانجد ذلك غريبا على مصالي الحاج الذي عرف حسب الكتابات التاريخية بحبه للقيادة الفردية للأحداث. فراح يؤسس الحركة الوطنية الجزائرية إعتقادا منه أنها ستنافس جبهة التحرير الوطني.

إن رد فعل المصاليين من الثورة كان نابعا من طبيعة إعتقاداتهم، ومن كونهم متقنين سياسيين فعلاوا الكثير من أجل الجزائر خاصة قبل استفحال أزمة الحركة الوطنية، فلا ننسى أن حزب الشعب الجزائري إلى جانب جمعية العلماء المسلمين قد لعبوا دورا كبيرا في بلورة الوعي الوطني الجزائري، ولاننسى أيضا أن هذا الحزب كان يمثل بقوة التيار الثوري الذي يعتبر أول من طالب بالاستقلال التام والجلء التام للجيش الفرنسي. فمن هذا المنطلق تفاجأ مصالي ورفاقه بالحدث وحاولوا نسبته إليهم، خاصة وأن حدث نوفمبر إتسم بعنصر المفاجأة، ماجعل مصالي وغيره من السياسيين يتعاملون معه وفقا لمساراتهم السياسية المعهودة. فقد كانت بذلك العلاقة بين مصالي الحاج ورجال نوفمبر علاقة إنسانية عميقة نظرا لأنهم كانوا ضمن مدرسة حزبية واحدة، وهي حزب الشعب الجزائري ثم بعده حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، لكن هذه العلاقة سرعان ماتحولت إلى حقد وبغض بعد إندلاع الثورة التحريرية، وذلك لإعتبارات سياسية كما وضحنا سابقا. وبالنسبة لموقف الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة التحريرية، فهو نابع بدوره من إيديولوجية هذا الحزب وطبيعته المرتبطة بدرجة كبيرة جدا بالحزب الشيوعي الفرنسي، حيث يعتبر جزءا منه، فقد رأوا تحسن وضع الجزائريين من خلال خطوة واحدة تتمثل في تحقيق مطالب الجزائريين ضمن جزائر متعددة الأجناس والأديان، وهذا ما يؤكد طروحات الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يتجاهل الأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين، فأصبحت بذلك قيادة الحزب منشغلة بمصالح

(1): رأى المصاليون أن الثورة لم تنطلق ي وقتها المناسب لا لشيء سوى لأنهم لم يكونوا هم رافدها الأصلي. علي كافي، المصدر السابق، ص56.

فرنسا أكثر من إنشغالها بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، هذا ما يعزل عدم مساندتها للثورة ولا إنضمامها إلى جبهة التحرير الوطني.

ثانيا : الطلبة الجزائريون والثورة التحريرية

شهدت الجزائر إنطلاقة فعلية للنضال الطلابي وبصفة رسمية سنة 1919 بعدما قام طلبة جامعة الجزائر ورغم عددهم المحدود من هيكله أنفسهم في تنظيمات طلابية، إذ ظهرت سنة 1919 "الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في الشمال الإفريقي" (1) A.A.E.M.N.A ، حيث تعود ظروف نشأتها إلى الظروف الصعبة التي كان يكابدها الطالب الجزائري في ظل سياسة التهميش الفرنسية من قبل الجامعة الفرنسية وجمعية الطلبة الفرنسيين. تواصل هذا النضال الطلابي من أجل دراسة أوضاع الطالب الجزائري وحل مشاكله ، مادفع بالطلبة الجزائريين الذين يزاولون دراستهم بفرنسا ، وبإيعاز من فرحات عباس إلى تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين A.E.M.A.F الذي تأسس في باريس من طرف الطلبة الجزائريين المجنسين بالجنسية الفرنسية، والإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين U.N.E.A الذي تأسس في ديسمبر 1953 بباريس (2) وكان يضم الفئات الطلابية الفرانكفونية اليسارية والذي كان قريبا جدا في مناهج عمله إلى الحزب الشيوعي الجزائري.

نلاحظ إذن أن الطلبة الجزائريين وبمختلف توجهاتهم ومشاربهم الثقافية والإيديولوجية قد تمكنوا من تكوين تنظيمات طلابية للدفاع عن حقوق الطالب الجزائري في البداية، لكنه وبعد إندلاع الثورة الجزائرية، حددت كل من هذه التنظيمات أهداف جديدة على رأسها دعم الكفاح المسلح للشعب الجزائري، غير أن مواقف كل منها اختلفت وتباينت حسب إيديولوجيات كل تنظيم طلابي ومشاربه الثقافية.

(1): نوارة حسين، المثقفون الجزائريون، مرجع سابق، ص 195
(2): الطلبة الجزائريون وثورة التحرير الوطني، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 9.

1- الإلتحاق الطلبة بالثورة وموقفهم منها:

عند اندلاع الثورة المسلحة في الفاتح نوفمبر 1954، لم يتردد التلاميذ والطلبة في الإلتحاق بها ولكن بصفة محدودة وجزئية، لعدة ظروف، فإن الأغلبية منهم إعتقدوا آنذاك أن مشاركتهم في الثورة المسلحة التي يقوم بها الشعب ستكون في نطاق العمل الدعائي داخل الوسط الطلابي الذي يعيشون فيه في المدن والقرى الكبيرة داخل الجزائر وخارجها⁽¹⁾. لهذا السبب إنتظر الطلبة والتلاميذ تسعة عشر أشهر كاملة ، وحاولوا أن يثبتوا لزملائهم الطلبة الفرنسيين عدالة قضيتهم الوطنية ، وقدموا لهم شهادات وصور حية عن الإرهاب الفظيع الذي يقوم به الجيش الاستعماري ضد المناضلين الجزائريين.

فإلى جانب إخوانهم الفلاحين والعمال ،سأهم الطلبة الجزائريون في ثورة نوفمبر 1954 وتابعوا تطوراتها منذ أول وهلة لإندلاعها ، فلم تكن الحركة الطلابية الجزائرية بمعزل عن الأحداث التاريخية التي عاشتها الجزائر فقد واكبت تطور الحركة الوطنية منذ نشأتها . إذ يعتبر تاريخ 1954 تاريخ مهم للحركة الطلابية فهي السنة التي تحولت فيها إتجاهاتها وتبلورت فيها مواقفها، ماشكل هاجسا لفرنسا التي حاولت طويلا ضمان تأييد الطلبة وإدخالهم في ألعبيها بإعتبارهم فئة مثقفة من أجل الحفاظ على المصالح الاستعمارية بالجزائر ، لكن الطلبة الجزائريين ساندوا الثورة وإلتزموا بمبادئها منذ ما قبل تأسيس إتحادهم الطلابي. حيث أكد هذا الأخير على موقفه من الثورة منذ البداية وأكد على دعمه ومساندته لجبهة وجيش التحرير الوطني، حيث جاء على لسان رئيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أحمد طالب: "...إذا كان من ضغط يمارس على الطلبة الجزائريين، فإنه ضغط الضمير الذي يملئ عليهم ألا يبقوا بدون شعور بالآلام شعبيهم، وأن يتضامنوا مع تطلعاته ويشاركوا في كفاحه. وأخيرا نؤكد بصورة نهائية على هذا الواقع: أنه إذا كنا نعني بالثوار هؤلاء

(1): يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 432.

الرجال الذين يطالبون بالحرية ويكافحوا من أجل الكرامة والحق في الحياة، فإن جميع المسلمين الجزائريين ثوار والطلبة الجزائريين مثل آبائهم ثوار بأتم معنى الكلمة⁽¹⁾.

- إن إحتكاك الطلبة الجزائريين بالثورة كان منذ إندلاعها 1954، حيث اختلفت مواقفهم من عنصر لآخر فمنهم من ساند الكفاح التحرري منذ بدايته، ومنهم من فضل الإبتعاد قدر الإمكان عن الساحة السياسية وهذا ما يؤكده عبد الله حمادي الذي يذكر أن الطلبة الجزائريين الفرونكفونيين بمختلف تنظيماتهم الطلابية ومشاربهم الفكرية والسياسية لم يلبوا نداء الفاتح نوفمبر 1954 وواصلوا إبتعادهم عن المسار الثوري إلى غاية ماي⁽²⁾ 1956. ومنهم من إتخذ موقفا وسطا وسائر الأحداث بشيء من التحفظ والحذر. ومنهم أيضا من تحمس لها واندفع نحوها بكل قوة ، وهذا الفريق الأخير من الطلبة سوف تكون له مساهمة أوفر في ثورة نوفمبر 1954.

غير أنه رغم الظروف القاهرة فإن مساهمة الطلبة الجزائريين لم تكن بعيدة عن الثورة ، فمن المؤكد حسب عدة مؤرخين أن شريحة الطلبة لم تكن بمعزل عن إرهابات الثورة خلال أشهرها الأولى ، حيث هناك عدة أسماء لطلبة جزائريين خدموا الثورة منذ بداياتها ، بل حتى استشهدوا في ميدان الشرف قبل شمولية الثورة وتنظيمها سنة 1956. وكان عددهم كبير حسب عدة مصادر..فما هو عدد الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الجامعات الفرنسية،والذين درسوا في المعاهد والجامعات العربية عند إندلاع الثورة؟

فحسب الإحصائيات التي يحددها عمار هلال في كتابه بناء على تقارير، كان عددهم كالاتي:⁽³⁾

- 513 طالب للسنة الجامعية 1954/1953

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 198.
(2): عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1962/1871، مشارب ثقافية وإيديولوجية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، الطبعة 2، ص 51
(3): عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، دار هومة، الجزائر، الطبعة 2012، ص 5، ص 15.

- 589 طالب للسنة الجامعية 1954/1955

- 684 طالب للسنة الجامعية 1955/1956.

- أما الطلبة المسجلين في الجامعات الفرنسية فقدرت بعض المصادر عددهم خلال نفس الفترة

المذكورة سابقا بحوالي 1400 طالب، بينما يقدره البعض بحوالي 1700 طالب.

أما الطلبة المسجلين بالبلدان العربية عند إندياع الثورة، هناك من يقدرهم بجامع الزيتونة بتونس بحوالي 400 طالب، أما بالمغرب بجامع القرويين يقدر عددهم بـ 186 طالب سنة 1950. إضافة إلى الطلبة المسجلين بمكناس ومراكش، والطلبة الجزائريين بالبلدان الأوروبية(1).

نلاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن هناك عدد وفير من الطلبة الجزائريين في مرحلة ما قبل الثورة وعند إندياعها داخل وخارج الجزائر. حيث أدى ذلك إلى وقوع صراعات وخلافات بينهم، لكن إندياع الثورة قام بجمعهم وتوحيدهم، فالتحق البعض منهم بصفوف جيش التحرير الوطني، وكرس البعض الآخر طاقته الفكرية للإشادة والتعريف بهذه العمل الثوري.

ومن جهتها فقد أولت الثورة هذا الشباب المثقف عناية خاصة، وعملت منذ بدايتها على إستيعاب العديد من الطاقات الفكرية والعلمية بين صفوف الطلاب للعمل معها في صفوف الجيش كمجندين، أو العمل في ميادين أخرى كالدعاية والإعلام والصحة وعدة ميادين أخرى حيوية لدفع عجلة الثورة نحو الأمام.

من بين هؤلاء الطلبة "طالب عبد الرحمن"(2) الذي تشبع بمباديء الثورة قبل ميلادها، حيث قام بتوظيفه عبقريته العلمية في صنع المتفجرات، ولذلك قد استعين به للإنتقام من الفرنسيين، حيث تم

(1): عمار هلال، نفس المرجع، ص 18

(2): طالب عبد الرحمن من مواليد القصبة بالعاصمة زاول دراسته وتحصل على شهادتي الابتدائية والأهلية، وتابع دراسته في المدارس الحرة هروبا من المعاملة الجائرة للاستعمار، التحق في 1951 بجامع الجزائر، وبعد

الإتصال به في أوت 1956 للعاصمة. كما قام هذا الأخير بعد التنسيق مع ياسين سعدي وبعض

زميلاتهم مثل جميلة بوحيرد، زهرة ظريف، سامية زكري، من تأسيس خلية لصنع القنابل.

وهناك عدة روايات تذكر بأن عبان رمضان يعد من المناضلين الفاعلين والأوائل الذين أسسوا خلية

ثورية بالجزائر العاصمة تهدف إلى جلب الطلبة إلى صفوف الثورة⁽¹⁾، جلبت إليها عدة طلبة

وطنيين أمثال: يوسف بن خدة، سعد دحلب، صالح الونيش، عمار أوزقان، محمد لجاوي، وبوعلام

أوصديق... وغيرهم. وقد لعب هؤلاء الدور الفعال في استمالة باقي الطلبة ودمجهم معهم سياسيا

وعسكريا، أصبحوا بعدها هؤلاء تدريجيا شعلة متأججة من مبادئ وقيم الثورة التحريرية.

يذكر أحد طلاب كلية الطب بالجزائر "الأمين خان" أنه كان هناك استعدادا تاما للثورة: «كنا

نحاول منذ اللحظات الأولى الإتصال بأصحاب بيان أول نوفمبر في الوقت المحدد، حيث إتضح فيما

بعد أنه من المصاليين، وفي غمرة الدراسة الجامعية كوني طالب في كلية الطب لم أتوقف عن

البحث بفارغ الصبر عن موعدا مع الأخ "عبان رمضان"⁽²⁾ الذي زرناه رفقة الأخ زهير إحدادن

وكان هذا اللقاء عبارة عن إنخراط رسميا في جبهة التحرير الوطني، كما كان فرصة لتأكيد أهمية

دور الحركة الطلابية في الكفاح المسلح»⁽³⁾.

هذا وتذكر مصادر أخرى أن الاستعداد للكفاح المسلح قد ساهم فيه الطلبة حتى على المستوى

الخارجي، مثل بعض المركزيين (حسين لحول، محمد يزيد...) الذين ساهموا في إيصال بيان أول

نوفمبر إلى الصحافة من خلال إرتباطهم بطلبة القاهرة والمشرق العربي.

اندلاع الثورة إتصل بقيادة الولاية الرابعة، وفي 1956 أشرف على مخبر لصناعة المتفجرات ألقى عليه القبض في أبريل 1957.

(1): كان عبان رمضان المندوب الوطني للثورة برفقة مساعديه المقربين بن خدة وسعد دحلب يولون أهمية أكبر إلى نوعية المناضلين أكثر من العدد. نوارة حسين، المرجع السابق، ص 200.

(2): عبان رمضان ولد في 1920 بالقبائل الكبرى، تخلى عن الوظيفة العمومية في 1945 للتفرغ للنضال من أجل الاستقلال، أعتقل في 1950 كمناضل في حزب الشعب وإلتحق بمجرد إطلاق سراحه سنة 1955 بجبهة التحرير التي أصبح أبرز مفكرها، فهو الذي تفاوض مع الأحزاب القديمة للإلتحاق بجبهة التحرير، أعتيل في 1957. محمد حربي، المصدر السابق، ص 189.

(3): أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 296

ومن الوجوه الطلابية البارزة التي نشطت في الثورة قبل ظهور الإتحاد الطلابي "بلعيد عبد السلام"⁽¹⁾ الذي تهيكل في صفوف جبهة التحرير الوطني وخدم الثورة وتوسعت نشاطاته منذ ماي 1955 ، وفي عام 1956 كلف بمهمة توسيع دائرة الحوار والتشاور مع جموع الطلبة وتوضيح المهام الصعبة لهم، حيث نجح في مهمته هذه .ومن الشخصيات البارزة أيضا "محمد بجاوي" الذي كان مسؤولا عن فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، إذ تنسب له عدة إسهامات في الحقل الإعلامي حيث نجح في 1956 برفقة زميله "أحمد طالب" في كسب تأييد الرئيس الحبيب بورقيبة للثورة الجزائرية ،التي أضحت بحاجة إلى الدعم المادي والمعنوي بعد توسعها وشموليتها .

ونظرا لنشاطات الطلبة الجزائريين المسلمين المبكرة وتضامنهم مع الثورة ، فقد تعرضوا لعدة عراقيل وصعاب من طرف الإدارة الفرنسية تمثلت أساسا في التنكيل والإقصاء والإعتقالات والإغتيالات مثلما فعلت مع الطالب "قاسم زدون" الذي ألقته بجثته في البحر في نوفمبر 1954 وذلك كرد فعل على مساندة الدعم الطلابي الكبير للثورة .

غير أن هذه العراقيل لم تزد الطلبة إلا قوة وصمود من خلال إنتشار فكرة التطوع الطلابي في صفوف الثورة ،حتى أن المجاهدين الأوائل للثورة قد رحبوا بهم وإعتبروا ذلك دعما مهما لهم ونصرا عظيما للثورة .فقد أسندت عدة مهام حساسة لرعيال الطلبة سواء السياسية أو العسكرية ، فعلى سبيل المثال تقلد العربي بن مهيدي المسؤولية للتحضير للثورة وتولى الأعمال الفدائية ،كما برز أيضا بوعلام أوصديق طالب عبد الرحمن، و عمارة رشيد الذي سعى جاهدا إلى تشكيل علاقات وطيدة مع النخبة الطلابية سواء في جامعة الجزائر أو الجامعات الفرنسية، من أمثال: "الوناس ،محمد خميستي،آيت شعلال، حفيظ كيرمان، الطاهر حمدي،علي عبد اللاوي،بوعلام

(1): من مواليد 1928 ببلاد القبائل، درس في مدارس حزب الشعب وتشبع بالمبادئ الثورية، أعتقل خلال مظاهرات 8ماي 1945، عين عضوا في اللجنة المركزية لحزب الشعب ثم حركة الإنتصار ما بين 1953/1954 عاش في فرنسا ما بين 1954 / 1956 ، ودرس في جامعة قرونوبل وإنضم خلال ماي 1955 إلى جبهة التحرير الوطني، وفي نهاية 1956 دخل إلى الجزائر .

أوصديق، محمد بن يحي، محمد بجاوي، مولود بلهوان، الأمين خان، بلعيد عبد السلام، طالب الإبراهيمي" (1) ، حيث كان هذا الأخير ينشط في جريدة الشباب ما بين (1952/1954).

أما الطالبات فهن أيضا لم يغبن دورهن في الثورة في مجالات الأعمال الفدائية، التمريض، الإعلام، وحتى التكوين السياسي لإدماج المرأة الجزائرية (2)، منهن: الزهراء ظريف، سامية الأخضرى، جميلة بوحيرد، جميلة بوعزة، حسيبة بن بوعلي... وغيرهن من اللواتي شاركن حتى في ساحات القتال.

ومن جهود الطلبة قبل تأسيس الإتحاد الطلابي، أنهم ساهموا ومنذ بدايات الثورة في محاولة إقناع المحيط القريب منهم بعدالة القضية الجزائرية، من خلال الندوات والمحاضرات وفضح الصور البشعة للمستعمر في حق الجزائريين لإثبات عدالة قضيتهم سواء الطلبة العرب أو الفرنسيين. حيث ماسعدهم على ذلك هو كونهم منذ وقت مبكر كانوا مهيكليين في تيارات الحركة الوطنية، خاصة حركة إنتصار الحريات الديمقراطية وكذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (3)، فإتسعت بذلك نشاطاتهم مع مطلع الخمسينات وأصبح لهم مكتبة هامة. كما كانت لهم أيضا مساهمة فعالة في كل الأطوار التي مرت بها الحركة الوطنية حيث كان الكثير منهم نشيطا في حزب الشعب الجزائري (4) وسعوا جاهدا لحل الخلافات التي كان يتخبط فيها الزعماء الوطنيين آنذاك. من بينهم "ديدوش مراد" الذي كانت له إتصالات كثيرة مع العديد من الطلبة الوطنيين بهدف توحيد صفوف الحركة الوطنية منهم: ماضي، زيدي، و حربي..

(1): هو ابن الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي متحصل على شهادة جامعية في الطب، ناضل في حزب الإتحاد الديمقراطي وانضم إلى فدرالية جبهة التحرير. ولد أحمد طالب الإبراهيمي في سطيف سنة 1932، درس في أحد المدارس الفرنسية رغم معارضة والده، لكنه برع فيها وتمكن من الإلتحاق بأقسام الثانوية بجدارة. مريم سيد علي مبارك، أعلام الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، ص 190.

(2): لم يغبن دور المرأة الجزائرية في الجانب اللوجستيكي. مقابلي مع الدكتور فيقيقي محمد الكبير، جامعة بشار.

(3): عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين، المرجع السابق، ص 44

(4): عمار هلال، نفس المرجع، ص 45

وقبيل إندلاع الثورة برزت أسماء متعددة للطلبة الجزائريين الذين ساهموا في دعم القضية الوطنية، من بينهم عبد الحميد مهري أحد أبرز أعضاء جمعية الطلبة، إذ تمكن من الجمع بين دراسته والعمل السياسي لأجل الثورة. هذا إلى جانب عدة طلبة نشيطين من أمثال: قاسم زريق، زور إبراهيم، أحمد عواق، مولود قاسم، الجنيدي خليفة، عبد الحميد بن هدوقة، رشيد سحري، أبو القاسم سعد الله، عبد الله ركيبي⁽¹⁾. ومن الطلبة البارزين أيضا زهير إحدادن⁽²⁾ الذي واصل نضاله في صفوف الحركة الطلابية بالعاصمة بعد إلتحاقه بالموسم الجامعي 1951/1950.. وغيرهم كثير ممن تقاتلوا في خدمة الثورة التحريرية.

ومما يلاحظ أن ظهور الإتحاد الطلابي الذي جمع الطلبة المسلمين الجزائريين جاء متأخرا نوعا ما مقارنة مع الإتحاد الطلابي الذي يجمع الطلبة الفرونكفونيين الذي تأسس مبكرا، غير أن دعمهم للثورة كان منذ إندلاعها حيث كان هذا الدعم في البداية سلميا تمركز حول جانب الإعلام والدعاية وخدمة مبادئ وأهداف الثورة، فلم تتغير مبادئهم طوال فترة النضال، بل عزوها من خلال صلتهم بالمنظمات العربية والإسلامية والعالمية التي تصب كلها في قضايا التحرر.

ويرى الجنيدي خليفة⁽³⁾ - أحد الطلبة الجزائريين في تونس - أن الطلبة كانوا على صلة بجبهة التحرير الوطني منذ البداية وباشروا العمل والدعاية لصالح الثورة مثل: جمع التبرعات ورعاية المجاهدين الجزائريين بتونس، وجمع الأموال والأخبار والأسلحة.

إذن فقد بارك الطلبة الجزائريين خبر إندلاع الثورة التي لم تكن بداياتها مجهولة بالنسبة إليهم، بل أنهم حسب رواية الجنيدي فقد شكلوا وفدا لزيارة الجزائر والوقوف على عدة مناطق.

(1): أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 301.
(2): ولد ببجاية في جويلية 1929، إلتحق بحزب الشعب الجزائري في غضون الموسم الدراسي 1947/1948، وإلتحق بجبهة التحرير الوطني في ديسمبر 1954 بواسطة زميله رشيد عمارة الذي كلفه بمحاولة استقطاب وتجنيد الطلبة للإضمام إلى الثورة. للمزيد أنظر: محمد عباس، مثقفون في ركاب الثورة، في كواليس التاريخ، دار هومة، الجزائر، ص 36.
(3): أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 303

لقد تعرض الطلبة نتيجة دعمهم للثورة إلى عدة إضطهادات من طرف الإدارة الفرنسية غير أن طالب العربية الحافظ للقرآن الكريم كان أكثر استهدافا من الطالب المتخرج من المدرسة الفرنسية. وقد أشار إلى ذلك عثمان سعدي بقوله : «إن إنضمام الطالب للثورة شمل المعرب والمفرنس ، لكن إنضمام الطالب المعرب كان أكثر وضوحا ، لا لأنه أكثر وطنية لكن لأنه كان مضطرا للصعود للجبال لأنه لو لم يفعل لأعتقل لأنه طالب العربية عند السلطة الاستعمارية كان يعتبر مشبوها يعتقل عند إندلاع أية حوادث ، ثم أن طالب العربية في ذلك الوقت كان يحفظ القرآن متفقا في الدين وهذا يفيد في تحرير الجماهير وتجنيدها لأنه طالب العربية عند السلطة الاستعمارية كان يعتبر مشبوها يعتقل عند إندلاع أية حوادث ، ثم أن طالب العربية في ذلك الوقت كان يحفظ القرآن متفقا في الدين وهذا يفيد في تحرير الجماهير وتجنيدها للثورة ، فالذي يحفظ حزب " عم يتساءلون " قادر على تجنيد الجماهير أكثر من دكتورة دولة من جامعة الجزائر أو جامعة السربون....»⁽¹⁾. وذلك نظرا لأن الطالب المعرب يمثل الهوية الوطنية ويساهم في بناء وطنه وفق مبادئ الإسلام والعروبة ، مايشكل تهديدا على مستقبل فرنسا بالجزائر .

من جهة أخرى يؤكد بن عميور أن إلتحاق الطلبة بصفوف الثورة لم يكن وليد الدعوة للإضراب ، وإنما كان قبل ذلك بقوله : «كانت أعداد هامة من الطلبة قد إلتحقت بالثورة منذ أيامها الأولى سواء من طلبة الزوايا والمدارس القرآنية أو المعاهد الدينية في الجزائر كمعهد ابن باديس وتونس (الزيتونة) والمغرب (القرويين) ، بالإضافة إلى عدد من المنتمين للمدارس الفرنسية الإسلامية وطلبة المشرق العربي وقد تم غالبا بالمبادرات الفردية وبدون ضجيج»⁽²⁾ .

وهذا ما يؤكد عثمان سعدي الذي كان طالبا حينها بقوله : "ينبغي التوقف عن اعتبار 19ماي 1956 تاريخ انضمام الطالب الجزائري للثورة ، هذا يعتبر سبة في جبين الطالب الجزائري . الحقيقة هي أن إنضمام الطالب الجزائري للثورة تم منذ اندلاعها ، فنة من الطلبة تأخرت وهم طلاب المدارس

(1): أحمد مريوش ، نفس المرجع ص 304
(2): نفس المرجع ص 304 .

الفرنسية. إنضمام الطالب هذا المبكر شمل المغرب والفرنس. لكن انضمام الطالب المغرب كان أكثر وضوحا ، لا لأنه أكثر وطنية ، لكنه كان مضطرا للصعود للجبال لأنه لو لم يفعل لأعتقل، لأن طالب اللغة العربية عند السلطة الفرنسية كان يعتبر مشبوها، يعتقل عند اندلاع أية حوادث. (1) .

فعلا لم يكن إلتحاق الطلبة الجزائريين بالثورة مرتبطا بالإضراب التاريخي، لكن ذلك لا ينفي الدور الكبير لهذا الإضراب الذي وضع جميع الطلبة الجامعيين أو الثانويين تحت تصرف جبهة وجيش التحرير الوطني، ويقول غي برفلي في هذا الصدد: "لقد جعل نداء ماي 1956 إلى الإضراب من الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين مجرد وحدة قتالية تابعة للجبهة، ووضع جميع الطلبة تحت تصرف الثورة ، فكل الذي كانوا ينتظرون ذلك وجدوا مخرجا من عزلتهم وتقاسموا المحن مع الشعب المكافح سواءا بالعمل في التنظيمات السرية، أو في الجبال أو في الاسر... (2) . فقد إلتحق الطلبة بالثورة طوعيا وليس إجباريا كما يدعي البعض، لأن جبهة التحرير الوطني كانت تولى أهمية اكبر لنوعية المناضلين وليس لعدددهم.

يدل قول سعدي بوزيان وغيره من الطلاب أن إيديولوجية الطالب الجزائري وثقافته كان لها دورا كبيرا في تحديد موقفه إتجاه الثورة، فكما لاحظنا أن الطالب المغرب كان ملزما نوعا ما بدعم الثورة منذ إندلاعها، على غرار الطالب المفرنس الذي تردد في ذلك إلى غاية الإضراب الشامل للطلبة عن الدراسة للإلتحاق بالثورة. تجمع كل المصادر على أن الطلبة الجزائريين الفرونكفونيين بمختلف تنظيماتهم الطلابية ومشاربهم الفكرية والسياسية لم يلبوا نداء الفاتح من نوفمبر 1954، وتواصل ابتعادهم عن المسار الثوري إلى غاية ماي 1956 تاريخ الإضراب عن الدراسة للإلتحاق بصفوف الثورة (3) . فإلتحق بعضهم بصفوف جبهة التحرير الوطني والبعض الآخر بجيش التحرير، لكن مساهمتهم في الثورة التحريرية أخذت أشكالا مختلفة من الأساليب النضالية التي

(1): بوزيان سعدي، الثورة الجزائرية بين طلاب اللغة العربية وطلاب الفرنسية ، جريدة رأي اليوم، 19 ماي 2015.

(2): نواره حسين، المرجع السابق، ص 200.

(3): عبدالله حمادي، المرجع السابق، ص 51

عرفت مراحل من أبرزها مرحلة التجنيد العام للطلبة الجزائريين من أجل الإلتحاق بالثورة المسلحة، والنضال السياسي في شهر ماي 1956 وأكتوبر 1957. لكن هذه التنظيمات الطلابية كانت علاقاتها مضطربة مع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وكان المتسبب في هذا الصراع هو المقصود بحرف M أي المسلمين.

فقد بلغ الصراع أوجه بين التنظيمين الطلابيين البارزين آنذاك: الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين UNEA، والإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA حول تسمية المسلمين التي أصر الطلبة الجزائريين المسلمين على إضافتها في تسمية الإتحاد⁽¹⁾ حتى يتسنى للإتحاد الطلابي الجزائري التميز بهويته الإسلامية الخاصة. لكنه ومن جهة أخرى فإن الإتحاد الوطني كان سابقا في الظهور في شكل تجمع طلابي يضم كل الشرائح الطلابية الجزائرية الفرانكفونية منذ ديسمبر 1953. حيث كان برنامجه ينص على الإنفتاح على مختلف الشرائح الطلابية من اصل جزائري، ومقتنع بأن استقلال الجزائر يجب أن يتم دون تمييز عرقي أو ديني. فهو إذن إتحاد لانكي يحمل نفس الأفكار التي يحملها الحزب الشيوعي الجزائري سليل الحزب الشيوعي الفرنسي .

- هناك بعض الروايات التي تقول بأن إهتمام الطلبة بالثورة مرجعه أساسا إضراب 1956/05/19 خاصة من طرف الفئة المثقفة⁽²⁾. غير أن ماحدث فعلا ينفي ذلك تماما فقد دعموها منذ بداياتها. صحيح أن بعض الطلبة أيدوا الثورة بعد 1956/05/19 (وهم الطلبة الفرانكفونيين خاصة)، غير أن أغلبهم أيدوا الثورة ودعموها منذ بداياتها. وهذا ما وضحه رابح مشحود قائلا: «أما وأن هناك فئة من الطلبة الجزائريين أضربوا عن الدراسة وأيدوا الثورة بتاريخ 1956/05/19، فهذا يضطرننا إلى القول بأن الطلبة الجزائريين أزرروا الثورة منذ بداياتها في الفاتح نوفمبر 1954 وكانوا من

(1): تسمى في بعض المراجع بقضية حرف M أي إضافة تسمية المسلمين في هوية الطلبة. أنظر: عبدالله حمادي، المرجع السابق، ص 52
(2): عبدالله حمادي، نفس المرجع، ص 51

رجالها الأولين ، وكانوا بذلك من طلبة جامع الزيتونة ومعهد ابن باديس والكتانية والقرويين والجامعات العربية والأزهر الشريف»⁽¹⁾.

ويواصل مشحود التأكيد على أن الشريحة المثقفة والنخبة هي التي أوجدت الثورة ، ويذكر عدة أسماء طلابية ممن إنضموا إلى صفوفها منذ الأيام الأولى لتفجيرها مثل: قاسم زدون، ماضي مبارك، محمد بوخروبة، عبد الرحمان محمد، عبد العزيز مشري.. وغيرهم.

كما يقول أيضا عثمان سعدي في هذا الصدد: «إن مرابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة كانت أسبق من غيرها إلتحاقا بالثورة فعدد كبير من أعضائها تدرّب على السلاح وعلى رأسهم الرئيس الراحل هواري بومدين وإلتحق بجيش التحرير الوطني منذ الإنطلاقة الأولى للثورة»⁽²⁾ ، حيث كان أعضاء هذه الرابطة هم الذين ألفوا أول وفد جزائري شبّابي أوفدته ممثلية جبهة التحرير الوطني بالقاهرة لتمثيلها في مهرجان فرسوفيا في أوت 1955. كما أن طلبة الشام هم أيضا لم يتأخروا عن دعم الثورة رغم البعد المكاني ، ولو بالدعم المعنوي والروحي.

- كانت هذه بعض مظاهر الدعم الطلابي للثورة منذ اندلاعها على الصعيد الداخلي، أما خارجيا فقد تصاعدت أيضا مساندة الطالب الجزائري أينما وجد لثورته التحريرية، رغم البعد الجغرافي:

لقد ساهم الطلبة الجزائريين سواءا بالغرب الجزائري أو الشرق أو الوسط ، في دعم الثورة والوقوف إلى جانبها منذ عامها الأول. فهناك عدة أسماء طلابية ساهمت في ذلك عن طريق تدريس اللغة العربية وعلوم الدين مثل: الشيخ الزيتوني منور بن عودة الذي جاهد بكلمته وفكره، والشيخ محمد الثابتي المعسكري الذي كان يلقي الخطب التوعوية والتحريرية ضد السياسة الاستعمارية قبل إنطلاق الثورة وخلالها. وما ساعد على توعية الطلبة إتجاه العمل الثوري خاصة في الشرق

(1) : أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 305

(2): أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 106

والوسط هو وجود عدة مدارس ومعاهد، مثل معهد عبد الحميد ابن باديس، والكتانية بقسنطينة التي ساهمت في غرس روح النضال في نفوس الطلبة.

- كان إذن موقف الطلبة الجزائريين المعربين سواء بالجزائر أو فرنسا أو أقطار العالم العربي داعما للثورة بشكل مطلق، فقد أكدوا وقوفهم إلى جانب جبهة التحرير الوطني والشعب الجزائري خلال مؤتمرهم الثاني في 24/03/1956 بباريس، وطالبوا في بيانهم بالاستقلال التام وإطلاق سراح المعتقلين الوطنيين، وناقشوا في نفس المؤتمر بضرورة تكوين مرضيين وممرضات من بين الطلبة الجزائريين في الطب والصيدلة قصد تزويد جيش التحرير بهم⁽¹⁾. لكن كل هذه الأعمال والمجهودات لم ترقى إلى مستوى ماتحتاجه الثورة والشعب الجزائري، لذلك كان لابد لها أن تبرهن على وجودها كقوة منظمة وفاعلة وعلى إلزامها إتجاه الثورة.

من أجل ذلك إجتمع بعض أعضاء فرع الجزائر للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في شهر ماي 1956⁽²⁾، لمناقشة مسألة إيجاد وسيلة للتعبير بصورة واضحة وجدية عن مساندتهم للثورة خاصة في ظل الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري آنذاك وحتى الطلبة الجزائريين. حيث تم التوصل إلى قرار ضرورة شن إضراب عام وشامل عن الدروس.

ومن أجل مناقشة هذا القرار والموافقة عليه من طرف الطلبة الجزائريين، إنعقدت الجمعية العامة لطلبة جامعة الجزائر يوم 17 ماي 1956، وتم خلالها مناقشة عدة قضايا حول الإضطهادات والإغتيالات التي يتعرض لها الطلبة من طرف السلطات الاستعمارية، وحول قضية الأضراب والتي إختلفت حولها الآراء خاصة بوجود عناصر تنتمي لجبهة التحرير الوطني التي تقبلت فكرة الإضراب، ووجود عناصر أخرى غير طلابية حذرت من عواقب الإضراب عن الجامعة

(1): رغم النزاع حول حرف "الميم" بين الطلبة الجزائريين والفرنكونفونيين، غير أن دعمهم للثورة كان مشتركا وغير محدود. للمزيد أنظر عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص - ص 50-51
(2): مثل صالح بن القبي وعلاوة بن بعطوش والأمين خان ومحمد بغلي. بغداد خلوفي، نشاط الحركة الطلابية الجزائرية اثناء الثورة (1962/1954)، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 140.

والدروس. ما أدى إلى إنعقاد جمعية أخرى في اليوم الموالي والتي تم خلالها حسم الأمر والإعلان الرسمي عن الإضراب بإجماع أغلبية الطلبة، حيث تم تحديد تاريخ 1956/05/19 يوما لبداية الإضراب، حيث تم توزيع بيان للإضراب في نفس الليلة وتم توزيعه على كافة الطلبة⁽¹⁾. وقد تضمن هذا النداء التاريخي للإضراب التذكير بالإغتيالات والملاحقات التي تعرض لها الطلبة من طرف السلطات الفرنسية، ما دفعه لرفض الشهادات التي تمنحها فرنسا إليهم على كاهل جثث الأبرياء من أبناء وطنهم، رافضين بذلك مستقبلا سيكون على حطام المدن والقرى والمداشر الجزائرية الخالية من أهاليها. وقد أكد الطلبة في نداءهم أن قرار الإضراب يجب ألا يأخذ مأخذاً آخرًا ويفسر على أنه موقف سلبي من الجامعة الفرنسية، بل من الثقافة الفرنسية، فيجب إذن وضعه في إطاره السياسي التاريخي الحقيقي. وهكذا فقد إلتقت الحكمة والدهاء السياسي مع الروح الثورية الفياضة والحماس الوطني عند الطالب الجزائري.

كما تم إتخاذ تاريخ إجراء الإمتحانات كموعد للإضراب لإعطاء صدى أوسع له بالجزائر، وأتخذ إغتيال الطالب فرحات حجاج من طرف السلطات الفرنسية بمدينة جيجل سببا مباشرا لإعلان هذا الإضراب. ويقول صالح بن القبي⁽²⁾ بأنهم قد حاولوا جاهدا الإتصال بالمسؤولين في باريس إلا أن صعوبة الظروف آنذاك والرقابة الفرنسية حالت دون ذلك، لكن الخبر وصل إليهم من خلال الصحافة. فرحبوا بالإضراب وأصدروا تصريحاً صحفياً في 1956/05/25 من باريس يزكي ما قام به مكتب فرع الجزائر ويدعو كل الطلبة الجزائريين بكل الجامعات الفرنسية إلى الإلتحاق بالإضراب ابتداءً من يوم الإثنين 1956/05/28.

قامت بعدها جبهة التحرير الوطني في شهر أكتوبر 1956 بإصدار أمراً بتمديد مفعول الإضراب ليشمل المدارس الإبتدائية والثانوية ابتداءً من الدخول المدرسي 1957/1956 من أجل تعميم

(1):عمار هلال، المرجع السابق، ص 34
(2): بغداد خلوفي، نفس المرجع ، ص 145.

المقاطعة للثقافة الفرنسية. ورغم الإستجابة الكبيرة للإضراب من طرف الطلبة، إلا أن فئة قليلة منهم لم يستجب لنداء الإضراب والتحقوا بالدراسة، ما أدى إلى تجديد النداء من طرف فرع الإتحاد بالجزائر في شهر أوت 1956. حيث أنهم لم يكتفوا بعدم تنفيذ الإضراب بل إختاروا طريقته الخاصة في إفشال مخططات العدو الفرنسي، وذلك من خلال التجنيد في صفوف هيئة النشاط الإجتماعي العنصرية للعمل في الجيش الفرنسي، للإلتحاق بعدها بصفوف جيش وجبهة التحرير الوطني.

ومن جهة أخرى فإن حتى جموع الطلبة لم يكونوا جميعهم مع قرار الإضراب، بل هناك من رفضه مثل محمد حربي الذي يقول بأنه كان ضد الإضراب وقد أجبر على قبوله نزولا عند رغبة الأغلبية هناك، في حين يرى علي هارون أن بعض الطلبة أجبروا على تأييد الإضراب بعد تعرضهم لتهديدات من طرف فرق فيديريالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، لكن رغم ذلك فقد كان عدد من لم يستجيبوا للإضراب قليلا لم يتعدى الخمسين طالبا⁽¹⁾.

كانت هذه المواقف الطلابية الجزائرية داعمة ومؤازرة للثورة منذ إنطلاقها، وحتى قبل تأسيس الإتحاد الطلابي الذي يمثلهم، وتواصل هذا الدعم حتى بعد تأسيس إتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955، حيث كان دعمهم هذا مبنيا على أهداف حقيقية منها أساسا العمل على تحقيق الاستقلال الوطني، والعمل على ربط مصير المثقف الجزائري بمصير شعبه المكافح، حتى تزول جميع الفوارق التي خلقتها التقاليد الجامعية الفرنسية. فمن هذا المنطلق يتشكل موقف الطالب الجزائري المعرب من الثورة، فلاننسى أن هذا الطالب خاصة المتواجد بفرنسا قد فرضت عليه الظروف والتقاليد الغربية في الجامعة الغربية نوعا من الانفصال الثقافي إتجاه وطنه، فرأى في الثورة التحريرية فرصة ذهبية لإعادة إحياء وطنيته وإرتباطه المنسي بوطنه ومقوماته الوطنية والإسلامية، وهذا ماجعله من ناحية أخرى يؤكد على تسمية "المسلمين" ويحافظ عليها أمام

(1): نفس المرجع، ص 150

صراعه الإيديولوجي مع التنظيمات الطلابية الفرونكفونية، فإن صفة المسلمين هي التي سوف تحافظ في نظر هذا الطالب على إنتمائه للجزائر العربية المسلمة وتحميه أيضا من الذوبان في الحضارة الفرنسية. وبالتالي يمكننا القول بأن المثقف الجزائري قدم دعما لامشروطا لثورته التحريرية مقتنعا بشرعيتها وعدالتها وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه، وفي المقابل أيضا فإن الثقة كانت في نظر هذا المثقف الجديد فرصة للتأكيد على إنتمائه للجزائر وإرتباطه بها ثقافيا وحضاريا رغم الظروف والعوامل التي كانت تحول دون ذلك.

2- الإيديولوجيا الثقافية للطلبة الجزائريين الوطنيين والفرونكفونيين:

اختلفت المواقف الطلابية إتجاه ثورة التحرير الوطني، وذلك مرده الإيديولوجيات المختلفة لهؤلاء الطلبة، فإن الطالب الجزائري المسلم الذي نشأ ودرس في الجامعات الفرنسية لاطالما كانت له مواقف خاصة إتجاه القضايا الوطنية، ولاطالما شكل الشعور بالوطنية لدى هذا المثقف المسلم ذا التكوين الفرنسي محل جدل بين الكتاب والمؤرخين. فمنذ أن جهر هؤلاء بمواقفهم سنة 1908 إتهمتهم فرنسا بالنفاق وبأنهم دعاة يندرون بخطر وشيك والمتمثل في القومية الإسلامية، بينما اعتبرهم الليبيراليون مواطنين فرنسيين لاشك في صدق وطنيتهم.

العديد من الكتابات التاريخية تؤكد بأن الشعور بالوطنية لدى هؤلاء المثقفين الفرونكفونيين كان متأخرا مقارنة مع باقي المثقفين السياسيين الذي إنخرطوا سابقا في الحركات المسلحة بشكل مبكر⁽¹⁾ مثل نجم شمال إفريقيا الذي يضم فئات العمال الجزائريين المغتربين . وذلك رغم وجود أحد المثقفين الفرونكفونيين الذي بادروا بإعلان وطنيتهم مبكرا وهو الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر وخريج المدرسة الفرنسية "سان سير"، حيث تذكر المصادر أنه قام بمراسلة الرئيس

(1): غي برفليي، الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1962/1880، ترجمة: حاج مسعود، بكلي، بلعربي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 381

الأمريكي ولسون طالبا منه التدخل من أجل استقلال الجزائر. لكن هذا الحدث كان بمثابة مبادرة فردية من طرف أحد المثقفين الفرونكفونيين التي لا يمكن تعميمها .

كما تؤكد مصادر أخرى بأن الوطنية الجزائرية قد ظهرت خارج محيط "الأنتلجنسيا الفرونكفونية الجزائرية"⁽¹⁾، فقد ظهرت كما تطرقنا سابقا في أوساط العمال المجندين وراء أفكار حزب نجم شمال إفريقيا، أو عند أتباع جمعية العلماء المسلمين ذوي التكوين المشرقي. وبدورها هذه التنظيمات السياسية كانت تصف هؤلاء الفرونكفونيين بالخونة وبحمل أفكار غريبة ومستوردة ودخيلة على هموم واهتمامات الشعب الجزائري، كما اتهموهم بالإندماجيين والمتبرجزين⁽²⁾ وما يدل على ذلك هي تلك الصراعات التي نشبت بين أنصار الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD، والمصاليين والمركزيين، والتي استمرت آثارها إلى مرحلة ما بعد اندلاع الثورة والتي توجت بإغتيالات عدة.

- كان هؤلاء المثقفين الفرونكفونيين يفتنّعون بفكرة الإندماج، حتى أنهم قبل سنة 1936 لم يؤمنوا بوجود ما يسمى بالحس الوطني الإسلامي الجزائري، حيث يعود هذا التغلغل الفكري لفكرة الإندماج لديهم إلى عمل المستعمر الفرنسي الذي سعى جاهدا إلى غرس هذه الأفكار الغربية في أذهانهم منذ إلتحاقهم بالمدارس الكولونيلية عام 1871. فإن هذه الأجيال الفرونكفونية قد تربت في أحضان الفكر الاستعماري وتشبعت بالفكرة الإندماجية التي لا تقوم على تعلم لغة وثقافة المستعمر فحسب، بل على التقليد شبه العقائدي لسلوك ونموذج المستعمر.

إنطلاقا من هذه الظروف والمنطلقات لا يمكن للمثقفين الجزائريين المسلمين تحديد إيديولوجيتهم ببساطة، لكنها عموما تميزت بثلاث إتجاهات متباينة:⁽³⁾

- التوجه الإندماجي التقليدي (الإندماج) قبل تاريخ 1919.

(1): غي برفليي، نفس المرجع، ص 383.

(2): عبدالله حمادي، الحركة الطلابية، مرجع سابق، ص 64.

(3): غي برفليي، المرجع السابق، ص 386.

- الإيديولوجية الفرونكومسلمة (الفرنسية الإسلامية) بمختلف أشكالها من 1919 إلى 1943.

- الوطنية الجزائرية ابتداء من 1943.

فهذه الإيديولوجيات تظل السمة البارزة التي ظلت تميز أفكار الطلبة الجزائريين الفرونكفونيين ، غير أن كل مرحلة كان لها تطوراتها ، وقد تمكنت أحد هذه الإيديولوجيات من إقصاء الأخريات. فالحركة الإندماجية أفشلتها إصلاحات 1919 قد استمرت في الوجود بفضل عمليات التجنس الفردي ، ثم تواصلت بعد 1942/1940 عن طريق التسجيل في قوائم الإنتخاب ، ثم عادت للظهور سنة 1958 تحت غطاء المطالبة بالإندماج الذي انقسم إلى قسمين: (1) القسم الأول كان يطمح إلى تحقيق المساواة في الحقوق المدنية في إطار الجمهورية الفرنسية وإحترام الشخصية الجزائرية. أما الإتجاه الثاني كان يطالب بجمهورية جزائرية متحدة فدراليا مع الجمهورية الفرنسية تشارك فيها كل الفئات الإثنية المتواجدة بالجزائر وبشكل متساوي.

يتضح مما سبق أن الحركة الوطنية كانت عاجزة عن تحقيق الإنسجام بين الأنتلجنسيا المسلمة والفرانكفونية عبر مسارها النضالي وبرامجها المختلفة، فجاءت حرب التحرير في الفاتح نوفمبر 1954 لتخفف من هذا الوضع ، من خلال تحويل الثلاثية الإيديولوجية إلى اثنتين فقط: إما جزائر مستقلة أو جزائر فرنسية، وعلى كل شخص اختيار موقف واحد ولا مجال للمناورة. في قد فرضت طلائع الفاتح نوفمبر 1954 على هؤلاء الفرونكفونيين الإلتزام بموقف واحد من الإثنيين، فساهمت بذلك هذه الطليعة في تحطيم المشاريع الاستعمارية على رأسها الإندماج في الحضارة الغربية. فمن هذا المنطلق نجد غي برقليبي يصنف الطبقة المثقفة الفرونكفونية تصنيفا خاصا (2).

إن الثقافة الإندماجية التي ميزت الطلبة الجزائريين المسلمين الفرونكفونيين، كانت عبارة عن محصلة جهود الإدارة الاستعمارية . فقد شرعت فرنسا في فرنسة جيل مابعد تاريخ 1908 بطرق

(1): نفس المرجع، 387

(2): أنظر الملحق ص 367

مختلفة، أو من أسمتهم بالجيل الجديد الذي أعقب جيل العمائم الكبيرة. فكان لزاما عليها توفير كل مايجعل هؤلاء متعلقين تماما بفرنسا وبحضارتها واساليب عيشها. فاندھش الشباب الجزائري الذي أصبح يرتاد تلك المدارس الكولونيلية بالحكايات التي أصبحت تروى له عن فرنسا والفرنسيين، إلى درجة أصبح هذا الشاب الجزائري متعلقا ومتاثرا بالثقافة الفرنسية. وهو الهدف الذي كانت تسعى إليه فرنسا من وراء ذلك. وفي هذا الصدد يقول مدير مدرسة ترشيح المعلمين بول برنار Paul Bernard عام 1908: "مايهم هو أن يكون لدى أبناء الأهالي في بلادنا فرنسا، فكرة في منتهى النمو والصفاء...إننا نقدم لتلاميذنا من أبناء الأهالي طبعا معلومات قيمة عن عظمة فرنسا، وعن قوتها العسكرية وتراثها الهائل، وبذلك يكون موقعنا أكثر صلاحية لو يصل أبناء الاهالي إلى الإقتناع بكون الفرنسيين هم الأقوياء والكرماء، وأنهم أحسن المعلمين الذين يمكن أن يتمنؤهم"⁽¹⁾، ثم يختم قوله ملخصا أهداف المدرسة الكولونيلية قائلا: "إنها قبل كل شيء أداة سلطة، و وسيلة للتأثير عليهم فيمكن إعتبار تثقيف الأهالي الجزائريين من هذا المنظور الاستعماري عبارة عن غزو ثقافي هادف ومنظم، وهو كذلك مبدئي بالنسبة لفرنسا لأنها باتت مقتنعة بعد تجارب عدة أن ماعجز عنه السلاح و وسائل القمع يمكن استدراكه بواسطة ثقافتها الفرونكفونية...المعادية والمناهضة لكل الموروث الوطني الجزائري لغة وتقاليد وشخصية."⁽²⁾

فهذا تصريح واضح ومباشر على أن فرنسا تحاول وبشدة إلحاق الجزائري ككيان ليصبح تابعا لفرنسا ضمن مخططها الجديد الذي أعقب مراحل الإندماجية، فشرعت بعدها في محاربة الكتابيب المتواضعة التي تحصنت فيها اللغة العربية وبقايا الموروث الحضاري والروحي للشعب الجزائري.

وفي هذا الصدد يقول فرحات عباس بإعتباره من الجيل الأول للمتقنين الفرونكفونيين: "إنه لايدور بخلدنا أننا مثقفون ناهيك عن القول بأننا أعلاه، فنحن في معظمنا أناس مساكين جاؤوا من دواوير

(1): غي برفليي، المرجع السابق، ص180

(2): غي برفليي، المرجع السابق، ص390

ومن عائلات متواضعة ليصبحوا لادري كيف من حملة البكالوريا .وفي التعليم الذي تلقيناه هناك نقائص، هذا موجود بالتأكيد ،وهي تعود إلى الساعة الأولى. لقد دعينا إلى تحصيل معارف في لغة ليست هي لغة طفولتنا ،حيث أن اللغة الفرنسية لم تكن قد دخلت بيوت المسلمين بعد..."(1). هذا ما يؤكد على جهود فرنسا في ترسيخ قواعد تعليم فرونكفوني بحت لإنشاء جيل غربي مثقف ينفذ للمستعمر رسالته الحضارية بدلا عنه.

- بإنتهاج السلطة الاستعمارية هذا المنهج الخبيث، تمكنت من خلال مدرستها الكولونيالية من زرع بذور القطيعة بين الشباب الجزائري ومحيطه الاصلي، والمحيط نعني به كل مايرتبط بتراثه من حضارة وتقاليد وقيم روحية راسخة. وهذا ما أنتج طالبا جزائريا مشبعا بالفكر الغربي وذا إيديولوجية فرونكفونية محضة رغم تمسكه بمبادئه الإسلامية . لكنه وفي آخر المطاف وبعد بزوغ فجر الفاتح نوفمبر 1954 وجد هؤلاء المثقفين أنفسهم بين حضارتين : حضارة فرنسا المفروضة عليهم وحضارة الأصل التي أهملوها وتخلوا عنها مجبرين. فكان ذلك فجوة عميقة ظلت تعرقل محاولات الطلبة الجزائريين الفرونكفونيين استدرارك مافاتهم، لذلك نجد إصرارهم دائما كطلبة هو مطالبة فرنسا أن تعاملهم مثلما تعامل أبناءها، كما ذكر أحمد طالب الإبراهيمي في خطاب الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: "...لاتواصل بينهم وبين حضارتهم ولا إمكانية لإندماجهم في الثقافة الفرنسية التي فرضت عليهم"(2) . وسوف نلاحظ تمكن فرنسا من مرادها الثقافي الاستعماري عندما نطلع على إقرافات أحد خريجي المدرسة الفرنسية الكاتب الجزائري مولود معمري القائل بكل ثقة محزنة: "إن اللغة الفرنسية بالنسبة لي ليست مجرد لغة موروثه عن عدو، بل هي أداة للتحرر لامثيل لها، وأداة للتجاوز مع بقية العالم، وأعتقد أنها تعبر عن كياننا أعمق تعبير أكثر مما تخوننا"(3).

(1): فرحات عباس، الشباب الجزائري، ترجمة : أحمد منور، تقديم: ابوالقاسم سعد الله ، 2007، ص 67.
(2): عبدالله حمادي، المرجع السابق، ص 72.
(3): نفس المرجع، ص 73.

لكنه ورغم ذلك، وجد الطالب الجزائري الفرونكفوني نفسه بعد إلتحاقه بصفوف الكفاح المسلح وتبنيه لأهداف الثورة الوطنية، قد بدأ تدريجيا يتخلى عن إيديولوجيته الغربية، وهذا مايدل على أن الجوهر الأصلي لهؤلاء الطلبة كان ولا يزال وطنيا محضا. فإن عودة هذا الطالب المثقف بغير اللغة العربية ناهي في حقيقتها سوى وقوف منهم على المأساة الإجتماعية التي عانى منها الشعب الجزائري طويلا تحت الحكم الفرنسي، ثم إن الإلتصال المباشر الذي فرضته الثورة على هؤلاء الطلبة بعد الإلتحاق بها جعل حتى الأكثر منهم حماسا واندفاعا للمباديء الوطنية والدفاع عن القضية الوطنية يقفون على الكثير من الأمور التي تتعلق بشعبهم وبلدهم التي كانت مجهولة بالنسبة إليهم. وهذا مايبيرر (1) ظهور بعض العبارات والأفكار الثورية في كتابات بعض المثقفين الجزائريين.

- أما الطلبة الجزائريين الوطنيين أو كما تسميهم بعض الكتابات بالطلبة المعربين، والذي دعموا الثورة التحريرية منذ إنطلاقتها، فهم ذو إيديولوجية وطنية محضة، حيث نشأت هذه الإيديولوجية خارج نطاق النخبة الفرونكفونية وداخل المجتمع المسلم الوفي لتقاليده والشديد الحساسية إلتجاه المؤثرات الواردة من الشرق العربي(2). كما يعتبر الإلتجاه الوطني من أقدم الإلتجاهات بإعتبار أن مفهوم القومية الإسلامية نابع من شعور الإلتناء إلى الأمة وفق الإلتبارات الدينية والزمنية. ظهر هذا التوجه بالجزائر مع نهاية الحرب العالمية الأولى 1919 في شكل نشاط سياسي طموح يسعى إلى إعادة تأسيس الدولة الجزائرية. وذلك ضمن الإلتجاه الاستقلالي الذي أعطى مفهوما للوطنية مرتبطا ارتباطا وثيقا بمفهوم الحرية، فالوطني في نظر الاستقلاليون هو من يخوض غمار الكفاح داخل بلاده في سبيل حل المشاكل السياسية والإقتصادية والإجتماعية بطريقة تكفل للشعب

(1): عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين، مرجع سابق، ص 109.

(2): غي برفليبي، المرجع السابق، ص 448.

والوطنيين في البلد أكبر قدر من الحرية والرقي الروحي والأخلاقي ومن التنمية الثقافية والرخاء المادي(1) .

- كان الشعور بالوطنية لدى هذا الإتجاه مجرد إحساس عام لم يرق إلى درجة الوعي حسبما يعترف مصالي الحاج بنفسه. لكنه تبلور مع نهاية الحرب العالمية الأولى تحت تأثير الحركة الشيوعية، في شكل مشروع سياسي لدى الأوساط العمالية المهاجرة إلى فرنسا، حيث يمثل حزب نجم شمال إفريقيا الذي ظهر سنة 1926 أول تنظيم سياسي يطالب صراحة باستقلال الجزائر سنة 1927. يتهم البعض هؤلاء المثقفين والطلبة الجزائريين بأنهم شيوعيون، لكن ذلك وحسب العديد من الكتابات الأخرى مجرد إفتراءات وتهم، ذلك أن الإتجاه الوطني تطور بشكل واضح بداية من سنة 1930 بباريس، ثم تواصل بعد سنة 1931 بالجزائر تحت تأثير جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وجمعية العلماء المسلمين ونجم شمال إفريقيا . لكن ورغم ذلك ظل الطلبة الوطنيون يشكلون أقلية في مجتمعهم إلى غاية سنة 1939، ولم يمثلوا الاغلبية بشكل كبير إلى سنة 1955(2). وهذا التطور رغم كونه جاء متأخرا، كان بمثابة تحول مفاجيء. فالطلبة الذين اعتنقوا الإتجاه الوطني رفضوا بعنف الإعتراف بالسيادة الفرنسية، كما تصدوا لكل أشكال السيطرة الاستعمارية سواء العسكرية أو السياسية، أو حتى مسألة الإندماج الثقافي.

إن رفض الهيمنة الفرنسية ثم التحول إلى منطق استعمال القوة، هما آخر مرحلتين لدى المثقفين الوطنيين قبل حدوث القطيعة بينهم وبين بقية التوجهات المطالبة المسلمة الأخرى. فقد لعب القمع واستعمال القوة طرحا فكريا هاما عند هؤلاء المثقفين الوطنيين، وقد ظهر هذا الطرح مابين سنوات 1933/1935 إبان الحملات الإحتجاجية ضد تدابير القمع التي طبقتها الحكومة الفرنسية إتجاههم. فقد تعرض حزب نجم شمال إفريقيا إلى القمع من طرف الإدارة الفرنسية إلى أن تم حله في 1937

(1): إبراهيم لونيبي، مفهوم الديمقراطية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية قبل 1954، مجلة المصادر، العدد 11، السداسي الأول، 2005، ص 156.
(2): بعد إنعقاد مؤتمره التأسيسي في جويلية 1955. نوارة حسين، المرجع السابق، ص 194.

، فانبتق عنه حزب الشعب الجزائري، أجبر بعدها على الدخول في كنف السرية في 1939، كما تعرضت جمعية العلماء هي الأخرى إلى مضايقات من طرف المستعمر منذ إعلانها لموقفها السياسي سنة (1) 1936 .

من جهة أخرى شكلت أحداث ماي 1945 نموذجا حيا عن سياسة القمع الفرنسية إتجاه المثقفين الجزائريين، الأمر الذي أحدث أثرا حاسما لدى الطلبة الجزائريين. كان كاتب ياسين آنذاك طالبا في مؤسسة التعليم المتوسط بسطيف، قام بتسجيل شهادة حية عن هذه الأحداث الدامية.

ساهمت هذه الأحداث الناتجة عن سياسة القمع الفرنسية في ترسيخ فكرة الثورة لدى الوطنيين، مادفع بهم إلى التفكير الجدي في العنف الثوري لتحقيق الاستقلال. وقد وجدت الإنتفاضة المسلحة في نوفمبر 1954 تبريرها في التصدي لممارسة القمع، فلقد إتضح جليا لهؤلاء أنهم لن يتمكنوا من صنع جزائر مستقلة إلا بحمل السلاح . فمثل هذه المبررات والحجج نجدتها في كل الكتابات الصادرة عن الوطنيين الجزائريين، مثل رسالة أحد الطلبة الجزائريين المسلمين بجامعة الجزائر يقول فيها: "منذ سنة 1945 لم يكف الشعب الجزائري عن الكفاح سلميا للحصول على بعض التدابير الإجتماعية والسياسية التي وجدت لدى الإدارة أذانا صماء. فكيف لاتكون صحيحة الفكرة القائلة بأن فرنسا لن يتحصل منها على شيء أبدا إلا بالقوة، إن الحديث عن تطبيق الإصلاحات المطالب بها سلميا، لن يكون إلا بعد قيام الثورة"(2) .

- لم تكن الإيديولوجيات المختلفة للر عيل المثقف المنضم حديثا للثورة حاجزا أمام تقديم الدعم والمساندة للكفاح المسلح عبر جميع ميادينه، يقول عبد الحميدمهوري في مؤتمر للطلبة الجزائريين

(1): جمعية العلماء المسلمين حركة اسسها المصلح الجزائري الشيخ عبدالحميد ابن باديس زعيم القومية العربية بالجزائر كانت تهدف اساسا إلى محاربة طبقة الكهنوت والشيوخ المرتبطة بالمستعمر، حيث لاقى الكثير من النبذ وكان أئمة المساجد التي تمولهم فرنسا يلعنونه في المنابر. أنشأ ابن باديس سنة 1934 أول مدرسة مختلطة للبنين والبنات وبينما كان بعض قادة البرجوازية الوطنية في الجزائر يطالبون بالإدماج كان ابن باديس يرد عليهم نثرا ونظما في مجلة الشهاب. للمزيد أنظر: أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة (كما أملاها على روبيير ميرل)، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الأدب، بيروت، ص 102.

(2): غي برفلي، المرجع السابق، ص 501.

في 31 جويلية 1960: "...إن هذا الشباب المثقف لم يعد ينتمي إلى أمته وأسرته الوطنية، ولم يكن مثل هذا الشباب فريدا من نوعه، بل كان نموذجا لجيل من المثقفين انفصلوا عن تراثهم القومي وأنكروا أمتهم وشخصيتهم المتميزة وذابوا في الشخصية الأجنبية التي سحرتهم ثقافتها، وبهرتهم طرق حياتها... لقد كان المثقفون بالثقافة العربية يرتون من منهل الثقافة القومية وهم مرتبطون بالشخصية الوطنية الاصلية والتراث القومي العريق، ولكنهم كانوا محدودي النظرة والثقافة لأن الاستعمار لم يمكنهم من تطعيم ثقافتهم التقليدية بالثقافة العصرية. فإذا كانوا مرتبطين إرتباطا وثيقا بتراثهم و وطنهم ،فإنهم من جهة أخرى كانوا بسبب حواجز الاستعمار منفصلين عن عصرهم"⁽¹⁾ .
ومنه نستخلص بأن إختلاف المشارب الثقافية والإيديولوجيات لدى الطلاب الجزائريين يعتبر مكسبا للثورة ومصدر تحفيز فكري ومعنوي لها.

- هكذا إذن كانت الإيديولوجية الوطنية والفرونكفونية التي ميزت طلبة الجزائر منذ ما قبل اندلاع الثورة، إمتدادا واستمرارا لإيديولوجيات الأجيال السابقة ، جاءت الأولى في ظل الشعور الرفض للاستعمار والهادف إلى التخلص منه وإعادة إحياء الدولة الجزائرية، أما الثانية فقد نشأ في ظل التعليم المفرنس الذي فرضته الإدارة الاستعمارية على الأهالي تنفيذا لمشروع الإندماج الثقافي في الحضارة الفرنسية.

(1): جريدة المجاهد، العدد 63، 7 مارس 1960، ص 133.

خلاصة المبحث الأول:

إن اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954 كان فرصة لتبلور العديد من المواقف للمثقف الجزائري المنضو تحت لواء التشكيلات السياسية للحركة الوطنية. حيث كانت هذه المواقف هي رد فعل طبيعي لهذا المثقف إنطلاقاً من إيديولوجيته الثقافية ومساره النضالي قبل تفجير الثورة. فلاننسى أن مفجري الثورة بدورهم كانوا مناضلين سياسيين في حزب الشعب الجزائري، غير أنهم تمكنوا من التوصل إلى الحل الأمثل في التعامل مع الإدارة الاستعمارية وهو الحل الثوري. فجنّدوا أنفسهم منذ 1945 أو ما قبل ذلك في التنظيم السري تحضيراً واستعداداً لتجسيد قناعاتهم الثورية على أرض الواقع. لكن المثقف الجزائري المؤمن بسياسة الاندماج الثقافي في الحضارة الفرنسية رأت في الثورة مغامرة فاشلة، و فضل مواصلة نضاله السياسي السلمي في إطار الشرعية، وهو موقف المثقفين الفرونكفونيين أعضاء حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. أما العلماء أو الإصلاحيين فقد باركوا الثورة النوفمبرية وقدمو دعمهم المعنوي الكامل لها، لكنهم حاولوا إنساب هذا الحدث إليهم نظراً لجهودهم في مجال التعليم في الجزائر، لإعتقادهم أن منهجهم في النضال السياسي هو الذي أنتج وعيا وطنيا مستوعبا لحجم المعاناة الجزائرية فتوصل في الأخير إلى خيار العمل المسلح. أما باقي التشكيلات السياسية فقد ناصبت العداء لجبهة التحرير الوطني، ورفضت الحدث مبدئياً ومنذ إنطلاقه.

- إن المثقف الثوري فجر الثورة التحريرية لأنه كان يؤمن بمبدأ التغيير إنطلاقاً من مجموعة إعتبرات أهمها معاناته الشخصية ومعاناة شعبه العميقة في ظل النظام الاستعماري الإستيطاني الشرس، إلى جانب إقتناعه بفشل النضال السياسي وعقمه في تحقيق الاستقلال الوطني، لأنه وضع إيديولوجية ثورية بسيطة مبنية على أساس واحد وأحد وهو الاستقلال التام، ولم يرضى أبداً بأي حل بديل آخر نظراً لقناعاته الثورية العميقة بهذا المطلب الوطني. فمن هذا المنطلق إختلفت مواقف وردود فعل باقي المثقفين السياسيين الذي حتى وإن طالبوا بالاستقلال، فهم لم يحددوا إيديولوجية ثورية لتحقيقه. فإن المثقفين الفرونكفونيين رأوا فالإندماج الثقافي في الثقافة الفرنسية هو الانسب

نظرا لتكوينهم الثقافي الغربي، فهم خريجي المدارس الكولونiale مشبعين بالأفكار الغربية. فوضعوا تصورا للدولة لجزائرية في إطار التعايش بين الحضارتين الجزائرية والفرنسية. أما المصاليين والمركزيين فرغم إنتمائهم لنفس الحزب "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" أي أنهم كانوا حاملين لنفس الإيديولوجية الثورية، لكن أطماعهم حول السلطة قد حادت بهم عن النهج الثوري، فهم قد منحوا إهتمامهم لإعتبارات سياسية أخرى وأهملوا الهدف الأسمى للنضال والتمثل في استقلال شعبهم. لكنه يمكن القول أنهم شاركوا بشكل غير مباشر في إندلاع الثورة، من خلال الأزمة التي تسببوا فيها داخل الحزب، والتي عجلت ببدء الكفاح المسلح.

وبالنسبة لأعضاء جمعية العلماء المسلمين أو من يسمون بالإصلاحيين، فهم لاطالما كان نضالهم سلميا هادئا بعيدا عن اية مطالب سياسية، فهم خريجي المدارس والجامعات الإسلامية التي نهلوا منها مبدأ أن إصلاح الأوضاع والتخلص من البدع والخرافات وتحرير العقل هو الطريق الوحيد نحو تحرير الشعوب المستعمرة. لذلك كان موقفهم من الثورة موقفا إيجابيا، كونهم إعتبروا الثورة هي محصلة جهودهم في إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري وخاصة مجال التعليم.

أما الشيوعيين فهم من إرتبطوا إرتباطا وثيقا بالحزب الشيوعي الفرنسي وبالتالي كانت إيديولوجيتهم مرتبطة جدا بمبادئ هذا الحزب، فهم لم يؤمنوا بوجود أمة جزائرية إلا في إطار إرتباطها الحضاري بالأمة الفرنسية، هذا ماجعلهم يرفضون ثورة نوفمبر بل أنهم الحزب الوحيد الذي رفض الإنخراط في جبهة التحرير الوطني إلى النهاية.

رغم تناقض وتباين مواقف المثقفين الجزائريين من الثورة على إختلاف إيديولوجياتهم، غير أنهم في الأخير وبعد مرور عامي على تفجير الثورة اي سنة 1956، تغيرت مواقفهم كليا لدرجة الإنضمام والنزول داخل جبهة وجيش التحرير الوطني. ولعل ذلك يثبت بشكل واضح بأن إيديولوجية المثقف الثوري انتصرت في الأخير على باقي الإيديولوجيات الثقافية من خلال إثباتها وترسيخها لمبدأ أساسي رغم بساطته وهو أن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة ولا شك في ذلك.

- في نفس السنة 1956، برز في الجزائر مثقفا جديدا كان أيام الحركة الوطنية في طور الدراسة والتكوين، وهو الطالب الجزائري المتخرج من الجامعات الجزائرية والعربية والاروبية، وحتى طلبة المعاهد والثانويات، فقد جاء هؤلاء في مرحلة حساسة من الكفاح المسلح، مرحلة كانت فيها الثورة بحاجة إلى متعلمين وإطارات ذوي كفاءات عالية وقدرات لا بأس بها في جميع الميادين. إذن هنا بإمكاننا القول بأن الثورة قد أوجدتها المثقف الثوري، وساهم فيها رجيل جديد من المثقفين الجزائريين حاملي الشهادات، في حين كان هذا المثقف الثوري حاملا لآلام ومعاناة شعبه.

- فإن دور الطالب الجزائري في ثورة التحرير الوطنية لم يقتصر على الدعم المعنوي والتأييد فقط، بل تعدى ذلك إلى المشاركة الفعلية في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، وتقديم خدماتهم الإجتماعية والسياسية والثقافية لها، إقتناعا منهم بأن الثورة هي ثورتهم والاستقلال الوطني هو مطلبهم، خاصة بالنسبة للطلبة الجزائريين الوطنيين. لقد وضع الطالب الجزائري نفسه تحت خدمة الثورة بكل ميادينها، وتوطدت العلاقة أكثر بعد الإضراب التاريخي في 19ماي 1956 الذي وحد جميع الجهود الطلابية للإلتحام بالثورة، وقضى على التردد الذي أصاب البعض منهم حول مسألة الإلتحاق بصفوف جبهة وجيش التحرير.

إن أي موقف يتخذه الإنسان من حدث تاريخي، تكن له دوافعه أو إيديولوجيته إن صح التعبير، فقد اختلفت المواقف الطلابية من الكفاح المسلح، منهم من إلتحق بالثورة منذ إنطلاقها رغم عدم إنخراطه في أي تنظيم طلابي يحمي حقوقه أو يكفلها، وهناك من تأخر عن تقديم الدعم لها واكتفى بالنظر عن كثب وهو موقف الطلبة الفرونكفونيين ذوي التكوين الثقافي الفرنسي الذي جعلهم ممثلين لفرنسا بشكل غير مباشر، ومنفذين لطموحاتها الاستعمارية في إدماج الجزائر أرضا وشعبا بفرنسا. لكنهم انضموا بعدها إلى صفوف الثورة بعد الإضراب الشامل عن الدراسة ماي 1956. ومنه فقد كان إنضمام الطلبة الجزائريين إلى الثورة يعني بالنسبة إليهم قبل أي شيء آخر التقرب من الشعب والمشاركة معه في المعركة المصيرية التي يخوضها ضد الاستعمار الفرنسي، وقطع كل الروابط

التي كانت تربطهم من قريب أو من بعيد تعسفو لافكر سوى في مصالحه الخاصة المرتبطة بمصالح فئة قليلة من عملائه بالجزائر. كما كان إلتحاقهم بالجمال يعني رفضهم المطلق للسياسة الإدماجية في الثقافة الغربية بصفة عامة، والتي حاول الاستعمار الفرنسي طويلا غرس ركائزها في الجزائر ولكن دون جدوى. ومن جهة أخرى يعني إلتزام الطلاب بالقرارات الثورية وتطبيقها، نظرا لتفهمهم العميق لمعاناة الشعب الجزائري من ويلات الإحتلال الفرنسي.

كما يعني تواجد الطالب الجزائري الفرونكفوني الذي تثقف ودرس باللغة الفرنسية في مدارس فرنسا، بغض النظر عن تعدادهم في صفوف إخوانهم المجاهدين يجوبون الجزائر من منطقة إلى أخرى يعتبر في حد ذاته ثورة كما يشبهه البعض بالجريان العكسي لنهر من الانهار عودة إلى منبعه الاصيلي، بمعنى أن المشروع الفرنسي المتمثل في إنشاء جيل جزائري مثقف ومفرنس يدافع عن قيم ومبادئ الحضارة الفرنسية ويعترف بالأمة الفرنسية فوق أرض الجزائر، قد فشل لأن هؤلاء الطلبة حتى وإن كانوا مفرنسين ولم يلتحقوا بالثورة أثناء إندلاعها ، قد عادوا إلى منبعهم الاصيلي و أدركوا تدريجيا بأنه لن يكون هناك كيان مستقل لهم إلا من خلال ثورة نوفمبر المجيدة المبنية على أسس وإيديولوجيات وطنية ثورية محضة. كما أن الإختلاف الإيديولوجي تحول من خلال الثورة في الأخير إلى مكسب فكري لها ولمبادئها الثورية وأهدافها الوطنية.

المبحث الثاني: علاقة المثقف الجديد بجهة وجيش التحرير الوطني

ودوره في الثورة

أولاً: كفاح الطالب الجزائري في صفوف الثورة

ثانياً: مهام الطلبة داخل جهة وجيش التحرير الوطني

ثالثاً: علاقة الطلبة الجزائريين بالمثقفين الثوريين مفجري الثورة

المبحث الثاني: علاقة المثقف الجديد بجهة وجيش التحرير الوطني ودوره في الثورة

إن إنضمام الطلبة الجزائريين لصفوف جبهة وجيش التحرير الوطني جعلهم يتبنون الثورة التحريرية مبادئ وأهدافا، فوضعوا أنفسهم في خدمتها على اختلاف مشاربهم الثقافية. غير أن انضمامهم هذا جعلهم في موضع شك لدى مفجري الثورة أو المثقفين الثوريين الذين كانت علاقة بهذا الرعيل الجديد من المثقفين الجزائريين علاقة غامضة نوعا ما. فما هو الدور الذي لعبه حاملي الشهادات في ثورة التحرير، وكيف نظر المثقف الثوري صانع أول نوفمبر إلى هذا المثقف الجديد؟.

أولاً: كفاح الطالب الجزائري في صفوف الثورة

1- على الصعيد الداخلي:

لقد ساهم المثقف الجزائري الثوري مرحلة ما قبل إندلاع الثورة التحريرية في تنشيط الحركة الوطنية الجزائرية، والمساهمة في الأهداف الوطنية التي كانت تسعى من أجلها والمتمثلة أساسا في الاستقلال، وإن الرعيل الجديد من المثقفين الجزائريين الحاملين للشهادات قد واصلوا المسيرة الثورية لثورة نوفمبر، واحتكوا بها منذ شهورها الأولى، سواء طلبية الجامعات أو الثانويات أو حتى التكميليات الخاصة، التي أوجدها الاستعمار الفرنسي بالجزائر والتي استهدفت بالأخص عرقلة تعليم الجزائريين والحيلولة دون إلتحاقهم بالثانويات الفرنسية بالجزائر، ذلك لأن هذه الأخيرة تفتح لهم الباب للترشح إلى شهادة البكالوريا، التي تؤهلهم للدخول إلى الجامعة. ويذكر أن النشاط الفعلي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لم يظهر جليا إلا في مستهل السنة الثانية من تأسيسه وبالتحديد في 20 جانفي 1956⁽¹⁾، غير أن ذلك لا ينفى وجود بعض مظاهر الكفاح الطلابي قبل هذا التاريخ ولو بشكل محدود.

(1): الطلبة الجزائريون وثورة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص17.

كان لهؤلاء الطلبة على إختلاف مشاربهم الثقافية ومواعيد إلتحاقهم بالثورة، دورا كبيرا في تقديم يد العون والمساعدة لجبهة وجيش التحرير الوطني وفي جميع أشكالها. فبعد مرور أقل من ستة أشهر على إندلاع الثورة المسلحة، نلاحظ أن الطالب عبان رمضان بادر بتأسيس خلية حزبية ثورية بالجزائر العاصمة ،جلب إليها بعض الحزبيين القدامى مثل: بن خدة، سعد دحلب، صالح الونشي، عمار أوزقان، محمد لجاوي.. وغيرهم. حيث لعبت هذه النخبة المثقفة دورا لا يستهان به في جلب الطلبة إلى الثورة والتكفل بتكوينهم السياسي والإيديولوجي. ومن المنشطين الذين لعبوا دورا هاما في الحركة الطلابية في الجزائر الشهيد عمارة رشيد، وهو الذراع الأيمن لعبان رمضان و محمد بن يحي رئيس الإتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، علاوي بن بعطوش، الأمين خان، بوعلام أوصديق، السعيد حرموش.. وغيرهم⁽¹⁾، حيث يشهد لهؤلاء الطلاب أنهم كانوا شعلة ثورية وذوي حماس شديد للثورة ومبادئها.

لقد ركز الطلبة الجزائريين في مسارهم النضالي في الثورة على بلوغ هدف اساسي وهو عزل الاستعمار الفرنسي وتحديد مواقف الطلاب منه، تمهيدا للإضراب التاريخي الذي قاموا به في 19ماي 1956. وبعد تحقيق الطلبة لأهدافهم المرجوة من هذا الإضراب تفرغ بعضهم إلى النشاط الثوري السري ، بينما إلتحق البعض الآخر بصفوف جيش التحرير الوطني ليشاركه في كفاحه المسلح، ومنهم من سافر خارج البلاد لإتمام مهمته الثورية.

من جهة أخرى أسندت للعديد من الطلاب مسؤوليات سياسية عى المستوى المحلي،وقد برز مثلا بوعلام أوصديق وعبد الرحمن طالب ،كان الاول مراقبا سياسيا على الفرع الكيماوي أما الثاني كان تقني محنك في ميدان المتفجرات⁽²⁾. وقد برزت بعض الطالبات أيضا في كفاح الطلبة في الثورة، استعانت بهم جبهة التحرير في تنفيذ عمليات فدائية جريئة منهم خاصة: الزهراء ظريف، سامية الأخضرى، جميلة بوعزة، وحسيبة بن بوعلي. كما كان أغلب قادة الثورة سواء السياسيين أو

(1): نفس المرجع، ص 18

(2): عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين، المرجع السابق ، ص 53.

العسكريين يختاروا مساعديهم من الطلبة الجزائريين وحتى الطالبات. مثل ياسف يسعدي الذي إتخذ الطالبة زهراء ظريف كمساعدة دائمة له، كما كلف الطالب عبد الرحمن ابن حميدة بالإشراف على الشؤون السياسية في المنطقة التابعة له. أما فرع الإتصالات والاستعلامات فقد وضع على رأسه الحاج اسماعيل ، بينما وضع على راس لجنة التحرير للمنطقة في الولاية الرابعة الطالب حوحت (المدعو محفوظ)، كما شاركت الطالبة حسيبة بن بوعلي الفدائي علي لابوانت تقريبا في كل التخطيط للعمليات الفدائية وتنفيذها(1).

- أدرك الطالب الجزائري وخاصة بعد الإضراب التاريخي 19ماي 1956 للإلتحاق بالثورة بأن مشاركته في الثورة الجزائرية تعني الإلتزام الكامل بقضية الاستقلال الوطني التام، وهذا مايستوجب عليه التكيف مع الصعوبات الكائنة كيفما كانت ،بمعنى الإنتقال من مرحلة الترف والبذخ إلى مرحلة المعاناة والثبات..وهي مرحلة الكفاح والجهاد من أجل الوطن. حيث كان للإضراب أثرا كبيرا في تشجيع الطلبة على الإنضمام لجبهة التحرير الوطني، وترسيخ الفكر الثوري لديهم والإقتناع الكامل بالثورة، ومايؤكد ذلك هو العدد الهائل الذي إنضم للثورة من الطلبة بعد أيام قلائل من الإضراب التاريخي والذي يقدر بأكثر من 157 طالب(2)، إضافة إلى تلاميذ الثانويات.

وبالتالي يمكن القول أن الإنضمام الكبير للطلاب الجزائريين في صفوف الثورة يعكس لنا مدى تفاني هذا المثقف في خدمة قضية وطنه والدفاع عن ثورته ومبادئها، فجاء إنضمامه لها في الوقت المناسب، لأن الثورة كانت بحاجة إلى مثقف جزائري من حاملي الشهادات الجامعية كي يواصل مسيرة الاستقلال والبناء التي بدأها المثقف الثوري منذ إنضمامه إلى صفوف الحركة الوطنية.

(1):تذكر المناضلة الزهراء ظريف بأن الطالبات الجزائريات كان لهن حضورا في الكفاح الوطني من خلال العديد من المهام وحتى العمليات الفدائية. مجموعة من الاساتذة، دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في الدفاع عن القيم وتاطير الدولة الجزائرية الفتية، سلسلة منشورات الجيب، جوان 2005، ص 17-18

(2): عمار هلال، المرجع السابق، ص 57.

فقد أخذت الثورة الجزائرية بعين الاعتبار كل ظروف المنخرطين في صفوفها من طلاب الثانويات والجامعات والأطباء الشباب، وغيرهم من المثقفين ذوي الإختصاصات المختلفة واعتبرتهم متعاونين معها بشكل كبير جدا، فأبعدتهم بذلك عن ميادين القتال والمواجهة العسكرية وحاولت أن توفر لهم قدرا من الراحة والإطمئنان النفسي. لذلك نجد جبهة التحرير تعين هؤلاء المنخرطين الجدد في صفوفها في ميادين عمل ذات علاقة بإختصاصاتهم، فالطبيب مثلا يباشر عمله في هذا الإختصاص يساعده طلبة كمرضيين ممن درسوا سنتين أو ثلاث في الطب. جاء بعدها مؤتمر الصومام يحدد وينظم المهام التي يمكن إسنادها للمثقفين المنخرطين في الثورة. ومن الناحية الإقتصادية فقد تولى الطلبة أيضا تسيير شؤون المناطق الممنوعة التي كانت بها محاصيل زراعية وثروة حيوانية، حيث تعذر على فرنسا مراقبتها نظرا لتكليف جبهة التحرير الطلبة الجدد بمراقبة وتسيير هذه المناطق الزراعية.

أما ثقافيا فقد أدركت الثورة منذ أيامها الأولى أهمية هذا الميدان وتأثيره على تطوراتها، فبادرت بذلك في تنظيم دروس لمحو الأمية التي كانت تعطى باللغتين العربية والفرنسية، وسرعان ما تحولت إلى مدارس كاملة إقتصرت نشاطها في أول الأمر على جنود جيش التحرير الوطني، لكنها توسعت تدريجيا وشملت المناطق التي كانت تحت إشرافها⁽¹⁾، وكان الطلبة هم المشرفين على هذه المدارس والقائمين عليها. وقد لعب القائد عميروش⁽²⁾ وغيره من القادة العسكريين دورا بالغا في نشر التعليم بين الصفوف ومحاربة الجهل والامية بمختلف الوسائل والطرق سواء على مستوى جبهة وجيش التحرير، أو على مستوى الجماهير الجزائرية. لعبت هذه المدارس دورا كبيرا في الميدان التعليمي والسياسي والإيديولوجي، وتوعية الجنود والجماهير الشعبية وبث الروح الوطنية

(1): وصل عدد هذه المدارس إلى 120 مدرسة في الولاية الرابعة وحدها. عمار هلال، المرجع السابق، ص 60.
(2): آيت حمودة عميروش ولد في أكتوبر 1926 بقريية في تيزيوزو، نشأ في أسرة فلاحية فقيرة، والتحق بكتاب القرية لتعليم القرآن الكريم، كما تعلم الفرنسية وأتقن الكتابة. إنخرط في صفوف حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية و وثق صلاته بأعضاء المنظمة الخاصة. التحق بالثورة منذ إندلاعها وناضل بمنطقة الصومام إلى غاية استشهاده. محمد علوي، قادة ولايات الثورة، مرجع سابق، ص 99.

في المناضلين الذين تكونوا فيها، وهذا مايدل على استيعاب الثورة للإطارات الثقافية واستغلال قدراتها، وفي المقابل سعيها في توجيه عملها العسكري وتهذيبه من خلال المجال الثقافي.

وفي مجال الإعلام، ساهم الطلبة والمتقنون الجزائريون بشكل كبير في إنشاء الصحف المحلية وتحرير المناشير وتوزيعها، ومن بين الصحف التي ساهموا في تحريرها وتوزيعها: الثورة، صوت الجبل، الحرب.. وغيرها. ونظرا لأهمية هذا القطاع ودوره في دعم الثورة وإيصال صيتها إلى المحيط العربي والعالمي، فقد زاد إهتمام الثورة بالقطاع الإعلامي خاصة في مطلع سنة 1958، حيث تزود هذا القطاع بتجهيزات حديثة لنقل تفاصيل القضية الوطنية إلى الرأي العام العالمي.

من الملاحظ إذن بأن الطلبة الجزائريين قدموا خدمات كبيرة للثورة في ميادين عديدة : ميدان الوعي السياسي والإجتماعية في صفوف الشعب ، وإطلاق طاقاته الكامنة وتنظيمها لبناء جزائر جديدة ديموقراطية واجتماعية⁽¹⁾ كما ورد في بيان أول نوفمبر 1954، بذلك تغير نفسية الشعب الجزائري وانتشرت الفكرة الثورية بشقيها السياسي والإجتماعي.

2 - على الصعيد الخارجي:

كان نشاط الطلبة الجزائريين في الخارج مكثفا وعلى مستويات مختلفة وذلك في إطار هدفين اثنين:⁽²⁾

أولا: كسب الأنصار للقضية الوطنية الكبرى، في كل الأوساط النقابية والثقافية التي يتصل بها الطلاب الجزائريون، والعمل على تزويد الثورة بما تحتاج إليه من أموال وذخائر واتصالات ومراسلات ، ومن دعاية لها وتوضيح لأهدافها ومراميتها.

(1): جريدة المجاهد، العدد 34، 1958/12/24، ص 111.

(2): يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 446.

ثانيا: إعداد الإطارات الفنية للثورة وذلك بالإكثار من الحصول على المنح للطلبة الجزائريين في أوروبا الشرقية والغربية وأمريكا والصين والبلدان العربية، خاصة تونس والمغرب الأقصى التي تضخمت فيها الجالية الطلابية بسبب تضخم عدد اللاجئين الجزائريين.

وقد ركز الإتحاد منذ البداية على توجيه الطلبة إلى ثقافتهم الوطنية العربية الإسلامية، التي كانت وستكون ثقافة الشعب الجزائري، رغم مرور قرن وربع القرن على فرنسة التعليم بالجزائر، ومحاولة فصل النشء الجزائري المثقف عن محيطه واصلته الجزائرية العربية الإسلامية.

لعب بذلك المثقفين والطلبة الجزائريين المنضمين إلى الثورة حديثا دورا هاما جدا فيها، حيث لم يقتصر هذا الدور على الصعيد الداخلي فقط، بل إمتد إلى خارج الوطن ، فقد عملت مختلف التنظيمات الطلابية بالمشرق العربي وأروبا على جعل نفسها وحدات قتال مستعدة لدعم الكفاح المسلح في أي وقت وتحت أي ظرف وتدعيم الثورة التحريرية بما تحتاجه من كفاءات وإطارات ضرورية، خاصة في مجال الدعاية والإعلام وتوفير المساعدات المالية والمادية للطلبة الجزائريين والشعب الجزائري بأكمله.

- أما بالمشرق العربي، فقد كان تواجد الطلبة الجزائريين هناك بأعداد لا بأس بها منذ الخمسينات ، إذ أسسوا روابط طلابية خاصة بهم في كل من مصر سوريا العراق والكويت ابتداء من سنة 1956⁽¹⁾، قاموا بعدها بدمج هذه الروابط تحت منظمة طلابية واحدة هي "رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي" في سنة 1958، وذلك لمنح هذه التنظيمات وحدة سياسية نظرا لوجودها في مناطق متقاربة جغرافيا، كما أن هدفها واحد وهو دعم الثورة ومساندة كفاح الشعب

(1): على غرار إخوانهم بمصر والقاهرة قاموا بتأسيس رابطة الطلاب في هذه السنة حيث كانوا كلهم دون استثناء يدرسون في ثانويات هذين البلدين. أنظر عمار هلال، المرجع السابق، ص 73

الجزائري، حيث ظلت هذه المنظمة تؤطر طلبية المشرق إلى غاية إنضمامها إلى الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في جويلية 1959(1) .

في الوقت الذي كان فيه النشاط الطلابي بالجزائر وفرنسا يحاول شق طريقه من أجل الإنقاذ حول الثورة ودعمها، كان الطلبة بالمشرق العربي ينحون نفس المنحى ويسعون إلى نفس الهدف رغم أنهم لم ينظموا أنفسهم بشكل كامل إلا بعد إندلاع الثورة بالجزائر ، وقد يعود ذلك حسب رأي بعض الكتاب إلى قلة أعدادهم بهذه الدول قبل مرحلة الخمسينات، وإلى غياب المحفز لذلك والمتمثل في إندلاع الثورة.

كما لاننسى أن طلبية المشرق العربي وصلوا إلى هناك عن طريق بعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وزاولوا دراستهم هناك تحت إشرافها ، فلعل هذا من الأسباب التي جعلتهم يتأخرون في تشكيل تنظيماتهم الطلابية بمراعاة موقف الجمعية من الثورة التي إنتهت متأخرة بها سنة 1956.

قام الطلبة الجزائريون بسوريا في مارس 1956 بتأسيس لجنة الطلبة الجزائريين برئاسة الطالب شريف سيسبان الذي كان الطالب الجزائري الوحيد في جامعة دمشق آنذاك. وتكونت اللجنة من

الأعضاء:(2)

- بلقاسم النعيمي نائبا للرئيس

- محمد العربي عبد السلام مكلفا بالإعلام

- رياحي علي مسؤولا عن المالية

- العربي طرغان

(1): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 100

(2): نفس المرجع، ص 102

وقد كان هؤلاء طلبة في دار المعلمين بدمشق في ذلك الوقت. أما بمصر قام الطلبة الجزائريون بإنتخاب لجنة تحضيرية لرابطة الطلبة الجزائريين بمصر خلال إجتماع 14 أوت 1956 بدار الطلاب الجزائريين بالقاهرة، وكان أعضاء هذه اللجنة: المنور مروش، أبوزيان التلمساني، ابن قاسي عبد القادر، البشير عمر، عبد الصمد مهري، عبد القادر قريش، وعبد القادر نور(1). بعثت هذه اللجنة برسالة إلى جريدة الأهرام المصرية تبين فيها دوافع إنشاء هذه اللجنة وأسماء أعضائها. حيث كانت هذه اللجنة نواة رابطة الطلبة الجزائريين بمصر التي تأسست في نفس السنة (صيف 1956) وبنفس الأعضاء.

من جهة أخرى وبالعراق والكويت تأسست روابط للطلبة الجزائريين سنة 1956(2). وكان الدافع الأساسي لتأسيسها هو شعور هؤلاء الطلبة خلال الأشهر الأولى من إندلاع الثورة بحاجتهم إلى هيئة طلابية جزائرية تجمع شملهم وتوحد أفكارهم وجهودهم للتصدي للمشاكل والصعوبات المادية والمعنوية التي عارضتهم في تلك البلاد، إضافة إلى حاجتهم إطار منظم وشرعي يدعمون من خلاله الثورة بكل الوسائل والطرق الممكنة.

من خلال هذه التنظيمات الطلابية أدرك الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، فلم يقتصر دورهم على الدراسة والتفوق فحسب، بل تعدى ذلك إلى خدمة الثورة في مجالات أوسع، من خلال تتبعهم لأحداث الثورة وتطوراتها داخل وخارج الجزائر منذ إندلاعها. فإن الطالب الجزائري أدرك بسهولة أن رسالته في الشرق العربي رسالة تبشيرية قبل أن تكون رسالة ثقافية، "فهو يبشر بأهداف الثورة ويمثل البطولة ونضال جيش التحرير و عدالة القضية الوطنية... وهي مهمة دقيقة خطيرة مضافا إليها مشقة الدرس وعناء البحث... وقد قام الطالب الجزائري بالقاهرة بما في قدرته لتحقيق رسالته الوطنية الكبيرة مما جعله معروفا في جميع

(1): نفس المرجع، ص 103

(2): كانت أول بعثة إسلامية للكويت هي بعثة جمعية العلماء المسلمين في شهر مارس 1952 وكانت مكونة من 14 طالبا بغرض مزاوله الدراسة بالمرحلة الثانوية تتراوح أعمارهم بين 16 و 20 سنة. أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 27.

الأوساط الطلابية الشعبية بالنشاط والكفاءة والنجاح. حيث أنه استطاع أن يجعل من قضية الجزائر قضية المثقفين والأمينين على السواء.⁽¹⁾

لكن هذا النشاط كما يوضح البعض كان مجزءا يفتقر إلى الوحدة والمجهود الجماعي، فقد كانت كل رابطة طلابية تقوم بدورها حول الثورة بمعزل عن الروابط الأخرى. وهذا ما أثر في حجم النشاط وفاعليته ودفع بهم إلى التفكير في ضرورة إنشاء تنظيم طلابي شامل لكل الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي، من أجل توحيد إمكانياتهم ومجهوداتهم، قصد تحقيق دعم أكبر وصدى أوسع لثورة نوفمبر 1954.

ولأجل تحقيق هذه الوحدة وجمع الروابط الطلابية بكل من مصر، سوريا، العراق، الكويت، قام الطلاب الجزائريين بدمشق بالدعوة إلى عقد مؤتمر طلابي يجمع ممثلين عن كل تلك الروابط. فوجهوا دعوات إليهم تشرح أهداف الفكرة وأهميتها. حيث لقيت هذه الخطوة قبولا وترحيب من جميع التنظيمات²، وإنعقد بعدها المؤتمر بدمشق سنة 1956. لكن المؤتمر فشل في تجسيد فكرته نظرا لغياب ممثلي رابطة الطلبة بمصر، مادفع الطلبة إلى عقد مؤتمر آخر في صيف 1957 بهدف محاولة تجسيد فكرة المنظمة الطلابية المنشودة، لكنه فشل هو الآخر لنفس الأسباب. ما أدى إلى خروج الطلبة في هذا المؤتمر الثاني بمجموعة توصيات حول ضرورة تنسيق أعمال الطلاب الجزائريين بالمشرق العربي وضرورة تكريس طاقاتهم في كل الميادين، وأكد على مواصلة الجهود لتحقيق تشكيل المنظمة المزمع إنشاؤها هناك.

وفعلا واصلت لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا محاولاتها بتجسيد الفكرة، وتكلفت هذه المجهودات بعقد مؤتمر يجمع كل الروابط الطلابية الجزائرية بالمشرق بدمشق في 02 جويلية 1958 تحضيراً

(1): عمار هلال، المرجع السابق، ص 74.

(2): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 103

للمؤتمر المزمع عقده في الفاتح من السنة الجامعية الجديدة⁽¹⁾. تم التطرق فيه إلى شؤون الطلبة الجزائريين و أوضاعهم المالية وعلاقتهم بجهة التحرير الوطني والإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وحددوا يوم الفاتح سبتمبر موعدا للمؤتمر التأسيسي.

في الفاتح سبتمبر 1958 عقد إجتماع بدمشق يشمل جميع الروابط الطلابية بالمشرق العربي، نوقشت خلاله عدة قضايا منها مشاكل الطلبة الجزائريين وأوضاعهم المادية الصعبة، ومسألة تكوين إتحاد عام للطلاب الجزائريين بالمشرق العربي. واتفقوا بعد مشاورات بينهم على تسمية هذا الإتحاد الجديد "رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي" تتألف من الفروع الإقليمية للطلبة الجزائريين ببلدان المشرق العربي مقرها بالقاهرة نظرا لوجود مركز لجهة التحرير الوطني بها وتركز النشاط الطلابي بها أيضا²، كما وضعوا لها مشروع القانون الأساسي الذي شمل فروع الإقليم المصري والإقليم السوري وفرعي الكويت والعراق. وتم إنشاء مجلس إداري للرابطة يتكون من أعضاء لكل الفروع الطلابية السابق ذكرها والذي عقد أول إجتماع رسمي له في 25 فبراير 1959، تم خلاله التنصيب النهائي والرسمي لهيكل الرابطة الطلابية الجديدة.

من جهة أخرى لقيت رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق مختلف الدعم والمساندة من حكومات تلك الدول العربية، ما يعكس إقتناعهم بعدالة القضية الوطنية والتي هي بحاجة إلى دعم وإلتفاف المثقفين الجزائريين بما فيهم الطلبة. كان ذلك في ظل الأوضاع التي كانت تعيشها منطقة المشرق العربي والمتمثلة في موجات التحرر الفكري تزعمتها تيارات وأحزاب وحتى تنظيمات طلابية بهدف دعم كفاح الشعوب العربية، فمن الطبيعي إذن أن تقدم دعمها الكافي للتنظيمات الطلابية الجزائرية.

(1): وقد اسفر ذلك عن تأسيس رابطة الطلاب الجزائريين بالمشرق العربي. عمار هلال، المرجع السابق، ص87.

(2): تتبع الطلاب الجزائريين بالمشرق العربي أحداث الثورة وساهموا في التظاهرات الثقافية، فكانت مثلا حادثة إعتقال القادة الخمس من قبل فرنسا حدثا مؤلما بالنسبة إليهم فنظموا مظاهرة عارمة شارك فيها كل الطلبة الجزائريين بسوريا. عمار هلال، ص89.

أما برنامج رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي فقد تمحور حول نقاط عديدة منها أساسا تسيير شؤون الطلبة الجزائريين المادية وتحسين ظروفهم الدراسية والاجتماعية وحل مشاكلهم اليومية بشكل عام، إضافة إلى توثيق الصلات بين هؤلاء الطلبة في كل أنحاء البلاد العربية عن طريق توحيد نشاطاتهم والمشاركة الجماعية في حل مشاكلهم⁽¹⁾. والتركيز خاصة على الدعاية للثورة والتعريف بها في دول المشرق العربي سواء في الجانب الرسمي أو داخل الأوساط الشعبية، من خلال إعداد النشرات المسموعة والمطبوعات والندوات، فضلا عن المشاركة في الإحتفالات والمهرجانات الشعبية وإحياء المناسبات الوطنية وغيرها.

من الملاحظ أن برنامجهم كان أكثر طموحا من برنامج الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، خاصة فيما يتعلق بمحور الدعاية للثورة التحريرية والتعريف بها. فهم قد احتضنوا الثورة منذ إندلاعها خاصة بمصر، حيث قام الطلبة الجزائريين بها بعقد إجتماع لدعم الكفاح المسلح ووجهوا من خلاله بيانا حول القضية أذيع في صوت العرب من القاهرة⁽²⁾. ولعل ذلك يوضح بأن الإتجاه الوطني قد ظهر مبكرا لدى طلبة المشرق، وماساعد على ذلك هو الدعم الذي أبدته الدول العربية لكفاح الشعب الجزائري.

تميزت العلاقة بين رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق والإتحاد العام للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ببعض الجمود نظرا للتباعد الجغرافي بينهما وقلة التواصل بين الطرفين، كما أن الإتحاد لم يحاول الإتصال بالطلبة في المشرق نظرا لإنشغاله بفتح فروع له بالجزائر وفرنسا وتونس والمغرب، وخاصة بعد تغيب ممثلي طلبة المشرق العربي عن المؤتمر التأسيسي الأول للإتحاد المنعقد كما ذكرنا ما بين (14/8) جويلية 1955. فهذا ما دفع الرابطة الجديدة بعد تأسيسها أن تحاول الإتصال بالإتحاد عن طريق مبعوثين قصد إذابة الجليد بينهما والوصول إلى إتفاق يشمل جميع الطلبة الجزائريين في مختلف أنحاء العالم. وذلك خاصة في فترة ما بين (1958/1959). وتوصلوا في

(1): بغداد خلوفي، نشاط الحركة الطلابية الجزائرية، مرجع سابق، ص 119
(2): كان عدد الطلبة الجزائريين بمصر لآباس به وصل إلى 100 طالب. أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 250.

الأخير إلى قبول الإنضمام في الإتحاد العام للطلبة المسلمين مع مراعاة بعض الشروط التي من شأنها توحيد رسائلهم الثقافية والوطنية لخدمة الطلاب الجزائريين والثورة⁽¹⁾. غير أن هذه المساعي فشلت في تحقيق الهدف المنشود. ما أدى إلى تدخل أعضاء من الحكومة المؤقتة طالبين من السيد توفيق المدني وضع حد لهذا الخلاف، فاستطاع بحنكته ودبلوماسيته إقناع طلبة المشرق بحل رابطتهم والإنضمام إلى الإتحاد وذلك ابتداء من شهر جويلية 1959.

يفسر البعض الخلاف بين رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي والإتحاد الطلابي بوجود أسباب عميقة تتمثل في الصراع الثقافي بين المعريين والمتفرنسين، حيث اتهم طلبة المشرق بأنهم أتباع لجمعية العلماء المسلمين، خاصة في ظل عجز الطلبة المعريين الوصول إلى مراكز المسؤولية. وقد فند كلا من محمد مهري والشريف سيسبان ومنور مروش في أن يكون طلبة المشرق قد إنخرطوا في أي حزب من الأحزاب المشرقية إلا نادرا، بل أن العديد من الطلبة الذين كان لهم نشاطا سياسيا كانوا مناصرين لأفكار حزب الشعب الجزائري .

لكنه رغم ذلك فإن الخلاف بين الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي والإتحاد لم يكن خلافا وطنيا أو فكريا، بل كان خلافا تنظيميا فقط، فقد كان كل طرف يحاول السعي جاهدا لخدمة الثورة التحريرية، بذلك لم يؤثر الخلاف على المجهود والنشاط الثوري للمتقنين الجدد. فقد اختلفت التنظيمات والوسائل وتشابهت الأهداف المتمثلة أساسا في مساندة قضيتهم التحريرية وإسماع صيتها للرأي العام العالمي .

(1): اسس الطلاب الجزائريين عدة روابط طلابية بالمشرق العربي نظرا لتواجدهم الكثيف هناك، ابتداء مما قبل سنة 1956، ثم قاموا بدمج كل هذه الروابط في جمعية طلابية واحدة هي رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق. بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 100

- وبالمغرب العربي تأسست رابطة طلاب المغرب في جويلية 1956 بمبادرة من الطلاب التونسيين والمغاربة والجزائريين⁽¹⁾، وقد حضر إجتماعهم طالب واحد فقط من ليبيا، حيث كان الهدف من هذه الرابطة وحدويا محضا حيث نص قانونها الأساسي على مايلي:⁽²⁾

المادة الأولى:

1- يؤسس طلاب المغرب العربي في سوريا رابطة تسمى رابطة طلاب المغرب العربي

2- مقرها الرسمي دمشق (شارع الغزالي الصالحية)

3- إذا تأسس إتحاد عام لطلبة المغرب العربي في الشرق تصبح الرابطة جزءا منه

المادة الثانية: تهدف الرابطة إلى:

1- توثيق روح التعاون والتعارف بين جميع طلاب المغرب العربي والتعريف ببلادهم لدى

أقطار الدول العربية وربط الصلة بين طلاب المشرق والمغرب

2- المساهمة في تقديم المساعدات المالية الممكنة لطلاب المغرب العربي وتوفير أسباب الراحة

للطلاب عامة.

لم يؤثر نشاط هذه الرابطة على لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا، حتى إنهم إنخرطوا معها ونشطوا

إلى جانبها دون رفضهم أيضا الإنضمام إلى الإتحاد العام للطلبة المسلمين. وفي صيف 1959 تم

دمج كل الروابط والجمعيات الطلابية سواءا في الشرق العربي أو المغرب العربي في الإتحاد

(1): عمار هلال، المرجع السابق، ص 94

(2): نفس المرجع، ص 95

العام⁽¹⁾ . حيث قام بتسيير شؤون الرابطة أعضاء نشيطين من الطلاب التونسيين والمغاربة والجزائريين.

كما قامت رابطة طلاب المغرب العربي بمجهودات جسيمة في التعريف بنضال أقطار المغرب العربي(تونس المغرب والجزائر) عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، فقادت المظاهرات ووزعت العرائض والنشرات ، وإقامة المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفكر ، مامكنا من من تعبئة الجماهير بسوريا وحتى خارج نطاقها في البلدان العربية (الأردن لبنان العراق..)، وكان مقرها بدمشق عبارة عن مركب ثقافي يمتليء يوميا بالطلبة ،توفرت فيه جميع شروط استقبالهم. من خلال ماسبق يتضح جليا بأن الطالب الجزائري قد وضع نفسه في خدمة الكفاح المسلح منذ إنطلاقه في الفاتح نوفمبر1954، فلم تكن العوامل الجغرافية أو الزمنية عائقا أمام كفاحه الثوري، فقد تجندت جميع التنظيمات الطلابية سواء بالجزائر، المشرق العربي ، المغرب العربي وحتى بفرنسا والبلدان الأروبية في صفوف الثورة، وقدمت دعمها اللامشروط ماديا ومعنويا، ما جعل الثورة تستفيد من هذه الأطارات الثقافية خاصة وأنها كانت في مرحلة حساسة بحاجة إلى هذه الأطارات ، كلها دفعت بها نحو الأمام وجعلتها أكثر تنظيما وهيكلية وتصميما على تحقيق الاستقلال الوطني.

ثانيا: مهام الطلبة داخل جبهة وجيش التحرير الوطني

بعد إضراب الطلبة العام عن الدروس والإمتحانات وإلتحاقهم بجبهة وجيش التحرير الوطني ،تحولوا بذلك إلى مناضلين فعليين وتخلوا تدريجيا عن صفة الطالب.حيث إنخرطوا بذلك في كافة الميادين الإدارية والعسكرية والصحة والإعلام وغيرها..من أجل تقديم مساعداتهم ودعمهم للثورة التحريرية. حيث أن الثورة قد أخذت بعين الإعتبار كل ظروف المنخرطين في صفوفها من طلاب الثانويات والجامعات والأطباء والشباب وغيرهم من المثقفين ذوي الإختصاصات المختلفة. فقد

(1): عمار هلال، المرجع السابق، ص 96

أبعدتهم في أول الأمر عن الميادين الخطيرة والإطار الذي يعمل فيه المقاتلون، وحاولت أن توفر لهم قدرا كافيا من الراحة والإطمئنان النفسي. لذلك قامت جبهة التحرير الوطني بتعيين الطلاب المثقفين الذين إلتحقوا بصفوفها في ميادين عمل حسب إختصاصهم، فالطبيب مثلا يباشر عمله في هذا الميدان يساعده بعض الطلبة الذين درسوا سنة أو سنتين في هذا المجال. وقد حدد مؤتمر الصومام المهام الواجب إسنادها إلى هؤلاء المثقفين المنخرطين في صفوف الثورة، رغم أن ظروف الحرب عرقلت أحيانا هذا التحديد، فنجد أحيانا الطبيب مثلا يضطر إلى حمل السلاح، شأنه شأن الإداري أو المكلف بالشؤون الاقتصادية أو القضائية.

1- الميدان الإجتماعي والعسكري:

وقد برز الطلبة في هذا الميدان بشكل كبير وسيطروا عليه من خلال نشاطهم في مجال الصحة والتعليم والعدالة حيث تحكّموا بقدراتهم في هذا الميدان من أجل تقديم الدعم المادي للثورة التحريرية.

كان الميدان الصحي من أول الميادين الذي خاضه الطلبة الجزائريون، وذلك حتى قبل الإعلان عن الإضراب العام عن الدروس والإلتحاق بالثورة⁽¹⁾. فقد أوصى المؤتمر في المؤتمر الثاني للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في مارس 1956 بضرورة تكوين ممرضين وممرضات لتزويد جيش التحرير بهم. حيث قام عدة أطباء بتقديم دروس أولية على شكل دورات تدريبية للممرضين والممرضات تتعلق بالإسعافات الأولية والتدخلات العاجلة. ومن جهة أخرى كانت الفرق الصحية لجبهة التحرير تنتقل من قرية إلى أخرى تعلم الناس مبادئ الوقاية الصحية وتقديم نصائح وإرشادات.

(1): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 174.

خاصة وأن جيش التحرير كان بحاجة ماسة إلى إطارات كفؤة في الميدان الصحي، لأن أغلب من تحملوا هذه المسؤولية في بداية الثورة لم يكونوا متخصصين ولم يكفي عددهم لتغطية كامل مناطق الجزائر.

شكل الإضراب العام عن الدروس 1956/05/19 وإلتحاق الطلبة بالثورة محطة تغيير حاسمة بالنسبة لجيش التحرير الوطني، نظرا لتوفر أعداد كبيرة من الأطباء والممرضين من ذوي الاختصاص، حيث لم يقتصر دورهم على تقديم الاسعافات الأولية فقط بل تعداه إلى معالجة الثوار المجروحين والمرضى، والقيام بعمليات جراحية مستعجلة. وقد خضع هذا الوضع الجديد إلى تنظيم دقيق وذلك بعد إنعقاد مؤتمر الصومام الذي حدد رتب العاملين في القطاع الصحي. كما تم منذ سنة 1957 إنشاء التنظيم الصحي والذي أصبح ميدان الطلبة الجزائريين دون منازع⁽¹⁾.

يمكن من خلال تتبع مراحل الثورة التحريرية ملاحظة التطور الكبير الذي طرأ على المجال الصحي، فقد كان هذا المجال شبه موجود في السنوات الأولى من الثورة وتعمل بوسائل بدائية، أصبح بإنضمام الطلبة مصلحة قائمة بذاتها. كما أن دور الطلبة والأطباء لم يقتصر على تسيير مصالح الصحة فقط، بل تعداه إلى تكوين ممرضين وممرضات متخصصين في كل مجالات التدخل الطبي. فقد قدم الطلبة للثورة بعد إلتحاقهم بها خدمات صحية جلية ساهموا من خلالها في الدفع بعجلة الثورة وتقديم الدعم اللازم لها.

أما في المجال الثقافي، فقد أدركت الثورة مال هذا المجال من تأثير على مسارها فبادرت بتنظيم دروس محو الأمية باللغتين العربية والفرنسية، ثم تحولت تدريجيا إلى مدارس منظمة بمعلميها وتجهيزاتها الخاصة⁽²⁾. كان التعليم من بين المجالات التي ساهم فيها الطلبة الجزائريين بشكل كبير خلال الثورة التحريرية، حيث قامت جبهة التحرير الوطني بإنشاء مدارس في عدة قرى جزائرية

(1): عمار هلال، المرجع السابق، ص 58
(2): فقد وصل عدد المدارس سنة 1956 إلى 120 مدرسة. عمار هلال، المرجع السابق، ص 60.

تعمل حسب الوسائل والإمكانيات، كان يوظفها الطلبة الجامعيين والثانويين ومن خريجي معهد ابن باديس.

وقد أولى قادة الولايات أهمية كبرى للتعليم، حيث أقيمت دروس لفائدة المقاتلين بأمر من العقيد عميروش⁽¹⁾ بالولاية الثالثة الذي أولى إهتماما بالغا بنشر التعليم بين صفوف الجنود ومحاربة الأمية بشتى الوسائل . أما الولاية الرابعة فقد ضمت 120 مدرسة سنة 1956 حيث أشرف عليها الطلبة الجدد⁽²⁾ . وقد إمتد التعليم إلى الحدود الغربية والشرقية لتونس والمغرب ،حيث كان أبناء اللاجئين هناك يتلقون تعليما منتظما. و رغم أن جبهة التحرير الوطني سمحت للطلبة الجزائريين بوقف الإضراب ومزاولة دراستهم بالخارج، غير أن هؤلاء كانوا دائما في خدمة الثورة مثل المشاركة في مهام التدريس سواءا ببلدانهم التي توجهوا إليها أو على الحدود الشرقية والغربية للجزائر.

من الواضح أن هذه المدارس لعبت دورا هاما في المجال السياسي والإيديولوجي من خلال توعية الجنود والجماهير والمناضلين وبث الروح الوطنية فيهم.

وفيما يخص جهاز العدالة فقد أصبح قائما بذاته منذ 20 أوت 1956 بعد أن كان منعما قبل مؤتمر الصومام، وقد أنشئ هذا الجهاز لتعويض العدالة الفرنسية⁽³⁾. حيث كان دور الطلبة فيه بارزا من خلال توليهم لمناصب حساسة مثل منصب المحافظ السياسي الذي يشرف على تسيير مجلس العدالة ويسهر على عملية إنتخاب أعضائها، ويعطي التوجيهات والتعليمات اللازمة حول تسيير هذه المجالس وفق سياسة جبهة التحرير الوطني. هذا إلى جانب مسؤوليات متعددة تقلدها الطلبة مثل كتابة الضبط والإحصاء وتسجيل العقود وغيرها من المهام الإدارية كانت بحاجة إلى إطارات متعلمة تكفل بها الطلبة على جميع المستويات.

(1):ولد سنة 1926 بإحدى قرى جبال جرجرة بالجزائر،إنضم إلى حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية بمدينة غليزان. تم اعتقاله مرتين وسافر بعدها إلى فرنسا سنة 1950،إلتحق بالثورة قبل شهرين من اندلاعها. مريم سيد علي مبارك،المرجع السابق، ص 195.
(2): عمار هلال، المرجع السابق ص 60
(3):كان ذلك من أهم نتائج مؤتمر الصومام الذي حدد بدقة أهداف الحرب التحريرية والمهام الجديدة لتفعيل الثورة. عبدالله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة، مرجع سابق، ص 66.

أما بالنسبة لمجال الدعاية والإعلام فقد ساهم المثقفون الجزائريون في إنشاء الصحف المحلية وتحرير المناشير وتوزيعها، ومن هذه الصحف: الثورة، صوت الجبل، الحرب⁽¹⁾... حيث زادت من إهتمامات الثورة بالمجال العلمي نظرا لأهميته في إسماع صيت القضية الوطنية إلى الرأي العام العالمي، فظهرت لذلك تجهيزات حديثة مثل الكاميرات والمسجلات.. وغيرها.

وقد أشرف على هذا المجال المحافظون السياسيون الذين كلفهم مؤتمر الصومام بذلك. كان الطلبة إلى جانبهم يؤطرون نشرات وجرائد محلية خاصة بكل ولاية⁽²⁾ بهدف تتبع نشاطات جيش التحرير الوطني والمساهمة في توعية الشعب والمناضلين ورفع معنوياتهم. كما كانت مصالح الدعاية والإعلام أيضا تشرف على كراسات تثقيفية للتكوين العسكري ولل سكان المدنيين. وقد استعمل هذا النوع من الدعاية بقوة من طرف جيش التحرير الوطني من أجل تأطير السكان الأميين من خلال تلقينهم مثلا تربية ثورية ودينية. حيث ترقى الطلبة في ذلك وتقلدوا رتب عالية في هذا المجال.

ونظرا لأهمية هذا الميدان فقد أولته قيادة جيش التحرير أهمية قصوى، حيث أنشأت بوجدة سنة⁽³⁾1957 مدرسة لتكوين المحافظين السياسيين المكلفين بنشر الروح الثورية في صفوف الجيش والشعب، وقد نشر رئيسها وهو المهندس الزراعي لعروسي خليفة كتابا عنوانه دليل المناضل الجزائري⁽⁴⁾، وكان بعض المدرسين فيها (ومنهم بلعيد عبد السلام لبضعة أشهر) من بين قدماء الطلبة الذين جاؤوا من فرنسا أو تكونوا في المدارس المتخصصة في الدول الأوروبية.

أما في المجال العسكري ونظرا لأهمية حرب المدن، إحتاجت قيادة حرب التحرير إلى القنابل للقيام بعمليات فدائية فأنشأت قيادة الجزائر العاصمة شبكة للمتفجرات، وقد لعب الطلبة دورا هاما فيها

(1): عمار هلال، المرجع السابق، ص 61.

(2): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 183.

(3): بغداد خلوفي، نفس المرجع، ص 185.

(4): غي برفلي، الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية 1962/1880، ترجمة: حاج مسعود، بكلي، بلعربي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 374.

خاصة فيما يخص صنع القنابل التي بدأت قبل جويلية 1956 بواسطة مجموعة من الطلبة العلميين
الملتحقين بجيش التحرير الوطني، وكان من بين الطلبة الذين قاموا بعمليات فدائية بطولية هزت
مدينة الجزائر أواخر 1956 وبداية 1957: عبد الرحمان طالب، زهرة ظريف، سامية لخذاري،
حسيبة بن بو علي، جميلة بو حيرد(1) ..

كما إنخرط الطلبة أيضا في فرق جيش التحرير الوطني كثوار ومقاتلين. وقد جاء ذلك بعد تعودهم
على ظروف العمل الثوري في مدة قصيرة، فانتقلوا من ميدان الكفاح الثقافي إلى ميدان الكفاح
المسلح وأظهروا كفاءتهم في هذا المجال وتحملوا أعلى المسؤوليات فيه. منهم الطالب يوسف
الخطيب الذي ترقى إلى رتبة عقيد وقائد الولاية الرابعة، وعلي بودغن (لطفي) رتبة عقيد وقائد
الولاية الخامسة، محمد شعباني الذي ترقى إلى رتبة عقيد وقائد للولاية السادسة، والطالب علاوة بن
بعطوش الذي استشهد وهو يحمل رتبة رائد بالولاية الثانية سنة 1958. وعلى مستوى الولاية
الخامسة تقلد الطلبة مناصب ومسؤوليات كثيرة منهم عبد العزيز بوتفليقة، أحمد مدغري، شريف
بلقاسم الذين انتقلوا إلى هيئة الأركان بالحدود الغربية التي كان يترأسها الطالب هواري بومدين
الذي كان عقيدا وقائدا لهيئة الأركان بالمنطقة الغربية ثم قائدا لهيئة الأركان العامة(2). ومايدل على
استعداد الطلبة الجزائريين للتطوع في صفوف الثورة هو أعدادهم الوافرة(3) التي إنضمت وسجلت
نفسها في قوائم طويلة خدمة للثورة. حيث كانوا على استعداد دائم لتولي المناصب العسكرية في
صفوف جيش التحرير الوطني، خاصة بقيام قيادات الثورة العسكريين باستغلال قدرات هؤلاء
الطلبة باعتبارهم من يمثلون الطليعة المثقفة خاصة بالولايات الداخلية أمثال قيام بن مهدي

(1): نفس المرجع، ص 370

(2): عمار هلال، المرجع السابق، ص 80.

(3): وقع الإختيار على ثلاثين منهم استشهد البعض منهم على الحدود الشرقية والغربية. للمزيد أنظر عمار هلال،
المرجع السابق، ص 81

وبوصوف وبومدين ولطفي بإختيار العناصر المثقفة من بين الطلبة لتكليفهم بالمهام التقنية والتنظيمية(1) .

فكثيرا ماكان هؤلاء الطلبة يتولوا الوظائف العليا على المستوى الولائي: رئيس مصلحة الصحة(لمين خان في الولاية الثانية)، أو مصلحة الدعاية والإعلام (بوعلام أو صديق في الولايةالرابعة)، كما تمت ترقية أحد قدماء طلبة الطب بجامعة الجزائر وهو يوسف الخطيب المدعو سي حسين في مجلس الولاية الرابعة إلى رتبة كولونيل سنة 1962.

- وحتى بالخارج تم إيفاد العديد من الطلبة لتولي قيادة الأركان أو الحكومة (مثل ترقية لمين خان إلى منصب كاتب دولة) أو إيفادهم لأسباب صحية . وقد كان لإضراب الطلبة في 19ماي 1956 دورا كبيرا في تسخير طلبة الطب والأطباء الجزائريين تحت تصرف جبهة التحرير الوطني من أمثال الدكاترة مصطفى، تومي، هدام، نقاش.. وغيرهم الذي كانوا يعالجون المحاربين واللاجئين الجرحى.

- رغم كون الطلبة تعرضوا إلى التشكيك في قدراتهم على التأقلم مع حياة الجبال والأحراش، تمكنوا من التأقلم وتحقيق نجاحات كبيرة في المجال العسكري، فأثبتوا بذلك كفاءتهم وقدراتهم الثورية.

إن إنضمام الطلبة إلى الثورة وإلتحاقهم بصفوف جبهة وجيش التحرير الوطني أدى إلى تطور مصالح الصحة والتعليم والعدالة والدعاية والإعلام ، خاصة بعد إصدار قرارات مؤتمر الصومام التي أوجبت وجود هذه المصالح لضمان قوة واستمرارية الثورة، فكان دور الطلبة خاصة بعد 19ماي 1956 واضحا تنظيم هذه المصالح وتسييرها تسييرا محكما بما يتماشى وتوجهات الثورة التحريرية.

(1): غي برفليبي، المرجع السابق، ص 375.

2 - النشاط النقابي والدعائي:

أكدت الحركة الطلابية الجزائرية منذ تأسيسها بضرورة العمل المتواصل لخدمة الطالب الجزائري ورفع مستواه المادي والمعنوي تمهيدا لإعداده للثورة التحريرية. لذلك سعت هذه الحركة بالمشرق العربي ومنذ ظهورها 1956 على شكل روابط طلابية⁽¹⁾ محلية على تقديم هذه الخدمة للطالب الجزائري بهذه الدول بحدود إمكانياتها المتاحة. فبسوريا قامت لجنة الطلبة الجزائريين هناك بالعمل على حل الكثير من مشاكل الطلبة مثل مشكلة السكن والأكل والأمور المالية . وهو نفس العمل الذي قامت به سائر الروابط الطلابية بمصر والكويت والعراق حرصا على العناية بالطالب الجزائري وتهيئة الظروف لنجاحه وتفوقه.

من جهة أخرى عملت رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي خلال الموسم الدراسي 1959/1958 على التكفل بالطلبة الجزائريين بتونس لمعاناتهم من عدة مشاكل بسبب كثرة أعدادهم وقلة الإمكانيات لتأطيرهم هناك. مادفع بالرابطة بمحاولة إقناع حكومات الدول العربية لقبول أكبر عدد من الطلبة لديها وذلك بالتعاون مع جبهة التحرير الوطني، فاستطاعت بذلك استقبال العديد منهم في مناطق مختلفة (مصر، سوريا، العراق، الكويت) والتخفيف من معاناتهم من خلال توفير احتياجاتهم المادية والمالية والمعنوية قصد تحسين أوضاعهم الإجتماعية عموما.

أما الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين فقد سعى منذ تأسيسه في جويلية 1955 على رفع مستوى الطالب الجزائري ماديا ومعرفيا، خاصة بعد تعرض الإتحاد للحل من طرف السلطات الاستعمارية في 28 جانفي 1958 وإتهام أعضائه بتهمة الإخلال بالأمن العام⁽²⁾، ما اضطره إلى نقل نشاطه إلى خارج فرنسا. كما نزع العديد من الطلاب الجزائريين إلى خارج فرنسا نحو جامعات

(1): بغداد خلوفي، نشاط الحركة الطلابية، المرجع السابق، ص 103

(2): عمار هلال، المرجع السابق، ص 49

مختلفة من العالم، وهو الأمر الذي جعل الإتحاد يتحمل مسؤوليتهم رفقة جبهة التحرير الوطني عن طريق المنظمات الطلابية أو حكومات تلك الدول.

لم يقتصر دور الإتحاد فقط على توفير المنح الدراسية للطلبة الجزائريين ، لكنه كان يهدف إلى توفير منح دراسية لهم في تخصصات علمية وتقنية تستفيد منها الجزائر المستقلة مستقبلا. كما اهتمت إدارة الإتحاد أيضا بالطلبة ذوي التوجهات الأدبية والترجمة واللغات الأجنبية ، والطلبة ذو التوجهات الفنية كالسينما والتلفزيون والتخصصات المتعلقة بالبريد والمواصلات. فكانت بذلك بعض الدول الأوروبية(ألمانيا، سويسرا، بلغاريا..) والولايات المتحدة الأمريكية وجهة لهؤلاء الطلبة(1).

وإلى جانب المنح الدراسية ، عمل الإتحاد على توفير المساعدات المالية والمادية والطبية للطلبة الجزائريين لضمان توفير الظروف اللازمة لمزاولة دراستهم دون عراقيل أو صعوبات. إضافة إلى سعيه المستمر لحل مشاكلهم المختلفة مثل مشاطل النقل والإقامة والتحويل والإيواء وغيرها. لم يكن الجانب السياسي للطلبة مهمل لدى الإتحاد نظرا لمعرفته الكاملة بضرورة تنمية الجانب السياسي والنقابي للطالب الجزائري من أجل الرفع من مستواه السياسي والفكري، لذلك قام بالمشاركة في الندوات والملتقيات الطلابية الوطنية والدولية، والتي تناولت مواضيع مختلفة من شأنها بلورة فكر الطالب الجزائري وتكوينه السياسي والنقابي. كما شارك الطلاب الجزائريين في المخيمات الصيفية ببعض البلدان الأوروبية ،فسمح لهم ذلك بالإحتكاك بالطلبة من مختلف أنحاء العالم لزيادة معارفهم، وكسب طرق جديدة في النضال.

من خلال هذا النشاط الدؤوب للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، يظهر مدى إدراكهم إلى جانب جبهة التحرير الوطني بمدى أهمية الرعييل الجديد من المثقفين الجزائريين في الكفاح المسلح

(1): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 238

، فقد كان هذا الطالب بمثابة سفيرا لبلاده ، لذلك كان عليه تشكيل إنطباع لائق عن وطنه بالخارج ، كما عليه أن يكون مجندا ومستعدا للإلتحاق بميدان المعركة الحاسمة ثورة التحرير الوطني.

- كان للطلبة الجزائريين نشاطا دعائيا واسعا داخل هياكل جيش وجبهة التحرير الوطني، من

خلال مجهودات الروابط الطلابية بالمشرق العربي، أو الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين⁽¹⁾، والذي دعمت بواسطته عمل البعثات الدائمة للحكومة المؤقتة الجزائرية في مختلف دول العالم. وقد أكد المؤتمر الرابع للإتحاد العام للطلبة المسلمين بأن هذا الإتحاد بمثابة وحدة قتال داخلية لجبهة التحرير الوطني يهدف إلى تدعيم الثورة الجزائرية بعمله على التعريف بها وإعطائها الطابع الشعبي على المستوى العالمي. إضافة إلى تنوير الرأي العام العالمي حول صورة شعب مكافح يخوض معركة حاسمة حول قضيته الوطنية الشرعية.

يهدف الإتحاد من جهة أخرى إلى إطلاع العالم على الجرائم البشعة التي يرتكبها المستعمر يوميا ضد الجزائريين، فضرورة التفريق بذلك بين فرنسا الثقافة والحضارة وفرنسا الاستعمارية. كل هذه المساعي الطلابية كانت من أجل كسب التأييد للقضية الجزائرية العادلة والحصول على الإلتزام الحقيقي والكامل من طرف المنظومة الطلابية العالمية للكفاح الذي يخوضه الطلبة والشعب الجزائري.

ومن أجل تجسيد هذه المساعي ركز الإتحاد العام على العمل النقابي وخدمة الثورة دعائيا في الخارج، خاصة بعد حله من طرف السلطات الفرنسية في 28 جانفي 1958 واستقرار قيادته بسويسرا ثم تونس⁽²⁾. شارك الإتحاد بعدها في في عدة ملتقيات وندوات طلابية محليا وعالميا، وقام بإرسال بعثات طلابية إلى مختلف أنحاء العالم لشرح قضية الشعب الجزائري والتعريف بها، فتمكن من كسب التضامن نحو نضال الطلبة وهذا الشعب المكافح.

(1): غي برفليي، المرجع السابق، ص 183.

(2): بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 239.

شارك الإتحاد في الندوة العالمية الثامنة للطلبة المنعقدة بليما (البيرو) من 15 إلى 25 فيفري 1959، تلقت فيها دعوة من طرف كل الإتحادات الطلابية الوطنية لأمريكا اللاتينية لزيارة بلدانهم. فقامت بداية من شهر مارس من نفس السنة قامت هذه البعثة التي ضمت مسعود آيت شعلال و طالب شعيب بالتجول في دول أمريكا اللاتينية والوسطى. حيث لقيت استقبالا كبيرا وترحيبا حماسيا صادرا من إعجابهم العميق بالقضية الوطنية واعترافهم ببطولة الشعب الجزائري. كان ذلك واضحا سواء في الشيلي، الأكوادور، الأرجنتين، البرازيل، كولومبيا، وفنزويلا رغم قلة الإعلام وضعفه لدى الرأي العام الشعبي هناك. فقد لقيت البعثة في هذه الدول إهتماما كبيرا تجسد في الصدى الواسع لنشاطاتها هناك من خلال تخصيص مثلا حصص تلفزيونية ببعض هذه البلدان حول ثورة الجزائر، واستقبال شخصيات سياسية عديدة للبعثة.

نفس التأييد والترحيب لقيته بعثة الإتحاد في سائر الدول التي زارتها، منها جولة الصين ما بين 15 إلى 30 أبريل 1960، جولة إنجلترا في ماي 1960، وبعض الدول الأوروبية في 1961 منها النمسا، الدانمارك، السويد، النرويج، بريطانيا، هولندا، بلجيكا. وقد لاحظت البعثة أن القضية الجزائرية تجد لدى الأوساط الإعلامية والأدبية والفنية أصدقاء كثيرين يسعون بمجهوداتهم الفردية إلى دحض الأفكار الخاطئة للمستعمر الذي يسعى إلى تغليب الرأي العام العالمي.

كانت هذه الجولات في مجملها مثمرة أدت إلى تحرك طلبة مختلف طلبة العالم لمساندة الطلبة الجزائريين، حيث قام الطلبة الاسكندنافيين في 07 أبريل 1961 بإحياء يوم تضامني مع الإتحاد العام للطلبة عبر مختلف جامعات الدول الاسكندنافية. وتشكلت لجنة تجمع بين هيئات طلابية من المغرب العربي والعراق وإيطاليا في 05 فيفري 1961 أعلنت دعمها اللامشروط من أجل استقلال الجزائر. لم يكتف الإتحاد بالدعاية للثورة التحريرية من خلال جولاته الإعلامية والمؤتمرات والندوات، بل عمل أيضا في كل المناسبات على فضح السياسة الاستعمارية وأساليبها الشنيعة الرامية إلى ربط الجزائر بفرنسا بشكل كامل.

لم يرغب النشاط الدعائي للثورة لدى التنظيمات الطلابية بالمشرق العربي، بل قاموا هناك بمجهودات جليلة من أجل التعريف بقضيتهم وسط الطلبة والشعوب العربية. وبمصر ايضا ساهم الطلبة الجزائريون إلى جانب الجالية الجزائرية في إحياء ذكرى اندلاع الثورة التحريرية سنويا، وذلك من خلال تقديم كلمة تتضمن التعريف بطبيعة الثورة وأبعادها من جهة، وفضح بعض مظاهر السياسة الاستعمارية من جهة أخرى مؤكداً على ضرورة الدعم العربي لإنجاح هذه الثورة. إلى جانب النشاط الثقافي وإلقاء الندوات والمحاضرات سواء بمقرهم، أو بمقر نادي طلاب المغرب العربي بالقاهرة⁽¹⁾. أما بسوريا عمل الطلبة الجزائريون على تعبئة الطلبة العرب هناك لتأطير مظاهرات تدين السياسة الفرنسية وتساند الشعب الجزائري في كفاحه. كما عملوا على إصدار مجلات ودوريات منها مجلة كفاح المغرب العربي من أجل التعريف بالقضية الوطنية وتتبع مراحل تطورها.

- نلاحظ أن الطلبة الجزائريون وفي أي منطقة كانوا من بلدان العالم، قدموا دعمهم الكافي للثورة التحريرية والتوفيق بين هذا الهدف وبين دراستهم التي سوف تضمن لهم وضعاً أفضل في الجزائر المستقلة مستقبلاً. حيث أن حل الإتحاد العام للطلبة الجزائريين من طرف فرنسا في 1958 لم يؤثر على نشاطهم، بل إعتبروه من باب اللاحداث نظراً لاستعدادهم لدعم الثورة بشكل مستمر لامتروط ولامحدود، بل صدق عمار هلال في قوله بأن مرحلة ما بعد إنحلال الطلاب في فرنسا هي أهم مرحلة وأنجعها في التكوين السياسي والإيديولوجي للطلبة الجزائريين، إطارات مرحلة الاستقلال مرحلة البناء والتشييد.

(1): ملحق حول سلسلة النشاطات الثقافية للطلبة بمصر، بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص252

ثالثاً: علاقة الطلبة الجزائريين بالمتقنين بالثوريين مفجري الثورة

تذكر بعض المصادر بأن الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أعتبر منذ تأسيسه تنظيماً موازياً لجبهة التحري الوطني، وهذا ماشكل صعوبة في التعامل مع الإتحاد في نظر مناضلي الجبهة، يقول عمر بوداود: "لم تكن العلاقات مع الطلبة الجزائريين المتواجدين في فرنسا وأروبا محددة بوضوح، لقد واجهتنا بعض الصعوبات مع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، فقد أعتبر الإتحاد من طرف مسؤوليه تنظيماً موازياً لجبهة التحرير الوطني، مع العلم أنه كان مدعوماً مالياً من طرف اللجنة المالية"⁽¹⁾. فقد رفض مسؤول الإتحاد بفرنسا آنذاك مولود بلهوان عقد مؤتمر توضيحي لموقف الإتحاد من الثورة رغم إصرار الطلبة والذين كانوا في حالة استجابة لنداء الإضراب التاريخي على ذلك، هذا ما أثار استغراب عمر بوداود واللجنة الفدرالية وحتى جبهة التحرير. لكنه سرعان ما إلتحق هؤلاء الطلبة بالثورة ليعبروا بالتالي عن موقفهم الداعم لها.

فلاشك أن إحتكاك الطالب الجزائري مع إخوانه في الكفاح المسلح كان من اللحظات الحاسمة لكلا الطرفين. ومن بين شهادات الطلبة الجزائريين بإخوانهم المجاهدين تقول الطالبة صافية باز: "ولكن الحقيقة أنهم ليسوا أشرارا، ولا يعرفون طريقاً للنشر- المجاهدين - بل هم رجال حكمتهم عليهم ظلماً لأنكم لاتعرفونهم إطلاقاً. إنهم رجال حملوا السلاح لأنهم شعروا منذ مدة طويلة بالظلم والاضطهاد... رجال ذوي كرامة وأنفة، الذين تستطيعون إذا شئتم ذلك كسب مودتهم وصدقتهم..."⁽²⁾.

من جهة أخرى تؤكد الطالبة مريم بلميهوب عن العلاقة الطيبة التي ربطتها بالمجاهدين والثوار: "ومن هنا أيها السادة اسمحوا لي أن أقدم إليكم الوجه الحقيقي للوطنيين الجزائريين، تتعاونهم بقطاع الطرق بالفلاحة، بالخارجين عن القانون بالإرهابيين، لا أيها السادة، إنهم رجال رفضوا أن تداس

(1): عمر بوداود، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني مذكرات مناضل، خمس سنوات على رأس فيديرالية فرنسا (1962/1957)، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبية للنشر، الجزائر، ص 123.
(2): عمار هلال، المرجع السابق، 104.

كرامتهم ،رجال رفضوا المهانة والذل ...إنهم رجال ضحوا بكل شيء من أجل قضية مقدسة لديهم ،إنهم يعانون ويموتون من أجل أن يعيش أبناءهم في سلام وأمن، وهم ينعمون بشمس الحرية والاستقلال"(1).

كما نظر قادة الثورة إلى الطلاب الجزائريين والمتقنين بعين تملؤها الثقة والاطمئنان وتقربوا إليهم. ويقول أحد الأطباء الجزائريين الذين إلتحقوا بالثورة عن أحد قادة الثورة: ".متواضعا كان يعترف بلسانه بمزاياه ونقائصه، وكان يحب أن يجمع حوله - كلما اقتضت الضرورة ذلك - المستشارين الأكفاء ذوي التجارب الطويلة، كانت تبدو عليه علامات الفرح والسرور، وهو يجالس المتقنين الثوريين ، الذين كان يحترمهم ويكن لهم كل الإحترام والتقدير...لم أنس ذلك اليوم ، الذي أصر فيه على أن أترأس مجلس المتقنين ، ولم يكن يؤهلني إلى هذه المهمة أي شيء سوى إصراره على ذلك ، وكان يريد من ذلك أن يؤكد على الدور الذي يجب على مثقف أن يلعبه في كفاحنا التحريري..."(2).

من جهته أكد الاستعمار عكس ذلك من خلال كتابات عديدة للتشكيك في الثورة بشكل عام وقادتها بشكل خاص. لكنه ومهما يكن فإن الشواهد والتصريحات تثبت بأن قادة الثورة على مستوياتهم والمتقنين والطلاب الذين التحقوا بهم في الجبال ،إتفقوا على تكثيف مجهوداتهم للتركيز على أمر واحد لاغير وهو طرد الاستعمار من بلادهم ،قبل التفكير في أي شيء آخر . ففي حين كان المستعمر الفرنسي ينعت المناضلين الجزائريين بصفات مغرضة لتشويه سمعتهم، كان الطلبة الجزائريون ينظرون إلى هؤلاء بعين ملؤها الرضا والطمأنينة والإحترام، وهو الإحترام الذي وصفه عمار هلال بأنه وصل حد القداسة. وهذا ما يؤكد أن جميع محاولات المستعمر في تشويه سمعة الثوريين مفجري الثورة باءت بالفشل، ليس على مستوى الطلبة الجزائريين فحسب، بل على مستوى الشعب الجزائري ككل.

(1): المرجع نفسه.

(2): نواره حسين، المرجع السابق، ص206

وللوقوف أكثر على العلاقة التي كانت تربط الطلبة والمتقنين الجزائريين بقيادة الثورة، شخصية القائد عميروش الذي و رغم حظه القليل من التعليم نجده يولي هذا الجانب إهتماما كبيرا ويدرك مدى أهميته في مسار الثورة ، وربما ذلك ماجعله بعد تنظيم الجيش في الولاية الثالثة، يفكر في رفع مستواه التعليمي بكل الوسائل الممكنة ، ومساعدته على ذلك هو تطوع الطلبة في صفوف الجيش منذ مطلع سنة 1956. قام بعدها ببعث رسالة إلى الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وبالتحديد بعد حل الإتحاد أوائل سنة 1958 ، تدل بشكل واضح على إهتمامه الكبير بالعلم والتعليم وما ينتج عنهما من إيجابيات على تطور الثورة ، ومما جاء في نص الرسالة: "...إن خدمة الوطن هي الشعار الوحيد لكل جزائري وجزائرية وأنتم أيضا ستكافحون من أجل وطنكم ، ومعنى الكفاح - حسب مفهومنا - هو خدمة الوطن بأية طريقة كانت إن الجزائر في حاجة لكل أبنائها لإنجاح الثورة السياسية التي ستحرر الشعب من براثن الاستعمار ، ولاستمرارية الثورة ، الجزائر في حاجة إلى عناصر كفؤة لتسيير شؤونها عليكم أنتم أيها الطلاب الجزائريون أن تبرهنوا للعالم على إلتحامكم الكامل بالثورة الجزائرية وأن عملكم وعملها واحد، لايفترقان أبدا . ومن أجل جزائر حرة وديمقراطية فإن كل الجزائريين سيوحدون شعورهم وطاقاتهم ، في سبيل التضحية من أجل المصلحة العليا للثورة"⁽¹⁾ .

يتضح من خلال هذه الوثيقة بأن القائد عميروش كان يولي اهتماما بالغا بالعلم والمعرفة، وكان حريصا على تعليم أبناء الوطن اقتناعا منه بأن التعليم هو الركيزة الأساسية للنهوض بالبلاد مستقبلا وفي جميع الميادين. وذلك ماجعله يفكر في منذ شهر سبتمبر 1957 في إرسال بعض الطلاب من الولاية الثالثة إلى تونس لإتمام دراستهم .

من جهة أخرى توضح نوارة حسين أن عملية ترقية المتقنين الجزائريين الجدد في الهيئات القيادية للثورة جاءت متأخرة نوعا ما، وذلك راجع لسبب رئيسي وهو ظاهرة معاداة الفئات المتعلمة التي

(1) :عمار هلال، نفس المرجع، ص 105

بقيت منتشرة في صفوف جبهة التحرير الوطني رغم ما كان يبديه هؤلاء من من علاقة طيبة إتجاه الطلبة والتي كان ملؤها الكثير من الحذر، إذ تقول نقلا عن مصطفى لشرف: "...ورثت الجبهة عادات مناهضة للمتعلمين عن الأحزاب السياسية الأولى التي تكونت في أوساط الهجرة بعد حرب 1918/1914، وهي عادات تأثرت أيضا بإيديولوجيات دولة لم يتم استيعابها بصورة جيدة، أو اقتصرت على مجرد التقليد. وقد مورس هذا الإرث دوريا في الجزائر حتى قبل 1954، ضد المناضلين الذين أمسكوا بالقيادة لاحقا إلى النهاية، أي أثناء الأوقات الصعبة من حرب التحرير..." (1).

فقد كان القادة التاريخيون التسعة للثورة رجال ميدان قبل كل شيء، أعدوا أنفسهم في المنظمة الخاصة منذ سنوات طويلة استعدادا للكفاح المسلح. فهم لم يكونوا أميين ولا جهلة، بل تابعوا تعليمهم الابتدائي في المدارس الفرنسية وبعضهم وصل حتى التعليم الثانوي. وصلوا حد الإقتراح على لمين دباغين (2) النموذج الفعلي للمثقف الناشط لرئاسة جبهة التحرير الوطني (3). لكنهم كانوا يحذرون السياسيين الشرعيين والإصلاحيين الحاملين عامة لشهادات من الجامعة الفرنسية، والذين وجدوا خاصة في الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي يقوده فرحات عباس، ويجدوهم أيضا في اللجنة المركزية لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية التي يتزأسها بن خدة. كانوا يعتبرونهم مسؤولين على توحد الحركة الوطنية، ولايقبلون انخراطهم في جبهة التحرير الوطني إلا إذا حلوا أحزابهم، ولايطمحون في تبوأ مكانة سياسية في الجبهة.

(1): نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، مرجع سابق، ص 204.
(2): ولد سنة 1917 بحسين داي بالعاصمة، تابع دراسته في الطب وتخرج كطبيب، كان من الأعضاء البارزين في حزب الشعب الجزائري مثل النخبة المثقفة في الحزب، وكان ضمن اللجنة المديرية له، عين في الوفد الخارجي لجبهة التحرير سنة 1956 وصار عضوا في المجلس الوطني للثورة في أوت 1956، كان دباغين نموذجا حيا للجيل الثوري المثقف الأول الذي كافح بإخلاص ضد الاستعمارك مريم سيد علي مبارك، أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 218.
(3): غي برفلي، الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية، مرجع سابق، ص 362.

وابتداءاً من شهر مارس 1955 فتح تعيين عبان رمضان على رأس التنظيم بالعاصمة ، الباب أمام ترقية السياسيين في الهيئات القيادية لجبهة التحرير الوطني . كما كان عبان رمضان حاملاً لشهادة البكالوريا، ورجلاً مفكراً وميدانياً في آن واحد، كان يعتبر أن السياسة هي التي توجه العمل. فأحاط نفسه بقيادة أركان سياسية، حيث كان لحاملي الشهادات مثل بن خدة وسعد دحلب مكانتهم، واستطاع أن يجلب إلى الجبهة جميع الأحزاب الوطنية، طبعاً باستثناء الحركة الوطنية الجزائرية التي أسسها مصالي الحاج.

وبعد إعلان مؤتمر الصومام على مبدأ أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، مع تخصيص معظم مقاعد المجلس الوطني للثورة الجزائرية لقادة الولايات ونوابهم، حيث أدخل المجلس عدة قادة قدامى للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (فرحات عباس وأحمد فرانسيس)، وجمعية العلماء المسلمين (توفيق المدني) وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية (لمين دباغين، بن خدة، أحمد يزيد، وعبد الحميد مهري). وقد رأى القادة التاريخيون المقيمون بالخارج في هذا التغيير الجديد الذي مس القيادة نوعاً من الانقلاب، حيث لام بن بلة عبان رمضان على ذلك: "لم نتفق مع عبان على تعيين قادة سابقين لأحزاب معتدلة واندماجية غداة 1954 في مناصب أساسية وحساسة للثورة. ثورة لم يرغبوا فيها ولم يعدوها، وبعض حاربها. وإذن فإن ذلك يؤدي إلى الغموض الذي ألحق أضراراً بالحركة. كانت ثورتنا عند إنطلاقها على توازن دقيق، وكان يجب عدم إدخال عنصر الشك الكفيل بأن يؤدي إلى تفسيرات وتأويلات غامضة"⁽¹⁾.

ففي نظر المثقف الثوري الذي فجر الثورة التحريرية، يظل المثقفون بصفة عامة وحاملي الشهادات خاصة عناصر مشكوك فيها ويجب عدم تكليفها بمناصب قيادية في الثورة. وكان إلتزام هؤلاء يثير على الدوام تساؤلات عند أولئك الرجال الميدانيين الذين كونتهم سنوات من الكفاح السري قبل إندلاع ثورة نوفمبر 1954.

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 206

لقد كانت العلاقة إذن بين إطارات جبهة التحرير الوطني والمتفقين الجدد مسألة غامضة بين أخذ و رد، حيث تساءل الكثير عن المكانة التي يجب أن يلعبها هؤلاء الجدد، وهل يبقوا في نظر الثوريين منافسين أتوا ليحكموهم، أو كمتعاونين لهم دور فعال. مما أثر سلبا على الثورة وحال دون أن يوظرها المثقفون الجزائريون عامة والسياسيين حاملي الشهادات خاصة. وقد كتب العديد من المفكرين حول هذه المسألة الحساسة، منهم وادي بوزار الذي فسّر الظاهرة كما يلي: " الأنتلجانسيا الجزائرية عكس الأنتلجانسيا الروسية في نهاية القرن 19، لم تقم بالإعداد للثورة المسلحة، بل كانت هذه الأخير من فعل أوساط إجتماعية أخرى... وكانت نتيجة ذلك، التسوية من القاعدة ومعاداة للثقافة في أجهزة الدولة... وتجسد هذا مع إنطلاق الثورة المسلحة، وبالتالي خسرت الجزائر منذ تلك الفترة بعضا من خيرة أبنائها، واعتراها نقص في الإطارات عند الاستقلال. وأكثر من ذلك أدت هذه الظاهرة منذ الاستقلال أيضا وإلى غاية اليوم أحيانا، إلى إجبار العديد من الأدمغة الجزائرية على الهجرة المؤقتة أو الدائمة، أو على أكثر أنواع الهجرة ألما، هي الهجرة الداخلية عن طريق التهميش الذاتي المقصود الذي لجأ إليه أكثر رجال الثقافة كفاءة وإخلاصا.."(1) .

من جهة أخرى ينفي المؤرخ دحو جربال هذه الفرضية، ويؤكد عكس ذلك، بأن الذين فجروا الثورة المسلحة لم يكونوا عسكريين بل مناضلين سياسيين من المنظمة الخاصة، التي كانت تابعة لحزب الشعب الجزائري وجناحها العسكري، وهم عناصر أعدت خصيصا للقيام بأعمال عسكرية: " إن إندلاع الكفاح المسلح لم يكن بفعل النشاط والعسكريين، بل كان بمبادرة من المناضلين المسلحين. أما التمييز بين الجانب المدني والعسكري في جبهة وجيش التحرير الوطني فجاء في وقت لاحق، وهو تطور أدى إلى الفصل بين الوظائف السياسية والعسكرية داخل حركة التحرير الوطنية. وقد أدى هذا سنة 1962 إلى نزاعات حول السلطة والشرعية بين القيادات التي كانت تقول بأنها قيادة

(1): نواره حسين، المرجع السابق، ص 207

سياسية وعسكرية، لأن قيادة الأركان كانت تعتبر نفسها مسؤولة سياسيا على تحديد أهداف الثورة وإستراتيجيتها، تماما مثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية... وهنا بالضبط كان المشكل".

- إشتهر العقيد عميروش بعدائه للمتقنين وقيادة عمليات التصفية. فانطلقت بعض العمليات بالولايتين الثالثة والرابعة، حيث ترأس عميروش العملية بالولاية الثالثة التي كان على رأس قيادتها، ولما صب إهتمامه على فئة المتقنين، تمكن العقيد الفرنسي "غودار" من إيهامه بأن منظمة الزرق (كما يسميها العقيد عميروش ويقصد بها المتقنين الجدد) قد مدت فروعها إلى داخل الهيئات القيادية للولاية. وأدى التحقيق الذي أجري إعتقادا على أساليب التعذيب إلى نتائج كارثية، حيث استخلص عميروش أن جميع الطلبة خونة أو سيصبحون خونة⁽¹⁾، لأن عددا هاما من المتآمرين الحقيقيين كانوا طلبة أو متقنين، فأدى هذا الموقف إلى نشر الخوف والرعب بين المتعلمين والطلبة في الولاية الثالثة (القبائل). أما بالولاية الرابعة فقد شهدت عمليات استنطاق ومحاكمة وإعدام 486 شخصا، لكنه تبين فيما بعد أن عمليات التصفية هذه لم تقتصر فقط على فئة المتقنين.

كانت الإدارة الاستعمارية على علم تام بأن القاعدة الأمنية الأولى لجيش التحرير الوطني تتمثل في العقاب الصارم للخونة، فقامت باستغلالها لصالحها من خلال تحويلها إلى عمليات التصفيات الدموية، وذلك من أجل زرع الفرقة والفتنة بين صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني وبالتالي إضعاف موقف الثورة التحريرية.

حسب بعض الكتابات لايمكننا التأكيد على هذه الظاهرة ولا هذه الأوضاع، وحتى قضية معاداة العقيد عميروش للمتقنين مسألة قابلة للنقد. فقد أكد الكثير ممن يعرفونه على تبرئته من هذا الموقف المتعصب والدموي، بل كان بسيطا وشجاعا وعصاميا يبحث عن الفرص ليتعلم من الذين يفوقونه، فلم يظمر بذلك أي عدا للمتقنين. ومن ثمة يمكن استخلاص أن التصفيات التي وقعت أثناء الثورة لم تكن بسبب معاداة المتقنين، بل لها أسباب أخرى مختلفة.

(1): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 208

ومايدل على صحة ذلك، هو فتح جبهة التحرير الوطني أجهزتها القيادية للسياسيين وحاملي الشهادات، حيث كان محمد بن يحي أول طالب يرقى في هيئة قيادية للثورة، بعد أن كان رئيسا للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأختير عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية منذ سبتمبر 1956، إلتحق به بعدها رفيقه لمين دباغين الذي إلتحق بالجبال في الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)، وكان أول من أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية من أبناء جيله. وهكذا تمت ترقية المناضلين الذين تكونوا في مدرسة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، إلى مناصب في دواوين الوزراء والأمانات العامة والمديريات الوزارية، حيث كان هؤلاء يتصفون بديناميكية أكثر من غيرهم.

- أما على مستوى جيش التحرير الوطني فقد تأخرت بدورها ترقية الطلبة الجزائريين في هذا الميدان ، في حين يراها البعض غامضة وغير واضحة، وذلك نظرا لحساسية وأهمية هذا المجال. ونظرا لعدم توفر حاملي الشهادات في الثوريين الأوائل الذين فجروا الثورة، فقد كان الطلبة وفق كفاءاتهم وقدراتهم مرشحين لإظهارها في الوحدات القتالية وقيادتها، رغم وجود بعض المسؤولين الذي رفضوا تعيين هؤلاء الطلبة في هذا المجال، بل أنهم خصصوا مناصب القيادة السياسية والعسكرية في الولايات الداخلية وقيادة الأركان في الخارج للرواد الأوائل من مفجري الثورة أو من سميناهم بالمتقنين الثوريين.

فقد كان الطلبة الجزائريين في الداخل يمثلون الطليعة المثقفة في الولايات ،حيث كان قادتهم يجتهدون في استعمال كفاءاتهم رغم عين الحذر التي ينظرون بها إليهم فتمكنوا بذلك من الوصول بسهولة إلى تقلد المسؤوليات في المنطقة مثل: (ملازم سياسي أو علاقات، استخبارات أو ملازم، نائب عسكري أو نقيب) وهذا مايدل على اقتناع القادة الأوائل للثورة بكفاءة الطلبة الجزائريين على اختلاف إيديولوجياتهم وقدراتهم العلمية والثقافية رغم العلاقة الغامضة بينهم.

خلاصة المبحث الثاني :

- تعتبر فترة بداية سنة 1956 مرحلة جد حاسمة بالنسبة لجبهة التحرير الوطني لكونها أمام رد فعل استعماري عنيف في حق السكان الأبرياء ،حيث كانت مناطق الجزائر عموما تعيش حالة من الذعر والرعب جراء تلك السياسة الاستعمارية، التي تهدف أساسا إلى محاولة إجهاض الثورة وإبعاد الجزائريين من حولها.

هذا كان في ظل الإنتصارات التي حققتها جبهة التحرير الوطني سياسيا وعسكريا ،والمتمثلة أساسا في إلتحاق المركزيون والإتحاد الديمقراطي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بجبهة التحرير الوطني . أما خارجيا فقد تصاعد صدى الثورة التحريرية في المحافل الدولية ،كان أولها مؤتمر باندونغ لدول عدم الإنحياز سنة 1955 في الجمعية العامة للأمم المتحدة.و في الجانب العسكري ألحق جيش التحرير الوطني عدة هزائم بقوات الإحتلال ، مادفع فرنسا إلى الإستنجاد بقواتها من فرنسا وخارجها.

أمام هذه النجاحات السياسية والعسكرية للثورة، وجدت جبهة التحرير الوطني نفسها في مرحلة جد حساسة تقتضي خبرة فنية للتحكم في المجالات العسكرية خاصة كالإشارة والهندسة العسكرية والتخطيط والإستخبارات .وأصبحت الثورة أيضا في حاجة إلى وسائل دعائية داخلية وخارجية ،وإلى تنظيم إداري وسياسي يتماشى مع متطلبات المرحلة .إذن فكل هذه المهام كانت بحاجة إلى إطارات ومتعلمين لتنفيذها والوقوف عليها، حيث كانت هذه الإطارات آنذاك متواجدة بالجامعات والثانويات والمعاهد.

بدوره الطالب الجزائري كان يتحيز الفرص لإحياء علاقته بالوطن، خاصة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية وغيرها، فهم كانوا يروا في الثورة التحريرية وسيلة لتحقيق الاستقلال من جهة، و وسيلة للتأكيد على إنتمائهم للهوية الإسلامية العربية الجزائرية من جهة أخرى. فقد كان انضمامهم لصفوف الثورة منذ إنطلاقها في الفاتح نوفمبر 1954، واشتغلوا تحت القيادات الثورية

في ميادين ومجالات عديدة ومختلفة، أعطت الثورة تنظيماً محكماً ودفعاً قوياً نحو أهدافها المسطرة في بيان أول نوفمبر 1954.

- إن الإنضمام الكبير للطلاب الجزائريين في صفوف الثورة يعكس لنا مدى تفاني هذا المثقف في خدمة قضية وطنه والدفاع عن ثورته ومبادئها، فجاء إنضمامه لها في الوقت المناسب، لأن الثورة كانت بحاجة إلى مثقف جزائري محض يواصل مسيرة الاستقلال والبناء التي بدأها المثقف الثوري منذ إنضمامه إلى صفوف الحركة الوطنية.

كان نضال الطلبة الجزائريين خاضعاً بدرجة كبيرة للثقافة واللغة الفرنسيين بالنسبة للطلبة المتفرنسين، لذلك فإن نضال هذه الطبقة لم يكن موجهاً لمجابهة القوة الاستعمارية، بل كثيراً ما طالب هؤلاء المثقفين بالتعايش في الحضارتين العربية والفرنسية كحل نهائي. لكننا عموماً لانعيب عليهم ذلك كون البيئة الثقافية تلغى الدور الرئيسي في بلورة موقف المثقف من القضايا المختلفة وخاصة الحساسية منها. لكن هذا التناقض بين الإيديولوجيات واختلافها أدى أحياناً إلى عدم التجانس بين المواقف الطلابية سواء عند اندلاع الثورة أو بعد الإضراب عن الدراسة 1956. كان ذلك من جهة أخرى ورقة الربح الأخيرة في نظر المستعمر الفرنسي، الذي سعى جاهداً للعمل على تحييد هذه الفئة الطلابية، لكن ذلك لم يحدث نتيجة عودة الطالب الفرونكفوني في الأخير إلى أصله ومنبعه القومي والثقافي.

- مما سبق يمكن أن نستخلص أن انضمام الطلبة الجزائريين للثورة وإلتحامهم إلى جانب قادة جبهة وجيش التحرير الوطني هو المرآة العاكسة لمدى تفاني الرعيل الجديد للمثقفين الجزائريين في خدمة الثورة والشعب الجزائري، والدفاع عن مبادئه الثورية ووطنيته العميقة رغم العادات والقوانين الجامعية التي أبعدت هذا الطالب عن وطنه، وأيضاً رغم سياسات المستعمر في فرنسا هؤلاء ودمجهم بالحضارة الفرنسية. فقد كانت الثورة بحاجة ماسة للمثقف جزائري محض يواصل مسيرة الاستقلال والبناء التي شرع فيها المثقف الثوري منذ أن كان مناضلاً في صفوف الحركة الوطنية

وحزب الشعب الجزائري. لذلك لا يمكن أبدا فصل التطوع الشعبي عن تطوع المثقفين الجزائريين والطلبة في صفوف الكفاح المسلح.

ومنه فإن الثورة الجزائرية قد أوجدت صورتان متناقضتان للمثقف: الإطار الذي تحتاج إليه البلاد بالحاح، وحامل الشهادة من الجامعة الفرنسية الذي يجب الحذر منه، إذ تميزت العلاقات بينهما بالغموض والإضطراب أحيانا، لكنه عموما فإن قوانين الثورة وأهدافها حتمت على المثقف الجزائري أن يتعايش مع الأشخاص والأحداث إذا ما كان يطمح في نيل الاستقلال الوطني. ولعل مصدر العلاقة المضطربة يكمن فقط في كون الطالب الجزائري الفرونكفوني مثقف مشبع بمبادئ الثقافة الفرنسية، مايشكل خطرا على الثورة وتحقيق أهدافها، لكنه وعلى العكس فإن الثورة التحريرية قد استفادت كما لاحظنا سابقا من جميع الطلبة الجزائريين على اختلاف مشاربهم الثقافية، ذلك أن المثقف الفرونكفوني ونتيجة لإحتكاكه وتعايشه مع جامعات الغرب والثقافات الغربية اصبح مثقفا متحضرا منفتحا على عصره وعلى نضج سياسي وفكري واسع، في حين أن الطالب الجزائري المسلم ورغم محافظته على إرتباطه الوثيق بوطنه وقوميته وأصالته، غير أنه كان منغلقا وغير منفتحا على عصره وذلك بسبب الحواجز التي خلقها المستعمر الفرنسي في طريقه، فمنعه ذلك من التعايش مع ثقافة عصره.

لكنه وفي الأخير فإن الطالب الفرونكفوني عاد إلى أصله وقوميته وتخلّى عن كل اسس الإيديولوجية الغربية التي غذاه بها المستعمر الفرنسي. ولعل ذلك مايدل على قوة الإيديولوجية الثورية التي رسمت المعالم الكبرى للكفاح المسلح، فقد نجحت هذه الإيديولوجية في إحياء أصالة الطالب الجزائري المتفرنس رغم قوة علاقة هذا الأخير بالثقافة الفرنسية التي نهل منها لسنوات طويلة جدا. لكنه وفي الأخير فشلت كل المشاريع الاستعمارية الرامية إلى دمج الجزائري في الكيان الفرنسي، بل أصبح ذلك مستحيلا في نظر النخبة المثقفة الجديدة، والتي رأت في التمسك بقومياتها العربية الإسلامية الجزائرية الطريق الوحيد لمجابهة الاستعمار ومشاريعه الإندماجية.

الفصل الثالث:

إيديولوجيات المثقف الجزائري ودوره في الثورة بعد مؤتمر

الصومام 1956

المبحث الأول: دور المثقف الجزائري في الثورة بعد 1956

أولاً: مؤتمر الصومام والمثقف الجزائري

1- الظروف التاريخية لإنعقاد المؤتمر

2- المثقف الجزائري من خلال قرارات مؤتمر الصومام

ثانياً: مؤتمر طرابلس والمثقف الجزائري

1- ظروف إنعقاد مؤتمر طرابلس

2- المثقف الجزائري من خلال محتوى ميثاق طرابلس

المبحث الأول: تطور إستراتيجيات المثقف الجزائري بعد 1956

كانت هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955 من أهم الإنجازات العسكرية التي منحت للثورة التحريرية شمولية وقوة، إذ تكمن أهميتها في كونها قضت على التردد الذي أصاب بعض الفئات القيادية والجماهير الشعبية حول الثورة، إذ التحقوا بها وبأفواج غير محدودة بعد هذه الهجومات، وخاصة سكان المدن، لأن الثورة قبل هذه المرحلة ظهرت أولاً في الريف الجزائري، فبقيت بذلك المدينة بعيدة نوعاً ما عن مظاهر الكفاح المسلح. كما أن الاستعمار إدعى خلال تلك المرحلة بأن الثورة ماهي إلا عمل فوضوي استمد جذوره من الخارج، فجاءت هذه الهجومات كي تؤكد على الجذور المحلية للثورة وأنها عمل يستمد جذوره من الأراضي الجزائرية. فقد حققت الهجومات هذه الأهداف جميعاً⁽¹⁾. أمام هذه التحديات والتطورات الإيجابية خاصة، وجدت الثورة التحريرية نفسها أما مرحلة صعبة تستدعي الوقوف طويلاً ودراسة معمقة لضمان استمراريتها خاصة في غياب بعض الإستراتيجيات والهياكل والتنظيمات التي من شأنها تقوية العمل الثوري والدفع به نحو الأمام. فظهر بذلك فكرة عقد مؤتمر وطني لدراسة هذه القضايا وتقييم المرحلة السابقة من النضال الثوري. أما مؤتمر طرابلس فقد جاء هو الآخر في مرحلة دقيقة، وفترة إنتقالية من وقف إطلاق النار إلى إجراء الاستفتاء، كان بذلك على قيادة الثورة الاستعداد لمجابهة الثورة بكل حزم والعمل على تحضير تصورات سياسية وإيديولوجية واقتصادية للدولة الجزائرية الحديثة.

أولاً: مؤتمر الصومام وموقف المثقف الثوري

1- الظروف التاريخية لإنعقاد المؤتمر:

قطعت الثورة التحريرية بعد مرور عامين من اندلاعها مرحلة أساسية وعسيرة في نفس الوقت، ولضمان استمرارية هذه الانتصارات النوفمبرية كان لزاماً على قادة الثورة تقييم الوضع

(1): أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 171.

السائد وفحصه فحصا دقيقا ، من خلال إعادة تنظيم هياكل الثورة ومؤسساتها وتعيين القيادة الوطنية وتحديد المسؤوليات، وأهم شيء هو الحفاظ على الروح الوطنية والإيديولوجية الثورية التي فجرت الثورة. فمن هنا كان الإتفاق لبلورة خطة أساسية تشكل أرضية خصبة لإنطلاقة جديدة للعمل الثوري، تتلخص نقاطها فيما يلي (1) :

- أولوية السياسي على العسكري.
- أولوية الداخل على الخارج.
- نبذ السلطة الفردية.
- مبدأ التسيير الجماعي.
- وضوح الهدف: الاستقلال الوطني.
- وحدة الشعب بدون تمييز.
- حركة الوطنية ملك للجميع.
- القضاء النهائي على حب الشخصية والزعامة.
- مكافحة المناوئين للاستقلال.
- ضرورة الإستراتيجية وتكريس كل الطاقات لجبهة الكفاح المسلح.
- الثورة منظمة وليست تمردا أو عصيانا أو انتفاضة فوضوية.
- إفلاس الأحزاب السياسية.

(1): محمد جغابة، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب، رسالة للسلام، قراءة في البيان، تقديم: محمد العربي ولد خليفة، دار هومة للطباعة، الجزائر، ص97.

- انبعاث دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية اجتماعية.

فمن هنا نلاحظ بأن السمة الأساسية لمؤتمر الصومام، هو ارتباطه الوثيق بما جاء في بيان أول نوفمبر 1954، كما يرتبط أيضا بما حققته الثورة من انجازات في سنواتها الأولى. بمعنى أن أرضية الصومام هي الترجمة الهيكلية والتنظيمية للبيان النوفمبري وما تخلل الثورة من تجارب ومعطيات جديدة.

يعتبر مؤتمر الصومام أهم حدث تاريخي في مسار جبهة التحرير الوطني، جمع قادة الثورة داخليا في 20 أوت 1956، واستطاع خلاله جيش التحرير الوطني أن يخرج مستفيدا من دروس عشرين شهرا مضت من العمل المسلح. وقد استطاع المؤتمر أن يحدد الأهداف السياسية للثورة والمبادئ التي سارت عليها حرب التحرير، إلى غاية تحقيق الغاية التي قامت لأجلها وهي الاستقلال الوطني. إذ يرى فيه العديد من الكتاب والمحللين أنه بمثابة الانتصار الأكبر للثورة التحريرية. فقد كان بالنسبة لجبهة التحرير الوطني فرصة لتحديد جدول أعمالها وللحفاظ على القيم الثورية التي حددها بيان أول نوفمبر 1954.

فإذا تأملنا النقاط الواردة في بيان نوفمبر 1954¹، نتأكد أن ما حدث في تلك الليلة لم يكن مجرد حرب تحريرية، بل كان عبارة عن بداية ثورة تغيير شاملة تهدف إلى تحرير الأرض والإنسان من السيطرة الأجنبية. فمن هذا المنطلق حرص المثقف الثوري الذي فجر هذه الثورة على الإهتمام بعقد مؤتمر يهتم بالنقطتين المشار إليهما أعلاه. فكانت بذلك وثيقة الصومام من وجهة نظر إيديولوجية، عبارة عن ميثاق تضمن الكثير من التفاصيل التي تقيم المرحلة الأولى من الثورة وآفاق المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، إضافة إلى تنظيم الكفاح المسلح وهيكلته.

(1): أنظر ملحق البيان ص 342

كانت الطليعة الثورية في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية بعد تفجيرها للعمل المسلح، تسعى جاهدة في تزويد هذه الثورة بإيديولوجيات مشبعة بفكرة أن العنف الثوري المنظم هو السبيل الوحيد للإنتصار على الاستعمار الفرنسي. لذلك جاءت وثيقة الصمام تؤكد على أن الكفاح المسلح يبقى مستمرا، وأن كل الطاقات الوطنية يجب أن تعبأ لتدعيمه وتطويره بجميع الوسائل الممكنة تحقيقا للأهداف التالية:⁽¹⁾

1- الإعراف بالشعب الجزائري شعبا واحدا لايتجزأ، أي التأكيد على زوال المفاهيم الاستعمارية مثل: الجزائر الفرنسية، الشعب الفرنسي المسلم، الأمة التي في طور التكوين..

2- الإعراف بالسيادة الوطنية على كافة الميادين بما في ذلك الدفاع الوطني والسياسة الخارجية، رفضا لأي نوع من أنواع الاستقلال الذاتي.

3- الإعراف بجهة التحرير الوطني كمثل وحيد للشعب الجزائري، هي الوحيدة من تملك حق التفاوض وحق الامر بوقف إطلاق النار.

- من خلال الأهداف المحددة من طرف جبهة التحرير الوطني، نلاحظ بأن السيادة الوطنية التي تسعى جبهة التحرير إلى تجسيدها لاتخص ميدانا دون آخر، بل أنها تشمل جميع مجالات الحياة وتمتد على كافة التراب الوطني ن لذلك فإن ميثاق الصومام جاء يعالج مسألة التفاوض مع المستعمر بخطة دقيقة ومفصلة لتفادي أي مناورات فرنسية. فعلى هذا الاساس جاءت وثيقة الصومام تؤكد على ضرورة مضاعفة الجهود من أجل تنظيم الجماهير الشعبية وتوعيتها بضرورة تجاوز دائرة التخلف التي وضعه فيها المستعمر. إذ يدل هذا الإهتمام الذي أولاه المؤتمر للجماهير الشعبية على التحول الجذري الحاصل في إيديولوجية الثورة التي كانت تعتمد على الطليعة الثورية

(1): محمد جغابة، المرجع السابق، ص 93.

في تحقيق الأهداف المرسومة، فأصبحت تركز على الشعب أيضا بإعتباره الرافد الاساسي لثورة نوفمبر 1954.

- قبل الحديث عن هذا المؤتمر لابد من الإشارة إلى العوامل والظروف التي أدت إلى إنعقاده. فقد استطاعت الثورة أن تحقق عدة إنتصارات منذ اندلاعها في نوفمبر 1954 إلى تاريخ إنعقاد المؤتمر وقد مرت بمراحل صعبة خاصة في بداياتها. إذ تذكر بعض المراجع بأن الفكرة الاولى لعقد مؤتمر الصومام تعود إلى تاريخ 23 أكتوبر 1954 أين تقرر عقد مؤتمر عام في جانفي (1) 1955، لكنه ونظرا للظروف الصعبة التي واجهت الثورة منها تعرض أغلب قادة المناطق إلى الاستشهاد أو الإعتقال، تم تأخير تجسيد تلك الفكرة.

كانت أحداث 20 أوت 1955 سببا فاعلا للوصول إلى عقد المؤتمر، حيث إتسعت الثورة وشملت معظم التراب الجزائري، وانتقل أيضا إلى المدن الجزائرية. ما أدى إلى تطور العمليات العسكرية في عدة مناطق من الوطن خاصة في المنطقة الخامسة. في المقابل صمم النظام الاستعماري على إجهاض الثورة بكل قوته، فشرع في تنفيذ مخططات التقسيم الرباعي ما أدى إلى صعوبة الإتصال بين قيادات جيش التحرير، كما كانت الحاجة شديدة إلى السلاح والأموال إضافة إلى ضعف التنسيق، وضعف التكوين السياسي للفرق المسلحة فهو يكاد يكون معدوما، لأن الثورة كانت بحاجة إلى منهج سياسي ثابت. فالكثير من المسؤولين كان يتردد في إتخاذ موقف واحد إتجاه المشاكل الكبرى لبعدها المسافة بينهم.

يعود ذلك إلى أن مناطق الكفاح قبل مؤتمر الصومام كان لها قيادات خاصة لا يربط بينها إلا الإتجاه الثوري العام، دون أن تكون على رأسها قيادة مركزية معينة، وهذا مادفع بلاكوست R.Lacoste إلى محاولة القضاء على الثورة بالوسائل العسكرية. كما طمح غي موليه Guy Mollet أيضا في

(1): عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1962/1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 61

إيقافها بالوسائل السياسية الخادعة حين أعلن عن قيامه بإتصالات محلية مع الثوار، بهدف إثارة الخلاف بينهم في ظل صعوبة الإتصال بين القادة، وذلك من أجل تمزيق الثورة والقضاء عليها. لكن جبهة التحرير الوطني وقادتها من الثوار المثقفين كانوا يقظين جدا لمختلف هذه الأساليب الاستعمارية منذ إنطلاق الثورة، من خلال جمع وحشد مختلف الجماهير وتوحيدها تحت الكفاح المسلح، فتمكنت بذلك من التوسع بشكل قوي، وبالتالي إفشال كل مشاريع القادة الفرنسيين. لكن بعد وصول الثورة إلى هذه المرحلة الهامة كان لزاما عليها رسم خطة عامة تتلاءم وطبيعة هذه المرحلة الجديدة. ولتحقيق ذلك الهدف سعى قادة الثورة إلى تحضير إجتماع وطني يشملهم جميعا لدراسة أوضاع الثورة، وتشريع ميثاق سياسي جديد يحدد وسائل وأهداف الثورة ويسعى إلى إيجاد قيادة مركزية تقوم بتسيير وتنظيم المقاومة.

- إن المرحلة التاريخية التي انعقد فيها المؤتمر هي مرحلة بلغت فيها جبهة وجيش التحرير الوطني أعلى مراحل من النضج السياسي والفكري، ذلك أن سنة 1956 هي السنة التي إنضمت فيها أغلب التشكيلات الوطنية والأحزاب إلى صفوف الثورة بعد أن رفضها العديد منهم لأسباب ودوافع إيديولوجية وسياسية (تعرضنا لها في الفصول السابقة). كما انضم العديد من الطلبة الجزائريين الذي تابعوا وساندوا الثورة منذ اندلاعها، لكن هذه السنة 1956 كان انضمامهم لها غير محدود سواء الوطنيين أو الطلبة المتفرنسين وذلك بفعل الإضراب التاريخي الذي فرضته جبهة التحرير الوطني، والذي استجابت له كل الفئات الطلابية.

فتعتبر هذه التطورات عوامل دافعة لقوة الثورة لأنها أدت إلى تلاقي المثقفين الجزائريين الثوريين الذي انبثقوا عن التيار الثوري الذي صنع ثورة الفاتح نوفمبر 1954 ، والمثقفين الذي تخرجوا من المدارس والمعاهد والجامعات سواء داخل الجزائر أو خارجها. فقد أعطى المثقف الأول مفهوما خاصا للثورة لأنه رأى فيها ضرورة حتمية لتغيير الأوضاع الاستعمارية السائدة في الجزائر والتخلص من معاناة شعبهم التي وضعها فوق كل اعتبار. أما المثقف حامل الشهادات الجامعية فقد

رأى في الثورة وسيلة لتحقيق الاستقلال وفرصة لإعادة إحياء وطنيته المهملة. فشكل إلتقاء الإيديولوجيتين مصدر ثقافي للثورة زودها بالروح النضالية وروح التضامن من جهة، والهيكل والإطارات اللازمة لتنظيمها وضمان استمراريتها من جهة أخرى. إضافة إلى دور المثقف السياسي الممثل في الزعماء الوطنيين الذين ظلوا متمسكين بالنضال السياسي، لكنهم اقتنعوا أمام تصاعد وانتصارات الثورة بأنها الخيار الوحيد والصحيح لمواجهة المشروع الاستعماري. فكان لزاما وسط هذه الظروف أن ينعقد مؤتمر وطني لتوجيه العمل العسكري في ظل التطور الثقافي الحاصل. رغم الخلافات السياسية التي سوف تطفو على مستوى جبهة وجيش التحرير كما سوف نرى لاحقا.

كما أن إشتداد الثورة وإنتصارات جيش التحرير الوطني إضافة إلى الظروف السالفة الذكر، دفعت بالقيادات إلى إصدار قرار بعقد مؤتمر وطني. يقول المجاهد بن طوبال: "قررنا تنظيم ملتقى أو قيادة وطنية... للمناقشة، وبدأنا منذ شهر أفريل 1956 في تنظيم المؤتمر"⁽¹⁾. إضافة إلى أبرز إنتصار سياسي حققته جبهة التحرير الوطني في المدن وهو إنضمام العلماء والحزب الشيوعي للثورة⁽²⁾ وتشكيل نقابات وإضراب الطلبة والتلاميذ الغير محدود وفرار الضباط والجنود الجزائريين. فكل هذه الظروف الإيجابية عجلت من عقد المؤتمر.

منذ ذلك التاريخ شرع القادة في الإعداد للمؤتمر، فجرت إتصالات عديدة بين مسؤولي المناطق وقادتها، حيث كانت الفكرة الأولى حول عقد المؤتمر بقسنطينة حيث مسؤولي المناطق وقادتها، حيث كانت الفكرة الأولى بعقد المؤتمر بقسنطينة مركز قيادة المجاهد زيغود يوسف قائد المنطقة. لكنه طرأت على ذلك عدة صعوبات جعلت من غير الممكن القيام بذلك. كما تعذر عقده بجبال الأوراس ومدينة الأخضرية بسبب تسرب أخبار مكانه وزمانه إلى السلطات الفرنسية. وبعد

(1): محمد لحسن أزغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، (1956-1962)، دار هومة، الجزائر، ص 133

(2): روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 167

محاولات عديدة تم الإتفاق على عقد المؤتمر بوادي الصومام حيث مركز قيادة المنطقة الثالثة، وكلفت لجنة خاصة بتحضير جدول أعمال المؤتمر في عدة مناطق قريبة من المنطقة.

ويعود إختيار منطقة وادي الصومام، نظرا لأنها منطقة مسيطر عليها جيش التحرير الوطني أمام إدعاء الفرنسيين بسيطرتهم عليها. لذلك رغب جيش التحرير في جعل المؤتمر قويا منذ بدايته، والإظهار للرأي العام الفرنسي والعالمي مدى قوة وسيطرة جبهة التحرير الوطني في حربها ضد الاستعمار، وأن المكان الذي أعلن القادة الفرنسيين سيطرتهم عليه، تمكن قادة الثورة من عقد أول مؤتمر وطني لهم فيه. كما أن المنطقة تتوسط التراب الوطني بحيث تتمكن كل المناطق من الحضور دون مخاطر . وحسب قول المناضل علي كافي: "...لكن فيما بعد إكتشفنا أسبابا أخرى وسجلنا عدم حضور بعض المناطق لاسباب داخلية ومنها أن القاعدة الشرقية إنعزلت ولم تحضر ، وكانت ممثلة عبر المنطقة الثانية ، كما أن المنطقة الأولى واجهت صعوبات بعد استشهد بن بولعيد ما أدى إلى وضع علامة استفهام حول تمثيلها في هذا المؤتمر.." (1). فيتضح من ذلك أن المؤتمر إنعقد في جو يسوده نوع من الغموض والخلاف بين قادة المناطق الثورية.

إنعقد مؤتمر الصومام بقرية إيفري أوزلاقن بغابة أكفادو في جبال جرجرة المشرفة على الضفة الغربية لوادي الصومام. وكان مندوبي المؤتمر هم الجنود الذين كانوا بصدد حماية مكان إنعقاد المؤتمر يزيد عددهم عن 300 جندي. أما عن الوفد الذي يضم القادة الموجودين في الخارج، فقد كان من المقرر حضوره المؤتمر لكنه بقي بإنظار الإشارة الأولى لإنطلاقه، بسبب أن حضوره يتطلب حذرا كبيرا من العمليات العسكرية وفقدان الأمن في منطقة العمليات.

وعن إفتتاح المؤتمر وسير أعماله، يقول أحد الأعضاء المشاركين: "شرعنا في العمل يوم الثلاثاء 14 أوت 1956، وانتهينا من الإجتماعات الموسعة في 20 منه. فكانت إجتماعات ضيقة لم يحضرها سوى كبار المسؤولين للإتفاق على المقررات الأخيرة للمؤتمر. وكان يوم 23 أوت، عقد الإجتماع

(1) : علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي (1946/1962)، مصدر سابق، ص 102

الأخير الموسع، تليت فيه المقررات فنالت مصادقة الجميع...وكم كانت دهشة الجميع بالغة للغاية ،
لما تقدم كل وفد بجدول أعمال فوجدنا أنها لا تختلف في كثير أو قليل في جوهرها عن بعضها ،
وأن النقط الجديرة بالدرس والمناقشة تعرض لها الكل ، وهكذا كانت المناقشات فالمقررات". وهكذا
استطاع المؤتمر استعراض حصيلة 22 شهرا من الكفاح والعمل، في خلال 10 أيام لمناقشة جدول
الأعمال الذي شمل كل مايتعلق بالثورة وآفاق المستقبل، وقد حضر المؤتمر مندوبي كل المناطق
عدا منطقتي الأوراس التي تعذر وصول وفدها، والجنوب التي إكتفت بإرسال تقريرها للمؤتمر.
إن إتفاق أغلبية المؤتمرين على عدة قضايا لم يمنع حسب رأي بعض الكتاب من وجود خلافات
حول بعض المسائل. منها خاصة مسألة التمثيل حيث تساءل زيغود يوسف عن عدم حضور ممثل
الأوراس والوفد الخارجي، إذ عبر عن تخوفه عن هذا الغياب الذي سوف يؤثر سلبا على أهمية
المؤتمر، بحكم أهمية منطقة الأوراس ونضالها في الثورة، كما أن الوفد الخارجي يحظى أيضا بقوة
ونفوذ معنوي لذلك غيابه عن المؤتمر مسألة في غاية الخطورة. أما مبدأ أولوية الداخل على الخارج
والسياسي على العسكري فقد أثار جدلا بين الحضور، حيث عارضه البعض وعلى رأسهم زيغود
يوسف مؤكدا على أن القائد يجب أن يكون سياسيا وعسكريا في آن واحد. ومن القضايا التي اثارت
جدلا ونقاشا خلال المؤتمر إلحاق المعتدلين بالثورة، فقد عارض زيغود يوسف دائما تولي أية
معتدل مسؤوليات قيادية في الجبهة لأن ذلك سوف يضر بالثورة ، وقد صرح بذلك لرفاقه بعبارة
الخالدة: "الاستقلال ممكن التحقيق أما الثورة فقد إنتهت"⁽¹⁾ .
ومن القضايا التي عالجها المؤتمر حيث جعلت منه أكثر أهمية تاريخية، تلك المسائل المطروحة في
جدول الأعمال وهي:

1- شرح الأسباب التي دعت إلى الإجتماع وموضوع الإجتماع

(1): علي كافي، المصدر السابق، ص 107

2- تقديم التقارير: تقرير نظامي عن كيفية التقسيم والهيكل العام للجيش ومراكز القيادة. وتقرير عسكري عن عدد المناضلين والمجاهدين والوحدات والأسلحة. تقرير عن المالية (المداخيل والمصاريف)، وتقرير سياسي عن معنويات المجاهدين والشعب.

3- القاعدة السياسية والنشرات المقررة.

4- التوحيد: توحيد النظام وتقسيم المناطق، وتوحيد عسكري يتعلق بالوحدات والرتب العسكرية، توحيد سياسي للمرشدين السياسيين ومهامهم، وتوحيد إداري لمجلس الشعب.

5- جبهة التحرير الوطني: المذهب والقانون الاساسي والنظام الداخلي والهيئات المسيرة

6- جيش التحرير الوطني: الألفاظ المستعملة وتوسيع الهجومات والإكثار من العمليات.

7- العلاقة بين جبهة التحرير وجيش التحرير، العلاقة بين الداخل والخارج، خاصة بين تونس والمغرب وفرنسا.

8- العتاد

9- نظام العمل: عسكريا وسياسيا ووسائله المادية، إيقاف القتال، المفاوضات...

10- مواضيع مختلفة: الأوراس، القبائل وماعداها...

- من الواضح إذن أن جدول أعمال المؤتمر كان شاملا، تضمن إستراتيجية الثورة وتنظيمها في المرحلة اللاحقة وفي جميع المجالات، فيمكن القول بأن قادة الثورة من الشباب المتقف قد تمكن من وضع نقاط مهمة جدا وبشكل دقيق من إهتمامات المؤتمر، مايدل على حرصهم الكبير على تفادي كل الإشكاليات مستقبلا التي قد تقلل من قيمة الثورة وإحتمالات نجاحها. ويعكس ذلك نضوجه الفكري ومدى وعيه بالقضية الوطنية ومستجداتها خاصة بانضمام كافة المثقفين الجزائريين على

اختلاف مشاربهم الثقافية.والذي ساعد على تجسيد قرارات الصومام خاصة في مرحلة مستهل سنة 1957⁽¹⁾، أي بعد الإضراب التاريخي والتحاق كافة الطلبة الجزائريين بصفوف الثورة . ومن ذلك نستخلص مدى أهمية وجود المثقف الجزائري في الميادين المختلفة للثورة .

2- المثقف الجزائري من خلال قرارات مؤتمر الصومام:

يعتبر مؤتمر الصومام إنتصارا كبيرا للثورة التحريرية، فقد أرسى تنظيما سياسيا محكما وخلق جيشا نظاميا وخرج بقيادة وطنية موحدة قادرة على تنسيق المواقف والإشراف على الثورة في كافة مناطق الوطن، وقد أثرى ميثاق الصومام إيديولوجية جبهة التحرير الوطني وزود الثورة بالأدوات التي كانت تنقصها لتوفير كل اسباب نجاح الكفاح المسلح والوصول إلى استقلال البلاد. ورغم الإنتقادات التي وجهها المعارضون لمقررات المؤتمر، فإن هذا الأخير وقراراته كانت نقلة نوعية في مسيرة الثورة الجزائرية. وللتأكيد على ذلك يمكن الرجوع إلى شهادة المناضل ابن طوبال⁽²⁾ الذي تحدث عن إيجابيات مؤتمر الصومام لإطارات جبهة التحرير الوطني في مستهل عام 1960 بقوله: "...لكن هذا المؤتمر رغم نقائصه ورغم ضعف التمثيل على المستوى الوطني أقام مع ذلك وحدة نظامية، وحققت الجزائر لأول مرة مثل هذه النتيجة، وشهدنا لأول مرة مثل هذا التنسيق ومثل هذه المعركة ، أعني تنصيب هياكل كانت هي الهياكل نفسها في جميع الأماكن. ولأول مرة كان لنا جيش موحد لم يكن له في السابق من الجيش إلا الاسم...ولأول مرة أيضا في تاريخ ثورتنا حدد مايشبه المباديء أو خطوط السير لثورتنا فحظيت بنفس جديد وبروح جديدة لاستئناف سيرها وبقوة

(1): جريدة المجاهد، العدد 34، 1958/12/24، ص 111.

(2): لخضر بن طوبال من مواليد مدينة ميله عمالة قسنطينة، لم يكمل تعليمه والتحق مبكرا بحزب الشعب الجزائري، كان من مناضلي المنظمة الخاصة، و المناضلين الأساسيين الذي حضروا مؤتمر الصومام حيث عين عضوا بالمجلس الوطني للثورة ثم عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ حيث تكفل بالشؤون الداخلية. مجلة المجاهد، نفس المصدر.

أزيد وثقة في المستقبل إلى حد، وبقيادة موحدة في هذا الوقت كان التنسيق فعليا بين الولايات، كما أن التنسيق بين الداخل والمنظمة في الخارج كان حقيقيان وهو ما لم يكن موجودا من قبل." (1) .

-لقد أولى مؤتمر الصومام أهمية كبيرة لمسألة قيادة الثورة ، حيث صدر قرارا سياسيا يؤكد على ضرورة إشراك جميع التيارات الوطنية في هيئات قيادة الثورة ،لكن ذلك حسب عدة كتابات كان خطأ إيديولوجيا(2)، لأن الجبهة لم تشترط على هذه القيادات التخلي عن قناعاتها الإيديولوجية السابقة ، وضرورة تبنيتها للإيديولوجية الثورية التي إنطلقت منها الشرارة الأولى لثورة نوفمبر 1954.

من بين القرارات الهامة المنبثقة عن مؤتمر الصومام، أولوية الداخل على الخارج والسياسي على العسكري، أي أنه على جبهة التحرير الوطني أن تتمركز داخل الوطن وهو ما لم يتم العمل به. وكان من نتائج المؤتمر أيضا إعتراف الثورة الجزائرية بالفلاح الجزائري الرافد الاساسي للثورة. كان القرار الأول المتعلق بألوية السياسي على العسكري من أكثر القرارات التي أثارت خلافا حادا داخل الثورة وصفوف جبهة وجيش التحرير الوطني (3). فإن أغلبية الثوريين العسكريين إقتنعوا بأن الثورة سوف تطول وأن العدو لن يتوقف ولن يسلم بكل سهولة بقرن وثلاث من تواجده ومصالحه وإمتهاداته. في حين أن السياسيين المحترفين رأوا عكس ذلك وأن الحرب سوف تنتهي بعد سنة أي سنة 1957.

كان هذا التيار مدعوما من بعض عناصر الإتحادات المتشكلة حديثا قبيل مؤتمر الصومام (الإتحاد العام للعمال الجزائريين، إتحاد التجار الجزائريين، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وفيدرالية فرنسا). وقد كرس هذا التيار نشاطه قبل واثناء المؤتمر لتفضيل أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، هدفه القضاء على الثوريين الحقيقيين وفي طليعتهم جيش التحرير

(1): عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 67

(2): العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 53.

(3): علي كافي، المصدر السابق، ص 102

الوطني صانع أول نوفمبر، وتكريس فكرة التفاوض ومسالمة المعتدلين، علما أن عبان رمضان هو من إقترح فرحات عباس المرفوض نضاليا وثوريا والشيخ عباس بن الشيخ الحسين عضوين أساسيين في مجلس الثورة.

كانت عناصر هذا التيار تدافع عن المدن والبرجوازيين متجاهلة الريف الجزائري مهد الثورة ومعقلها الأساسي، والذي قدم العمال والفلاحين⁽¹⁾ والجمهير الشعبية المتسابقة على النضال والتي تحملت الجزء الأكبر من سياسة المستعمر الاستغلالية الشرسة، وشكلت القلعة الأمنية لجيش التحرير الوطني. لكن أعضاء التيار المذكور راحوا يركزون نشاطهم لاستقطاب سياسيين محترفين من مختلف التيارات تحت غطاء الوحدة الوطنية، من أجل العودة بالثورة إلى النضال السياسي ومواصلة طريق التفاوض. حيث يقول عبان رمضان: "إن وجود عناصر من المدن مكونة سياسيا وذات تجربة تحت القيادة الواعية والبصيرة لجبهة التحرير الوطني قد سمح ومكن من تسيير النواحي المختلفة"⁽²⁾. فقد كان قادة جبهة التحرير يدافعون عن فكرة منح المناصب السياسية للإطارات السامية الآتية من التشكيلات السياسية دون احترام التدرج النظامي الذي تخضع له إطارات الثورة المثقفة منذ ليلة الفاتح نوفمبر 1954. وذلك سعيا لجعل هذه الإطارات تلتحق بصفوف الثورة معتقدين أن بقاءهم خارج إطار جبهة التحرير الوطني قد يشجع الاستعمار على استغلالهم كقوة ثالثة للضغط على قادة الثورة. غير أن هذه الإطارات السياسية لم تبادر بطرح المشكل الإيديولوجي لأن إلتحاقها بصفوف الثورة جاء لأسباب وعوامل غامضة نوعا ما، منها تخوفهم من عدم اللحاق بركب الثورة التحريرية، أو ربما خوفا من الإغتيالات التي بدأت تمس بعض الشخصيات المترددة.

(1): شارك الفلاحين بشكل مكثف في الكفاح المسلح، هذا ما ساعد النزعة الرامية إلى تكريسهم كطبقة ثورية مثالية، للمزيد أنظر محمد حربي، مصدر سابق، ص 169.
(2): علي كافي، المصدر السابق، ص 103

ومن خلال ذلك يتضح وجود صراع بين التيار السياسي والتيار العسكري تجلّى أكثر من قرار مؤتمر الصومام أولوية السياسي على العسكري. لكنه من الواجب الإشارة إلى أن أفراد جيش التحرير الوطني كلهم أو أغلبهم كان من مناضلي حزب الشعب الجزائري ، أي أنهم إرتدوا الزي العسكري بوعي سياسي وتجربة نضالية، في وقت كان فيه هؤلاء بعيدين كل البعد عن هذا الواقع. فيعتبر ذلك إهانة في حق مفجري ثورة التحرير من ركائز نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب وأحباب البيان، أنفسهم المثقفين الثوريين الحقيقيين الذين كتبوا بدمائهم حوادث 8ماي 1945 الشرارة والخطوة الأولى نحو ثورة نوفمبر 1954.

فقد أثبت التاريخ أن قرار أولوية السياسي على العسكري تسبب في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة الجزائرية رغم عدم الإشارة إليه في بيان نوفمبر. فقد انعقد مؤتمر المجلس الوطني للثورة في القاهرة في أواخر شهر أوت 1957، وشارك فيه إثننا عشر عسكريا وعشرة سياسيين تم فيه الانقلاب على قرارات مؤتمر الصومام⁽¹⁾، حيث نص هذا المؤتمر على أن الأولوية للسياسي على العسكري ولاتمييز بين الداخل والخارج، كما أكد على المبادئ الإسلامية للثورة والتي نص عليها بيان أول نوفمبر 1954، وحدث بذلك أكبر إنقلاب داخل القيادة العليا للثورة بتغيير لجنة التنسيق والتنفيذ التي انبثقت عن مؤتمر الصومام ، فأدخل أربعة عقدا كأعضاء فيه⁽²⁾: عبد الحفيظ بوصوف، بن طوبال، عمر أو عمران، ومحمود الشريف إلى جانب كريم بلقاسم، وأضيف إليه من السياسيين فرحات عباس وعبد الحميد مهري إلى جانب عبان رمضان بهدف عزله داخل لجنة التنسيق والتنفيذ لأنه أراد زعامة الثورة وهو لم يكن من الثوريين الذين أشعلوا فتيلها.

(1): راجح لونيبي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، ص 19
(2): لقد كرس إجتماع المجلس الوطني للثورة مبدأ أولوية جيش التحرير الوطني على عكس مؤتمر الصومام الذي كان قد تبنى أولوية السياسي على العسكري وأسبقية الداخل على الخارج، وبداية من هذه المرحلة سيقوم المسؤولون العسكريون المذكورون بقيادة جيش التحرير الوطني في الخارج باسم الشرعية التاريخية. للمزيد أنظر: عبد الحميد براهيم، في اصل الازمة الجزائرية (1958/1999)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص - ص 42 - 43

- أدى هذا الانقلاب إلى إنتقال صنع القرار إلى العقداء الخمسة في لجنة التنسيق والتنفيذ، أما السياسيين فقد إنحصر دورهم في تركية القرارات المتخذة، فلم يكن يسمح لهم بالمشاركة في بعض الإجتماعات، وعند محاولة عبان رمضان مقاومة ذلك قام العقداء الخمسة بإبعاده تماما من اجتماعات اللجنة ثم خططوا لإغتياله⁽¹⁾.

كما أدى هذا الصراع أيضا إلى تصدع الجبهة الثورية العسكرية ما دفع إلى فتح باب الحوار مع فرنسا لمحاولة التفاوض دون استشارة من في الداخل ورؤساء الولايات. تكرست بذلك الخلافات بين الداخل والخارج وازداد التسابق حول السلطة وتبلورت الأطماع ما أدى إلى ظهور تناقضات واصطدامات في صفوف الثورة لولا يقظة وإيمان وتضحية أبطال جيش التحرير الوطني القيادات الثورية المثقفة التي إرتبطت بمبادئ الثورة إرتباطا وثيقا من أجل ضمان نجاحها وتحقيق الاستقلال الوطني الكامل.

تعددت الآراء حول خلفيات وأسباب إغتيال السياسي عبان رمضان، وأغلب الرأي أن السياسيين تخلصوا منه لأنه أراد أخذ الحكم منهم بدفاعه المستميت عن مبدأ أولوية السياسي على العسكري، وهو الطرح الأقرب إلى الحقيقة⁽²⁾. في حين يذكر البعض أن سبب الإغتيال يعود إلى محاولة عبان رمضان التوصل إلى حل وسط للقضية الجزائرية، لكن العسكريين رفضوا ذلك لأنهم يريدون استقلالاً تاماً للجزائر وليس مقيدا أو جزئيا. كما عرف عن عبان رمضان إثارة الجميع ضده بسبب موافقه الإنتقادية وصراحته، مثل إهانته واحتقاره لغير المثقفين، حيث يروي المحامي مبروك بلحسين أنه طلب من عبان السماح له بالإلتحاق بالجبل كمقاتل فرفض عبان ذلك وأمره بالإلتحاق بالخارج قائلا له: "نحن المثقفون نمثل العقل المدبر والمخطط أما الآخرون فمهمتهم التنفيذ وتحمل المشاق"⁽³⁾، ويروي نفس المناضل أيضا أنه عند وصول أعضاء لجنة التنفيذ والتنسيق إلى القاهرة

(1): رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 20

(2): نفس المرجع، ص 22

(3): رابح، لونيبي، الجزائر في دوامة الصراع، المرجع السابق، ص 23.

بعد خروجها من الجزائر، فنظم أعضاؤها ندوة صحفية، فأراد كريم بلقاسم تنشيطها، لكن عبان رمضان خاطبه بكل إحتقار: "بأي لغة ستحدثهم يا حمار ألبقائلية". فلعل هذه المواقف والتصرفات هي من كانت وراء إغتياله بشكل غير مباشر.

- إن هذا الخلاف الذي وصل حد الإغتيال، والذي كاد أن يدخل الثورة في دوامة من الإغتيالات والتصفيات، يجعلنا نقف على إيديولوجيات هؤلاء المثقفين السياسيين والعسكريين ومشاربهم الثقافية، لما لها من تأثير كبير على مواقفهم النضالية المليئة بالحقد والضغينة إتجاه بعضهم البعض. فلو عدنا إلى مرحلة ما قبل إندلاع الثورة التحريرية نجد أنه كانت هناك بعض الخلافات بين القادة السياسيين أيضا المتمثلين في المركزيين والمصاليين حول رئاسة الحزب وبعض المسائل السياسية، فظهر في ظل ذلك الصراع تيارا محايدا ثوريا عبارة عن مجموعة من الثوريين الذي رأوا في الحل العسكري الوسيلة الوحيدة للخروج من هذه الأزمة، مع إقتناعهم الكامل قبل ذلك بأنه أيضا الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقلال الوطني. أي أن الخيار العسكري قد تغلب على الخيار السياسي في هذه المرحلة المبكرة ، فظهرت خاصية اصبح تميز النظام الجزائري وربما لازالت لوقتنا الحالي، وهي أن الجيش هو الحاسم دائما للصراعات المهددة لوحدة الأمة الجزائرية، إضافة إلى ترسيخ نظرة إحتقار العسكري لكل ما هو سياسي، لأن هذا الأخير في نظره فشل في تحقيق الاستقلال الوطني، بل شغل نفسه بأمور دون ذلك وهي المتعلقة بالسلطة والانتخابات داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خاصة. أما الثورة فمنذ اندلاعها لم تميز بين السياسي والعسكري بل اعتبرت المناضل الثوري هو شخصا سياسيا وعسكريا وخطيبا ومعبنا يدعو الشعب للإلتحاق بالثورة ويكافح ضد الظلم والطغيان. لكن التمييز بينهما جاء في مؤتمر الصومام 1956 ، رغبة في منح السياسي فرصة التفاوض مع فرنسا (خاصة في رأي عبان رمضان) أما العسكري فيبقى مكلف بتنفيذ المهام والعمليات العسكرية فقط⁽¹⁾. ولعل هذا الأمر أثار حقد وضغينة العسكريين خلال

(1): العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 56.

المؤتمر باعتبار أغلب المشاركين فيه من العسكريين ولم يكن بينهم سياسي غير عبان رمضان.
فكيف يمكن إذن إقصاء أو إهمال العسكري الذي لولاه لما كانت هناك ثورة نوفمبر 1954.

كما اشارت قرارات الصومام إلى مبدأ أولوية الداخل على الخارج بمعنى جعل الهياكل الداخلية للثورة هي مصدر كل القرارات المصيرية المتعلقة بها⁽¹⁾، فتصبح بذلك هذه الهياكل ممثلة للإرادة الشعبية وتستمد منها شرعيتها.

- كان لمؤتمر الصومام قرارات متعددة مهمة جدا نظرا لإرتباطها بتنظيم الثورة وهيكلتها بعد مرور عامين على إندلاعها، من بينها مثلا مايتعلق بالكتيبة وفرقها وأفواجها، وإطلاق اسم الولاية على المنطقة، وأصبح قائد كل ولاية يسمى عقيدا "سياسي عسكري" كما أعيد التقسيم الجغرافي للتراب الوطني وتم استحداث الولاية السادسة (الصحراء)، وتم توحيد الزي والرتب والشارات العسكرية، وتكوين هيئة تشريعية (المجلس الوطني للثورة) وهيئة تنفيذية (لجنة التنسيق والتنفيذ). أي أن ميثاق الصومام عموما ركز من خلال مبادئه على مسألة تنظيم الثورة، وأهملت نوعا مسألة بناء الدولة باستثناء بعض الغشارات التي كانت موجهة إلى الراي العام الغربي عامة والفرنسي خاصة، أكثر مما كانت موجهة إلى الراي الداخلي⁽²⁾، خاصة وأن فئة كبيرة من الشعب كانت قد احتضنت الثورة بعد إصدار بيان أول نوفمبر الذي كان موجها لاكتساب الشعب.

لكن قرارات المؤتمر من الواجب الوقوف عليها ودراستها ومعرفة خلفياتها وموقف القادة العسكريين والسياسيين منها، ذلك لفهم سبب رفضها من طرف البعض خاصة جماعة الخارج. فقد أقر مؤتمر الصومام ميثاقا سياسيا لسير الثورة يعتبر منهاجا ودستورا لها، وقد جاء في محضر المؤتمر أن المجتمعين إطلعوا على محتوى الميثاق و وافقوا عليه . حيث احتوى هذا الميثاق واستعرض الحالة السياسية الراهنة التي تنتهجها جبهة التحرير الوطني وإستراتيجية المستعمر

(1): محمد جغابة، المرجع السابق، ص 98.

(2): رابح لونيبي، دراسات حول إيديولوجية الثورة، مرجع سابق، ص 80.

للقضاء على الثورة، كما تعرض للآفاق العامة التي حددت الأهداف من الحرب والمهام الجديدة لتفعيل الثورة، وفيما يخص وسائل العمل والدعاية استعرض الميثاق نظرة جبهة التحرير الوطني للحركة الفلاحية والعمال والشباب والمتقنين والتجار والمرأة، وأكد على تضامن الشمال الإفريقي والموقف الجزائري أمام العالم.

على الرغم من أهمية مقررات الصومام في مجال تنظيم الثورة التحريرية وإصرار القيادة الجديدة على تنفيذ تلك المقررات، غير أن التنفيذ تأخر في بعض المناطق إلى غاية النصف الأول من سنة 1957⁽¹⁾. فإذا كان ممثلي المناطق الذين حضروا المؤتمر قد اقتنعوا بقراراته وجسدوها بشكل سريع وسهل، فإن ممثلي المناطق التي لم تكن حاضرة خلال جلسات المؤتمر أظهروا معارضة شديدة لتلك المقررات بدوافع مختلفة. فقد بلغ النزاع بين الطرفين حداً متصاعداً كاد أن يعصف بالثورة ويعرقل مسيرتها.

فبمجرد عودة المؤتمرين إلى مراكز نشاطهم بادروا إلى إعلام المسؤولين المحليين بالمقررات المصادق عليها وطلبوا منهم بمباشرة تنفيذها في الميدان، كما صدرت في مناطق أخرى أوامر تعجيلية لتجسيد مقررات الصومام السياسية والعسكرية، وفي هذا الصدد يؤكد علي كافي – أحد قادة الولاية الثانية – على مايلي: "وشرعت الولاية في عملية شرح ضخمة لقرارات المؤتمر بعد مؤتمرها المحلي"⁽²⁾. وجسدت منطقة القبائل مقررات المؤتمر بكل دقة وحزم حيث تم إرساء النظام السياسي والإداري، وأعيدت هيكلية الجيش ونصبت المجالس الشعبية. وايضا بالنسبة للمنطقة الرابعة التي كان يقودها أو عمران، أما المنطقة الخامسة فقد تفاجأ قادتها بإنعقاد المؤتمر، في حين إحتج البعض على مقرراته، لكن ابن مهدي لعب دورا بارزا في إقناع نوابه بأهمية المؤتمر البالغة وضرورة تنفيذ مقرراته الإستراتيجية.

(1): عبدالله مقلاتي، المرجع السابق، ص 69

(2): علي كافي، المصدر السابق، ص 109

من الغريب جدا وفي ظل أهمية مؤتمر الصومام البالغة أن تجد مقرراته المختلفة معارضة شديدة من طرف القيادات التي لم تحضر هذا المؤتمر، وهي قيادة الوفد الخارجي وقادة الأوراس والنامشة والقاعدة الشرقية في الداخل. وتذكر بعض المراجع أن هذه المعارضة كان يحركها اساسا ابن بلة بدعم من الاستخبارات المصرية⁽¹⁾. فبمجرد تلقي ابن بلة أنباء من عبان رمضان تعلمه بإنعقاد المؤتمر وتبلغهم بقراراته، أعلن هذا الأخير عن معارضته لهذه القرارات وطالب بتأجيل الإعلان عن هذه المقررات إلى غاية مناقشتها مع جميع القادة المؤهلين، وبعث ابن بلة بدوره رسالة أخرى إلى قيادة الداخل ضمنها مؤاخذاته على مقررات المؤتمر وعددها في النقاط التالية:⁽²⁾

- غياب الطابع التمثيلي للمؤتمر بسبب عدم حضور الوفد الخارجي وممثلي منطقة الأوراس، وهران، والمنطقة الشرقية.

- عدم أهلية عبان رمضان ورفاقه لوحدهم في التحكم في مصير الثورة التي يجهلون كل شيء عنها.

تحول الجدل بعدها إلى عداء مستفحل بين خصمين "عبان رمضان وابن بلة". حيث سعى كل منهما إلى تكريس نفوذه من خلال البحث عن أنصار له فكادت الأزمة أن تصبح فتنة بين ابن بلة وقادة الداخل تهدد مسار العمل المسلح، لكن حادثة إختطاف الطائرة المقلدة لابن بلة ورفاقه في 22 أكتوبر 1956 حسمت الموقف⁽³⁾.

لكن ذلك لم يمنع من استعانة ابن بلة لمهساس من أجل مواصلة الدعاية ضد مقررات المؤتمر، خاصة وأن محساس كان مقربا جدا منه وكان ثوريا صارما معارضا للسياسيين ويؤمن بضرورة

(1): عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 70

(2): عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 71

(3): رغم أن اختطاف الطائرة الجزائرية سبب أزمة شديدة بين فرنسا من جهة والمغرب وتونس من جهة أخرى وزادت في تفاقم القضية الجزائرية في الجانب الفرنسي، لكنها أخدمت تفاهم المعارضة لمؤتمر الصومام. زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 34

مجاهبتهم لحماية الثورة من الإنحراف. ومن أجل ذلك كان ينسق مع ابن بلة ومحمد يوسف بالمغرب لتصحيح الوضع تمهيدا لعقد مؤتمر تصحيحي الذي كان من المزمع عقده بتونس نظرا لتواجد ابن بلة آنذاك فيها، إذ تمكن من تشكيل جبهة معارضة قوية موالية لابن بلة. وبعد إعتقال هذا الأخير واصل مهساس إلتزامه إذ دعى إلى عقد إجتماع في ديسمبر 1956، صادق فيه على مبدأ الوقوف في وجه "محرفي الثورة" ومعارضة مقررات الصومام . أمام هذا الوضع الحرج حاولت لجنة التنسيق والتنفيذ تجاوز الأمر مع محساس وديا، ثم استعانت بلمين دباغين للتباحث مع السلطات الفرنسية من خلال رسالته إلى الرئيس بورقيبة، ثم إرسال أو عمران على رأس وحدة عسكرية، لكن محساس فر إلى خارج تونس خشية إعتقاله. أما بالمغرب فلم تسجل أية معارضة بسبب إشراف قيادة ولاية وهران على القاعدة، وأما فدالية الجبهة بفرنسا فقد تحفظت ولم تعلن أية معارضة خاصة بتعيين محمد لجاوي مشرفا عليها وهو شخصية موالية لعبان رمضان.

أما المعارضة بالداخل فقد تركزت بين قادة الأوراس والنمامشة والقاعدة الشرقية. فقد عرفت هذه المناطق نزاعات حادة بعد استشهاد قادتها، فقد درس مؤتمر الصومام وضعية الأوراس وتقرر إرسال زيغود يوسف و مزهودي لإصلاح الأوضاع، وبعد استشهاد زيغود أرسل بدله العقيد عميروش⁽¹⁾ الذي عرف بالصرامة في تعامله مع قادة الأوراس والتسرع في إصدار أحكامه، ما أدى إلى استمرار الأزمة التي أضرت كثيرا بالثورة هناك. لكن جل المعارضين لمقررات المؤتمر لم يعارضوه لإعتبارات إيديولوجية، بل كانوا فقط مدفوعين بأهداف شخصية بعضها يتعلق بالجري وراء السلطة وبعضها الآخر ناتج عن الإنحياز لأشخاص دون التمعن في الموضوع⁽²⁾ .

لكنه ورغم كل هذه المعارضات لمقررات مؤتمر الصومام، لم يمنع ذلك من بذل جهود كبيرة لتجسيد مبادئ هذا المؤتمر خاصة من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ، فقد تم تحديد وسائل العمل في

(1): ينحدر العقيد عميروش من جبال جرجرة بالقبائل الكبرى، إنضم إلى حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية بمدينة غليزان. كان نشاطه مكثفا وملحوظا ماجعل السلطات الفرنسية تعتقله مرتين، إلتحق بالثورة قبل شهرين من إندلاعها واستشهد في مارس 1959. للمزيد أنظر: مريم مبارك، أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 195.
(2): العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 82.

وضع آليات محكمة لتنظيم الشعب الجزائري لخوض الكفاح المسلح، وتصفية الجو السياسي وتوضيح الأهداف الكفاحية إلى جانب استثمار وجلب الفئات الإجتماعية الفاعلة في دعم الثورة مثل الفلاحين، الشباب، العمال، المثقفين، التجار والحرفيون، والبحث عن الأنصار المستعدين لدعم القضية الوطنية خارجيا. لقد عملت لجنة التنسيق والتنفيذ⁽¹⁾ على تنفيذ هذه الإستراتيجية بحذافيرها وبشكل متناسق وكامل وجماعي، فقد وزعت بين أعضائها المسؤوليات فتكفل ابن مهدي بالإشراف على العمل الفدائي إذ تمكن بخبرته وذكائه الشديدين من تشكيل شبكة فدائية واسعة، وسعد دحلب بالصحافة والإعلام إذ كللت جهوده بتوزيع عدة منشورات ، وابن خدة بالعلاقات والتنظيم السياسي والأمانة إذ كانت له جهود معتبرة في الإتصال بالأحرار الفرنسيين وإدارة شؤون الطلبة والعمال والتجار، وعبان رمضان بالتنسيق العام والذي عرف خلال هذه المرحلة بنشاطه الحثيث وإدارته الحازمة للجنة التنسيق والتنفيذ، كما كان يشرف على النشاط الخارجي ويفعل النشاط الدبلوماسي ويوفر السلاح بأقصى سرعة، في حين كان كريم بلقاسم يشرف على الجانب العسكري.

ركز المؤتمر من جهة أخرى على نقاط عريضة وافق عليها المؤتمر بالإجماع ومنها:⁽²⁾

- أن وحدة الشعب الجزائري مقدسة و وحدة التراب الوطني ، وجبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري وثورته الوطنية، وهذا يحملها مسؤوليات عديدة منها محاربة الآفات الإجتماعية مثل الرشوة والجهوية والقبلية وغيرها من الآفات التي قد تحيد بالثورة عن مهمتها الأساسية في تحرير الوطن.

- أما عن الإعلام³ فإن ميثاق وادي الصومام يرى أن وسائله يجب أن تكون قادرة على الرد وبسرعة على مناورات العدو، وعلى رجل الإعلام حسب جبهة التحرير أن يكون سريع البديهة

(1): تشكلت هذه اللجنة من خمس أعضاء وهم: ابن مهدي، عبان رمضان، كريم بلقاسم، بن يوسف بن خدة، وسعد دحلب. أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 174.

(2): نفس المرجع، ص 175

(3): كان الإعلام الثوري يشغل حيزا هاما وأساسيا في العمل السياسي وتزداد الحاجة إليه كلما كان هذا التنظيم أو الحركة السياسية داخلة في معترك كبير مثل حرب التحرير الوطنية، ومن المعروف بأن التنظيمات السياسية في

واسع المعرفة وذا قدرة فائقة على الإستيعاب والتحليل، وأهم شيء أن يكون متشعبا بإيديولوجية جبهة التحرير الوطني. نظرا لما للإعلام من دور أساسي في بلورة القضية الوطنية والتعريف بها وحتى الدفاع عنها. وهذا ما لعب فيه الطلبة الجزائريين دورا كبيرا باعتبارهم خريجي الجامعات والمعاهد لهذا التخصص.

- ركز المؤتمر على الحركة الفلاحية تقديرا للدور الأساسي الذي تقوم به المناطق الريفية في الثورة ، خاصة وأن الريف الجزائري مستهدف من طرف الاستعمار الفرنسي من أجل تحييده إتجاه الثورة. فإن المستعمر على دراية تامة بأن جيش التحرير الوطني ضرب جذوره في أعماق الجماهير الريفية التي احتضنت الثورة بكل قوتها لأنها رأت فيها منفذا لها من البؤس المفروض عليه جراء السياسة الاستعمارية.

- قرر المؤتمر أيضا إنشاء اتحاد عام للعمال الجزائريين يسند الإشراف عليه إلى مثقفين وطنيين ، سعيا إلى تنظيم الشرائح الشعبية المختلفة، من أجل نشر الوعي الثوري في أوساط كافة التجار الجزائريين الذي يجب أن يتجددوا للإسهام فعليا في تمويل الثورة.

- أدركت جبهة التحرير أهمية الشباب في الثورة، خاصة وأن مفجري الثورة التحريرية كانوا لم يخرجوا من مرحلة الشباب بعد، فأولتهم إهتماما كبيرا في مؤتمر الصومام ، فإن الشباب الجزائري لم يتميز بالنضج المبكر فقط، بل امتاز أيضا بالحيوية والشجاعة والإقدام والتفاني فيما تسند له من مهام. هذا ما جعله الرافد الأساسي لجيش التحرير الوطني.

- دعى المؤتمر إلى توفير جميع الشروط اللازمة لتوظيف الطاقات الحية خاصة من فئة الشباب، كما اهتمت أيضا جبهة التحرير بالطلبة الجزائريين ودعت خلال مؤتمر الصومام إلى حصر المهام

الجزائر قد تولي أهمية بالغة للإعلام، فإن حزب الشعب الجزائر تأسس من خلال نواة إعلامية تتشكل من جماعة أحباب جريدة الأمة. للمزيد أنظر: أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام – دراسة في الإعلام الثوري – سحب الطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، 2007، ص – ص 51-52

التي تسند إليهم في المجالات السياسية والإدارية والثقافية والصحية والإقتصادية وغيرها من
الميادين التي يكون فيها الطالب الجزائري أكثر إنتاج وفعالية.

- على غرار الفئات الإجتماعية الاصلية، إهتم مؤتمر الصومام ايضا بالأقليات الأوروبية سواء التي
جاءت غازية مع ركب المستعمر أم الذي جاؤوا طلبا للعيش بالجزائر. هذا مايدل وبوضوح على أن
الثورة الجزائرية لاتهدف إلى رمي الأروبيين في البحر، بل الهدف هو أسمى من ذلك بكثير
،والمتمثل في استرجاع السيادة الوطنية الكاملة وإقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية تضمن
المساواة الحقيقية بين جميع المواطنين.

أما هذه القرارات كانت لجنة التنسيق والتنفيذ بأعضائها وقادتها المنقفين المقتنعين بالعمل الثوري
تمكنوا من تجسيد مقررات الصومام سواء كانت هذه المقررات سياسية أم عسكرية ، رغم كل ما
واجهوه من صعوبات وعراقيل خاصة معارضة الوفد الخارجي لهذه القرارات والقادة الموالين له
في الداخل، بذلك تمكنت اللجنة من فرض سلطتها على الداخل والخارج فمنحت بالتالي للثورة جانبا
تنظيميا موحدًا وإستراتيجية عمل دقيقة ومنسقة. حيث عبرت أرضية المؤتمر بوضع على إعطاء
الأولوية لتحقيق الاستقلال⁽¹⁾: الإيديولوجية بسيطة والهدف هو الاستقلال والوسيلة هي الثورة عن
طريق تحطيم النظام الاستعماري.

يتضح من خلال ماسبق أن مؤتمر الصومام فعلا كان ذا قرارات تاريخية هامة بالنسبة للثورة، لكنه
ومن جهة أخرى وفي ظل التطور الإيديولوجي الذي عرفته الثورة بعد انضمام مختلف الفئات
المتفقة إلى صفوفها وإتساع شبكة منظماتها الجماهيرية، فشل هذا المؤتمر في تحديد أو دراسة
إيديولوجية ثابتة مشتركة توحد بين جميع هؤلاء المنقفين وتؤهلهم لمواجهة كل التطورات بلغة
واحدة وفكر واحد. فحتى وإن كان ذلك يتعذر على جبهة التحرير الوطني، غير أن أصالة ثورة
نوفمبر وضعت حدا لكل مامن شأنه أن يحيد بالثورة المسلحة عن هدفها الرئيسي، وظل العمل رغم

(1): غي برفلي، الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية، مرجع سابق، ص 595.

ذلك مستمرا على تعبئة كل الطاقات قصد القضاء النهائي على النظام الاستعماري، بإعتبره المهمة الاساسية التي تحجب جميع المهام الأخرى.

كما أن المؤتمر من خلال محتوى ميثاقه يتضح بأنه ركز بشكل كبير على المجالين السياسي والعسكري، لأن الهدف الرئيسي آنذاك كان هو تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة المغتصبة، أما البناء الثقافي والإقتصادي فهو مرهون بالتخلص من الوجود المادي للاستعمار والذي لايزيله سوى العنف الثوري.

ثانيا: مؤتمر طرابلس وموقف المثقف الثوري

1- ظروف إنعقاد مؤتمر طرابلس:

- كانت إيديولوجية جبهة التحرير الوطني خلال النصف الأول من فترة الحرب تتميز بالتحالف بين الناشطين الشعبويين والمشروع المركزي الرامي إلى تحقيق الوحدة الوطنية، وقد أكد قرارات مؤتمر الصومام على ذلك من خلال تحديدها لأهم الأولويات في الكفاح المسلح وهي تحقيق الاستقلال عن طريق تحطيم النظام الاستعماري ومؤسساته. لكنه وابتداءا من ماي 1958 فقد جبهة التحرير الوطني المبادرة وانغمست في العديد من الصعوبات(1)، فلم يعد الاستقلال الوطني يشكل الهدف الاساسي للثورة خاصة في ظل تراجع دور وفعالية الحكومة المؤقتة، ومشاريع شارل ديغول الرامية إلى إفشال الثورة(2) ومنعها من تحقيق أهدافها. ففي هذه الأوضاع شعرت جبهة التحرير الوطني بضرورة التزود ببرنامج يبرر استمرار كفاحها. ولإخراج الحكومة المؤقتة من حالة الشلل التي كانت عليها في جويلية 1959 اقترح بن يوسف بن خدة الموافقة على برنامج أدنى وقوانين أساسية مؤقتة . فتشكلت لهذا الغرض لجنتان من الخبراء تتكون الأولى من عمر أوصديق وفرانز

(1): غي برفليبي، المرجع السابق، ص 596.
(2): كان الرئيس الفرنسي شارل ديغول يسعى جاهدا إلى إفشال الثورة ومنعها من تحقيق أهدافها، منها مشاريع إغرائية مثل مشروع قسنطينة 1957، ومشاريع سياسية مثل مشروع سلم الشجعان 1958. أنظر: محمد لحسن أزغيدي، مؤتمر الصومام وثورة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص-ص 213-217.

فانون⁽¹⁾ وشننوف ومحمد بن يحيى. تقديم وتتكون الثانية من بن خدة ومحمد بلحسين ولمين خان. تم بعدها تقديم المشروعين للمجلس الوطني للثورة المجتمع في طرابلس في 19 ديسمبر 1959. وقد تأسس هذا البرنامج على مبدأ أن تحرير التراب الوطني والثورة الإجتماعية والإقتصادية كل لا يتجزأ وليست مراحل متميزة، وقرر أن الجماهير الفلاحية والعمالية هي القوة المسيرة للثورة وأن المثقفين والطلبة يجب أن يخضعوا لقيادتها . وانتهت أشغال اللجنة بإصدار نصين رسميين: المؤسسات المؤقتة للدولة الجزائرية والقوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني. وقد أكد النصان في مقدمتهما على أن جبهة التحرير الوطني تقود الثورة في نفس الوقت التي تواصل فيه قيادة الحرب التحريرية، وإن هدفها الأساسي هو القضاء على النظام الاستعماري وسيادة الدولة الجزائرية وبناء جمهورية ديمقراطية اجتماعية، ولتحقيق هذا الهدف تنتظم الجبهة في شكل حزب واحد مع إدماج جيش التحرير الوطني، وستكون مهمة الجبهة بعد الاستقلال هي مواصلة مهامها التاريخية كقائد للأمة الجزائرية. أما المجلس الوطني للثورة هو الحافظ للسيادة الوطنية وهو الجهاز المسير لجبهة التحرير الوطني. لكن المفاوضات الجزائرية الفرنسية زادت من وتيرة التنافس والمساومات داخل المجلس الوطني للثورة والحكومة المؤقتة.

إشتد هذا الصراع بعد صدور قرار وقف إطلاق النار و دخوله حيز التنفيذ، بدأت مرحلة الصراع حول السلطة والتحالفات الهادفة إلى الإستيلاء على السلطة⁽²⁾. وفي خضم هذا الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان، بدأ التحضير للإجتماع منذ شهر أبريل 1962، حيث أرسلت استدعاء إلى جميع قادة الولايات مرفوقين بجميع أعضاء مجالسهم . وقد توفرت لأول مرة شروط الإجتماع من

(1): طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي ولد في جزر المارتينيك، مناضل معروف ضد التمييز العنصري وعمل كطبيب عسكري بالجزائر فترة الاستعمار الفرنسي. للمزيد أنظر: محمد الميلي، فرانس فانون والثورة الجزائرية، سحب الطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، 2007، ص- ص 7-11.

(2): إنطلق في تلك الفترة السباق والصراع حول السلطة بين أعضاء قيادة الأركان العامة والقيادة الثلاثية المكونة من كريم بلقاسم وبوصوف وبن طوبال. حول الصراع أنظر: عبد الحميد براهيم، في أصل الأزمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 52-53

حضور جماعي لدراسة تطورات المرحلة والعمل على الاستعداد لمجابهة المستقبل، حيث تضمن

جدول الأعمال المصادقة على إتفاقيات إيفيان إضافة إلى: (1)

- المناقشة والمصادقة على برنامج طرابلس .

- تشكيل مكتب سياسي للإشراف على تلك المرحلة الإنتقالية من أجل تنظيم مؤتمر تقييمي.

وفي ظل هذه الظروف وكحدث غريب من نوعه، حاولت قيادة الأركان السيطرة على الولاية

الثانية. في ظل الرغبة في السيطرة على الداخل - لكن قادة الثورة بهذه الولاية التاريخية بقيادة

صالح بوبنيدر وتماشيا مع مبادئ الثورة و روح أول نوفمبر ،قاموا بعقد إجتماعا ضم جميع قادة

وإطارات الولاية، وذلك قبل التوجه إلى طرابلس، حيث كان الهدف من الإجتماع هو تحديد موقف

حول المحاور التالية: (2)

1/ لا بد من المصادقة على إتفاقيات إيفيان حيث أن المطالب الأساسية للثورة الجزائرية معترف بها

علنا وبوضوح في هذه الإتفاقيات وهي السيادة الوطنية ووحدة التراب و وحدة الشعب.

2/ المؤسسات التي أنشأتها الثورة، أي المجلس الوطني للثورة الجزائرية والحكومة المؤقتة

الجزائرية، يجب الإبقاء عليها بعد الاستقلال ولمدة محددة ،يتم بعدها تنظيم مؤتمر حقيقي للتقييم

وضبط الخطوط العريضة للسياسة المستقبلية للبلاد، وفي هذا المؤتمر يكون حق الكلمة والرأي فيه

للجميع خاصة في ظل وجود عدة إطارات كفؤة داخل السجون سواء داخل الوطن أو خارجه.

كان موقف الولاية الثانية يهدف إلى الحفاظ على مبدأ الشرعية الذي اعتبروه ضرورة حتمية لوحدة

الصفوف ومصادقية الثورة والحفاظ على روح أول نوفمبر، وإحترام هذه الشرعية هو وحده القادر

على تقديم الجدية والوضوح لنقاش ذي أبعاد تاريخية . إذ مايراد تحاشيه من كل هذا هو الإستيلاء

(1): علي كافي، المصدر السابق، ص 285.

(2): نفس المصدر ، ص 286

على السلطة بالقوة والعنف، ويمهد الطريق لحرب أهلية تلغي مصداقية الثورة ومبادئ أول نوفمبر 1954.

ومن أجل ألا تبقى قرارات الولاية الثانية ومواقفها معزولة، إتصل مسؤول الولاية بزملائه قادة الولاية الأولى والثالثة، وبالفعل تم الاجتماع بسطيف ضم مسؤولي المناطق الثلاثة حيث أطلعهم صالح بوبنيدر⁽¹⁾ على قرارات ومواقف منطقتهم، وندد بهيئة الأركان العامة أكبر المخاطر في نظره متهما إياها بكونها سببا في الأوضاع الفوضوية التي آلت إليها الولايات وجيش التحرير بالحدود. إقترح بعدها على رفيقه إتخاذ موقف مشترك من هذه القضية، أي إدانة هيئة الأركان العامة والإلحاح عليها لإطلاق سراح جنود الحدود وإلتحاقهم بولاياتهم الأصلية.

وفي بومرداس وقبل توجهه إلى تونس ثم إلى طرابلس لحضور المؤتمر، تقابل بالعقيد حسان خطيب (مسؤول الولاية الرابعة)، وسأله بشأن حضوره الاجتماع، لكن هذا الأخير أجاب بالرفض، فحاول صالح إقناعه قائلا: " إن الثورة تمر بمرحلة حاسمة، ستقبل الجزائر المستقلة في خطى، ، وليس لاي مسؤول أن يتخلى عن واجبه في هذا المنعرج الخطير والحاسم، فهذه أول مرة سيتطعم فيها الشعب الجزائري ثمرة الاستقلال . من واجبنا أن نتصدى لكل من يريد أن يفرض عليه قيادة من الخارج، يجب أن نكون متواجدين ونوحد مواقفنا وفي نفس الوقت يجب أن نمنع بأي ثمن أن يوجه مجاهد سلاحه في وجه مجاهد آخر. يجب ألا يدفع جندي واحد حياته في سبيل المغامرات المجنونة والمطامح الإنتهازية لبعض المسيرين، إن جيش التحرير الوطني في الداخل لم يكن ابدا ضد إخوانه المجاهدين المجددين في الحدود، وهو ينتصب ضد جميع من يحاول أن يجعله رهينة ليكون لعبة للسلطة، وإذا ما فشلت محاولتنا الثورية المخلصة فعلينا أن نتخلى عوض أن نكون سبب

(1): هو صالح بوبنيدر الاسم الثوري صوت العرب ولد في 1929 ببلدية واد زناتي ولاية قلمة، نشط ضمن شبيبة حزب الشعب الجزائري، وإنضم للمنظمة الخاصة عام 1947. كان من مهندسي هجومات الشمال القسنطيني، وفي بداية أوت 1957 شغل منصب عضو هيئة أركان الولاية تحت قيادة القائد علي كافي. للمزيد أنظر: محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 80

مواجهة وصراع الإخوة فيما بينهم"⁽¹⁾ . لكن العقيد حسان ورغم ذلك تمسك بموقف الرفض لهذا الاجتماع لأسباب لاتزال مجهولة على حد قول بعض المؤرخين.

من جهة أخرى قامت المواقف التي تحالفت بالولاية الثالثة قبل ذلك بالتراجع عن مواقفها المشتركة بتونس قبل إجتماع طرابلس، فتفاجأ صالح بونيدر بهذا الإنحراف. فالطاهر الزبيري كشف عن ثقته بهيئة الأركان بصفة تامة، والولاية الثالثة تبعث من جهة أخرى بوكالتها إلى عضو الهيئة.

- في ظل هذه الإعتبارات والخلافات إنعقد مؤتمر وطني على الأراضي الليبية، إضافة إلى ظروف إجتماعية واقتصادية قاهرة، ففي سنة 1962 كانت الجزائر تعاني من إعاقات وصعوبات شديدة، فلاننسى أن الثورة كانت طويلة الأمد (ثمانية سنوات)، وخلال عدة أشهر ما بين جانفي -

جوان 1962 نفذت المنظمة العسكرية السرية التي تضم أنصار الجزائر الفرنسية سياسة الأرض

المحرقة التي عانى منها الجزائريين والإقتصاد الوطني معاناة كبيرة⁽²⁾. هذا بالإضافة إلى

المشاكل الإجتماعية السائدة مثل البطالة ، مدن الصفيح، مشاكل الفقر، تهريب رؤوس الأموال،

الهجرة .. وغيرها. أما إقتصاديا ففي هذه السنة 1962 كانت الجزائر وريثة إقتصاد موجه كلياً نحو

الخارج، ومصمم لتلبية حاجيات فرنسا والأوروبيين. ما أدى إلى سوء حالة الفلاح الجزائري وإهماله

ودماره. فقد أدى ذلك الوضع إلى إثارة الجدل حول الروح الفلاحية والقطيعة بين الفلاحين

والأرض، وبالتالي تدهور النظام الإقتصادي الجزائري.

- نظرا لهذه الظروف القاهرة والشروحات السياسية والإختلالات كان لزاما على قادة الثورة

التحريرية وضع إستراتيجية تنمية للنهوض بهذا الواقع المتدهور في شتى الميادين. ومحاولة إرجاع

الكفاح المسلح إلى طريقه الأساسي الصحيح الذي حدده بيان أول نوفمبر وأكد عليه ميثاق الصومام،

خاصة بوجود فئات مثقفة وهي الطلبة الجزائريين الذين بدورهم كانوا يطمحون إلى المساهمة

(1): علي كافي ، نفس المصدر، ص - ص 287- 288
(2): بنجامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1988/1962، ترجمة: صباح ممدوح كعدان، منشورات الهيئة العاملة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص 13.

مباشرة في صنع مستقبلهم والمشاركة في إعادة بناء الدولة الجزائرية المستقلة، فقد حددوا هدفين أساسيين وهما: القيام بإصلاح زراعي حقيقي وثوري، وإعداد مخطط عام للإقتصاد الوطني. وهذا مايدل على النضوج السياسي والإيديولوجي للطالب الجزائري بعد إنخراطه في صفوف الثورة.

إنعقاد المؤتمر:

يعتبر تاريخ 27ماي – 7جوان 1962 محطة تاريخية حاسمة في مسيرة الثورة التحريرية، إذ خلاله عقد المجلس الوطني للثورة آخر إجتماعاته في طرابلس للمناقشة والمصادقة على جدول الأعمال.

تمت المصادقة على البرنامج السياسي المسمى ببرنامج طرابلس بالإجماع دون أية مناقشة، إذ لم يتم تغيير ولاجزءا منه. فقد صودق عليه بإجماع مشترك ولكن تحريره تم في عجلة من طرف مجموعة من المناضلين ولم يناقش كما كان متفقا عليه فقد قبل في جومن التسرع والغموض⁽¹⁾. رغم أن المحررون الأساسيون لهذا الميثاق مناضلين معروفين كانوا يحظون بثقة تامة من المجلس الوطني للثورة، فلم يرى هذا الأخير أي داع لمراجعة العمل الذي قامت به اللجنة المرؤوسة من طرف نائب رئيس الحكومة المؤقتة وعضو ذو مكانة مرموقة في المجلس الوطني للثورة "أحمد بن بلة". فطويت بذلك وثيقة سياسية هامة في مستقبل البلاد بكل تسرع وإهمال لإفساح المجال لمطامح واضحة شرسة تسعى إلى إنتخاب مجلس سياسي يتولى مصير البلاد بعد الاستقلال وتشرف على هذه المرحلة الحساسة. لكنه من الغريب تشكيل مكتب سياسي في ظل غياب حزب حقيقي يعكس المفهوم النضالي الذي عرفته البلاد.

ومن الملاحظ حسب رأي المناضل علي كافي أن تشكيلة المجلس الوطني للثورة إفتقرت إلى عناصر إيجابية موضوعية تقبل الإنسجام حول الإختيارات السياسية والإقتصادية والإجتماعية

(1): سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، ص171

والثقافية⁽¹⁾. إذ كان المؤتمر يضم جميع أنواع التيارات والمدارس السياسية التي توغلت في صفوف الثورة ولو بشكل متأخر.

بعد المصادقة على البرنامج تطرق المجتمعون إلى مسألة التصويت على عدد وأعضاء المكتب السياسي. حيث وقعت حول هذه المسألة عدة خلافات ونقاشات حادة خاصة حول من هم الأشخاص الأعضاء في المكتب السياسي، في حين كان الإتفاق سهلا على عددهم (من 7 إلى 9 أعضاء). قدم ابن بلة ومحمد خيضر قائمة من سبعة أعضاء من المكتب السياسي وعرضها على المجلس الوطني للثورة كي تستخلف الحكومة الجزائرية المؤقتة على رأس جبهة التحرير الوطني، إذ ضمت القائمة إضافة إلى خيضر وابن بلة: آيت أحمد، بوضياف، بيطاط، و محمدي السعيد⁽²⁾. فكانت تلك الشرارة التي أضرمت النار في البارود، فقد ثار الغضب حول هذه المسألة لأنها كانت تتعلق بالسلطة. لم يقبل في البداية هذا المكتب السياسي من طرف المجلس الوطني لذلك لم ينتخبوه. خاصة لكون بوضياف وآيت أحمد قد رفضا الإنضمام إليه لمعارضتهما الشديدة لابن بلة ولم يقترحهما إلا على مريض. فمن الواضح حسب رأي سعد دحلب أن هذه الخطوة من طرف ابن بلة كانت فقط من أجل القضاء على الحكومة المؤقتة، كما حصل مع بيطاط وخيضر الذين انفصلا عنه مباشرة بعد الحصول على السلطة. هذا إضافة إلى رفض كل من بوضياف وآيت أحمد التحالف مع ابن بلة وخيضر، ما أدى إلى إمتناع الأغلبية القانونية عن التصويت للمكتب السياسي.

دفعت هذه الأوضاع الصعبة عقد إجتماع تشاوري يجمع ممثلي ولايات الداخل وفيدرالية فرنسا والمغرب وتونس وأعضاء من الحكومة المؤقتة والمجلس الوطني للثورة، وذلك سعيا إلى إيجاد صيغة مقبولة ومؤيدة من الجميع، فخرجت بمايلي⁽³⁾:

(1): علي كافي، المصدر السابق، ص 290

(2): سعد حطب، المصدر السابق، ص 172

(3): علي كافي، المصدر السابق، ص 291.

1- يجب إحترام الشريعة (ونلاحظ هنا الموقف المبدئي للولاية الثانية والحفاظ على وحدة الصف في هذه المرحلة الحاسمة من الثورة).

2- يجب تحاشي كل ما من شأنه أن يضعف وينال من الثورة الجزائرية على الأرض الليبية وهو ما يصيب الشعب الليبي بخيبة كبيرة ، وهو الذي قدم لنا مساعدات كثيرة.

3- يجب التأكيد القاطع لكل توقعات العدو التي تروج بانتشار الفوضى بعد ذهاب فرنسا.

وإتفقت المجموعة بذلك على حل يتمثل في تكوين مكتب سياسي يتكون من سبعة أعضاء (آيت أحمد - بن بلة - بوضياف - خيضر - كريم بلقاسم) أما بوصوف وبن طوبال فقد تخليا إراديا لتسهيل هذه التسوية . فمثل هذه التضحية والموقف المسؤول جدير بالإحترام والتقدير خاصة في ظل التمزقات التي عاشتها الجزائر آنذاك.

لكن هذا الإجتماع سرعان ما إنقلب إلى فوضى ونزاعات عارمة ، وسبب ذلك هو قيام بعض العناصر المتقلبة باستفزاز بن بلة ، وعلى رأسهم "رابح بالوصيف" الذي خاطبه قائلا: "لا تكن واهما فقد إتفقوا ضدك" . كان ذلك كافيا إلى إفشال الإجتماع وتحوله إلى صراعات وفوضى داخل الفندق الذي إنعقد به. وفي النهاية تم الإجتماع الأخير يوم 4 جوان 1962 ، إذ كان هذا اليوم حسب تشبيه علي كافي القطرة التي أفاضت الكأس لأنه كرس القطيعة بشكل أكبر. إنه على حد قوله مؤتمر الانفجار ونهاية الشريعة وإنصار المغامرة. إذ كانت نهايته غير مرضية يكتنفها الغموض والإضطراب وعدم النظام. إذ يقول بن خدة حول قرار وأسباب مغادرته المؤتمر في بيان له لجبهة التحرير الوطني:

إن عدم التقدم في المناقشة للمجلس الوطني للثورة وعجزه عن تعيين مكتب سياسي وإنعدام سلطة مركزية في الظروف الخاصة والحرجة التي كانت تمر بها البلاد، والخوف من أن يغتتم بعض المجازفين وبعض الطموحين هذه الظروف للتنازع حول السلطة والإستيلاء عليها على حساب

ماحقفته الثورة، قد أفتعوني بأنه وبعد كل شيء، يكون الأجر أن نحتفظ بالحكومة المؤقتة على الأقل حتى الاستقلال، لأنه ورغم نقاط ضعفها الداخلية كانت تتمتع بإعتماد كبير سواء كان ذلك لدى الشعب أو لدى الرأي العام الدولي..."(1).

من الواضح مما سبق أن إجتماع مؤتمر طرابلس كان خاليا من روح أول نوفمبر، فقد تحقق قول زيغود يوسف: "الاستقلال سنحصل عليه، أما الثورة فقد انتهت". فقد ضمت الثورة التحريرية مؤسسات شرعية كان بإمكانها تسلم السلطة من المستعمر دون أية نزاعات حول السلطة. فقد أنشأت الثورة منظمة جيش التحرير الوطني، لكنها فشلت نوعا ما في خلق حزب موحد، وهذا ما إتضح من خلال الأزمة والإنفجار الذي وقع في الإجتماع، كما إنكشف ذلك من خلال واقع هذا الحزب خلال العشرية الأولى للاستقلال الوطني.

2- قراءة في محتوى ميثاق طرابلس:

قبل الحديث عن محتوى ميثاق طرابلس 1962، تجدر الإشارة إلى أن تحرير برنامج طرابلس أسند إلى لجنة تتكون من الجيل المثقف الجديد الذي انضم إلى الثورة بعد اندلاعها(2)، ولا يعتبر ذلك أمرا سلبيا أو خطيرا، لكنه من حقنا أن نتساءل هل جاء برنامج طرابلس مطابقا لمباديء نوفمبر، أم أنه جاء بمشروع مجتمع جديد وليد المستجدات الجديدة للثورة التحريرية(3).

- إعتبر بعض الوطنيين إجتماع طرابلس 1962 مؤتمرا وليس مجرد إجتماع، وعقدوا عليها آمالا واسعة لأنها في نظرهم آخر لقاء قبل الانتصار، جاء ليتوج شرعية دشنها مؤتمر الصومام، وأفرز عن وثيقة إيديولوجية أساسية كانت قاعدة لعدة نصوص سياسية بعد الاستقلال، وبالتالي أضفت عليها بعدا تاريخيا، وبذلك يمكن فعلا إعتبار إجتماع طرابلس الأخير مؤتمرا هاما.

(1): سعد دحلب، المصدر السابق، ص 173
(2): محمد جغاية، المرجع السابق، ص 114.
(3): الذين صاغوا برنامج طرابلس هم: مصطفى الأشرف، محمد حربي، عبد المالك تمام، رضا مالك، وأحمد بن بلة. رابح لونيبي، دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة، مرجع سابق، ص 80.

لو عدنا إلى الثوابت التي ركزت عليها الثورة، سنجد أنها نفسها من أعلن عنها المؤتمر الثاني لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية⁽¹⁾، مع العلم أن قيادة الثورة كانت بيد عناصر من حزب الشعب الجزائري وحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. فكانوا هم من يصنعون القرار، أما الآخرون فكانوا مجرد منفذين له أو مشاركين فيه دون تأثير فعلي و واضح. وبمقارنة تلك الثوابت ببرنامج طرابلس نجد أن الترسبات اليسارية – كما يسميها عبد الحميد زوزو - التي علقت بالنجم في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي قد انتقلت إلى حزب الشعب الجزائري ثم إلى حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، ومن هذا الأخير إلى حزب جبهة التحرير بإعتباره إمتدادا لكل هذه التنظيمات الحزبية. فإن إعتقاد الحزب الواحد والأخذ بالإصلاح الزراعي وتحييد الإسلام دليل واضح على الآثار الواضحة للمرجعيات الفكرية والتنظيمية القديمة ذات الطابع اليساري على برنامج طرابلس المصادق عليه بالإجماع من قبل المجلس الوطني للثورة في دورته المنعقدة في طرابلس في جوان 1962.

في مؤتمر طرابلس قام المؤتمرين بإعداد مشروعين اثنين⁽²⁾، أحدهما عرف ببرنامج الحمامات ثم برنامج طرابلس فيما بعد، حيث قدم للمؤتمر على أنه مشروع برنامج حزب جبهة التحرير الوطني لتحقيق ثورة ديمقراطية شعبية ، أعد خلال شهر ماي 1962 تحت إشراف أحمد بن بلة وفريق من شباب الجبهة المثقفين منهم محمد الصديق بن يحيى حاصل على شهادة الليسانس في القانون بجامعة الجزائر وممثل سابق للإتحاد العام للطلبة الجزائريين. ومن رضا مالك مدير جريدة المجاهد منذ تأسيسها، وهو من المشاركين في مفاوضات إيفيان، ومحمد حربي الذي كان طالبا في باريس وشغل منصب أمين عام في وزارة الشؤون الخارجية للحكومة المؤقتة، ومن مصطفى الأشرف استاذ اللغة العربية، ومالك تمام.

(1):أشرنا إلى ذلك سابقا في الفصل الأول.
(2): عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 42.

أما المشروع الثاني فقد إقترحته فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، وهو حسيطة عمل التنظيمات التابعة لهذه الفيدرالية مثل الودادية العامة للعمال الجزائريين والفرع الجامعي للطلبة. ويعتبر المشروعان متكاملان بإعتبار أن منطلقهما الإيديولوجي واحد، وتأثر أصحاب المشروعين بمعتقدات يسارية ومؤثرات شيوعية . هذا ماجعل الفرق بينهما غير واضح باستثناء كون المشروع الصادر عن فيدرالية جبهة التحرير كان أكثر راديكالية في بعض المواضيع كما سيظهر بعد المقارنة.

- جاء مشروع طرابلس في ثلاثة أقسام أساسية: (1) القسم الأول يقدم دراسة تاريخية للثورة التحريرية ونتائجها بالنسبة لكل من الجزائر وفرنسا، فتورة التحرير هي من حققت النصر الذي كرسه إتفاقيات إيفيان في الأخير، و وضع حد للهيمنة الاستعمارية التي دامت قرنا وربع ، غير أن الهدف الأساسي بعد ذلك هو وصول الشعب الجزائري إلى مرحلة الثورة الإقتصادية والإجتماعية بعد تحقيق الاستقلال.

أما الثورة في نظر فرنسا فقد كانت حربا كولونيالية إتخذت شكل عملية إبادة حقيقية، وتلقت خلالها دعما لامتناهيا من حلفائها وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها ورغم ذلك باءت في النهاية بالفشل. ومن هنا ظهر النظام الديغولي الذي سعى جاهدا إلى تحويل النظام الاستعماري القديم إلى نظام استعماري حديث، يسعى من خلاله إلى حماية مصالح فرنسا الإقتصادية والإستراتيجية بطرق جديدة. ينتهي القسم الأول بوصف للجزائر عشية الاستقلال يليه نقد للنقائص السياسية لجبهة التحرير الوطني والإنحرافات المنافية لروح الثورة، لذلك لم تتمكن جبهة التحرير الوطني من تجاوز مرحلة التحرير ونيل الاستقلال إلى البعد الثوري للكفاح الوطني.

القسم الثاني من المشروع يتناول الجزء العقائدي منه. حاول فيه محررو البرنامج تعريف "الثورة الديمقراطية الشعبية" على ضوء معطيات موضوعية تعكس الواقع الجزائري في نظرهم والتي

(1): عبد الحميد زوزو، نفس المرجع، ص ص 43-45

يجب أن يقودها الفلاحون والعمال والمتقنون الثوريون¹، وتوضح الطريقة التي يتم بها التشييد الثوري للدولة والمجتمع، بإعتبار أن الجزائر لاتزال تعاني من مخلفات الوجود الاستعماري ، لذلك فالاستقلال وحده لا يكفي لإزالة هذه المخلفات ، بل من مسؤوليات الثورة أيضا القضاء على هذه المخلفات والتخلص منها.

يعرف أصحاب المشروع "الثورة الديمقراطية الشعبية" على أنها بمثابة هبة للشعب الجزائري المقبل على التشييد الواعي للمجتمع والسلطة⁽²⁾. فالشعب لديهم هو العامل المحرك للثورة بفئاته المحرومة المتعددة والمختلفة (فلاحين، بروليتاريين، حرفيين، صغار التجار،...) ومن العمال الذين زودوا حركة الكفاح الوطني بالإطارات السياسية، ومن الشباب والمتقنين الثوريين بصفة عامة.

- فعلا يجب على الثورة أن تكون ديمقراطية لضمان التخلص من الطابع الإقطاعي الذي لاطالما ميز الجزائر المستعمرة، كما يجب على الثورة أن تكون شعبية أي تعتمد على كافة فئات الشعب وطبقاته الإجتماعية وليس على طبقة اجتماعية واحدة مهما وصل مستواها الفكري. وذلك يتطلب أساسا استحداث ثقافة جزائرية حديثة تتسم بالوطنية، تعيد للغة العربية مكانتها وإعتبارها وتحارب التأثيرات الثقافية الغربية التي جعلت الكثير من الجزائريين ينتكرون لثقافتهم وقيمهم الوطنية. كما يستوجب وجود ثقافة ثورية قادرة على تحرير الشعب من مخلفات الاستعمار والإقطاع والبدع والخرافات مثلما حررت البلاد من الوجود الاستعماري. وثقافة علمية أيضا ذات طابع عقلاني في إطار المبادئ الإسلامية.

أما القسم الثالث فيتمحور حول الجوانب الإقتصادية والإجتماعية للثورة الديمقراطية الشعبية وذلك في ثلاث فصول. أولها يتعلق بالمجال الإقتصادي الذي يتمحور أساسا حول الإصلاح الزراعي، وما يتطلبه من إجراءات التسيير الجماعي لوسائل الإنتاج والأنشطة الإقتصادية كالتعاونيات

(1): بنجامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، مرجع سابق، ص 14.

(2): عبد الحميد زوزو ، نفس المرجع، ص 44

الإنتاجية والقرى الفلاحية، وتحديد المساحات وإلغاء نظام الخماسة وإعفاء المزارعين من الديون⁽¹⁾. أما قطاعات النشاط الإقتصادي الأخرى كوسائل النقل والتجارة الخارجية والطاقة والتصنيع، فينبغي أن تشملها كلها عملية التأميم عاجلا أو آجلا. كما طرحت في قضية التجارة الخارجية ضرورة إلغاء التعامل التجاري الجزائري المقيد بفرنسا تدريجيا ولكن بشكل سريع. كما يجب توفير رؤوس الأموال الأجنبية لتوسيع وتنشيط عملية التصنيع بشكل أكبر وفي إطار شراكة إقتصادية مع دول أخرى.

الفصل الثاني يتناول المجال الإجماعي حيث سيرفع مستوى الحياة ويقضي على الأمية ، ويتم تطوير الثقافة الوطنية، وضمان السكن والعلاج المجاني للجميع ، وتحرر المرأة بمنحها فرص لتولي مناصب المسؤولية.

ثالث فصل يتعلق بالسياسة الخارجية، ويتضمن شعارات ومبادئ التحرير التي سوف تعتمدها الجزائر في سياستها الخارجية كشعار للنضال ضد الاستعمار والإمبريالية في ظل سياسة الحياد، لكن نحو التحالف مع البلدان التي تعمل التي تسعى إلى دعم استقلالها للتخلص من الهيمنة الإمبريالية، والسعي إلى دعم الوحدة المغاربية والعربية والإفريقية، وتأييد حركات التحرر في كل من أنغولا وجنوب إفريقيا بتعزيز الصلات مع بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وتنمية المبادلات في جميع الميادين مع الدول الإشتراكية.

أما الملحق بالبرنامج فقد خصص للحزب، وتدور فكرته الرئيسية حول ضرورة التمييز بين دور كل من الحزب والدولة. فدور الحزب يمثل في المراقبة الكاملة للدولة⁽²⁾، وذلك ما يستوجب أن يكون كل أعضاء الحكومة أعضاء في هذا الحزب، ويكون رئيس الحكومة نفسه عضوا في المكتب السياسي. وينتهي الملحق بتحديد أولويات العمل في تلك المرحلة ، منها التصدي لمنظمة الجيش

(1): للمزيد أنظر: بنجامين ستورا، المرجع السابق، ص 15.

(2): عبد الحميد زوزو، نفس المرجع ، ص 46

السري و تطوير جيش التحرير الوطني إلى الجيش الوطني الشعبي، وتنصيب المكتب السياسي.. وغيرها من الأمور المستعجلة والتي كانت مثار خلاف شديد بين المؤتمرين بطرابلس. خاصة حول مسألة تشكيل مكتب سياسي - كما تمت الإشارة سابقا - فقد أدى ذلك إلى إنقسامهم إلى كتلتين: كتلة تؤيد المكتب السياسي لصالح ابن بلة، وكتلة تدعم الحكومة المؤقتة التي كان يرأسها ابن خدة، حسم في الأخير لصالح ابن بلة.

إن الخلاف عموما كان خلاف أشخاص وحول النفوذ، وليس حول مضامين البرنامج وأبعاده السياسية والفكرية والثقافية التي طرحت كبرنامج لحزب جبهة التحرير الوطني، ومشروع مجتمع للشعب الجزائري، ولعل هذا ما يعلل المصادقة عليه بالإجماع دون خلاف ولا نقاش بين المؤتمرين. لكنه ومن جهة أخرى تذكر بعض الكتابات أن برنامج طرابلس لم يجد المناقشة اللازمة سواء على مستوى الأوساط الشعبية ولا القيادات الوطنية⁽¹⁾، ولعل ذلك ما جعله مهملا ومجهولا عند الكثير من المناضلين.

- وفقا لبرنامج طرابلس، يجب أن يقود الفلاحون والعمال والمثقفون الثوريون الثورة الديمقراطية الشعبية على حساب الإقطاعية والبرجوازية الجزائرتين اللتين تشكل إيديولوجيتهما مهد الاستعمار الجديد⁽²⁾. وستظل حسب الميثاق جبهة التحرير الوطني هي مصدر السلطة الوحيد في البلاد لأنها قد كلفت من طرف المجلس الوطني للثورة بمواصلة مهمتها التاريخية⁽³⁾. غير أن المكتب الذي تشكل في تلمسان لم يكن شرعيا، بل اتفقت جميع الأطراف على أن تتكون هيئة سياسية وتنفيذية تقوم مقام الحكومة المؤقتة لتوفير الشروط الموضوعية اللازمة لإجراء الإنتخابات التشريعية.

- مع هذا البرنامج الماركسي النزعة يجب أن تصبح الجزائر ديمقراطية قائمة على الملكية العامة لوسائل الإنتاج. فر بما ذلك هو تحليل ميثاق طرابلس لمبدأ العدالة الإجتماعية الذي ورد في بيان

(1): محمد جغاية، المرجع السابق، ص 114.
(2): بنجامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، مرجع سابق، ص 14.
(3): العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 213.

نوفمبر 1954. كما أكد البرنامج على البعد الديني للشخصية الجزائرية الإسلامية، فلعل الإيديولوجية هي نفسها التي نهل منها حزب الشعب الجزائري منذ نشأته، فهو كان يرى أنه من أجل الاستقلال الوطني لابد من تكوين حكومة تسلم لها جميع الممتلكات والمؤسسات التي اغتصبها المستعمر منذ الإحتلال. ولن يكون الاستقلال كاملا في نظرهم إلا إذا صاحبه تأمينات الأملاك الكبيرة التي كانت بيد المعمرين والشركات الرأسمالية، وتوزيع الأراضي التي تم تأمينها على الفلاحين مع إحترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة⁽¹⁾. فلاننسى من جهة أخرى بأن هذا الحزب الذي جسد الخيار الثوري الوطني قد نشأ في كنف اليسار الفرنسي من خلال نجم شمال إفريقيا الذي تأسس في باريس.

كما أن محرري البرنامج أملوا أن يجد بعض الأروبيين مكانهم في الجزائر المستقلة: يجب احترام هؤلاء الفرنسيين وممتلكاتهم، ومشاركتهم في حياة الوطن السياسية المضمونة في جميع المستويات. كثير منهم سيذهب للإقامة في فرنسا، لكن قسما منهم سيبقى في الجزائر، وستشجعهم الحكومة الفرنسية بكل ماديها من وسائل⁽²⁾. فهم كانوا يخفون ميولاتهم الماركسية التي ظهرت بشكل جلي من خلال مبادئ الميثاق.

- وعلى المستوى الإقتصادي ، جعلت الثورة الديمقراطية الشعبية أهدافها ثورة زراعية تقوم على توزيع الأراضي مجانا، وتأسيس تعاونيات على قاعدة الإنضمام الحر لديها، وتصنيع مرتبط بحاجات التنمية الزراعية، وتأمين المصارف والتجارة الخارجية، أما تأمين الشركات النفطية فسيكون مستقبلا خلال المرحلة القادمة. "في الوقت الحاضر يتوجب على الحزب النضال من أجل توسيع شبكة الغاز والكهرباء في المراكز الزراعية، وإعداد وتأهيل المهندسين في المجالات كافة، وفق خطة تجعل البلاد قادرة على إدارة ثروتها المعدنية والطاقة بنفسها".

(1): العربي الزبييري، المثقفون الجزائريون والثورة، مرجع سابق، ص 26.
(2): العربي الزبييري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 215.

وفي المجال الإجتماعي منحت الأولوية للقضاء على الأمية وتطوير الثقافة القومية العربية الإسلامية، والطب العام، وتحرير المرأة. كما أن السياسة الخارجية تقوم على مبدأ عدم الإنحياز اتجاه الكتلتين الشرقية والغربية.

- إن مقررات برنامج طرابلس 1962 وكما ورد في الكتابات التاريخية لم تجد الحوار والنقاش اللازم من طرف القيادات أو حتى الجماهير الشعبية، ذلك ما جعله بعيدا نوعا ما عن الحقائق التي أفرزتها الثورة التحريرية، والمبادئ التي وردت في بيان نوفمبر 1954، ولعل إيديولوجيات محرري البرنامج كان لها سببا كبيرا في هذه الفجوة بين البيان وبرنامج طرابلس، فإنهم قد اعتمدوا على مبادئ أول نوفمبر لكنهم منحوها مدلولاً جديداً ومختلفاً من وجهات نظرهم الخاصة. هذا ما يؤكد عليه رابح لونيبي بقوله: "...أن وثيقة طرابلس وما انبثق عنها من سياسات هي العامل الرئيسي الذي يفسر لنا أسباب الإنحراف عن مبادئ الثورة وعلى رأسها بيان أول نوفمبر"⁽¹⁾. ولعل ذلك راجع إلى الظروف التي صيغت فيها وثيقة أول نوفمبر 1954، فقد كان القادة التاريخيون في تلك المرحلة بحاجة إلى اكتساب الشعب، لذلك جاء البيان يعبر عن طموحات وآمال المجتمع الجزائري. أما وثيقة طرابلس فقد تم وضعها في ظرف مختلف تماماً، أي بعد إعراف فرنسا باستقلال الجزائر، فالحاجة أن تكون الوثيقة معبرة عن طموحات وأهداف الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني.

(1): رابح لونيبي، دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة، مرجع سابق، ص 138.

خلاصة المبحث الأول:

- تشكل مرحلة مابعد 1956 مرحلة تاريخية جد حاسمة في تاريخ الثورة التحريرية، ذلك أنها كانت حافلة جدا بأحداث وتحولات أثرت على مسار الثورة وكادت أن تحيد بها عن الهدف الأساسي المتمثل في الاستقلال الوطني. هذا ما يظهر من خلال موثيق الثورة التحريرية، وأهمها ميثاق الصومام الذي حافظت جبهة التحرير من خلاله على المبادئ والأسس التي أشار إليها بيان أول نوفمبر 1954 لكن شكليا فقط، لأنه ركز على الناحية التنظيمية للثورة. فمن هذه الإعتبارات حاول قادة الثورة إشراك كل الفئات المثقفة في قيادة صفوفها على اختلاف إيديولوجياتهم ومشاربهم الثقافية. فإن الدارس لوثيقة مؤتمر الصومام يرى بكل بساطة أن الأهداف الأساسية التي أعلنت عنها جبهة التحرير الوطني في أول بيان لها تتمحور كلها حول نقطة واحدة وهي تحطيم النظام الاستعماري حيثما وجد وبكل الوسائل الممكنة. معنى ذلك أن الشرارة الأولى التي انطلقت يجب أن تنتشر بكل سرعة لتشمل كافة أنحاء الوطن، إلى أن يتم تحرير الأرض والإنسان.

فكان مؤتمر الصومام بالنسبة لجبهة التحرير الوطني فرصة سانحة لإعادة تنظيم الثورة بعد مرور عامين من إندلاعها، كما أن إنضمام كافة المثقفين الجزائريين إلى صفوف الثورة خلال هذه المرحلة جعلها أكثر حرصا على الحفاظ على أهداف الثورة الأساسية، من خلال محاولتها تحقيق التوازن بين هاته الإيديولوجيات المختلفة ، رغم أنها لم توفق إلى حد كبير في ذلك لكنها تمكنت من المحافظة على مبادئ الكفاح المسلح التي أشار إليها بيان أول نوفمبر 1954. ولاننسى أن إنضمام هؤلاء المثقفين للثورة لم يتم إلا بعد التنازل عن إيديولوجياتهم والتخلي عنها، لتبني إيديولوجيات ثورة التحرير الوطني . وهذا مامكن جبهة التحرير الوطني من تحقيق إنتصارات عديدة من خلال ضم مختلف الفئات المثقفة والإطارات السياسية إلى صفوف الثورة، والتي ستؤدي دورا لا يستهان به عبر مراحل الكفاح المسلح.

إن الأهمية التاريخية التي يكتسبها مؤتمر الصومام، تنبع من كونه انعقد في ظروف تاريخية متميزة تتعلق أكثر بانضمام إيديولوجيات مختلفة إلى صفوف الثورة. فقد انضم في تلك المرحلة كافة

المثقفين السياسيين مسؤولي الأحزاب السياسية الذي لم يوافقوا في بداية الأمر على تفجير الثورة المسلحة، لكنهم سرعان ما التحقوا بصفوفها، بل قدموا دعمهم وساندتهم لها. ولعل ذلك يدل على مدى قوة الإيديولوجية الثورية التي تبناها المثقف الثوري الذي فجر الثورة والتي استمدتها من معاناته ونضاله السياسي في إطار حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية حزب الشعب الجزائري سابقا. من جهة أخرى إلتحق بالثورة الطلبة الجزائريين الذي باركوا بدورهم خبر إندلاعها وقدموا دعمهم المعنوي أولا ثم المادي لأنها كانت بالنسبة إليهم مشروعا حضاريا يهدف إلى إعادة إحياء الدولة الجزائرية بكل مقوماتها، وفرصة للدفاع عن مطالبهم كقوة مثقفة ومتعلمة جزائرية. فإن هذه الظروف والإعتبرات هي من جعلت إنعقاد مؤتمر الصومام أمرا حتميا لا بد منه، لتحديد إيديولوجية واحدة مشتركة تؤهل كل هؤلاء للدفاع عن الوطن بلغة مشتركة. فقد أدرك المؤتمر أن تحرير الإنسان يستوجب تحرير الأرض أولا، لأن المواطن الحر لا يعيش على أرض مستعمرة، هذا ماتجسد من خلال مؤتمر الصومام 1956.

- أما مؤتمر طرابلس فقد إنعقد بدوره في ظروف مختلف، إنعقد قبل أيام قليلة فقط من الإعلان الرسمي عن الاستقلال، وكان هدفه المعلن رسميا إعداد برنامج بناء الدولة المستقلة الفتية ووضع مؤسساتها، وقد شاركت فيه جميع القيادات السياسية والعسكرية التي برزت أثناء مراحل الثورة التحريرية سواء داخل أو خارج الجزائر. وكان ميثاق الطرابلس

الصادر عنه يهدف إلى تحليل وضعية المجتمع الجزائري المزرية، واقتراح على ضوء ذلك مشروع أرضية عمل لإنجاح الثورة الديمقراطية الشعبية التي يقودها الحزب الواحد وتعتمد خيار الإشتراكية. رغم أنه حاد نوعا ما عن مبادئ بيان أول نوفمبر 1954 نظرا لإختلاف المراحل والظروف التي صيغ فيها كل منهما، فإن ميثاق طرابلس جاء يعبر نوعا ما عن مصالح ضيقة للطبقة التي تستعد لحكم الجزائر بعد الاستقلال.

المبحث الثاني: المساعي الدبلوماسية للمثقفين الجزائريين خلال الثورة

أولاً: الدور الدبلوماسي للمثقف الجزائري على الصعيد الخارجي

1- سعي المثقفين إلى تدويل القضية الجزائرية

2- نشاط المثقفين على مستوى المغرب العربي

ثانياً: المثقف الجزائري وتحقيق الاستقلال

1- تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ودور المثقفين فيها

2 -المفاوضات الجزائرية الفرنسية من منظور المثقف الجزائري

المبحث الثاني: المساعي الدبلوماسية للمثقفين الجزائريين خلال الثورة

تعتبر مرحلة ما بعد 1956 مرحلة جد حاسمة وحساسة في مسار الثورة التحريرية، ذلك أنها وجدت نفسها قد حققت الكثير من الانتصارات السياسية والعسكرية على المستوى الداخلي والخارجي، كما أنه في هذه الفترة من الكفاح الثوري إنضمت الكثير من الفئات المثقفة ذات الإيديولوجيات المختلفة، فكان لزاما على القادة الثوريين دراسة المرحلة بجدية وحزم، لمواصلة مسيرة الإنتصار من جهة ولضبط الإيديولوجيات الثقافية وتسخيرها بما يخدم الثورة. هذا ماجعل المثقف الجزائري يوجه إهتمامه في هذه المرحلة إلى العمل الدبلوماسي الذي يعتبر من أهم الخطوات الموازية للحرب الوطنية. فإن العمل الدبلوماسي سواء من خلال تأسيس الحكومة المؤقتة، أو العمل على تدويل القضية الوطنية في المحافل الدولية، أو الخوض في غمار المفاوضات كلها خطوات كان لا بد منها في نظر المثقف الثوري للوصول إلى الأهداف التي حددها بيان أول نوفمبر 1954، وأكد عليها مؤتمر الصومام أوت 1956 ثم ميثاق طرابلس في جوان 1962. فمن هذه المنطلقات إستمد المثقف الثوري الجزائري أساسيات نضاله في هذه المرحلة الحاسمة والأخيرة لتحقيق الاستقلال الوطني.

أولاً: الدور الدبلوماسي للمثقف الجزائري على الصعيد الخارجي

- تشير العديد من المراجع والكتابات التاريخية، إلى أن تدويل القضية الجزائرية لم يكن وليد إندلاع الثورة فحسب، بل تعود جذور العمل الدبلوماسي إلى مرحلة 1954/1947 أي ما قبل الثورة، وهي الفترة التي تبلورت فيها فكرة تأسيس الوفد الخارجي⁽¹⁾ الجزائري لمتابعة القضية الجزائرية وطرحها في المحافل الدولية، قصد التعريف بها والرد على الدعاية الفرنسية المضادة.

(1): مثل الزيارات الدبلوماسية التي قام بها مصالي الحاج إلى المشرق والبشير الإبراهيمي أيضا من أجل تدويل المسألة الوطنية للمزيد أنظر: خيشان محمد، مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة 1954/1947، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.شاوش حباسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2002/2001، ص-ص 35-37.

1- سعي المثقفين إلى تدويل القضية الجزائرية:

اندلعت الثورة بتاريخ الفاتح من نوفمبر كما حدد لها، تحت ظروف وعوامل ضرورية لضمان تحقيق الأهداف المرجوة منها، من هذه العوامل قيادتها من طرف مجموعة متكاثفة بين الداخل والخارج، وهم الستة الذين يرأسهم محمد بوضياف، والوفد الخارجي بالقاهرة المتكون من الثلاثي محمد خيضر، أحمد بن بلة، وحسين آيت أحمد . وكانت قد أسندت إليه مهمة التحضير للثورة التحريرية على الصعيد الخارجي. باعتبار الكفاح الدبلوماسي جزء هام من الكفاح السياسي ، ما دفع بجهة التحرير الوطني إلى التمييز بينهما بجعل الكفاح المسلح خيار أول، والكفاح الدبلوماسي مكمل له. وقد وردت الإشارة إلى أهمية تدويل القضية الجزائرية منذ صدور بيان أول نوفمبر 1954، الذي تضمن مسألة التدويل كمبدأ أساسي وهدفا تسعى الجبهة إلى تحقيقه لضمان تحقيق الاستقلال الوطني الشامل.

من هذا المنطلق كانت فكرة تدويل القضية الجزائرية من الأمور الأساسية لدى المثقف الجزائري الثوري الذي قاد ثورة التحرير خاصة بعد سنة 1956، بإعتباره على علم كامل بمدى أهمية ذلك لدعم الكفاح المسلح وتحقيق الدعم اللازم للقضية الوطنية على الصعيد الإقليمي والدولي. بذلك سعت جبهة التحرير الوطني وبشكل مبكر إلى العمل على إدراج القضية الجزائرية في الأمم المتحدة⁽¹⁾، وفي هذا الإطار عملت الجبهة جاهدا لإيصال صوت الثورة الجزائرية إلى المحافل الدولية رغم صعوبة هذا العمل في ظل التضييقات الفرنسية عليها إضافة إلى حداثة نشأتها وضعف

(1): خاصة بعد صدور قرار 15 فيفري 1957 الذي يدعو طرفي النزاع إلى إيجاد حل سلمي ديمقراطي عادل وفقا لمبادئ هيئة الأمم المتحدة. عبد القادر كرليل، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة (1961/1955)، مجلة أفكار وآفاق، العدد 8، 2016، ص62.

إمكانياتها. في هذا الصدد يقول محمد يزيد: "إن تدويل القضية الجزائرية كان مبرمجا منذ بداية

الثورة ، خاصة وأن الأشقاء في تونس والمغرب كانت قضيتهما أمام الأمم المتحدة"⁽¹⁾.

ونظرا لأهمية الدبلوماسية الجزائرية ، فقد لعبت دورا هاما منذ الوهلة الاولى لإندلاع الثورة ، ففي البداية تكلفت بهذه المهمة البعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني التي كانت متواجدة بالقاهرة، كان أهم عمل دبلوماسي قامت به جبهة التحرير الوطني هو سعيها المبكر إلى المشاركة في أكبر محفلين دوليين هما: مؤتمر باندونغ في أبريل 1955، والدورة العاشرة للأمم المتحدة في سبتمبر 1955². وقد قامت الدبلوماسية الفرنسية ببذل مافي وسعها لعرقلة هذا المسعى الدبلوماسي الوطني، لكن الوفد الخارجي بالقاهرة وباقي الوفود بالدول الأخرى ردت على ذلك بحملة دعائية واسعة . وفي إطار هذه المساعي الدبلوماسية لجبهة التحرير الوطني، قامت هذه الأخيرة بإرسال وفود للقيام بجولات وإتصالات في آسيا وأمريكا اللاتينية بهدف التعريف بالقضية الوطنية والحصول على تأييد الدول لها خلال الدورة الحادية عشر للأمم المتحدة عام 1956. وقد شملت الجولة بلدان متعددة من أمريكا اللاتينية بدءا بالأرجنتين إلى كوبا، حيث يقدم الوفد في كل بلد مذكرة تشرح أهداف ثورة نوفمبر 1954 والمتمثل في التوصل إلى حل ديمقراطي للقضية الجزائرية عبر إقامة دولة مستقلة تكفل المساواة والحرية لكافة الجزائريين بصفتهم مواطنين فيها، كما تناشد من خلال هذه المذكرات الدول التي زارتها، التدخل بواسطة الأمم المتحدة لوقف الحرب الاستعمارية وتقديم الدعم والمساندة لجبهة التحرير الوطني بإعلان الجمهورية الجزائرية كحل وحيد لهذه القضية.

إنزعجت السلطات الفرنسية بحد كبير من نشاط الوفد الجزائري بدول أمريكا اللاتينية ،مادفع بوزير خارجيتها "بينو" بجمع سفراء بلاده بأمريكا اللاتينية في فنزويلا لدراسة هذه التطورات. من ناحية أخرى وفي إطار مواصلة العمل الدبلوماسي، بعث السيد محمد خيضر إلى رؤساء الحكومات

(1): أحمد سعيود، العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني (1954-1958)، الصندوق الوطني لترقية الفنون والأداب، الجزائر، 2008، ص99
(2): وقد تميزت الدورة العاشرة للأمم المتحدة بمناقشات حادة حول إشكالية تسجيل أو عدم تسجيل القضية الوطنية في جدول أعمالها. عبد القادر كرليل، المرجع السابق، ص 62.

العربية، ودول الكتلة الأفروآسيوية ومجلس الأمن بمذكرة تشرح مدى خطورة الوضع بالجزائر والممارسات اللإنسانية التي ترتكبها فرنسا بحق الشعب الجزائري. يناشدهم فيها بالتدخل لوقف العدوان الفرنسي ضد الجزائريين المتمسكين في حقهم الشرعي بالحرية والاستقلال.

في ظل تواصل العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني بالخارج استعدادا لطرح القضية الجزائرية على منظمة الأمم المتحدة في دورتها الحادية عشر، كان قادة الثورة في الداخل يفكرون في عقد مؤتمر يبحث ويدرس قضايا الثورة في الداخل والخارج، فكان هذا المؤتمر هو مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت⁽¹⁾ 1956 والذي زود الثورة بمؤسسات قيادية جديدة: المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ اللتان اعتبرا بمثابة السلطة التشريعية والتنفيذية للثورة، وبميلادهما تعزز موقف الثورة في الداخل والخارج. كما خرج المؤتمر عدة قرارات سياسية وعسكرية جد هامة منها مايتعلق بتوسيع العمل الدبلوماسي وتكثيفه وأسندة للجنة الشؤون الخارجية بلجنة التنسيق والتنفيذ. أي أن المؤتمر أكد على تكثيف العمل الثوري بالداخل، والعمل الدبلوماسي بالخارج باعتبار المجالين أهم الإستراتيجيات المحكمة لإنجاح كفاح الشعب الجزائري.

عرفت الثورة أيضا تطورات على المستوى الجهوي والإقليمي، تتمثل في استقلال دول المغرب وتونس في مارس 1956 والتأثير الإيجابي لذلك على الثورة⁽²⁾. أما على المستوى الإقليمي فقد تعرضت مصر لعدوان عسكري ثلاثي من طرف فرنسا، بريطانيا وإسرائيل. حيث كان السبب الرئيسي لذلك هو مساندة مصر للثورة الجزائرية. كما قامت فرنسا بإعتراض طائرة مغربية في طريقها إلى تونس كانت تنقل عددا من القادة الثوريين البارزين، حيث كان لهذا الحدث - القرصنة

(1): وقد ركز مؤتمر الصومام بشكل مطول على أهمية العمل الدبلوماسي، خاصة مايتعلق بدحض الإقتراءات الفرنسية حول الجزائر وأكد على ضرورة العمل من أجل تدويل القضية الوطنية، وذلك جزء مكمل وهام من الكفاح المسلح. لزهري بديدة، العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية من خلال الوثائق والشهادات، مجلة جامعة الامير عبد القادر، المجلد 30، العدد 2، ص 397
(2): أحمد سعيود، نفس المرجع، ص 103

الجوية – ردود فعل ناقمة ضد فرنسا من مختلف دول العالم خاصة من طرف الدول العربية المناهضة للاستعمار.

إن هذه التطورات والأحداث التي رافقت الثورة محليا، جهويا وإقليميا كان لها أثر فعال في توفير المناخ الملائم لطرح القضية الوطنية على هيئة الأمم المتحدة، مناخ يتسم بالعداء للاستعمار. أي أنها ظروف ساعدت على دفع العمل الدبلوماسي نحو الأمام. وقد شكل العدوان الثلاثي على مصر حدثا مرفوضا تماما بالنسبة لعدة دول منها الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف وراء الدبلوماسية الفرنسية خاصة في الأمم المتحدة، فكلا الدولتان تملكان حق الفيتو. هذا ما دفع بجبهة التحرير الوطني للإرتياح والتفاوض فقد إعتبرت الدورة الحادية عشر للأمم المتحدة سبتمبر 1956 - مارس 1957 دورة حاسمة بالنسبة للقضية الجزائرية، لأنه سيتم فيها مناقشتها لأول مرة. لكن ذلك لم يكن سهلا، كما توضح ذلك بعض المقطعات من الندوة الصحفية التي عقدها السيد جون فوستر دالاس⁽¹⁾ يوم 4 فيفري 1957 بمناسبة اشغال الدورة الحادية عشر للجمعية العامة: "إن الولايات المتحدة الأمريكية مقتنعة بأن الجمعية العامة للأمم المتحدة لا يمكن أن تقدم اي لائحة عملية حول القضية الجزائرية، أتمنى ألا تحاول ذلك فالوضع في الجزائر معقد جدا، ولا أدري إن كان يمكن التوصل إلى صياغة نص ذي قيمة في الموضوع، بل حتى أشك في جدوى العمل على إيجاد مثل ذلك"⁽²⁾. لكن ذلك لم يضعف من عزيمة وإصرار جبهة التحرير الوطني والمتقف الجزائري الدؤوب على إيجاد الحلول المناسبة، فقد تواصل العمل الدبلوماسي في العديد من البلدان ومع العديد من الأسماء والشخصيات الثورية والسياسية⁽³⁾ ذات الخبرة في هذا المجال.

(1): محامي وسياسي أمريكي من مواليد واشنطن سنة 1888 وتوفي بها سنة 1959، عين كاتبا للدولة سنة 1952. العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 116.

(2): العربي الزبير، المرجع السابق، ص 116.

(3): من أبرز الأسماء التي اشتغلت بالعمل الدبلوماسي نجد: محمد لمين دباغين، عبد الحميد مهري، أحمد يزيد، كريم بلقاسم، سعد دحلب.. وغيرهم. لزهري بديدة، المرجع السابق، ص 401.

كانت أغلب الدول الأفروآسيوية⁽¹⁾ مؤيدة وداعمة لثورة الجزائر أمام مجلس الأمن، لكن هذا الأخير رفض مناقشة القضية بأغلبية سبعة أصوات من أصل 13 صوتاً. مادفع بدول الكتلة الأفروآسيوية بتقديم طلب في الفاتح من أكتوبر 1956 بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الحادية عشر⁽²⁾، أرفقت هذا الطلب بمذكرة توضح مدى إستياء هذه الدول من ممارسات المستعمر الفرنسي في الجزائر، وإعتبرت ذلك تهديداً للسلم والأمن في العالم.

من جهة أخرى وعلى المستوى الدولي، قام وفد جبهة التحرير الوطني في مقر الأمم المتحدة يوم 12 نوفمبر 1956 بتسليم مذكرة لرئيس الدورة يزكي من خلالها طلب الكتلة الأفروآسيوية بتسجيل القضية الجزائرية، موضحاً أنه تم تأجيل مناقشتها من أجل إعطاء فرنسا فرصة لتغيير سياستها بما يضمن حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه، لكنه ومع الأسف قامت فرنسا باستغلال هذا التأجيل لدعم مساعيها العسكرية لدحض وتحطيم آمال وطموحات الشعب الجزائري. كما تعرضت المذكرة إلى موقف فرنسا من جبهة التحرير الوطني ومن القضية الجزائرية، لتوضح بأن المسؤولين الفرنسيين إترفوا بأن المشكل الجزائري لم يعد مشكل داخلي. إلى جانب ذلك وضحت المذكرة الإدعاءات الفرنسية القائلة بعدم وجود ممثل شرعي للقضية الجزائرية يمكن التفاوض معه، وفي هذا الصدد ذكرت أيضاً بعض اللقاءات التي تمت بين أعضاء من جبهة التحرير الوطني وممثلين عن الحكومة الفرنسية ما بين أبريل 1956 وسبتمبر 1956، لكنها توقفت بسبب إقدام السلطات الاستعمارية على إختطاف الطائرة التي كانت تقل القادة الجزائريين⁽³⁾. ختمت المذكرة مضمونها بالتأكيد على أمر مهم، وهو أن استقلال تونس والمغرب لن يكتمل ولن يكون له مغزى دون استقلال الجزائر.

(1): فقد حصلت القضية الوطنية في دورة 30 سبتمبر 1955 على أغلبية نسبية من التصويت قدرت بـ 28 صوتاً من طرف الدول الأفروآسيوية. للمزيد أنظر: عبد القادر كرليل، المرجع السابق، ص 64.

(2): وقعت الطلب حوالي 15 دولة منها: أفغانستان، مصر، إيران، أندونيسيا، سوريا، السعودية، اليمن، ليبيا... أحمد سعيود، نفس المرجع، ص 105.

(3): هي أول عملية قرصنة جوية في العالم قامت بها السلطات الفرنسية لإعتقال الوفد الخارجي للثورة الذي ضم كل من السادة: محمد خيضر، محمد بوضياف، أحمد بن بلة، تحسين آيت أحمد، ومصطفى لشرف. لزهرة بديدة، المرجع السابق، ص 400.

وقد توجت مساعي جبهة التحرير الدبلوماسية إلى جانب المساعي الداعمة لها من طرف الدول الشقيقة والصديقة، بموافقة مجلس الأمن على تسجيل القضية الجزائرية، وذلك في 15 نوفمبر 1956. فإن حادث القرصنة الجوية لم يؤثر بشكل كبير في العمل الدبلوماسي للوفد الخارجي، فقد تواصل العمل إلى غاية سبتمبر 1958⁽¹⁾ تحت إشراف لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم الحكومة المؤقتة إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية.

كانت القضية الجزائرية في مقدمة القضايا التي درستها الجمعية العامة في دورتها الحادية عشر رغم معارضة فرنسا لذلك، معتبرة هذه المسألة قضية داخلية خارجة عن إختصاص منظمة الأمم المتحدة. لكنه ورغم ذلك لم يكتف المثقف الجزائري بهذه الخطوة المبدئية في نضاله الدبلوماسي، بل واصل العمل على مستوى مختلف دول وعواصم العالم للتعريف بقضيته الثورية⁽²⁾، وسعيًا لكسب أصوات دولية جديدة. في هذا الإطار بعث الدكتور لمين دباغين رئيس الوفد الجزائري بالقاهرة ببرقية إلى الكاتب العام لهيئة الأمم المتحدة، يوضح له فيها مدى خطورة حرب الإبادة التي تمارسها فرنسا في حق الشعب الجزائري الأعزل، مؤكدا له من جهة أخرى أن الجزائري رغم ذلك مصمم على إفتكاك استقلاله الكامل. وهو يدعو العالم إلى التضامن معه للتنديد بهذه الجرائم اللإنسانية. وفي هذا الإطار قدم الوفد الجزائري المشارك في الدورة الثانية عشر للجمعية العامة ملفا كاملا إلى أعضاء المجموعة الأفروآسيوية، والتي اجتمعت بدورها عدة مرات لدراسة الوضع المأساوي بالجزائر، وقامت بتقديم مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تتعلق بالوضع في الجزائر معبرين عن أملهم الكبير في إيجاد حل سلمي لهذا المشكل بوسائل مطابقة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة. ويقول محمد يزيد حول مشاركتهم في هذه الدورة: "لقد كلفتنا الجبهة بجعل المشاركين في الصورة حول درجة الخطورة التي عليها الجزائر، وهو ما لم يكن بالشيء السهل. فقد كان العمل في

(1): نفس المرجع، ص 403.

(2): عمدت قيادة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني منذ البداية بإقامة مراكز حضور دائمة ف بعض العواصم العربية والإسلامية التي تشكل حليف طبيعي للقضية الوطنية منها: دمشق، القاهرة، الرباط، تونس. للمزيد أنظر: عمر بوضربة، دور مكاتب جبهة التحرير الوطني في حشد الدعم للقضية الجزائرية في بلدان غرب أوروبا، المجلة الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، جوان 2018، ص 30.

كواليس الأمم المتحدة عملا شاقا، يتطلب حنكة وصبرا، لأن الدبلوماسية الفرنسية من جهتها كانت تسعى بشتى الوسائل للحيلولة دون مناقشة الأمم المتحدة للقضية الجزائرية⁽¹⁾. في مقابل ذلك ومن أجل إفشال هذه المساعي الدبلوماسية الفرنسية، قام الوفد الجزائري بتقديم طلب بالجامعة العربية يوصي من خلاله كل ممثلي الوفود العربية في الأمم المتحدة بأن تمنح عنايتها وإهتمامها بالدرجة الأولى لقضية الشعب الجزائري. حيث كان عامل المصادقية هو الاساس في العمل الدبلوماسي بين البلدان الشقيقة⁽²⁾، وقد اكتسبتها جبهة التحرير الوطني في القول والعمل من خلال عدم التسرع في إصدار القرارات والأحكام إلا بعد معرفة ودراسة المعطيات والحقائق. كما أن الثورة لم تتخلى منذ اندلاعها عن مبدأ الحياد الإيجابي³، لأنها على اقتناع كامل بأن عدوها الأول والوحيد هو المستعمر الفرنسي.

كانت هذه التطورات الدبلوماسية لصالح القضية الجزائرية، لكنها لم تزد السلطات الفرنسية إلا إصرارا على مواصلة الحرب والقتل والتعنيف، مادفع بدول الكتلة الأفروآسيوية من جديد إلى تقديم طلب للجمعية العامة بتسجيل القضية في دورتها الثانية عشر، إذ تعتبر المرة الثالثة على التوالي التي تعرض فيها القضية الوطنية على الأمم المتحدة، حيث كان ذلك في 16 جويلية 1957. من جهة أخرى جدد المسؤول الفرنسي بينو تأكيده على أن الأمم المتحدة ليس من صلاحيتها مناقشة أو دراسة هذه القضية. كما أشار إلى الإصلاحات التي قامت بها فرنسا بالجزائر مؤكدا على المقترحات الثلاث لبلاده: وقف إطلاق النار، الإنتخابات والمفاوضات. كان هذا في ظل تنديد بعض المسؤولين العرب بالسياسة الاستعمارية المتبعة في الجزائر وتجاوزات الجيش الفرنسي. أما هذه المعارضات والتأييد إتجاه القضية الجزائرية، أكدت الأمم المتحدة على حق الشعب الجزائري الكامل في تحقيق مصيره بنفسه، لكنه ونظرا لعدم التوصل إلى حل سلمي يرضي كلا

(1): أحمد سعيود، المرجع السابق ص 115.

(2): سعد حطب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، مصدر سابق، ص 19.

(3): سعد حطب، نفس المصدر، ص 22

الطرفين فرنسا والجزائر، دعت الهيئة إلى فتح باب المفاوضات بينهما. لكن هذا الأمر رفض من جديد من طرف بعض الوفود.

يمكننا القول أن الدورة الثانية عشر للأمم المتحدة لم تضيف شيئا جديدا بالنسبة لدعم الثورة الجزائرية، لكن هذه الأخيرة اشتد ساعدها أكثر مما كانت عليه، إذ يتجلى ذلك في الدعم والتأييد الذي حظيت به في كل اللقاءات والمؤتمرات التي كانت تتم على المستوى الجهوي والإقليمي والدولي، فقد كان كفاح الشعب الجزائري ونضاله يحتل الصدارة ويبعث على الإعجاب والتقدير، فيلقى بذلك تأييدا غير مشروط من طرف الدول والوفود المشاركة.

2 - النشاط الدبلوماسي للمثقفين على المستوى الإقليمي:

في مقدمة كفاحه المسلح، إقتنع المثقف الثوري الذي رسم معالم الثورة التحريرية الكبرى بأنه يجب وضع هذه الأخيرة في مناخها الطبيعي لضمان إنجاحها، والمتمثل في المناخ العربي الإسلامي، فإن الجزائر عضوا مرتبطا بالعالم العربي الإسلامي وجزء لا يتجزأ منه، لذلك فإن وضع الثورة في هذا النطاق سوف يمنحها دفعا قويا ومدلولا ثقافيا أوسع. فمن هذا المنطلق بدأت جبهة التحرير الوطني تحرص على وضع الكفاح المسلح الوطني في إطاره العربي الإسلامي.

تمكنت القضية الجزائرية من تحقيق أهدافها الدبلوماسية على مستوى منظمة الأمم المتحدة التي تناولتها وأصدرت بشأنها قرارا في دورتها الثانية عشر. أصبحت بذلك هذه القضية تشغل الرأي العام العربي والعالمي، وموضع إهتمام كل مؤتمر وكل ندوة دولية. مادفع بالمؤتمرات المنعقدة على المستوى الإقليمي تقوم بدراسة قضية الثورة الجزائرية خاصة خلال عامي 1957 و 1958 مثل مؤتمر الشعوب الأفروآسيوية المنعقد بالقاهرة ومؤتمرات أكرا بغانا، وطنجة بالمغرب ومؤتمر المهديّة بتونس، فقد شاركت جبهة التحرير الوطني في هذه المؤتمرات وغيرها، بل وجعلت نشاطها الدبلوماسي يتوجه بالدرجة الأولى إلى هذه الدول العربية، باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ

من الوطن العربي والإسلامي، فقد أعلنت الثورة منذ إنطلاقها بأنها ثورة عربية تلتقي مع الحركات التحررية بالشرق والمغرب⁽¹⁾. وقد تم التأكيد على ذلك من طرف طليعة أول نوفمبر 1954 من قادة الثورة الذين صرحوا بوضع كفاحهم من أجل تحرير الوطن في نطاق الحركات العربية التحررية. وأنها تعتمد في دعم كفاحها المسلح على الشعبين الشقيقين تونس والمغرب، ثم على التضامن العربي ومساندة الإفريقيين والآسيويين.

- عرفت العلاقات المغاربية نوعا من الفتور خاصة بعد استرجاع تونس والمغرب استقلالهما في 1956⁽²⁾، غير أن قرارات مؤتمر الصومام جاءت تؤكد على ضرورة توثيق العلاقة بين أقطار المغرب العربي تأكيدا لما ورد في بيان نوفمبر 1954، لكنه رغم ذلك بقي حيرا على ورق نتيجة عدم وجود التجارب لدى الشقيقين المستقلين حديثا.

لقد أدرك المثقف الوطني الذي اختار العنف الثوري وهيكله من خلال بيان أول نوفمبر 1954 المنظر للثورة التحريرية، بأن الثورة لا يمكن لها أن تستمر وتحقق أهدافها مالم توضع في إطارها المغاربي لضمان توفير الدعم المادي والمعنوي خاصة، والذي سوف يمنحها صدى أوسع وقوة أكبر. وهذا ما يؤكد على أن إيديولوجية المثقف الثوري لم تهمل مسألة تدويل القضية الوطنية وكسب الدعم المغاربي والعربي لها، بل اهتمت بذلك أشد اهتمام وأشارت له عبر موثيق الثورة، بدءا ببيان نوفمبر، ثم ميثاق الصومام أيضا الذي دعا إلى تنسيق العمل السياسي وإنشاء لجنة للتنسيق تشارك فيها جميع الأحزاب الوطنية التونسية والمغربية إلى جانب جبهة التحرير الوطني، وذلك من أجل إنشاء لجان شعبية تساند الثورة، وإيجاد سبل التضامن والتوحيد بين المنظمات الجماهيرية والنخبوية في الأقطار الثلاثة.

(1): كما وردت الإشارة لذلك في بيان أول نوفمبر 1954. أنظر ملحق البيان ص 343
(2): العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 108.

في هذا الإطار عرضت القضية الجزائرية على الدول العربية على أنها قضية عربية بحتة ، سعياً إلى إقناع هذه الدول بأن الوقت قد حان لممارسة كافة مسؤوليتها إتجاه هذه القضية بإعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ منها. وتحقيقاً لهذه الأهداف طلبت جبهة التحرير من الدول العربية في المجال الدبلوماسي بضرورة بذل الجهود الدبلوماسية الفعالة لدى كل الدول التي ساندت الثورة ، خاصة في آسيا وأمريكا اللاتينية من أجل الوقوف إلى جانب القضية الجزائرية. كما أن جبهة التحرير الوطني أولت إهتماماً بالغاً بفئة العمال والتجار والطلبة الجزائريين باعتبارهم نواة أساسية في الكفاح المسلح، فقد قامت الجبهة بتنظيمها وتنشيطها وتوظيفها عقلاً لتتنشيط العمل المسلح، خاصة بعد 1956 أي سنة تأسيس أغلب التنظيمات الطلابية والإتحادات الوطنية⁽¹⁾ للعمال والتجار الجزائريين.

- في إطار إدراكها العميق لأهمية نقل القضية الوطنية للمحافل الإقليمية والدولية وكسب الدعم المعنوي لها، شاركت جبهة التحرير الوطني ومن خلال التنظيمات الوطنية الطلابية⁽²⁾ والعمالية في عدة مؤتمرات رسمية منها:

- مشاركة إتحاد العمال الجزائريين في مؤتمر نقابات المغرب الكبير الذي نظم بمدينة طنجة (20-22 أكتوبر 1957)⁽³⁾، والذي إكتسب أهمية خاصة وجمع الأقطار المغاربية الأربع (المغرب، تونس، الجزائر، ليبيا) وتم فيه التأكيد على أن ما يحدث في الجزائر يمس مختلف هذه الأقطار الأربعة وعلاقتها مع فرنسا ويعرقل نشاطها الإقتصادي. كما أن فرنسا رغم كل التنديدات تواصل حربها الإبادية ضد الجزائريين، لذلك قررت هذه الدول تشكيل جبهة نقابية إفريقية تسعى إلى إقامة حد لهذه الحرب. فكان ذلك من أهم نتائج مؤتمر طنجة الذي كان يهدف عموماً إلى التعجيل بإستقلال

(1): حرصت ج ت و على على إنشاء الإتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956 وعينت له أميناً عاماً عيسات إيدير. العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 109.

(2): تأسس الإتحاد الطلابي كما اشرنا سابقاً بعد انطلاق الثورة في 1955، لكن نشاطه الفعلي لم يظهر إلا سنة 1956 بعد استشهاده بعض الطلبة الجزائريين مثل بلقاسم زور و عمارة رشيد.

(3): أحمد سعيود، نفس المرجع، ص 133

الجزائر والسعي إلى تحرير إقتصاد شمال إفريقيا من التجارة الخارجية والإحتكارات الأجنبية وتمتين العلاقات الإقتصادية بين أقطار هذه المنطقة.

- على المستوى القاري شارك وفد عن إتحاد الطلبة الجزائريين في المؤتمر العالمي للطلبة المنعقد بنيجيريا ما بين (11-22) سبتمبر 1957، قدم خلاله الوفد الجزائري عرضا حول وضعية الطلبة والتعليم بالجزائر قبل وبعد الثورة⁽¹⁾. حيث أصدر المؤتمر في نهاية أعماله لائحة دعا فيها الحكومة الفرنسية إلى تغيير سياساتها مع الطلبة الجزائريين، كما أكد على ضرورة التضامن مع الشعب الجزائري. كما يجب على فرنسا الإلتزام بمقررات الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الجزائرية، وإلزامها بقرار عادل سلمي وديمقراطي مبني على الإعراف بحق الجزائريين بتقرير مصيرهم بنفسهم.

- من ناحية أخرى تم تنظيم مؤتمر معاد للاستعمار بأثينا باليونان في 2 أكتوبر 1957 شارك فيه الوفد الجزائري الذي ضم عبد الرحمن كيوان، أحمد فرنسيس، ابن قطاط و غافر لتمثيل جبهة التحرير الوطني. تقرر فيه إعتبار القضية الجزائرية مشكلة استعمارية⁽²⁾، كما أكد المؤتمرون على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وطالبوا بضرورة وقف التقتيل والتعذيب الممارس من طرف السلطة الفرنسية بالجزائر، وإمكانية فتح مفاوضات بين الطرفين الجزائري والفرنسي بمشاركة تونس والمغرب.

- أما على المستوى العربي ، شاركت الجزائر في مؤتمر الحقوقيين الآسيويين الذي إنعقد بدمشق من 7 إلى 11 نوفمبر 1957 وضم ممثلي 23 دولة³. قدم فيه الوفد الجزائري تقريرا عن الوضعية السياسية والعسكرية وأعمال القمع الوحشي الذي يقوم به الفرنسيون، كما قدم الوفد أيضا عرض

(1): أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 134
(2): رغم معارضة فرنسا واعتبارها مايقع في الجزائر شأنها داخليا خاص بها، لكنها بدأت تتخلى عن هذه الفكرة تدريجيا أمام الإنتصار الدبلوماسي المتصاعد لجبهة التحرير الوطني
(3): أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 135

شريط سينمائي التقطت مناظره من جبال الجزائر الثائرة، فكان صورة واضحة وحقيقية لما يجري في الجزائر. وقد اكسب ذلك القضية الوطنية تعاطف وتضامن كبيرين، حيث أعلن المؤتمرون أن الحل الوحيد لهذه القضية يكون بإعتراف فرنسا باستقلال الجزائر الكامل.

من جهة أخرى، شاركت جبهة التحرير الوطني في مؤتمرات رسمية متعددة ذات طابع رسمي حكومي من أجل دراسة جدية للقضية الجزائرية، وإيصال صيتها إلى كافة بقاع العالم الراضية للفكر الاستعماري، من أهم هذه المؤتمرات:

مؤتمر الشعوب الأفروآسيوية بالقاهرة:

لقب بمؤتمر الحرية إنعقد ما بين 26 سبتمبر 1957 إلى جانفي 1958، شاركت فيه الجزائر من خلال وفد يتكون من 20 عضوا يترأسه لمين دباغين⁽¹⁾. والذي قام بتقديم تقرير يلخص أوضاع الشعب الجزائري المزرية وسياسة القهر الاستعمارية التي سلطت عليه، موضحا من خلاله بأن الجزائر ومنذ ما قبل سنة 1830 كانت دولة ذات سيادة واضحة المعالم والحدود القومية والدولية والمعترف من طرف عدد كبير من الدول. كما تطرق التقرير إلى أن الشعب الجزائري الذي يناضل منذ أكثر من ثلاث سنوات ضد الاستعمار الفرنسي، مقتنع بشكل تام بوقوف الشعوب الإفريقية والآسيوية إلى جانبها ودعم كفاحها المسلح العادل، لهذا فإن جبهة التحرير الوطني تحضر إجتماع هذه الشعوب المعروف باسم كتلة باندونغ. وقد برهنت هذه الأخيرة في إجتماعها التاريخي المنعقد في أبريل 1955 على تضامنها الفعال مع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والاستقلال. فهذا ما أكسب الجزائريين قوة في النضال ودفعهم للإستمرار . خاصة وأنه بعد ثلاث سنوات من كفاحهم وجدوا أن عدوهم محاط بالعديد من الدول الاستعمارية تدعمها في حربها ضدهم. فهم لا يقاتلون فرنسا لوحدها، بل يقاتلون ضد المعسكر الاستعماري بأكمله. من هذا المنطلق رأى الشعب الجزائري أنه على الكتلة المعادية للاستعمار أن تتضافر جهودها من أجل دعم ومساندة القضية الجزائرية، و

(1): أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 137.

وضع حد لحرب الإبادة التي تمارسها فرنسا ضد الشعب الجزائري الأعزل. فقد لجأ قادة جبهة التحرير الوطني من أجل ذلك إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الأوساط الأكثر نفوذا مثل المثقفين والصحفيين والنقابيين والطلبة والأحزاب السياسية وحتى المنظمات الإنسانية والمؤسسات الشبابية في دول أوروبا⁽¹⁾. ولعل ذلك يدل بشكل واضح على قدرة جبهة التحرير الوطني على مجابهة الحصار الدبلوماسي الفرنسي.

أكد التقرير المقدم للمؤتمر أيضا بأن الجزائريين سعوا جاهدا إلى إقناع فرنسا بالطرق السلمية، معتقدين أنه الحل الأنسب لتحقيق الاستقلال. كما إعتقدوا بأن الحرب العالمية الثانية سوف تضع حدا لعهد الظلم والاستعباد، لذلك خرج الشعب الجزائري يحتفل في 8ماي 1945 بانتصار الحرية على الإضهاد، خاصة وأنه قد شارك في صنع ذلك الإنتصار التاريخي. لكن المستعمر رد على هذا ذلك بحملة من العنف والإضطهاد راح ضحيتها أكثر من 45 ألف نسمة. رغم ذلك واصل الجزائريون نضالهم وتمسكهم بمطلب الحرية والاستقلال.

ختم الوفد تقريره بأن الشعب الجزائري الذي أعلن ثورته في الفاتح نوفمبر 1954 مقتنعا بفكرة الاستقلال والسيادة الوطنية الكاملة، رغم سعي فرنسا عبر كافة المخططات إلى إفشال هذه الثورة وعزل الجزائر عن العالم، فأقامت على طول الحدود الشرقية والغربية أسلاكها كهربائية ملغمة، كما قامت بحملاتها الدبلوماسية بتشويه صورة الثورة والثوار الجزائريين عبر كافة مناطق العالم. فكان لزاما على وفد جبهة التحرير الوطني المشارك في المؤتمر أن يسعى إلى كسب تأييد حكومات وشعوب هذه البلدان، لأن فرنسا بدورها تحظى بدعم دول وحكومات عديدة. وبعد هذا التقرير الحافل بالحقائق التاريخية للشعب الجزائري، تمكن المؤتمر من الإلمام بجميع جوانب القضية الجزائرية التي أصبحت تشغلهم على مدار سبعة أيام متتالية، حتى تمكنوا من إصدار قرار جماعي يمثل موقفهم إتجاه هذه المسألة

(1): عمر بوضربة، دور مكاتب جبهة التحرير الوطني...، مرجع سابق، ص 30

كان القرار الصادر باتجاه القضية الوطنية آنذاك مبني على موقف مشترك من شعوب إفريقيا وآسيا التي تبنت كفاح الجزائر، بل إعتبرت بأن الحرب الدائرة بالجزائر، لم تعد صراعا بين طرفين فرنسا والجزائر، بل بين الاستعمار وجميع المناهضين له. فكان بذلك قرارا داعما للثورة التحريرية بشكل كبير في نضالها السياسي والعسكري. إذ يتجلى من خلال ذلك أن الشعب الجزائري لم يعد وحده في الميدان.

- تكمن أهمية مؤتمر الشعوب الأفروآسيوية في كونه عبارة عن منبر دولي تتجلى فيه مظاهر تضامن هذه الشعوب مع كفاح الشعب الجزائري، وإعترافها بجمبهة التحرير الوطني نظرا لمشاركتها جنبا إلى جنب مع هذه الوفود في المؤتمر، كما تكمن أهميته أيضا في القرارات الصادرة التي خلقت نوعا من الثقة لدى جبهة التحرير الوطني وقناعة بعدالة وشرعية كفاحها من منظور الشعوب الأفروآسيوية.

مؤتمر أكرا بغانا (12-15 أبريل 1958):

في بداية سنة 1958، تعززت مكانة جبهة التحرير الوطني بموقف إفريقي جديد، بعد تلقيها دعوة للمشاركة في مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة بغانا (1) حيث كانت القضية الجزائرية من أهم القضايا التي أدرجت لدراستها خلال هذا المؤتمر. والمثير للإهتمام في هذا المحفل السياسي أنه تم تناول المسألة الجزائرية من منظور أنها مشكل إفريقي وليس جزائري فحسب، أي أن الدول الإفريقية قدمت دعمها المطلق للثورة الجزائرية وإعتبروها ثورتهم. كما أوضح المؤتمر من ناحية أخرى الطريقة الأنسب لحل هذه القضية، فيعتمد ذلك في نظرهم على أساس الإعراف الفرنسي بحق تقرير المصير للجزائريين، والدخول بعدها في مفاوضات فورية مع جبهة التحرير الوطني بهدف الوصول إلى تسوية نهائية.

(1): أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 142.

تكمن أهمية هذا المؤتمر الملقب ببياندونغ الإفريقي، في أن الدول الإفريقية إحتضنت الثورة الجزائرية وتعهدت بتقديم كافة المساعدات الممكنة ماديا ودبلوماسيا. إذ يعتبر هذا التأييد مكسبا دبلوماسيا آخر لصالح ثورة الفاتح نوفمبر 1954.

مؤتمر طنجة بالمغرب (27-30 أبريل 1958):

سارت جبهة التحرير الوطني على نفس نهج الحركة الوطنية فيما يخص التضامن مع المغرب وتونس، فبعد إندلاع الثورة في نوفمبر 1954 استمرت الإتصالات واللقاءات مع ممثلي جبهة التحرير الوطني ومناضلي حزب الاستقلال المغربي والحزب الدستوري التونسي. إذ كانت مسألة الوحدة المغاربية من إنشغالات جبهة التحرير الوطني والتي لم تتسنى الظروف لتجسيدها بسبب الضغوط الفرنسية التي عرقلت اللقاء المزمع عقده بين الجبهة والحكومتين المغربية والتونسية (إختطاف طائرة الزعماء الخمسة). لكن العراقيين الفرنسية لم تلغي الرغبة الجزائرية في تجسيد الفكرة تأكيدا على ماجاء في بيان أول نوفمبر 1954 الذي دعى إلى استقلال الجزائر في إطار الشمال الإفريقي⁽¹⁾. كما كرس هذا المبدأ مؤتمر الصومام الذي دعى بدوره إلى ضرورة إقامة علاقات مع دول المغرب العربي والأحزاب المغاربية بنفس الوقت.

إنعقد هذا المؤتمر بناء على دعوة من حزب الاستقلال المغربي، ووجهت دعوة إلى جبهة التحرير الوطني بعد أن تبنى الدعوة الحزب الدستوري التونسي. فقد تصدرت القضية الجزائرية جدول أعمال المؤتمر، حيث عبرت جميع الوفود عن رغبتها العميقة في مساندتها خاصة بعد التقرير الذي قدمته الجبهة حول الظروف العسيرة التي تكتنف المجاهدين الجزائريين قرب الحدود المغربية جراء تمركز القوات الفرنسية بالمنطقة، ماصعب من نشاطهم دون أن يستطيع الجزائريين مقاتلتهم بالأراضي المغربية إحتراما للسيادة المغربية. كما وضع الوفد الجزائري

(1): إن حادثة القرصنة الجوية أثرت في المسار الدبلوماسي للثورة الجزائرية من خلال اندماج القضية الوطنية في القضايا المغاربية ودخول الشمال الإفريقي في ميدان الكفاح الجزائري شعبيا و رسميا. للمزيد أنظر: عبدالله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة، مرجع سابق، ص- ص 88- 89

إمكانية تشكيل حكومة جزائرية عوض لجنة التنسيق والتنفيذ، وبعد نقاش طويل بين أعضاء الوفود الثلاثة خرج المؤتمر بقرارات في غاية الأهمية وهي:

- إقرار مبدأ مساعدة مالية للجزائر في حربها.

- قرار حول حرب الجزائر، تم التأكيد فيه على على حق الشعب الجزائري الثابت في الحرية والاستقلال، بوصفه الشريط الوحيد لفض النزاع الفرنسي الجزائري، وهكذا إعترف المؤتمر بصيغة جديدة للشروط السابق على المفاوضة وهو ماكانت تصر عليه الجبهة.

- قرار حول الإعانة التي تتلقاها فرنسا من بعض الدول الغربية لمجابهة حرب الجزائر، حيث وجه نداء هذه الدول للإمتناع عن تقديم دعمها للاستعمار ، كما عبروا عن إستيائهم الشديد من ذلك. وهذا مايدل على شعبية وقوة الثورة الجزائرية وقدرتها على حشد الجماهير والحكومات لصالحها.

- قرار حول تصفية الاستعمار في المغرب العربي، نظرا لكون القضية الجزائرية تعكس مدى إرتباط هذه الظاهرة بكل المنطقة. في هذا الإطار طلب المؤتمرون بالحاح أن تكف القوات الفرنسية عن استعمال التراب المغربي والتونسي كقاعدة للعدوان ضد الشعب الجزائري.

تضمن أهمية هذا المؤتمر في كون القضية الجزائرية حققت شعبية واسعة دبلوماسية على مستوى دول المغرب العربي ، ما أدى إلى تقوية الروابط بين بلدانها .لكن نتائج المؤتمر لم تجسد فعليا نظرا للتطورات التي حدثت في المنطقة بعد وصول "ديغول" إلى الحكم على إثر إنقلاب 13ماي1958، غير أن ذلك لم يمنع جبهة التحرير الوطني من إعتبار المؤتمر نصرا دبلوماسيا جديدا يضاف إلى سلسلة الإنتصارات الدبلوماسية التي حققتها قبل ذلك .

مؤتمر تونس 20/17 جوان 1958:

تزامن إنعقاد هذا المؤتمر مع تولي ديغول الحكم عقب أحداث 13 ماي 1958⁽¹⁾، وظهوره على الساحة السياسية الفرنسية، حيث تطرق المؤتمر إلى ضرورة تنفيذ توصيات مؤتمر طنجة، ونوقشت خلاله موضوعات عديدة كان أهمها ضرورة دعم ومساندة كفاح الشعب الجزائري. حيث أجمع ممثلي الأقطار الثلاثة على تمسكهم بمبدأ حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

كان هذا المؤتمر منبرا تم التطرق فيه إلى عدة موضوعات أهمها التعاون السياسي والدبلوماسي بين أطراف المغرب العربي الثلاثة ومسألة تشكيل حكومة جزائرية، إضافة إلى تشكيل سكرتارية دائمة تتكون من ستة أعضاء وهي: عن الجزائر أحمد بومنجل وأحمد فرانسيس، عن المغرب الدكتور بناني ومحمد الفاسي، وعن تونس عبد المجيد شاكر وأحمد تليلي.

- في الأخير لقد أثبتت جبهة التحرير الوطني أنها قادرة على تجسيد ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954، من خلال نجاحها في إيصال القضية الوطنية إلى المحافل الدولية على المستوى الإقليمي والدولي. إذ يدل ذلك على قوة إيديولوجية المثقف الثوري التي رافقت الثورة منذ إندلاعها، والقائمة على الإنفتاح نحو جميع القوى الدولية، لإثراء الثورة ماديا ومعنويا، ومن جهة أخرى ممارسة نوع من الضغط على القوى الاستعمارية وإجبارها على الإعراف بمشروعية وعدالة قضية الشعب الجزائري. وهذا ما تحقق فعلا في آخر مراحل النضال الثوري، إذ دأع صيت القضية الوطنية إلى جانب إنتصاراتها السياسية والعسكرية، ما جعل فرنسا تقتنع تدريجيا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وكانت أول الملامح الدالة على ذلك هي قبولها الجلوس إلى طاولة الحوار والتفاوض مع جبهة التحرير الوطني تجمع كل المثقفين الجزائريين منذ 1954.

(1): أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 152.

ثانياً: دور المثقف الجزائري في آخر مراحل النضال الثوري

1- تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة:

لقد لعب المثقف الجزائري الثوري دوراً هاماً من خلال تبنيه لفكرة الكفاح المسلح وتجسيدها على أرض الواقع منذ الفاتح نوفمبر 1954، فكان لزاماً عليه مواصلة هذا المسار الهادف إلى التغيير الجذري للأوضاع السائدة. فوجد هذا المثقف نفسه أمام مرحلة حاسمة حافلة بالأحداث والتطورات السياسية والعسكرية تستوجب مجهودات أكبر للدخول في مفاوضات سياسية مع الطرف الاستعماري بشكل مستقل، كما أن المرحلة كانت بداية ظهور الأعياب الساسة الفرنسيين ومناورات ديغول المتعددة. فكان بذلك من الواجب وفق لجنة التنسيق والتنفيذ الإعلان عن تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة تنفيذاً لقرارات المجلس الوطني للثورة في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة (22-28) أوت 1957، كما أكد على ذلك مؤتمر طنجة. فقد أثبت المثقف الجزائري من خلال هذا التأسيس ومن جديد رباطة جأشه ووعيه بحجم المسؤولية الملقاة على أكتافه. فعلا قد أثبت المثقفون الجزائريون أنهم كانوا في مستوى مجاهدي جيش التحرير الوطني ومناضلي جبهة التحرير الوطني، وعرّفوا كيف يعبروا بصدق عن إرادة الثورة التحريرية والحكومة الجزائرية المؤقتة حين جمعوا بين الصرامة والواقعية، وبين التفاوض والثورة. فإن نضالهم في الثورة هو من جعل تأسيس الحكومة المؤقتة ضرورة حتمية في تلك المرحلة⁽¹⁾، وليس كما يدعي البعض بأن الثورة أنشأت الحكومة المؤقتة كي تقوم بالثورة.

برزت أول فكرة عن الحكومة المؤقتة في المذكرة التي قدمتها جبهة التحرير الوطني لمؤتمر يوغسلافيا⁽²⁾، التي كان من مطالبها إنشاء حكومة جزائرية للمفاوضة حول شروط السلام بين الجزائر وفرنسا. حيث كان الهدف من إنشائها تدعيم الثورة من جهة، ومن جهة أخرى إعداد

(1): المجاهد، عدد 34، 1958/12/24، ص 4.
(2): نبيل بلاسي، دور الإتجاه العربي الإسلامي في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص

المفاوض الجزائري الذي سيفاوض من أجل استقلال بلاده. فعملت بذلك جبهة التحرير الوطني على استغلال الكفاءات السياسية التي انضمت إليها وزاوت نشاطها السياسي قبل الثورة التحريرية. كما تذكر بعض المراجع أن فكرة تأسيس الحكومة المؤقتة تعود إلى عام 1955 إذ بدأت تتبلور بعد اختطاف الزعماء الخمسة في 22 أكتوبر 1956⁽¹⁾، وذلك بهدف الرد على العدوان الفرنسي الذي استهدف الثورة التحريرية بإعتقال زعمائها. ومن جهة أخرى تذكر بعض المراجع بأن فكرة تأسيس الحكومة المؤقتة تعود إلى سنة 1956 إذ إعتبر مؤتمر الصومام من جهته أن تشكيلها يندرج ضمن المهام الدبلوماسية لجبهة التحرير الوطني .

وفي عام 1957 طرحت الفكرة للنقاش جديا، فوافق المجلس الوطني للثورة في 27 أوت 1957 على تفويض لجنة التنسيق والتنفيذ بمهمة تشكيل حكومة مؤقتة عندما تكون الظروف ملائمة. كما يعتبر مؤتمر طنجة الذي انعقد في 27 أبريل 1958 الذي اجتمعت فيه الأطراف المغربية، من المحافل السياسية الأولى التي دعت إلى إنشاء حكومة جزائرية بعد التشاور مع حكومتي المغرب وتونس، حيث دارت نقاشات واسعة بين أعضاء لجنة التنسيق وقدمت بذلك تقارير مشجعة على هذه المبادرة، منها تقرير كريم بلقاسم في 5 ماي 1958 والذي يحث على إنشاء الحكومة المؤقتة في هذا الوقت بالتحديد، نظرا لكون تلك المرحلة جد مناسبة للرفع من عزيمة ومعنويات الشعب الجزائري وجيش التحرير أيضا. لاسيما وأن الشعب الجزائري بدأ يكتسب آنذاك بعض الوعي والنضج السياسي⁽²⁾، فأصبحت هذه الحكومة نفسها تستمد قوتها وصلابتها من رأي الشعب و إهتماماته، فإكتسب بذلك وضوحا في الرؤية وعمقا في الإيديولوجية.

(1): عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة، المرجع السابق، ص 115
(2): للمزيد أنظر مصطفى لشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق، ص - ص 380- 381

كان النقاش حول الحكومة من جهة أخرى محتدماً بين بعض الأعضاء منهم بن طوبال وبوصوف الذين عارضوا رئاسة كريم بلقاسم للحكومة ، كما إعترض الزعماء المعتقلون ترشيح لمين دباغين لهذا المنصب ، لكن تم الإتفاق بعدها على اختيار فرحات عباس رئيساً للحكومة الجزائرية المؤقتة.

وبعدها تم في القاهرة في 19 سبتمبر 1958 الإعلان عن تأسيس أول حكومة مؤقتة للجمهورية

الجزائرية⁽¹⁾. ونظراً لقوة هذا التنظيم الجديد فقد قام العديد من المجندين الجزائريين بعد الإعلان عن تشكيل الحكومة المؤقتة بالإنضمام إلى صفوفها، وفي هذا الصدد يقول عمر أوصديق: "وعندما سألناهم عن الدافع الذي بعثهم للإنضمام إلينا عرفنا أنهم كانوا قبل إعلان الحكومة المؤقتة يشعرون أنهم على هامش الشعب ويحسون بمأساة داخل ضمائرهم . أما بعد إعلان الحكومة فقد أصبحوا يشعرون أنهم متمردون على السلطة النظامية"⁽²⁾.

- ومن خلال التأمل في تشكيلة الحكومة المؤقتة الأولى نلاحظ أنه تم تحويل كل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ إلى وزراء في هذه الحكومة ،بالإضافة إلى عناصر أخرى جديدة مثل بن يوسف بن خدة ،محمد يزيد، أحمد توفيق المدني، وأحمد فرنسيس وتم تشريف الزعماء الخمسة المعتقلين كوزراء دولة.

كانت القيادة الثورية ومنذ تأسيس الحكومة المؤقتة تفكر في كسب أكبر عدد ممكن من الدول المعترفة بها، إذ اعتبرت هذا الأمر من أساسياتها ، وتأكدت من وجود عدد لا بأس به من الدول العربية للإعتراف بها بمجرد الإعلان عن تشكيلها. حيث شرع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ في الإتصال بحكومات الدول الصديقة للحصول على تأييدها وإعترافها ، فقام السيد عبد الحميد مهري بالإتصال بفتحي الذيب رجل الاستخبارات المقرب من الرئيس جمال عبد الناصر ، كما قام العقيد

(1): أنظر الملحق، ص 370

(2): محمد لحسن أزغيدي، مؤتمر الصومام، مرجع سابق ص 191

بوصوف رفقة لمين دباغين بزيارة المملكة المغربية لإعلام الملك محمد الخامس بالقرار الحاسم ،
في حين زار كريم بلقاسم ومحمود شريف تونس وأطلعها رئيسها لحبيب بورقيبة على قرار التأسيس.

إن هذه الدلائل تشير في مجملها بأن المثقف الجزائري كان مقتنعا بهذا القرار السياسي ، حيث لم
يخضع فيه لأي ضغوط خارجية بل كان مستمدا من إيديولوجيته الخاصة وإقتناعه الكامل بأن
المرحلة جد مهمة تستدعي وجود هيئة سياسية تمثل الجزائري على طاولة الحوار مع السلطة
الفرنسية. وقد أثار هذا القرار من جهة أخرى حكومتي تونس والمغرب اللذان رغبتا في استشارة
من نوع خاص وكان تأسيس الحكومة بالنسبة لهما حدثا مفاجيء . وفي هذا الصدد يرجع فتحي
الذيب قرار تأسيس الحكومة الجزائرية إلى مواقف حكومتي تونس والمغرب المضرة بالقضية
الوطنية والتلاعب بها(1) ، غير أن هذا الكلام ينفي تماما من طرف العربي الزبيري الذي يؤكد
بدوره على أن تأسيس هذه الحكومة مستمد من المجلس الوطني للثورة وقرارات مؤتمر طنجة(2) .
إتخذت الحكومة المؤقتة بعد تأسيسها من تونس مقرا لها ، وفرحات عباس رئيسا. حيث قال حول
توليه هذا المنصب أنه جاء نتيجة إنعدام الثقة بين أفراد الثلاثي: كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوصوف،
الأخضر بن طوبال الذين سيطروا على لجنة التنسيق والتنفيذ، كما أتهموا بقضية إغتيال عبان
رمضان أبرز قادة الثورة الذين سيطروا على مؤتمر الصومام (3). تولى كريم بلقاسم منصب نائب
الرئيس و وزير الدفاع، بينما تولى بن طوبال وبوصوف منصب وزيرا التسليح والداخلية.

نلاحظ من خلال هذا الصراع داخل الثورة بأن الإتجاه العربي الإسلامي كان هو المسيطر على
الأمر آنذاك، من خلال سعيه إلى حجب العناصر التي كانت تخالفه ، والدليل على ذلك تصفية
عبان رمضان الذي كان متأثرا بالجدل الماركسي ونظريات ماوتسي تونغ الإشتراكية ، فيبدو أن

(1): فتحي الذيب ، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المسقبل العربي، القاهرة، الطبعة 1990، 2، ص 387

(2): العربي الزبيري، قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر، ص 127

(3): نبيل بلاسي، المرجع السابق، ص 200

عبان كان يستند على الأغلبية عند محاولاته فرض أفكاره الماركسية في المؤتمر⁽¹⁾، فتخوف الثلاثي من تحول الثورة إلى منعطف شيوعي تكون له انعكاسات حتى بعد الاستقلال. فلم يجدوا حلاً آخر غير القيام بتصفيته. لكن الصراع ظهر من جديد بين كريم بلقاسم وبوصوف و بن طوبال، حيث تحالف الأخيران ضد بلقاسم. وقد استفاد بعض المعتدلين من هذا الصراع وعلى رأسهم فرحات عباس الذي تقلد السلطة، فقد رأت فيه الثورة ملاذاً يقيها الولوج في مثل هذه النزاعات التي قد تقضي عليها.

أوضحت الحكومة المؤقتة منذ تأسيسها بأن مقرها النهائي سوف يكون بالجزائر، وإلى أن يكون ذلك ممكناً يقيم الوزراء في عواصم الحكومات الصديقة. وقد أعطى تشكيل هذه الحكومة الجديدة دفعا قويا لمعنويات الثوار، فقد حققوا شرعيتهم على المستوى الدولي مع إقرار الدول العربية ودول المعسكر الشيوعي، وتجاهل حكومة باريس لهذا الكيان السياسي الجديد.

سياسة وبرنامج الحكومة المؤقتة:

تمكن المثقف الجزائري في ظل الكيان السياسي الجديد من تحديد الأساس الذي يقوم عليه عمل هذه الحكومة من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافها المرجوة، نجلها في النقاط التالية:

1- الوفاء للماضي: رغم احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 ومحوهم الدول الجزائرية، فإن هذه

الدولة بقيت ذكرى استطاع الثوار بعثها من خلال الحكومة الجديدة.

2- تعهد الحكومة أمام الشعب الجزائري بتحقيق الحرية والعدالة والتحرر الاجتماعي

3- وضعها أسس المفاوضات مع فرنسا التي تتلخص في حق الشعب الجزائري في تقرير المصير

والاستقلال.

(1): نيبيل بلاسي، المرجع نفسه

4- الإيمان بالوحدة المغربية الفيدرالية، وبعروبة الجزائر ، بدليل إشارتها إلى أن الجزائر جزء لا يتجزء من العالم العربي ،وبأن معركة التحرير مطلب يخلو من التعصب الديني الذي كانت تشير إليه فرنسا دائما ،وربما كانت الحكومة المؤقتة تحاول نفي ذلك حتى تكسب تعاطف الراي العام الدولي معها.

5- تحديد سياستها فيما يتعلق بتسوية القضية الجزائرية مع فرنسا والأقلية الأروبية وذلك بتعهد الحكومة الجزائرية الجديدة بمنحهم حق المواطنة ،وكل الضمانات الاساسية لمصالحهم المشروعة إذا رغبوا فيها، أما إذا رغبوا في أن يبقوا فرنسيين فسيكون نظامهم نفس نظام الأجانب المعمول به في جميع أقطار العالم المتحضر.

أما عن العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد الاستقلال ،فقد أوضحت الحكومة الجديدة بأن سائر علاقاتها الخارجية سوف تقوم على أساس المساواة وذلك من أجل قطع أي محاولة للتسلط العسكري أو السياسي أو الإقتصادي. كما أعلنت الحكومة على إحترامها لمواثيق الأمم المتحدة ،وحقوق الإنسان، والإتفاقيات الخاصة بأسرى الحرب. إذ يدل ذلك على جعل هذه المواثيق هي القاعدة الأساسية للحكومة المؤقتة على المستوى الدولي.

إذن فإن الإعلان عن قيام الحكومة المؤقتة في 19سبتمبر 1958 قد حقق الشرعية الدولية للثورة التحريرية من خلال الإعترافات الدولية بها. ومن ناحية أخرى وبإعلان الحكومة عن سياستها تكون قد مهدت الطريق لإعداد المفاوضات الجزائري الرسمي الذي سوف يتفاوض مع السلطة الفرنسية حول استقلال الجزائر الشامل. وهذا هو الهدف الأول والأساسي لها، إذ يؤكد على ذلك أحمد توفيق المدني في قوله: "المقصود منها إقناع الرأي العام العالمي بأن المفاوضات الجزائري موجود ،وهو يظهر رغبته في الإتصال ضمن مفاوضات رسمية بالحكومة الفرنسية على مقتضى الشروط التي أعلنتها الثورة... والمهمة الأساسية للحكومة المؤقتة هو تحقيق الاستقلال وتمكين

الجزائر من إبداء صوتها في وسط عالمي ،والتهيئة لهذا العمل "(1) كما يتضح هدفها أيضا من الرسالة التي وجهتها إلى الرئيس جمال عبد الناصر: "إن تشكيل هذه الحكومة في هذا الوقت بالذات ،إنما هو رد عملي علني على ذلك التحدي الصارخ الذي لفت به الحكومة الاستعمارية الفرنسية على وجه الشعب الجزائري المجاهد، عندما أعلنت عن سياسة الإندماج التام ، وأخذت توافي تنفيذها بواسطة إرغام الشعب على المشاركة في الاستفتاء الذي تقوم به فرنسا يوم 28 سبتمبر الحالي حول الدستور الفرنسي الجديد... وتضع حدا فاصلا لما تدعيه الحكومة الفرنسية في مناسبات عدة من أنها لاتجد أمامه ممثلا صحيحا تفاوضه رسميا لمحاولة إيجاد حل للقضية الجزائرية"(2) .

- تشكيلات الحكومة الجزائرية المؤقتة:(3)

كان أعضاء الحكومة المؤقتة بالنسبة للتشكيلات الثلاثة(4) هم أنفسهم أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي انبثقت عن جبهة التحرير الوطني، فكان البعض منهم نموذجا حيا عن المثقف الجزائري الثوري الذي رفض الخضوع لسياسة المستعمر وتبنى موقفا رافضا لها، بل شارك في تغيير الوضع القائم من خلال المشاركة الفعلية في تفجير الثورة، واستمرت محاولاته في التغيير إلى غاية هذه المرحلة الحساسة أين كانت الجزائر بحاجة إلى ممثل شرعي للثورة الجزائرية والشعب الجزائري المكافح، يكون قادرا على الجلوس إلى طاولة الحوار والتفاوض مع فرنسا حول الاستقلال والسيادة الوطنية الكاملة. والبعض الآخر لم يشارك في تفجير الثورة ولم يلتحق بها أثناء إنطلاقتها، لكنه بعدها اقتنع بحتمية العمل الثوري في مواجهة الاستعمار الفرنسي، فقام هذا المثقف بالتخلي عن إيديولوجياته السابقة وتبنى إيديولوجية الثورة التحريرية، أما البعض منهم فكانوا من

(1): محمد لحسن أزغدي، مؤتمر الصومام ،مرجع سابق، ص 190

(2): نفس المرجع، ص 191

(3): حول أعضاء الحكومة المؤقتة أنظر مجلة الذاكرة ص (ملحق ص) 233

(4): كانت هناك ثلاث تشكيلات للحكومة المؤقتة الجزائرية عبر مراحلها الثلاث: التشكيلة الأولى (1960/1958) ، التشكيلة الثانية (1961/1960)، ثم التشكيلة الثالثة (1962/1961). حيث كان لها نفس الأهداف وحتى تشابهت القيادات بينها بشكل كبير. أنظر: مجلة المصادر، العدد 3، 1995، 1415 هـ، ملف خاص بالحكومة المؤقتة، ص 233.

حاملِي الشهادات الجامعية خريجي المعاهد والجامعات والثانويات، الذين بدورهم شكلوا نموذجا جديدا للمثقف الجزائري، خاصة وأنه التحق بالثورة وهي في أمس الحاجة إلى هذه الإطارات المتعلمة. وسوف نحاول هنا أن نستعرض بإيجاز أعضاء هذه النخبة المثقفة:

- فرحات عباس: (1)

يقول حوله بعض الكتاب "إن فرحات عباس هو صاحب فكرة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية التي جاءت في بيان أول نوفمبر 1954 مع إضافة في إطار المبادئ الإسلامية" (2). كان في بداية حياته السياسية يدعو إلى إدماج الشعب الجزائري بفرنسا، وذلك بدافع ثقافته الغربية وإعتقاده بأن الدائرة الكولونيالية قادرة على الإرتقاء بمستوى الجزائريين إلى مستوى الإنسان الأروبي. لكن فرحات عباس استطاع بفعل تجاربه وخبرته السياسية من إجتياز المراحل الصعبة وتطوير نظريته وإثراء رصيده الإيديولوجي، فتوصل بقناعته الخاصة إلى التخلي عن كل القناعات اللاوطنية مما جعله يتحول بشكل تدريجي من مثقف فرونكفوني إلى مثقف ثوري بالمعنى الدقيق للكلمة.

حصل فرحات عباس على شهادة البكالوريا سنة 1920 من مدرسة فرنسية وأنتخب سنة 1932 رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين، وناضل إلى جانب زعماء وطنيين ضمن جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (3). وفي شهر نوفمبر 1933 أصبح إلى جانب ابن جلول أحد دعاة الإندماج في المجتمع الفرنسي، لكنه تخلى عن الفكرة بعد مشاركته في صياغة بيان الشعب الجزائري في 1943/03/31. ساهم في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية في مارس 1944، وأعتقل على إثر مجازر ماي 1945 وبعد خروجه من السجن أسس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. إنضم

(1) : Rédha Malek, l'algerie à évian, histoire des négociations secrètes , édition ANEP ,algerie, p-p 285-286

(2): العربي الزبيري، قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر، ص 133 .
(3): جريدة المجاهد، العدد 34، 1958/12/24، ص 4

رسميا إلى جبهة التحرير الوطني بعد أن أعلن عن حل حزبه في 11 أبريل 1956. عين عضوا بالمجلس الوطني للثورة خلال مؤتمر وادي الصومام ، ثم عضو لجنة التنسيق والتنفيذ سنة 1957 ورئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية (1958/1961).

- كريم بلقاسم: (1)

كان أحد القيادة السداسية التي أشعلت فتيل الثورة، وأحد القادة الأساسيين الذين ساهموا في تنظيم مؤتمر الصومام وإنجاحه. شارك بوضوح في القضاء على الأزمة البربرية 1949. إلتحق كريم بلقاسم بصوف حزب الشعب الجزائري منذ شبابه، لكنه قبل ذلك ظهر في حركة احباب البيان والحرية سنة 1943 (2)، وقف مع مصالي الحاج بعد استفحال الأزمة حول قيادة الحزب لكنه تخلى عنه بعدها، وفضل الإتفاق مع المناضلين الخمسة الذين إختارهم لجنة 22 لقيادة الثورة. ويعتبر من القادة الاساسيين الذي حضروا للثورة سرا. كان أحد أعضاء المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة عين نائبا لرئيسها و وزيرا للدفاع. قاد مفاوضات إيفيان التي أدت إلى وقف القتال يوم 19 مارس 1962.

- عبد الحفيظ بوصوف:

ولد بوصوف سنة 1926 بمدينة ميله، تضاربت لأراء حول مستواه الدراسي، لكنه من المؤكد أن نال تعليما لأبس به. كان له نشاطا واسعا قبل انخراطه في صفوف الثورة. فقد بدأ النضال مبكرا في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1942 اين أصبح يتكون ساسيا ونضاليا وعمره لا يتجاوز 18 سنة (3) ، وقد قام بتأسيس خلايا للحزب بمدينة ميله تضم العديد من المناضلي أمثال بن طوبال.

(1) : Rédhha Malek, l'algerie à évia, opcit, p293

(2): جريدة المجاهد، المصدر نفسه.

(3): لعزازي حسان، العقيد عبد الحميد بوصوف وإسهاماته في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1962/1943، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د أحد مريوش، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، 2010/2009، ص 27.

ثم أصبح إطارا هاما ممن أسسوا وطوروا المنظمة الخاصة. أثناء الإنشقاق الذي أصاب حركة الإنتصار وانقسام المناضلين إختار بوصوف الخيار الثوري ليصبح من أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA⁽¹⁾). كما عين في 1957 عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ. وتولى مسؤولية تسليح الثورة وتنظيم المخابرات التي بلغت في عهده أعلى مستوياتها.

- محمود الشريف:

من مواليد مدينة تبسة. تلقى تعليمه الابتدائي في المداؤس الفرنسية، ثم التحق بالمدرسة العسكرية للضباط، وشارك في الحرب العالمية الثانية كان ضابطا في الجيش الفرنسي. وعلى إثر مجازر 8ماي 1945 ضد الجزائريين، قدم استقالته إحتجاجا على على همجية الجيش الاستعماري، وفي السنة الموالية انضم إلى الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري(2) وأصبح بشكل سريع أحد المقربين لفرحات عباس. انضم إلى جيش التحرير في أواخر عام 1955 كجندي بسيط، ثم مكنته خبرته العسكرية من الإرتقاء في ظرف وجيز، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ سنة 1957، وكان وزيرا للتسليح والتموين في أول حكومة جزائرية مؤقتة.

- لخضر بن طوبال:

من مواليد مدينة ميله، تشير العديد من الكتابات التاريخية إلى أن ابن طوبال من القادة القلائل الذين استطاعوا الإستيلاء على مدن بأكملها، والذين كانت عملياتهم العسكرية تلحق خسائر فادحة بقوات جيش الاستعمار(3). برز بشكل كبير في الميدان السياسي والعسكري.

إنخرط ابن طوبال مبكرا في صفوف حزب الشعب وتدرج في صفوف المنظمة الخاصة، شارك في إجتماع لجنة 22، نائب مراد ديدوش وزيفود يوسف في قيادة الولاية الثانية. عضو المجلس

(1): نفس المرجع، ص 28.

(2): المجاهد، عدد 34، 1958/12/24، ص 4

(3): العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 138

الوطني للثورة منذ تأسيسه، وعضو لجنة التنسيق والتنفيذ منذ أوت 1957. وقد اشتهر بالدعوة إلى الإنضباط والعنف الثوري والتأثر بالتقنيات الفيتنامية في حرب العصابات. وكان أحد الباءات الثلاث الذين شكلوا مرجعية للثورة خاصة فترة ما بين (1962/1958).

- محمد لمين دباغين:

من مواليد الجزائر العاصمة، زاول تعليمه إلى أن تخرج دكتور في الطب من جامعة الجزائر، كان نموذج المسؤول والمثقف الثوري⁽¹⁾، استطاع في أصعب الظروف تنشيط قواعد حزب الشعب الجزائري وتدعيم صفوفه بأعداد كبيرة من الطلبة وتلاميذ الثانويات . كان دباغين من المسؤولين المثقفين الثوريين البارزين الذين قاموا بدور أساسي في تطوير الحركة المصالية. كما كان من الشخصيات الاستشارية خلال الثورة. عين وزيرا للخارجية في أول حكومة جزائرية مؤقتة، استطاع بفعل ثقافته البالغة أن يؤثر تأثيرا بالغا في المناضلين الشباب الذين إتفوا حوله بكل ثقة من أجل الإعداد للعنف الثوري.

دخل في صراع إيديولوجي مع مصالي الحاج، ورفض بعدها مسؤولية جبهة التحرير الوطني عندما عرضت عليه بحجة أنه لم يكن هو صاحب الفكرة. عينه مؤتمر وادي الصومام رئيسا لمندوبية الثورة في الخارج.

- عبد الحميد مهري:

من مواليد قرية واد الزناتي بعمالة قسنطينة . درس بجامع الزيتونة⁽²⁾، كان من الشباب المسؤول في حزب الشعب الجزائري، ثم من المسؤولين السريين في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. أسندت إليه مبكرا مهمة الإشراف على فرع حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية في تونس الذي كان يضم أعداد كبيرة من الطلبة الجزائريين. كان متشعبا بإيديولوجية الحركة الوطنية، خاصة وأنه

(1): المجاهد، نفس المصدر.

(2): المجاهد، نفس المصدر

إلتحق مبكرا جدا بحزب الشعب منذ أن كان تلميذا بالكثانية. إلتحق بالثورة إطلاق سراحه من السجن في جويلية 1955. عين عضوا في وفد جبهة التحرير بالخارج، وقم بخدمة هامة للقضية الوطنية في المشرق العربي خاصة في العاصمة دمشق.، أنتخب عضوا في المجلس الوطني للثورة في مؤتمر 1956 وعضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ بالقاهرة.

- محمد يزيد:

ولد في البليدة وأتم فيها دراسته الإبتدائية والثانوية ودراسته العليا في باريس ويمتلك شهادة ليسانس في الحقوق⁽¹⁾. بدأ النضال مبكرا في صفوف حزب الشعب الجزائري، أنتخب عضوا باللجنة المركزية لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. واصبح رئيسا لرابطة الحركة بعدها بفرنسا. مثل جبهة التحرير الوطني في الأمم المتحدة ما بين (1955/1958)، شغل منصب وزارة الأخبار في أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.

- بن يوسف بن خدة:

ولد بالبليدة وكان مناضلا في حزب الشعب بعد خروجه من السجن أدخل للجيش الفرنسي بالقوة، أهله مستواه العلمي وتكوينه السياسي إضافة إلى أقدميته في النضال إلى تقلد مناصب حساسة وهامة، سواء على مستوى حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، أو على مستوى أشغال مؤتمر الصومام ثم الحكومة المؤقتة. إلتحق بصفوف الثورة مبكرا منذ 1955 حيث عين عضوا في المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة.

(1): المجاهد، نفس المصدر.

- حسين آيت أحمد:

: ولد من عائلة كبيرة من منطقة القبائل عام 1926⁽¹⁾، إنضم عام 1942 إلى حزب الشعب، ونادى منذ عام 1946 بالجوء إلى الكفاح المسلح. عضو المكتب السياسي ما بين عامي (1947/1949)، ساهم في تشكيل المنظمة الخاصة، وأعد برنامج للإنتفاضة قدمه للجنة المركزية في ديسمبر 1948. نظم الهجوم على بريد وهران في أبريل 1949، أبعده من الهيئات القيادية بتهمة الميل للبربرية، وحل أحمد بن بلة محله على رأس المنظمة الخاصة. لجأ بعد الحكم عليه غيابيا إلى القاهرة عام 1951 حيث كان يمثل هناك حزب الشعب/ حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية إلى جانب محمد خيضر. بعد انشقاق الحزب، دافع عن فكرة الكفاح المسلح وأصبح أول ممثل لجبهة التحرير في نيويورك وعضوا في المجلس الوطني للثورة. تعرض إلى جانب رفاقه لحادثة القرصنة الجوية من طرف فرنسا في 22 أكتوبر 1956.

- رابح بيطاط:

درس تعليمه الابتدائي في مدينة قسنطينة، كان عاملا بسيطا عندما إلتحق بحزب الشعب الجزائري، حيث بدأ النضال مبكرا بين صفوفه، وكان أحد القادة الفاعلين في المنظمة الخاصة. عضو اللجنة الثورية للوحدة والعمل ن ثم لجنة 22. عضو المجلس الوطني للثورة منذ تاسيسه، وعضو لجنة التنسيق والتنفيذ منذ 1957، وزير دولة في الحكومة الجزائرية المؤقتة. تولى مسؤولية العمل السياسي بعمالة وهران ورغم ذلك كان شغله الشاغل هو الثورة⁽²⁾.

(1): محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص 189
(2): مريم سيد علي مبارك، أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 185

- محمد بوضياف:

كرس حياته للنضال، واشتهر بقدرته الفائقة في مجال التنظيم السري، يعد من أبرز دعاة العنف الثوري داخل صفوف حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية⁽¹⁾. عين من طرف لجنة 22 منسقا عاما للثورة. كما عين أيضا عضوا بالمجلس الوطني للثورة، ثم بلجنة التنسيق والتنفيذ، ثم وزيرا للدولة في أول حكومة جزائرية مؤقتة.

- محمد خيضر:

إنضم إلى نجم شمال إفريقيا سنة 1933، وأنتخب سنة 1946 نائبا بالمجلس الوطني الفرنسي ممثلا لحركة الإنتصار. كان أحد المشرفين على المنظمة الخاصة، عضو بالمجلس الوطني للثورة ثم لجنة التنسيق والتنفيذ منذ 1957. عين وزيرا للدولة في أول حكومة جزائرية مؤقتة وظل كذلك إلى غاية انعقاد مؤتمر طرابلس حيث إنضم إلى قيادة الأركان⁽²⁾.

- أحمد فرانسيس:

ولد في غليزان، وكان دكتورا في الطب، حيث تخرج من كلية باريس وباشر مهنته سنة 1942 في مدينة سطيف⁽³⁾، وفي نفس الوقت دخل المعترك السياسي. فقد ناضل في صفوف جمعية الطلبة المسلمين في شمال إفريقيا. ساهم في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944، وشارك في تأسيس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946. إنضم إلى جبهة التحرير الوطني رفقة فرحات عباس في أبريل 1956. عضو المجلس الوطني للثورة، وعين وزيرا للشؤون الاقتصادية بالحكومة المؤقتة الأولى.

(1): العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 145

(2): جريدة المجاهد، عدد 34، مصدر سابق

(3): نفس المصدر .

- أحمد توفيق المدني:

من مواليد تونس، زاول تعليمه بالمدارس الابتدائية التونسية وتخرج من جامع الزيتونة وبعد نفيه إلى الجزائر من طرف السلطات الاستعمارية بتونس، اشتغل بالتعليم وساهم في تأسيس الحركة الإصلاحية والإعداد لميلاد جمعية العلماء المسلمين⁽¹⁾. إلتحق بجبهة التحرير الوطني رسميا في أبريل 1956، وفي نفس السنة إلتحق بالوفد الخارجي للثورة بالقاهرة. عضو بالمجلس الوطني للثورة منذ مؤتمر الصومام، ثم وزير للشؤون الثقافية في أول حكومة جزائرية مؤقتة.

- مما سبق نلاحظ أن الأغلبية الساحقة من أعضاء الحكومة الجزائرية المؤقتة هم خريجي خلايا حزب الشعب الجزائري⁽²⁾، وهم ممن نهلوا من مبادئ وأفكار هذا الحزب الثورية، فرسموا صورة واضحة ومتكاملة عن المثقف الجزائري الثوري الذي يهدف إلى تغيير الوضع القائم ببلاده، فقد شاركوا في هذا التغيير بمختلف الطرق والوسائل. كما ينتمي بعض المثقفين من أعضاء الحكومة إلى حزب الإتحاد الديمقراطي الذي كان يرأسه فرحات عباس، لكنهم سرعان ما إلتحقوا بالثورة وتبنوا أفكارها ومبادئها إقتناعا منهم بالعنف الثوري المنظم لتحقيق الاستقلال الوطني. فإن القائد الثوري لا يؤيد الأشخاص، بل هو ملتزم بمشروع المجتمع الذي يعمل لتجسيده على أرض الواقع. كما نستخلص من ذلك بأن الثورة التحريرية ومنذ اندلاعها تحاول دائما الحفاظ على إيديولوجيتها الثورية الوطنية وأهدافها، وذلك من خلال منح المناصب الحساسة سواء السياسية أو العسكرية إلى النخب المثقفة.

لم يقتصر أعضاء الحكومة المؤقتة الجزائرية على القيادات السياسية لوحدها، ولا العسكرية لوحدها أيضا، بل كانت نسيجا من المثقفين الجزائريين الواعين بحجم قضيتهم الوطنية، رغم كون هؤلاء كانوا سابقا وإلى مراحل متقدمة من الثورة ذوي إيديولوجيات مختلفة ومتناقضة، لكنهم في الأخير

(1): المجاهد، نفس المصدر.

(2): للمزيد حول أعضاء الحكومات المؤقتة أنظر: Redha Malek, L'Algerie à Evian, op cit, p-p 285-

اقتنعوا بشرعية النضال الثوري لتحقيق الاستقلال الكامل. إذن بإمكاننا القول بأن إيديولوجية الثورة الجزائرية هي من تمكنت من جمع هؤلاء المثقفين ودمجهم تحت بوتقة إيديولوجية واحدة ، استمدت جذورها من الواقع الاليم الذي عاشه الشعب الجزائري وقياداته الثورية جراء القوانين الاستعمارية وسياسة الإضطهاد والاستغلال والنهب.

2- دور المثقف الجزائري في المفاوضات الجزائرية الفرنسية:

- إن مبدأ التفاوض ورد كخطوة أساسية جدا في مسيرة الكفاح الوطني، فقد أشار إليه بيان نوفمبر 1954 "فتح مفاوضات مع الممثلين المفاوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الإعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لاتتجزء" (1). هذا مايدل على الإستراتيجية الدقيقة التي يتبعها المثقف الثوري في تحقيق أهدافه الوطنية. فإن هذا الأخير وبعد نجاحه في تحقيق الكثير من الإنتصارات السياسية والعسكرية داخل الثورة، إلتفت بعدها إلى فتح باب الحوار والتفاوض مع المستعمر، نظرا لإيمانه العميق بأن العنف الثوري يستند إلى أسس دبلوماسية تتمثل في المفاوضات، وبالتالي فإن الثورة التحريرية في نظر مفجريها من الشباب الثوري هي عبارة عن وسيلة مزدوجة تعتمد أولا على العنف الثوري، ثم تلجأ إلى الحل الدبلوماسي في الوقت المناسب.

إن تأخر مرحلة المفاوضات الجزائرية الفرنسية لايعني أنها وسيلة إضافية أو حل إضطراري، بل إن معركة المفاوضات لاتقل خطورة عن الحرب المسلحة، فهي لها قواعدها وأهدافها واستراتيجيتها ويمكن لفرنسا استعمالها لضرب الوحدة الوطنية وتحطيم المعنويات وإضعاف المقاومة. فمن هنا كانت اليقظة والإنتباه هي سلاح المثقف الجزائري خلال مفاوضاته مع فرنسا، فإن كل مفاوضة تعد مساومة. وتم تبني عدة مبادئ جعل المثقف المساس بها أمرا ممنوعا ولاجدال فيه وهي: (2)

(1): أنظر ملحق البيان، ص 342

(2): بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير، مصدر سابق، ص 13

- الوحدة الترابية.

- وحدة الأمة الجزائرية.

- السيادة الجزائرية.

- جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري. إضافة إلى ذلك حدد المفاوضات الجزائرية مجموعة من الأسس التي من شأنها الحفاظ على مسار المفاوضات الحقيقي الهادف إلى افتكاك الحرية والاستقلال، كما سعى المثقف الجزائري من خلال تلك الاسس إلى تفادي النزاعات والصراع بين القادة الثوار وحفاظا على وحدة الصف والهدف، وتتمثل أساسا في: (1)

- المفاوضات تكون مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري.

- إيجاد جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المساجين السياسيين و رفع جميع التدابير الاستثنائية.

- الاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمي، ينسخ جميع القوانين التي صيرت الجزائر أرضا فرنسية .

من الملاحظ بأن المباديء المشار إليها هي نفس المباديء التي وردت في البيان الأساسي لثورة، ومن جهة أخرى يدل ذلك على مدى تمسك النخبة الثورية بمبادئها الثورية وإيديولوجيتها منذ إنطلاق الكفاح المسلح وهي كلها مباديء تعني الاستقلال الوطني الكامل وتسعى إلى تحقيقه . فإن الوحدة الترابية تعني رفض القيادات الثورية وحتى الجماهير الشعبية التنازل ولو عن شبر من أراضي الوطن، بمعنى أن الاجزائر هي وحدة لا تتجزء ولا مناورات حول ذلك. أما وحدة الأمة الجزائرية فيعني بها البيان أنه لامجال لوجود أقليات عرقية تكون سببا في حدوث فتن واضطرابات

(1): أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 205

وسط الطبقات الشعبية قد تؤدي إلى إفشال الثورة في تحقيق مسعاها. السيادة الجزائرية تدل على وحدة الهدف منذ اندلاع الثورة وإلى نهايتها وهو الاستقلال الوطني. أما مايتعلق بمبدأ جبهة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب، فلامنص أن جميع الطاقات الحية التي شاركت في الكفاح المسلح ستكون تحت زعامة هذه الهيئة السياسية التي تبنت الكفاح الثوري منذ بداياته وإلى غاية مرحلة المفاوضات، فلامجال إذن لاستبدالها أو إقحام عناصر جديدة فيها والتي سماها المستعمر بالجمعيات السياسية أو التيارات، سعياً إلى ضرب الثورة وزرع التفرقة بين صفوف المناضلين.

لقد إعتبر إذن المثقفون الجزائريون التنازل عن مبدأ من هذه المبادئ لايتمس قاعدة النضال فحسب، بل يؤدي إلى إثارة استنكار مآله الإنشقاق⁽¹⁾. فإن كل مايجب المحافظة عليه هو "الوحدة" هي حسب رأيهم القوة الوحيدة إزاء خصم قوي يجمع بين الإمكانيات العسكرية والوسائل النفسية والسياسية. لذلك فإن المجال غير مسموح لإرتكاب اي خطأ سواء من طرف الشعب أو الإطارات القيادية. خاصة بوجود احتمال خرق الإتفاق من جانب العدو ثم استئناف القتال أمر ينبغي إفتراضه والاستعداد له. وكانت لهم أسوة في ذلك بما حدث في الفيتنام أين خرقت فرنسا إتفاقيات هوشي منه في مارس 1946.

تعود الإتصالات الأولى بين جبهة التحرير الوطني والسلطة الفرنسية إلى أفريل 1956، تم اللقاء بين منديس فرانس وعبان رمضان وبين يوسف بن خدة في الجزائر العاصمة، ولقاء محمد خيضر في القاهرة مع قورس (GORCE) وبيقارا (BEGARRA) مبعوثي غي موليه (GUY MOLLET) رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك والأمين العام للحزب الإشتراكي الفرنسي. إضافة إلى لقاءات أخرى جرت بين امحمد يزيد وأحمد فرانسيس وبيار كومين (PIERRE COMIN) في 21 جويلية 1956 في بلغراد، ولقاء محمد خيضر وعبد الرحمن كيوان مع هيربو (HERBAUT) وكازيل

(1): حول إختلاف وجهات النظر حول الدولة الجزائرية بين موقف ديغول والحكومة المؤقتة، أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 22

(CAZELLES) في 2 و 3 سبتمبر 1956 في روما⁽¹⁾ . كانت هذه اللقاءات بالنسبة للحكومة الفرنسية

عبارة عن جس للنبض أو مناورات تهدف إلى مواصلة الحرب أو إجتيان مرحلة صعبة، حيث كانت المواقف خلالها جد متباعدة وحتى بين قادة جبهة التحرير الوطني. ففي القاهرة مثلا طالب محمد خيضر بتكوين مجلس تأسيسي ذا سيادة، بينما أكد عبان رمضان في الجزائر أنه لامفاوضات قبل الإعراف المسبق بالاستقلال، وتعود قرارات وقف إطلاق النار والمفاوضات إلى مؤتمر الصومام:

- سيادة الجزائر في كل المجالات بما في ذلك الدفاع الوطني والشؤون الخارجية.

- الإعراف بالأمة الجزائرية الموحدة وحدة لا تتجزأ.

- إطلاق سراح كل المعتقلين.

- جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري.

كما رفضت فكرة المائدة المستديرة، أي جمع كل التيارات حول مائدة المفاوضات، لكن هذه الأخيرة

لم تصبح حقيقة إلا مع شارل ديغول⁽²⁾ وبعد خطابه حول تقرير المصير الذي طرحه في

16 سبتمبر 1959، إذ عرفت منذ ذلك الخطاب منعطفات عديدة.

وفي ظل إنتصارات الثورة المتزايدة سياسيا وعسكريا، وجد ديغول نفسه ملزما بإيجاد حلول

لمموسة للقضية الجزائرية. توصل بذلك إلى مبدأ تقرير المصير أي تنظيم استفتاء يتضمن ثلاث

خيارات: "إما الاستقلال، وإما المشاركة مع فرنسا، وإما الفرنسية" ، وقد وقع إختياره في الأخير

على المشاركة أي تكوين حكومة للجزائريين تقيم إتحاد وثيق مع فرنسا في مجالات (التعليم،

الإقتصاد، الدفاع والعلاقات الخارجية) أي حكم ذاتي. إذ كان مشروع تقرير المصير يدل بشكل

(1): للمزيد حول هذه اللقاءات أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 15
(2): شارل ديغول كان رئيس الحكومة الفرنسية ثم رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة منذ الفاتح جوان 1958، عرف بمشاريعه الإغرائية والسياسية والعسكرية للقضاء على الثورة الجزائرية مثل مشروع قسنطينة وسلم الشجعان والقوة الثالثة...، إعترف في جوان 1960 بضرورة التفاوض والحوار مع جبهة التحرير الوطني.

واضح بأن فرنسا تفضل الحل الأخير المتعلق بالإرتباط مع فرنسا، مايعني بشكل خاص نهاية الحكم الاستعماري بفرنسا.

كما عمد ديغول إلى جانب ذلك إلى تجزئة الأمة الجزائرية منذ تأسيس الحكومة المؤقتة بغية إضعافها. من خلال العديد من المشاريع الإغرائية ، فقد حاول شارل ديغول أن يرد على ذلك الحدث بإثارة صدمة بسيكولوجية جديدة، فقد كان في خطابه بقسنطينة في 03 أكتوبر 1958 يهدف إلى ضم الصفوة الجزائرية إلى أفكاره من خلال وعوده للجزائر بمستقبل سياسي وإقتصادي⁽¹⁾ بحيث تمنح فرنسا الجزائريين خلال خمس سنوات 250 ألف هكتار و 200 ألف سكن، و 400 ألف وظيفة مع رفع أجورهم، وتقبل في المدارس ثلثي التلاميذ. أما سياسيا فقد كان ديغول يدرس الدمج الذي رفضته الصفوة المسلمة ويتحدث عن المشاركة. بل إن سلم الشجعان الذي عرضه في 23 أكتوبر 1958 كان يفتح الطريق إلى إجراء مفاوضات.

لكن الحكومة المؤقتة رفضت مفهوم التجزئة وقدمت مفهوما مضادا لها، وهو مفهوم الأمة الجزائرية المكونة من شعب واحد منذ عدة عصور، تاريخها مشترك وثقافتها عربية إسلامية، والتي أعطت للجزائر وجهها الحقيقي وشخصيتها القوية في كفاحها ضد الاستعمار. وعلى هذا الأساس بنيت إيديولوجية الثورة التي هي في الأساس إيديولوجية المثقف الثوري الذي تبناها منذ 1954 أو ما قبل ذلك.

إن بين المفهوم الديغولي لتقرير المصير ومفهوم المثقف الجزائري في إطار الحكومة المؤقتة فجوة شاسعة. فبالنسبة لهذه الأخيرة لا بد من توفير شروط سياسية وعسكرية قبل الوصول إلى تقرير المصير يجب أن يتم وقف إطلاق النار ولا يمكن تحقيقه إلا بالاتفاق المسبق بينهما حول هذه الشروط. وهذا مايعكس لنا عين الحذر التي أصبح يتميز بها المثقف الجزائري إتجاه الإدارة الفرنسية، فقد أصبح أكثر خبرة في التعامل مع المستعمر، لأن هذا الأخير كان قد أثبت أحميته بعدم

(1): أجبيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق ، ص 174

الثقة من خلال عدة مراحل منذ مرحلة ما قبل الثورة، خاصة بعد أحداث 8ماي 1945. كما لجأت فرنسا من جديد في ترعيب الجزائريين خلال مرحلة المفاوضات لضمان تخليهم عن المفوض الجزائري والثورة التحريرية، وذلك من خلال نشاط منظمة الجيش الإرهاب السري الفرنسي¹ L'OAS.

- كان ديغول يعتقد أن الجزائريين سيؤيدون فكرة الجزائر جزائرية مرتبطة بفرنسا ، من خلال خطابه في 14 جوان 1960 الذي كان موجهة خاصة إلى الزعماء الجزائريين الذين كانوا بدورهم قلقين على معنويات قواتهم العسكرية ،فسارعوا إلى إرسال عدد من المفاوضين إلى فرنسا برئاسة السيد بومنجل حيث لم تعاملهم السلطات الفرنسية معاملة مناسبة وحظرت عليهم الإتصال بالعالم الخارجي. لكن محادثات مولان (29/25) جوان 1960 توقفت فجأة كما لو أن نية ذلك كانت مسبقة لكلا الطرفين.

دفع فشل محادثات مولان بالحكومة المؤقتة إلى الإلتفات نحو كتلة الدول الشيوعية خاصة الصين وإلى التصلب أيضا في مواقفها. فراحت منذ ذلك الحين تعارض مبدأ الجزائر جزائرية. أما فرنسا واصلت الكفاح العسكري من خلال الضغط على الحكومة المؤقتة بتشكيل لجان من المنتخبين الجزائريين وتجديد فكرة المفاوضات سعيا إلى تجسيد فكرة الجزائر جزائرية(والتي تعني أن يتولى مناصب الحكم جزائريين ممن تثقف قيهم فرنسا لأنها قامت بتكوينهم وتدريبهم على ذلك)، لكن الحكومة المؤقتة رفضت هذا الخطاب واعتبرته موجهة إلى القوة الثالثة.

لم تعترف فرنسا بجبهة التحرير الوطني كطرف شرعي في النزاع رغم دخولها في محادثات غير رسمية معها في جوان 1960. لكن الوضع تغير تماما بعد بدء محادثات إيفيان⁽²⁾ ، فقد إعترفت

(1) تأسست في نوفمبر 1961، أنظر: Redha Malek, L'Algerie à evian, op cit , p 284.
(2): صلاح العقاد، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص 42

الحكومة الفرنسية بجبهة التحرير الوطني على أنها المتحدث الشرعي والوحيد للشعب الجزائري،
فما الذي أدى إلى تغير المواقف الفرنسية؟.

كانت مفاوضات إيفيان مرحلة صعبة ، وحتى الهدنة التي أعلنتها فرنسا وإطلاق سراح
6000 معتقل أشتبه فيهما أنهما يخفيان مكيدة دبلوماسية لفرنسا⁽¹⁾. لكن المفاوضات تعثرت مجددا
بسبب العديد من القضايا منها قضية الهدنة والنظام الأساسي للأوروبيين، وخاصة في مسألة
الصحراء. ويعود تغير المواقف الفرنسية إتجاه جبهة التحرير الوطني إلى عدة عوامل منها تماسك
أعضاء الجبهة رغم الأزمات والصعوبات، المتمثلة أساسا في فداحة الخسائر البشرية وتراجع القوة
العسكرية، والخلافات بين بعض القادة التي أدت إلى مقتل البعض منهم مثل: عبان رمضان والعقيد
عميروش. غير أن هذه المشاكل لم تصل إلى مسامع العالم الخارجي ، ما حمل هذا الأخير خاصة
فرنسا والأمم المتحدة على الإعراف بأن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد والشرعي
للجزائر.

بعد الإعلان عن بدء المفاوضات في نهاية شهر مارس 1961، فاجأت الحكومة الفرنسية جبهة
التحرير بأنها ستفاوض مصالي الحاج في نفس الوقت، لكن ذلك كان مرفوضا تماما لدى الجبهة
لأنها رأت فيه محاولة لإفشال المفاوضات. تدخلت بعدها الولايات المتحدة الأمريكية و عرضت
وساطتها ، وهذا ما يؤكد على أهمية القضية الوطنية في المحيط الدولي.

لكن محاولة فرنسا الاستعانة بشخصية مصالي الحاج في المفاوضات لدليل على سعيها الدؤوب
على إقحام عناصر جديدة لضرب الثورة وإفشال مواقفها خلال المفاوضات. فهي كانت على علم
بأن مصالي الحاج كان من الأوائل الذين رفضوا اندلاع الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، بل أنه لجأ
إلى تأسيس الحركة الوطنية الجزائرية كتنظيم موازي لجبهة التحرير الوطني. كما لا يخفى عنها
بأنه شخصية لاطالما كان يميل إلى تولي المناصب العليا والحساسة.

(1): شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص 180.

أختيرت إيفيان وهي مدينة صغيرة تقع على الحدود الفرنسية السويسرية ، فيستطيع الوفد الجزائري أن يقيم في أرض محايدة وينتقل أثناء العمل عبر الحدود. ترأس الوفد الفرنسي لوي جوكس وزير الدولة لشؤون الجزائر، أما الوفد الجزائري ترأسه كريم بلقاسم، وكانت الحكومة المؤقتة قد طالبت بالإفراج عن بن بلة ليتراس وفد المفاوضات فلم تستجب فرنسا لهذا الطلب لكنها سمحت لهم بالإتصال به.

كانت مسألة الصحراء سببا مباشرا في إنقطاع المفاوضات فترة طويلة منذ 28 جويلية 1961 حتى نهاية السنة. حيث ازداد الوضع تعقيدا من خلال سعي ديغول إلى إحياء فكرة التقسيم وترحيل الأوروبيين لحرمان الجزائر من الخبرة الفنية.

ومن جهة أخرى أدخلت تعديلات على الحكومة المؤقتة كان أبرزها إبعاد فرحات عباس المعروف بالإعتدال وإسناد رئاستها إلى بن يوسف بن خدة الذي يختلف عنه تماما في النشأة السياسية. فقد كان أمينا عاما لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، ثم انفصل عن المصاليين عند تأسيس اللجنة المركزية سنة 1953، كما كان مسؤولا عن عمليات جيش التحرير في العاصمة، فاعتبر هذا التغيير بمثابة إتجاه نحو التشدد في المواقف بعد فشل المفاوضات. فإذا نظرنا إلى ماضي الرجلين فإنهما ينتميان إلى حزبين وإتجاهين مختلفين تماما، فإبن خدة من حزب الشعب الاستقلالي، أما فرحات عباس كان من كتلة النواب الإندماجيين وحزب الإتحاد الديمقراطي. لكن الثورة جمعت بينهما على صعيد واحد⁽¹⁾، وقد إتضح للرأي العام الفرنسي والعالمي بأن هذا التغيير على رأس الحكومة المفاوضة يعني إرسال إشارة إلى فرنسا بأن تماطلها في المفاوضات ومناوراتها السياسية، يقابله تصميم وعزم كبير من الجزائريين ،وذلك بتعيين من وصفوا بالمتشددين مكان من وصفوا بالمعتدلين. ولعل هذا مايعلل تأكيد الثورة أكثر على مبادئها بعد مجيء بن خدة إلى رئاستها.

(1): أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 185.

كان موقف جبهة التحرير الوطني في المفاوضات واضحا يستند على قرارات مؤتمر الصومام. وفي المقابل اضطرت فرنسا إلى التنازل مرة تلو الأخرى حتى تم الوصول إلى إتفاق. ففي سبتمبر 1961 أعلن ديغول أن أية حكومة جزائرية لايمكنها التخلي عن الصحراء الكبرى، كما أكد على رغبته في أن تلعب فرنسا دورا قياديا في أوروبا وتسترجع مكانتها بين الدول الكبرى. ولن يتحقق هذا الهدف في نظره دون التخلص من أعباء الحرب الجزائرية، وهذا مايعمل بدء فرنسا بسحب قواتها من الجزائر حتى قبل الإتفاق في إيفيان (1).

- كانت مواقف المثقف الجزائري من خلال المفاوضات الجزائرية الفرنسية مواقف ثابتة تركز على أمرين اساسيين: أولهما مباديء بيان أول نوفمبر 1954، ثم قرارات مؤتمر الصومام 20أوت 1956، أي أن الإيديولوجية الثورية الوطنية لم تغب لا عن ساحات القتال ولا عن ساحة المفاوضات باعتبارها لا تقل أهمية ولا خطورة عن المعارك العسكرية، كونها تستدعي الحذر من نوايا المستعمر ولقاءاته السرية، والتمسك أكثر بمباديء الكفاح المسلح وعدم التخلي عن أي منها، لأن هذا التمسك والقناعة الثورية التي أظهرها الشباب الثوري، وإيمانه العميق بعدالة قضيته، كلها مواقف قوية تسببت في الضغط على الطرف الفرنسي الذي بدأ يفتنح تدريجيا بحق تقرير المصير للجزائريين كما رأته جبهة التحرير الوطني والحكومة الجزائرية المؤقتة.

(1): صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 341

خلاصة المبحث الثاني:

- لقد حدد المثقف الجزائري منذ بداية الثورة التحريرية جملة من الأهداف حددها في بيان أول نوفمبر 1954، منها خاصة تدويل القضية الوطنية من خلال إخراجها من الإطار الفرنسي و وضعها في مستوى القضيتين المغربية والتونسية، ومستوى الأمم المتحدة. فقد ركز المثقفين في جهودهم الدبلوماسية على البلدان العربية الشقيقة، حيث نجح في كسب ثقتها ومساندتها للثورة والذي رأى فيه وسيلة تساعد للوصول إلى الأمم المتحدة أهم محفل دولي. وبعد عامين من العمل الشاق تمكن رجال الثورة من إيصال صوت قضيتهم إلى منظمة الأمم المتحدة، فكانت في مقدمة القضايا التي درستها رغم معارضة السلطة الفرنسية.

إن نجاح المثقف الثوري الجزائري في نقل وتدويل قضية شعبه في المحافل الدولية وتحقيق إنتصارا دبلوماسيا كبيرا، حيث يعود هذا النجاح إلى عدة عوامل تتحدر في مجملها من قناعاته بعدالة وشرعية قضيته التحريرية منها:

1- كون الثورة لم تعتمد على الكفاح العسكري فقط، بل وازنت بينه وبين الكفاح السياسي، حيث حرصت باستمرار على تجسيد هذا التوازن المحافظة عليه.

2- إقتناع المثقف الثوري بأن المجال الطبيعي والمناسب لنجاح الثورة، وهو العالم العربي والإسلامي، من هنا كان تصميمه على خوض الكفاح التحرري في إطار العالم العربي والإسلامي، حيث وردت الإشارة إلى ذلك منذ إصدار بيان أول نوفمبر 1954.

3- إفتتاح جبهة التحرير الوطني على كافة القوى الدولية دون أي تحيز، ومن منطلق مواقف هذه القوى الداعمة للثورة والمساندة لها.

4- محافظة المثقف الجزائري في إطار جبهة التحرير الوطني على الهدف الأساسي، وهو إنهاء التواجد الاستعماري في الجزائر وتحقيق السيادة الوطنية الكاملة.

أمام هذا النشاط الدبلوماسي المتصاعد، ونجاحات الثورة في الداخل والخارج، كان على فرنسا الاستعمارية الخضوع لهذه المستجدات، والتي دفعتها للبحث عن مخرج لها يساعدها على ربح الوقت وإعادة تنظيم نفسها وقراراتها أمام تصاعد العنف الثوري بداخل الجزائر خاصة، ووصول القضية الجزائرية إلى الساحة الدولية. لكن ذلك لم يمنع الوفد الجزائري من مواصلة نضاله بالخارج من أجل إجبار فرنسا على الاعتراف بوجود الشعب الجزائري. فاستطاعت بذلك جبهة التحرير الوطني في وقت مبكر أن تجبر فرنسا على إجراء إتصالات مع القيادة الثورية، وحتى وإن لم تحقق هذه الإتصالات نتيجة إيجابية، غير أنها تمثل إقرار غير مباشر من سلطة الاستعمار بحالة الحرب في الجزائر، وبجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري الذي يكافح من أجل استقلاله.

كما يبرز تأثير الثورة التحريرية في السياسة الاستعمارية من خلال الحكومات التي تساقطت نتيجة لتصاعد قوة الثورة، أبرزها إنقلاب 13 ماي 1958 وعودة ديغول إلى الحكم لتحقيق حلم غلاة الاستعمار بالقضاء على الكفاح المسلح.

أمام هذا الواقع الذي تميزه المناورات الفرنسية للقضاء على الثورة، أصبح لزاما على لجنة التنسيق والتنفيذ أن تعلن عن تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية، تنفيذا لقرارات المجلس الوطني للثورة الذي أقرها في إجتماعه المنعقد بالقاهرة ما بين 22 إلى 28 أوت 1957 الذي كلف فيه لجنة التنسيق والتنفيذ أن تعلن على تشكيل الحكومة المؤقتة. حيث رأى المثقف الجزائري في ذلك استكمالاً لمؤسسات الثورة وإعادة بناء الدولة الجزائرية الحديثة التي حطمها المستعمر أثناء الغزو الفرنسي للجزائر 1830.

لامراء إذن أن نضال المثقف الجزائري الثوري خلال كل مراحل الثورة، ولاسيما المرحلة الأخيرة كان من أصعب المواجهات بينه وبين المستعمر الفرنسي، نظرا لسعي هذا الأخير إلى بذل كل الطرق والمجهودات لإضعاف الثورة وقادتها ومؤسساتها. لكن ذلك لم يتم، كون النخبة الثورية

ونظرا لإستراتيجياتها وإيديولوجياتها وسعيها الطويل لتغيير الواقع جعل من الثورة التحريرية مدرسة ميدانية كبيرة ومجالا واسعا لفرز الشعارات الصحيحة من غيرها، ومخبرا لتجريب النظريات، والإطلاع على الحقائق والملابسات ومايتصل بها من حيثيات وخلفيات. فالملاحظ مما سبق نوعا من التباعد بين بعض المبادئ والثوابت التي تتضمنها اللوائح والتصريحات وبين الممارسة الميدانية، فرضه بطبيعة الحال ضروريات المرحلة الثورية وتطوراتها. فالديمقراطية مثلا مورست أثناء الثورة التحريرية في جانبها الإنتخابي على المستوى الجماهيري، لكنها كانت غائبة على مستوى القيادة العليا، وهذا راجع ربما إلى طبيعة المرحلة التي طغى عليها العمل العسكري ، وارتفع فيها العنف الثوري على سائر الأصوات، ما نتج عنه خلافات وتكتلات وتصفيات أحيانا.

كانت مرحلة مابعد 1958 من أصعب الفترات التي مرت بها الثورة التحريرية قبل أزمة صانفة 1962، ومرد ذلك كما يقول البعض هو عدم التوفيق في إيجاد حل بين الداخل والخارج، وبين السياسي والعسكري. فكان الصراع بين الأمرين مسألة حتمية، فيما يخص أولوية الداخل على الخارج فقد سوى بينهما مؤتمر القاهرة في أوت 1958، لكنه بعدها مالت الكفة لصالح الخارج نهائيا، وكذلك الأمر بالنسبة للسياسي والعسكري، إذ عمل المؤتمر الأول للمجلس الأعلى للثورة على أن لافرق بينهما في الأولوية، لكنه في الواقع كانت كفة العسكريين أميل ، وتكرس الأمر لهم خاصة خلال صانفة 1959 ليؤكد المؤتمر الثاني لمجلس الثورة في أوائل سنة 1960.

لكن الأهم من ذلك حتما هو شعور الجميع مدنيين وعسكريين، بضرورة استصدار قوانين أو دستور مؤقت بمؤسسات الدولة ، يوضح مهامها وسلطاتها ويحدد صلاحياتها، يحتكم إليها الجميع وتكون هي المرجعية الأولى في إتخاذ القرارات وحل الخلافات والفصل بين السلطات. فكانت بذلك القوانين المصادق عليها من طرف المؤتمر الثاني لمجلس الثورة بطرابلس في مطلع سنة 1960 هي التي اعتمدت كقانون تنفيذ به المؤتمرات اللاحقة كما كان الحال أثناء مؤتمر طرابلس المنعقد

فيما بين 22 و 27 فيفري 1962 لمناقشة موضوع وقف إطلاق النار، ثم فحوى إتفاقيات إيفيان والمصادقة عليهما بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين أو الممثلين بناء على المادة السابعة أو الثامنة من الفصل الثاني المتعلق بالمؤسسات المؤقتة للدولة الجزائرية، أو كما كان الأمر في آخر مؤتمر للثورة الجزائرية في الخارج والذي تمت خلاله المصادقة بالإجماع على برنامج طرابلس الذي أعد للشعب الجزائري المتحرر بعد 132 سنة من القهر والاستغلال.

فإنه يتضح في الأخير بأن الثورة التحريرية مثلما وحدث بين الإيديولوجيات المختلفة من جهة، فإنها من جهة أخرى تمكنت من خلق هيئات سياسية هامة أشرف عليها المثقف الثوري ولعب من خلالها دورا جديدا، وهي الحكومات المؤقتة على إختلاف تشكيلاتها، كانت فرصة جديدة بالنسبة لهذا المثقف لإثبات مدى قوة إيديولوجيته الثورية التي باتت امرا ثابتا، ومصدر ضغط على العدو الفرنسي أجبرته في الأخير على إعتراف بحقه المشروع في الحرية والاستقلال، فإنتهت تلك المسيرة الثورية الطويلة بانتصار إيديولوجية المثقفين الجزائريين الثوريين على كل الإيديولوجيات الأخرى، وعلى المشاريع الاستعمارية أيضا.

الخاتمة

- مفهوم المثقف من المفاهيم الشائكة التي حظيت ولا زالت تحظى بالعديد من المفاهيم والتأويلات، إنطلاقاً من إعتبرات وأفكار مختلفة. فقد ظهر هذا المصطلح أولاً في الحضارة الأوروبية إذ إرتبط ظهوره بقضية دريفوس الإجتماعية التي تعكس لنا مدى الظلم والتعسف الذي تعرفه المجتمعات وفي مختلف الثقافات والحضارات بالعالم. إرتبط مفهوم المثقف بقضية ظلم إجتماعي في فرنسا، أدت إلى إفراز قيم العدل والحرية والمساواة. فمنذ ذلك الحين أصبح مفهوم المثقف عامة والمثقف الثوري خاصة مرتبط بشكل وثيق بتغيير الوضع القائم وتخليص الفرد أو المجتمع من مظاهر الظلم والطغيان السائدة. أما الثورة في معناها فهي التغيير الجذري للوضع الشامل من أجل استبداله بوضع آخر أفضل منه. من هذا المنطلق إذن فإن الثورة الجزائرية هي حصيلة تخمر ثوري لدى الشعب الجزائري، ناتج عن تجاربه النضالية الثورية السابقة، والتي لم تخرج عن إطار البعد الحضاري الإسلامي الذي يحميهم من الذوبان في الحضارة الغربية.

المثقف الثوري أو المثقف العضوي كما يسميه أنطونيو غرامشي والعديد من الفلاسفة الذي أدلوا بدلوهم في هذا المصطلح، هو مناضل ضد الظلم والطغيان والمعاناة الإجتماعية، يحمل مجموعة من القيم النبيلة ويسعى إلى تجسيدها على أرض الواقع سواء من خلال التمرد على السلطة الحاكمة أو أي طريقة أخرى للإحاطة بها والتخلص منها. كما أن هؤلاء الفلاسفة ومن خلال ما استعرضناه من تعريفات حول مفهوم المثقف، يشترطون على الشخص حتى يكون مثقفاً ثورياً، عليه المشاركة في عملية التغيير، والسعي إلى تجسيد ما يحمله من طموحات إجتماعية، ولا يجب أن يكتفي بالتنديد فقط. أما إذا اكتفى هذا المثقف بالتنديد فهذا يعتبر مثقفاً تقليدياً بمعنى يعتمد على الإنتاج الفكري فقط ولا يكون عاملاً في تغيير الوضع السائد. تلعب البيئة الثقافية التي ينشأ فيها الفرد دوراً هاماً في تبلور إيديولوجيته الخاصة، فمن هذه البيئة يستمد المثقف الأسس التي تركز عليها مواقفه إتجاه القضايا الوطنية وغيرها. إذن فهناك علاقة وطيدة بين البيئة الثقافية للمثقف وبين إيديولوجيته الخاصة، فإن التكوين الإيديولوجي هو الذي يسمح للإنسان بإدراك الواقع الذي يعيش فيه ومعرفة

المحيط الذي يتطور فيه. وانطلاقاً من ذلك الإدراك وتلك المعرفة يشرع في العمل من أجل التغيير نحو الأفضل بواسطة مآلديه من قدرة وإمكانيات، حيث تتطلب هذه العملية مزيداً من الدقة والوضوح، فإن نجاحها يكون مرهوناً بمدى القدرة على تحقيق الشمولية في تجسيدها. ومن هنا نستطيع القول بأن التكوين الإيديولوجي يبدأ في مراحل مبكرة جداً وليس مقروناً بالجامعة أو المعهد.

والمثقف الجزائري نشأ في بيئة استعمارية تحت نير القوانين الفرنسية التعسفية وممارساتها اللإنسانية، مادفع به إلى الهجرة بحثاً عن الأمن والاستقرار السياسي وظروف معيشية أفضل، فوجد في المهجر ما كان يبحث عنه من فضاء حر يمكنه من ممارسة حقوقه بشكل طبيعي. إلتقى المهاجر الجزائري في المهجر بفئات مختلفة منها الطلبة والعمال والنقابات والتجار وغيرهم. فاكتمب منهم وعيا وطنياً، واصبح يتساءل بذلك عن حقوقه التي ضاعت في وطنه أمام قوة واضطهاد المستعمر الفرنسي. فمن هنا تبلورت رغبته الملحة في الرجوع إلى الوطن لتغيير الأوضاع السائدة فيه. فإنخرط بعدها في أول حزب وطني تأسس هناك وهو نجم شمال إفريقيا والذي سوف تبدأ منه المسيرة السياسية للمثقف الثوري. فقد إنخرط هذا الأخير في النجم وتشبع بمبادئه القريبة جداً من الفكر الاشتراكي الشيوعي، لكنه سرعان ما تخلى عنها وأصبح وطنياً بحثاً بعد ظهور حزب الشعب الجزائري كحزب وطني ثوري يضم أكبر فئة من الجماهير الشعبية الراضخة تحت نير الوجود الاستعماري.

من خلال تتبعنا لمسار النضال السياسي الجزائري منذ بدايات القرن العشرين نلاحظ بأن التيار الوطني الثوري كان في أول الأمر عبارة عن تنظيم سياسي اجتماعي سعى منذ بداياته إلى الإنخراط في العمل الثقافي ثم السياسي. فإن فئة العمال التي إلتفتت حول مصالي الحاج ما لبثت أن وسعت نشاطها إلى الجزائر، وصار نجم شمال إفريقيا أول تنظيم ذي نزعة وطنية بمدلولها الشعبي. فرغم أن نواته الأولى كانت في بلاد المهجر ومن سيطرة الخطاب الشيوعي الفرنسي والأممي

عليه، استطاع أن يستقل ولو بشكل محدود عن الحزب الشيوعي الفرنسي من الناحية التنظيمية والإيديولوجية خاصة، كما تمكن من نقل المسألة العمالية بزخمها الفرنسي إلى المسألة الوطنية بأبعادها ومعالمها الجزائرية ، بل أصبحت مطالبه مستوحاة من مصالح الشعب الجزائري العربي المسلم. لكنه ومن جهة أخرى فإن التخمر الثوري الذي تجسد من خلال مواقف المثقف الجزائري ،لم ينتج عن العمل السياسي فحسب، بل يعود إلى بداية دخول المحتل الفرنسي أرض الجزائر1830، فلم يستسلم الشعب الجزائري لهذا الغزو ،بل استمات في الدفاع عن عرضه وأملكه من خلال الدور الجهادي المستميت الذي يتجسد من خلال الثورات والإنتفاضات الشعبية التي شملت كل أنحاء البلاد من 1832 إلى1924.

كانت تلك المرحلة نهاية لنوع من الجهاد، لتبدأ مرحلة ثانية لجهاد من نوع آخر، نوع يتماشى وظروف ومتطلبات العصر، يجسد المقاومة السياسية بظهور تشكيلات وأحزاب وطنية مع مطلع القرن العشرين. وهي حتى وإن لم تحقق الاستقلال فعليا، لكنها كانت السبب الرئيسي في تبلور التيار الثوري الاستقلالي الذي كان يهدف إلى الاستقلال التام باستعمال الوسائل الثورية. فقد ظهرت النزعة الوطنية أولا لدى نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وبعدها حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية ، واضحت بذلك تعبر عن تاريخ متواصل من النضال والكفاح نحو قيام الدولة الجزائرية ، ولو أن هذه النزعة تأرجحت بين الشدة والليونة سواء إتجاه السلطات الاستعمارية أو من ناحية باقي التشكيلات السياسية وقادتها.

إذن بإمكاننا القول بأن إيديولوجية المثقف الجزائري الثوري قد تشكلت إنطلاقا من معاناته تحت قوانين فرنسا الاستعمارية، فإن ذلك الواقع الصعب المتدهور هو الذي دفع به أن يكون ثوريا بمعنى الكلمة، لأنه خلق فيه رغبة في التحرر باستعمال العنف الثوري لأنه السبيل الوحيد لإحداث التغيير اللازم. كانت هذه الإيديولوجية في بدايتها تركز على الفكر اليساري نظرا لنشأتها في كنفه بالمهجر، لكن إرتباطها الوثيق بالوطن دفعها إلى التخلي تدريجيا عنه . فقد أصبح النجم بعد امتداده

للجزائر حزبا وطنيا من خلال تحديده لعدة مطالب وطنية متعلقة بالأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري وعلى رأسها مطلب الاستقلال التام والسيادة الوطنية الكاملة.

- من هذه المنطلقات نستخلص بأن المثقف الجزائري قد عرف مراحل وتطورات من خلال مشاركته في النضال السياسي و الثورة التحريرية، فقد أفرزت ذلك عن نماذج مختلفة للمثقف، كان أولها هو المثقف التقليدي الذي يتجسد في المحافظين والنخبة العصرية - (من أمثال بن موهوب، المجاوي، ابن أبي شنب، ابن التهامي، إضافة إلى الأمير خالد الذي تؤكد كل التيارات على إنتمائه إليها حسب عدة كتابات تاريخية، لكنه كان من النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية ما إنعكس على طبيعة نضاله السياسي...) - الذي يمكن اعتبارهم مثقفين لأنهم درسوا في مدارس ومؤسسات تعليمية وتخرجوا من جامعات عربية وغربية، فاكتمسبوا منها ثقافة ومستوى تعليمي أهلهم كي يلعبوا دورا ولو أنه كان دورا محدودا في القضية الوطنية، فقد تمكنوا من تشكيل أرضية خصبة لنمو الوعي الجزائري إضافة إلى عوامل أخرى متعددة كلها ساهمت في خلق مناخا مناسباً لظهور وعي سياسي وسط الجماهير الجزائرية. فقد ساهمت إذن هذه النخبة المثقفة في النضال السياسي لكنها لم تحقق نتيجة فعلية تتجسد من خلالها مظاهر تغيير الوضع القائم، بل إكتفت برفض القوانين الفرنسية والتصريح بأنها قوانين استثنائية تهدف إلى محو الشخصية الوطنية ومقوماتها ومطالبة فرنسا بإلغائها أو بالمساواة بين الجزائريين والمعمرين فقط. حتى أن البعض منهم رأى في الإنضمام إلى الكيان الفرنسي هو الحل الانسب نظرا لثقافته الغربية وتشبعه بمبادئ الحضارة الفرنسية. أي أن فكرة الاستقلال كانت واردة في أبجديات الحركة الوطنية، خاصة لدى حزب الشعب الجزائري الذي رأى في الاستقلال التام هو الحل الوحيد والأمثل، في حين مثقفي حركة الإتحاد الديمقراطي رأيت في الاستقلال الذاتي ضمن الوجود الفرنسي هو الحل للقضية الوطنية. من جهة أخرى ظهر المثقف السياسي الذي بادر إنطلاقاً من قناعاته الشخصية وإيديولوجياته الثقافية في المقاومة السياسية الوطنية في إطار التشكيلات السياسية المختلفة منذ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

ظهرت بذلك شخصيات سياسية مثقفة أمثال مصالي الحاج، فرحات عباس، عبد الحميد ابن باديس ، .. وغيرهم كانوا من رواد العمل السياسي بالجزائر، حيث اختلفت برامج وطرق المقاومة عند كل واحد منهم، فقد ارتبط ذلك بالثقافة الإيديولوجية والبيئة الثقافية التي نشؤوا فيها.

لعبت هذه الأخيرة - البيئة الثقافية - دورا بالغا في بلورة مواقف هؤلاء المثقفين الجزائريين. منهم من رأى في الاستقلال الوطني المطلب الاساسي وهم من عانوا تحت برائن الاستعمار وفضلوا الهجرة إلى الخارج بحثا عن الظروف الملائمة لنشاطهم، فهم قد اكتسبوا وعيهم من المهجر خاصة بعد احتكاكهم بالمثقفين هناك والإطلاع على أوضاع الحرية والعدل التي تميز العالم الخارجي خاصة في فرنسا. ومنهم من إعتقد بأن الحل الأمثل للقضية الوطنية هو الإلتحام مع الحضارة الفرنسية، لا بل الذوبان في مظاهرها، وهم خريجي المدارس الفرنسية الذي تشبعوا بتعليم فرنسي محض، دفع بالإدارة الفرنسية إلى الإعتماد عليهم في تحقيق أهدافها الإندماجية بالجزائر. كما هناك صنف من المثقفين يمكن وصفهم بالإصلاحيين لأنهم طالبوا بضرورة إصلاح وضع الجزائري من خلال إصلاح أوضاع التعليم خاصة وهم خريجي المعاهد والجامعات الإسلامية تأثروا بحركة الجامعة الإسلامية وأفكار جمال الدين الأفغاني الداعية إلى ضرورة إصلاح أوضاع المجتمعات الإسلامية وتخليصها من البدع والخرافات والجهل.

- إن الإنشقاق الذي عرفته حركة الإنتصار للحرريات الديمقراطية خلف أثارا سلبية عميقة على الحزب ومناضليه ، لكنه سمح في نفس الوقت للمناضلين الثوريين من الإندفاع لتصحيح الخط النضالي وإنقاذ الموقف وتجاوز الخلافات . فبفضل الإرادة القوية والتنظيم المحكم تمكن جناح اللجنة الثورية للوحدة والعمل من تفجير الثورة التحريرية. ففي الفاتح نوفمبر 1954 ذهل الجميع من حدث تفجير الثورة ، اليوم الحاسم في تاريخ الجزائر المعاصرة، الذي أعلن فيه عن بدأ المسيرة الكفاحية تحت لواء التنظيم الجديد جبهة وجيش التحرير الوطني . فإن الأزمة التي عرفتها حركة الإنتصار للحرريات الديمقراطية سنة 1953 كانت القطرة التي أفاضت الكأس، لأن المناضل

الثوري جعل منها عاملا مباشرا لتجسيد العنف الثوري في الميدان. تذكر بعض الكتابات التاريخية بأن تفجير الثورة التحريرية لم يكن إلا ضرورة حتمية في تلك المرحلة نظرا للأزمة التي كادت أن تعصف بالحركة الوطنية لولا بروز التيار الثوري. فعلا كانت عبارة عن ضرورة حتمية، لكن حتميتها مستمدة من الواقع المزري الذي كان يعيشه الشعب الجزائري في ظل الوجود الاستعماري ، هذا الواقع الذي خلق في نفسية المثقف رغبة في التحرر والتخلص من هذه الأوضاع المتدهورة. فدفع به إلى تحيز الفرص للإعلان عن العمل المسلح بإعتباره الوسيلة الأنسب والحل الأمثل لمجابهة قوى الاستعمار، فإن الوسائل السياسية لم تجدي نفعا. ولو تعمقنا في تاريخ المقاومات الجزائرية منذ الإحتلال سوف نجد بأن الخيار العسكري لم يكن غائبا عن الذهنية الجزائرية، وإنما أول رد فعل للجزائريين ضد الاستعمار تمثل في المقاومات المسلحة التي ورغم فشلها في تحقيق الاستقلال، لكنها تمكنت من عرقلة توسعه، وترسيخ الروح الثورية ومبدأ رفض الاستعمار بكل أشكاله، فإن المقاومات الشعبية أيضا شاركت في إعداد جيل أول نوفمبر 1954.

- وبالتالي إن تفاعل هذه العوامل والتطورات المتمثلة في الأوضاع المزرية للشعب الجزائري، والمقاومات المسلحة التي خاضها أجدادنا منذ الإحتلال 1830، والهجرة الخارجية لأرض أوروبا وفرنسا خاصة، إضافة إلى النضال السياسي واختلاف الإيديولوجيات الثقافية للزعماء الوطنيين، كلها شكلت أرضية خصبة تبلور عليها فكر المثقف الثوري الجزائري وإيديولوجيته الخاصة، القائمة على العنف الثوري المنظم لتحقيق الاستقلال، فالعنف هو الوسيلة والاستقلال هو الهدف. هكذا إذن تبلورت الإيديولوجية الثورية التي شكلت منطلق ثورة نوفمبر 1954، حيث تبنها نخبة من المثقفين الثوريين الذي أثبتوا بأن الثورة أمر حتمي إذا ما كان الهدف هو الاستقلال وتغيير الأوضاع القائمة. فهم رغم كونهم – وخاصة لجنة 22 – لم يصلوا إلى مراحل متقدمة في تعليمهم، غير أنهم اكتسبوا ثقافة ثورية من خلال المحطات التاريخية التي مروا بها خاصة من حزب الشعب الجزائري. لايعني ذلك من جهة أخرى بأنهم كانوا أميين أو جهلة، بل كانوا يتمتعون بمستوى من

التعليم فكان بينهم الطبيب والمحامي والمعلم، كما اكتسبوا قدرات تتجاوز الحقل الضيق لقدراتهم المهنية . غير أن الأمر المشترك بالنسبة لهؤلاء المثقفين الجزائريين، سواءا مثقفي حزب الشعب، أو جمعية العلماء، أو الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري هو افتقارهم للإنتاج النظري، هذا إن أسقطنا عليهم معنى المثقف الذي يعني الشخص الذي يمتلك معرفة واسعة تؤهله لتقديم إنتاج نظري خاص. ولعل أسباب ذلك تعود إلى السياسة الاستعمارية وتضييقها على النشاط الثقافي، كما لانسي الأزمات والاضطرابات التي كانت تعرفها التشكيلات السياسية من حين لآخر، مثلا تسلط مصالي الحاج على أعضاء ومناضلي حزب الشعب قد حال دون إنتاجهم الثقافي الفعلي، إضافة إلى أن هؤلاء المثقفين ركزوا على تحقيق أهدافهم ومطالبهم الوطنية أكثر من أي أمر آخر. لكنه ورغم ذلك كانت إيديولوجياتهم واضحة وقادرة على تجاوز هذه المشاكل والاضطرابات وصولا إلى تحقيق الهدف المنشود وهو الاستقلال.

تشير الكثير من المصادر والكتابات التاريخية إلى ضرورة أن تستند أي ثورة في العالم على تيار فكري وثقافي معين، يكون لها بمثابة المنطلق الإيديولوجي والمنبت الأصلي. مثلما حدث مع الثورة الفرنسية 1789 التي سبقتها ظهور تيارات فكرية انبثقت من فلسفة الأنوار، والثورة البلشفية مثلا 1917 التي قامت هي الأخرى على فكر سيطر على روسيا منتصف القرن الواحد والعشرين، وهذا دليل على الدور الأساسي للمثقف في الثورة والعلاقة الوطيدة بينهما. غير أن الثورة الجزائرية حسب بعض الكتابات كانت تخلو من أي تيارات فكرية مثل سابقتها من ثورات العالم. لكن ذلك غير صحيح بتاتا، فربما أن ثورة نوفمبر لم يسبقها ظهور أي تيار فكري، لكنها استندت على إيديولوجية ثورية وطنية قائمة على روح التضحية والإيمان بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه. فقد قامت هذه الثورة على أكتاف المثقف الثوري الذي استمد إيديولوجيته من الواقع المرير الذي كان يعيشه في ظل الوجود الاستعماري الفرنسي. ولعل استمرار هذه الإيديولوجية إلى غاية الاستقلال 1962 خير دليل على قوتها رغم بساطتها في نفس الوقت.

- من خلال تتبعنا لمسار النضال السياسي الجزائري منذ بدايات القرن العشرين نلاحظ بأن التيار الوطني الثوري كان في أول الأمر عبارة عن تنظيم سياسي اجتماعي سعى منذ بداياته إلى الإخراط في العمل الثقافي ثم السياسي. فإن فئة العمال التي إلتفتت حول مصالي الحاج ما لبثت أن وسعت نشاطها إلى الجزائر، وصار نجم شمال إفريقيا أول تنظيم ذي نزعة وطنية بمدلولها الشعبي . فرغم أن نواته الأولى كانت في بلاد المهجر ومن سيطرة الخطاب الشيوعي الفرنسي والأممي عليه، استطاع أن يستقل ولو بشكل محدود عن الحزب الشيوعي الفرنسي من الناحية التنظيمية والإيديولوجية خاصة، كما تمكن من نقل المسألة العمالية بزخمها الفرنسي إلى المسألة الوطنية بأبعادها ومعالمها الجزائرية ، بل أصبحت مطالبه مستوحاة من مصالح الشعب الجزائري العربي المسلم.

ظهرت النزعة الوطنية لدى نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وبعدها حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية ، ووضحت بذلك تعبر عن تاريخ متواصل من النضال والكفاح نحو قيام الدولة الجزائرية ، ولو أن هذه النزعة تأرجحت بين الشدة والليونة سواء إلتجاه السلطات الاستعمارية أو من ناحية باقي التشكيلات السياسية وقادتها. فقد عرفت هذه النزعة نوعا من الشدة والحزم خاصة بعد أحداث و مجازر 8ماي 1945 التي اقتنع المثقف الجزائري من خلالها بأن الخيار العسكري أمر حتمي ولا بد منه. شكلت بذلك هذه المجازر ولادة جديدة للمثقف الجزائري عامة والثوري خاصة، لأنها كشفت لهم النوايا الحقيقية للمستعمر الفرنسي ، فكانت مرحلة لتجدد الإيديولوجيات وترسيخ فكرة العمل المسلح، والتي بدأ التحضير الفعلي لتجسيدها منذ هذه الفترة.

- بعد مرور عامين على اندلاع الثورة، وجدت هذه الأخيرة نفسها في مرحلة تاريخية حافلة بالأحداث والتطورات ،مرحلة مابعد 1956 أين تمكنت الثورة من تحقيق العديد من الإنتصارات السياسية والعسكرية داخليا وخارجيا، على رأسها إنضمام الجماهير الشعبية بمختلف فئاتها إلى الكفاح المسلح وإثبات قوة الثورة وبأنها مستمدة من داخل الجزائر وليس من الخارج كما إدعى

المستعمر الفرنسي، إضافة إلى تدويل القضية الوطنية في المحافل الدولية. كما إنضم في هذه المرحلة مختلف المثقفين والسياسيين الذين رفضوا إنطلاق الثورة وكانت لهم مواقف مناقضة ورافضة لها، لكنهم خلال هذه الفترة 1956 إقتنعوا بقوة وشرعية الإيديولوجية الثورية التي تبناها رجال نوفمبر، حتى أنهم تخلوا عن إنتماءاتهم السياسية السابقة واندمجوا داخل جبهة التحرير الوطني وتجانسوا معها إيديولوجيا. ولعل هذا يثبت لنا بأن الثورة المسلحة استندت على إيديولوجية صحيحة مكنتها من الاستمرارية والنجاح واستمالة مختلف الطاقات الحية والفئات المثقفة على إختلاف مشاربها الثقافية.

- إذن فانطلاقا مما سبق نستخلص بأن عملية تحرير الأرض بالجزائر كان يتوقف تحقيقها على ظهور ونجاح حركتين اساسيتين أولهما عسكرية واعية تستعمل العنف الثوري وتضم في صفوفها طلائع ثورية مؤمنة برسالتها ومشبة بالنزعة الوطنية تسعى جاهدا لتغيير الوضع القائم وقادرة ليس على الاستشهاد فحسب، بل وفي المقام الأول على ربح ثقة الجماهير التي هي ضرورية لربح المعركة ضد المستعمر الذي يملك العدة والعتاد. وثانيهما ثقافة وطنية تستعمل التخطيط العقلاني ولا تتردد في اللجوء إلى العنف الثوري للقضاء على مظاهر التبعية بكافة أشكالها. هاتان الحركتان متلازمتان ومترابطتان أشد إرتباط بحيث يصبح إنتصار الواحدة لايجدي نفعاً ما لم تتمكن الأخرى من تجسيد جل أهدافها على الأقل، بذلك يتم تحقيق الأهداف الوطنية التي اصبحت مشتركة بينهما بفعل قوة الثورة وفعالية إيديولوجيتها.

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء إلى الشعب الجزائري

هذا هو نص أول نداء وجهته الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني

إلى الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954

" أيها الشعب الجزائري،

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية،

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلون بصفة خاصة - نعلمكم

أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن

نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال

الوطني في إطار الشمال الإفريقي، ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الإلتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه

الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الإنتهازية.

فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد أدركت مرحلة

التحقيق النهائية. فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع - هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام

بعملية تحريرية، فإننا نعتبر الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال

والعمل، أما في الأوضاع الخارجية فإن الإنفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي

من بينها قضيتنا التي ستجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا . ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الاسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إن كل واحد منها اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء، محرومة من سند الراي العام الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية.

إن المرحلة خطيرة.

أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لاتزال سليمة ومصممة، إن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد، فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الإعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية.

ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم: جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نستخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الإجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر.

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ

الإسلامية.

2- إحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

1- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات

الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

2- تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

1- تدويل القضية الجزائرية.

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

3- في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال إتجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا

التحريرية

وسائل الكفاح:

إنسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وحقيقة إن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدنا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحذوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

1- الإعراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الإعراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزء.

3- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

1- فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو إقتصادية والمحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الامر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

2- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الإختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب إتجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3- تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع إتفاق بين القوتين الإثنتين على أساس المساواة والإحترام المتبادل.

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنضم لإنقاذ بلدنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك.
أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفس مانملك " .

فاتح نوفمبر 1954

الأمانة الوطنية.

قائمة "22" أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل

- مختار باجي

- عثمان بلوزداد

- رمضان بن عبد المالك

- بن مصطفى بن عودة

- مصطفى بن بولعيد

- محمد العربي بن مهدي

- لخضر بن طوبال

- رابح بيطاط

- الزبير بو عجاج

- سليمان بوعلي

- بلحاج بوشعيب

- محمد بوضياف

- عبد الحفيظ بوصوف

- مراد ديدوش

- عبد السلام حبشي

- عبد القادر العمودي

- محمد مشاطي

- سليمان ملاح

- محمد مرزوقي

- بوجمعة سويداني

- يوسف زيغود

من المناسب أن يضاف إلى هذه القائمة العضو (22) وهو الأخ إلياس دريش صاحب الدار الذي إنعقد فيها الإجتماع التاريخي في شهر جوان 1954، بحي الناصور بالمدينة (Clos Salembier سابقا) بالجزائر العاصمة¹.

(1): بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، مصدر سابق، ص - ص 45-46.

لجنة الستة:

الأسماء:

- مصطفى بن بولعيد

- محمد العربي بن مهدي

- رابح بيطاط

- محمد بوضياف

- مراد ديدوش

- بلقاسم كريم

وكان هؤلاء الستة يتشاورون مع أعضاء البعثة الخارجية الثلاثة لحزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة، وذلك منذ صيف 1954 وهؤلاء الأعضاء الثلاثة هم:

- حسين آيت أحمد

- أحمد بن بلة

- محمد خيضر¹

(1): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 47

قيادة جبهة التحرير الوطني (من 1956 إلى 1962):

- لجنة التنسيق والتنفيذ الأولى المعينة من قبل مؤتمر الصومام، أوت 1956 مؤلفة من خمسة

أعضاء:

- عبان رمضان

- بن يوسف بن خدة

- محمد العربي بن مهيدي

- بلقاسم كريم

- لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية المعينة من قبل المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بالقاهرة

أوت 1957، مكونة من تسعة أعضاء:

- رمضان عبان

- فرحات عباس

- الأخضر بن طوبال

- عبد الحفيظ بوصوف

- محمود الشريف

- محمد الأمين دباغين

- بلقاسم كريم

- عبد الحميد مهري

- عمار أو عمران

وإلى هؤلاء التسعة أضاف المجلس الوطني للثورة الجزائرية "الخمسة" المعتقلين:

- حسين آيت أحمد

- أحمد بن بلة

- رابح بيطاط

- محمد بوضياف

- محمد خيضر

رغم أنهم عينوا بصفة شرفية فإن "الخمسة" سيشاركون أكثر فأكثر في القيادة.¹

(1): بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 50

ملحق 05:

جدول الطلبة الجزائريين المسجلين في الجامعات الفرنسية في كل من الجزائر وفرنسا:

1- في فرنسا:

السنة الجامعية:	عدد الطلبة:	ملاحظات:
1960/1959	1230	بما في ذلك الأقسام التي تهيأ للدخول إلى المدارس العليا (480 طالبا)
		والجامعات (750 طالبا)

تقسيم الطلبة الجزائريين حسب اختصاصاتهم:

- أدب 95

- حقوق 100

- علوم 190

- طب وصيدلة 365

- المجموع: 750 طالبا.

2- في جامعة الجزائر العاصمة:

السنة الجامعية: عدد الطلبة: ملاحظات:

منهم 151 يتمتعون بمنحة 589 1954/1953

332 يتمتعون بمنحة. 814 1960 /1959

تقسيمهم حسب اختصاصاتهم:

- كلية الآداب 243

- كلية الحقوق 276

- كلية العلوم 195

- كلية الطب 100

المجموع: 814

السنة الجامعية 1961/1960¹:

المجموع	طب وصيدلة	علوم	آداب	حقوق	الطالبة
1145	148	232	367	398	ذكور
172	28	39	83	22	إناث
1317					

(1): عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير، مرجع سابق، ص 17

- ترجمة لأهم رموز الثورة الجزائرية:

محمد بوضياف: ولد محمد بوضياف في 23 جوان 1919 بالمسيلة من عائلة كبرى⁽¹⁾، زاول المرحلة الابتدائية في المدارس الأهلية التي كانت منتشرة آنذاك نظرا لصعوبة وضعه العائلي وقساوة الظروف التي نشأ فيها⁽²⁾. بعد الحرب ترك الوظيفة العمومية و وضع نفسه في خدمة الحركة الوطنية. ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري وأصبح مسؤولا عن المنظمة الخاصة في قسنطينة. كان سنة 1953-1954 المحور الأساسي لتجمع أنصار الكفاح المسلح، كان من أعضاء الوفد الذي اختطف في 22 أكتوبر 1956 وبقي بعدها عضوا في المجلس الوطني للثورة (1956/1962). وكان عضوا شرفيا في لجنة التنسيق والتنفيذ . جزءا كبيرا من نشاطه كان بالخارج موجهها لدعم الثورة⁽³⁾. عين وزيرا للدولة 1958 ثم نائبا لرئيس الحكومة المؤقتة 1961 . كان من المعارضين بشدة لهيمنة الجيش وزعامة بن بلة وأسس حزب الثورة الاشتراكية في سبتمبر 1962. كان إلى جانب حسين آيت أحمد من الأوائل الذي أسسوا جبهة التحرير ،حيث تخلوا بعدها عن فكرة الحزب الواحد وطالبوا بتعدد الأحزاب.

مصطفى بن بولعيد: ولد يوم 5 فيفري 1917 في أريس بمنطقة الأوراس من عائلة تنتمي إلى الأعيان⁽⁴⁾. تربى بن بولعيد في أسرة ريفية متوسطة الحال ، رباه والده داخل الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة وحفظ ماتيسر من القرآن الكريم ، ثم واصل دراسته في باتنة حيث تحصل على شهادة التعليم المتوسط بمدرسة الأمير عبد القادر حاليا. لم يكمل بن بولعيد دراسته لأن والده كان يمقت

(1): محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 190

(2) : Khalfa Mameri ,Mohamed Boudiaf, le Réve Assassiné, édition Thala Alger, 2006, p 07.

(3): جريدة المجاهد، العدد 1، 19 سبتمبر 1958، ص 4

(4): محمد حربي، المصدر السابق، ص 191

الإدارة الفرنسية، فخاف على ابنه من التأثر بالثقافة الفرنسية⁽¹⁾، فعاد إلى آريس ليساعد أباه في التجارة والفلاحة، واستمر يتردد على شيخه لقراءة كتب السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين.

هاجر بعدها إلى فرنسا سنة 1936 أين أصبح نقابيا بعمالة موزيل ومارتي moselle- et meurthe ثم عاد إلى الوطن وأنهى خدمته العسكرية سنة 1942 بنيله شهادة شرفية كمقاتل مقدم بالتكنة العسكرية بسطيف⁽²⁾.

إنخرط في 1946 في صفوف حزب الشعب الجزائري و تنظيماته المسلحة بعد الحرب العالمية الثانية، ثم أنتخب في الجمعية الجزائرية بكل نجاح، لكن السلطات الاستعمارية ألغت إنتخابه. أصبح بعدها عضوا في اللجنة المركزية 1953، واعترف به الجميع زعيما لأنصار الكفاح المسلح، لكنه ترك القيادة لمحمد بوضياف واكتفى بالقيادة السياسية والعسكرية لمنطقة الأوراس. أعتقل في فيفري 1955، لكنه تمكن من الفرار رفقة طاهر زبيري في نوفمبر 1955، أستشهد في 27 مارس 1956.

العربي بن مهدي: ولد عام 1923 في عيم مليلة بناحية قسنطينة في عائلة فلاحية متوسطة⁽³⁾، نشأ بن مهدي في اسرة فقيرة درس القرآن والأحاديث النبوية في الكتاب ، درس بعدها في المدرسة الفرنسية بعد انتقال أسرته إلى الخروب سنتي 1931/1932، ثم انتقل عند أخواله في باتنة أين تحصل هناك على الشهادة الابتدائية⁽⁴⁾. وفي سنة 1937/1938 استقرت أسرته في بسكرة أين واصل بن مهدي تعلمه بمتوسطة الكاردينال لافيغري، وانخرط بالتوازي في صفوف الكشافة

(1): يحيوي عبد الوهاب، دور مصطفى بن بولعيد في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (1954/1961)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: د، يحيوي مسعودة، جامعة الجزائر، 2004/2003.

(2): محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية (1954/1962)، دار علي بن زيد، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص 32

(3): محمد حربي، المصدر السابق، ص

(4): Khalfa Mameri, Larbi Ben M'hidi, un symbole national, Thala édition, Alger, p 15.

الإسلامية S.M.A وفي 1942 إلتحق بسلك الوظيف كعاملا بمصلحة إقتصادية تابعة للجيش

الفرنسي حيث استفاد من عمله ببعض قواعد الإنضباط والتنظيم.

ناضل في صفوف حزب الشعب وأصبح من أهم أعضاء تنظيمه المسلح. أعتقل بعد أحداث ماي 1945، وأتهم في قضية المنظمة الخاصة 1950 حيث حكم عليه بعشر سنوات سجنا غيابا. عضو مؤسس للجنة الثورية للوحدة والعمل وقائد منطقة وهران. لكنه تخلى عن هذه القيادة لفائدة بوصوف بعد مؤتمر 20 أوت 1956 الذي عينه عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ.

ديدوش مراد: ولد ببلكور في الجزائر العاصمة عام 1922، وهو من عائلة غنية⁽¹⁾، زاول دراسته الإبتدائية بالعاصمة وتحصل على الشهادة الإبتدائية سنة 1939 لينتقل بعدها إلى الثانوية التقنية بالعناصر حتى عام 1942 حيث قرر الانتقال إلى قسنطينة لمواصلة الدراسة بها.

إنضم إلى حزب الشعب الجزائري بعد 1945 وأصبح من كوادر المنظمة الخاصة. وبعد حل هذه الأخيرة عاد إلى التنظيم السياسي كنائب لمحمد بوضياف في تنظيم فيدرالية فرنسا. وقف ضد مصالي الحاج في مارس 1954 وعاد إلى الجزائر بعدها. كان عضوا في لجنة 22، ثم قائدا لمنطقة قسنطينة في أكتوبر 1954. كما يمنح الأولوية للعمل السياسي وكان جد متأثرا بالأفكار التي تنادي بالمساواة، استشهد في جانفي 1955 وكان من ألمع وجوه الحركة الوطنية.

كريم بلقاسم: ولد في 14 ديسمبر 1922 من عائلة غنية بمنطقة القبائل الكبرى، تربى في أسرة ميسورة الحال، درس المرحلة الإبتدائية بمدرسة صاروي بالعاصمة وخرج منها حائزا على الشهادة الإبتدائية بالعربية والفرنسية سنة 1936، دخل ورشة التكوين بناحية الشلف سنة 1942 حيث تعلم مبادئ المحاسبة. إنتقل في السنة الموالية إلى الجيش الفرنسي لأداء الخدمة العسكرية وسرح منه في 1945.

(1): محمد حربي، المصدر السابق، ص 193

إلتحق بصفوف حزب الشعب الجزائري في خريف 1954⁽¹⁾ بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ، كان عضوا فعالا في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية وأصبح مسؤولا عن ناحية ذراع الميزان. تمرد عن القانون الفرنسي ولجأ إلى الجبل قبل ظهور المنظمة الخاصة التي إنضم إليها سنة 1947. وقف وقفة وطنية أثناء ظهور الأزمة الوطنية وتصدى لها، بعد أن حكمت عليه المحكمة الفرنسية بالإعدام غيابيا، بقي ينشط في الحياة السرية في المنظمة الخاصة ويحضر الشباب للثورة، بعد الإنشقاق الذي أصاب حركة الإنتصار سنة 1953 كان إلى جانب المصاليين، لكنه بدأ يميل تدريجيا إلى التيار المحايد الثوري وانضم في أوت 1954 إلى اللجنة الثورية بعد اقتناعه بالعمل الثوري وأصبح عضوا هاما في لجنة الستة.

رابح بيطاط: ولد في 19 ديسمبر 1925 بعين الكرمة ولاية قسنطينة و تربى في أسرة فقيرة، غادر المدرسة في سن مبكرة لأن ظروف اسرته لم تسمح بالتردد المستمر على المدرسة الفرنسية . ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري ثم المنظمة الخاصة سنة 1948⁽²⁾ ، وبعد اكتشاف هذه الأخيرة لجأ إلى الأوراس حتى عام 1951. إنضم رفقة بن مهدي إلى محمد بوضياف بمجرد عودته من فرنسا إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل. كان قائد المنطقة الرابعة تاريخيا، وعضوا أساسيا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنبثق عن مؤتمر الصومام، وعين عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ في صائفة 1957، عين وزيرا في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية والثالثة على التوالي.

حسين آيت أحمد: ولد من عائلة كبيرة من منطقة القبائل عام 1926⁽³⁾، إنضم عام 1942 إلى حزب الشعب، ونادى منذ عام 1946 بالجوء إلى الكفاح المسلح. عضو المكتب السياسي ما بين عامي (1947/1949)، ساهم في تشكيل المنظمة الخاصة، وأعد برنامج للإنتفاضة قدمه للجنة

(1): محمد علوي، المرجع السابق، ص 85.

(2): محمد علوي، نفس المرجع، ص 113.

(3): محمد حربي، المصدر السابق، ص 189

المركزية في ديسمبر 1948. نظم الهجوم على بريد وهران في أبريل 1919، أبعد من الهيئات القيادية بتهمة الميل للبربرية، وحل أحمد بن بلة محله على رأس المنظمة الخاصة. لجأ بعد الحكم عليه غيابيا إلى القاهرة عام 1951 حيث كان يمثل هناك حزب الشعب/ حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية إلى جانب محمد خيضر. بعد انشقاق الحزب، دافع أحمد بن بلة عن فكرة الكفاح المسلح وأصبح أول ممثل لجبهة التحرير في نيويورك وعضوا في المجلس الوطني للثورة. تعرض إلى جانب رفاقه لحادثة القرصنة الجوية من طرف فرنسا في 22 أكتوبر 1956.

أكسبته سياسته عداءا مع بعض المناضلين مثل محمد بوضياف، أحمد بن بلة، كريم بلقاسم وبوصوف.

أحمد بن بلة: ولد يوم 25 ديسمبر 1916 بمغنية، في عائلة من صغار الفلاحين، تلقى تعليمه الأهل بمدارس تلمسان الغنية بتراتها وتقاليدها العربية¹. انضم بعدها إلى حزب الشعب الجزائري بعد الحرب العالمية الثانية وأصبح سنة 1949 مسؤولا عن التنظيم والمنظمة الخاصة. أعتقل في 1950 في قضية بريد وهران وتمكن من الفرار. إلتجأ إلى القاهرة وأصبح منذ نوفمبر 1954 أحد زعماء جبهة التحرير. تعرض بن بلة لعدة محاولات إغتيال، ثم أعتقل بعد اختطاف طائرته في 22 أكتوبر 1956. كان عضوا في المجلس الوطني للثورة (1962/1956) ونائبا لرئيس الحكومة المؤقتة وأول رئيس للجمهورية الجزائرية بعد الاستقلال.

محمد خيضر: ولد ي 13 مارس 1912 بالجزائر العاصمة في عائلة فقيرة⁽²⁾، إنخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري، أنتخب نائبا عن الجزائر العاصمة عام 1946. حاول بصفته من أنصار الكفاح المسلح مصالحة المصاليين والمركزيين حتى يتولى الجميع مجابهة المهام

(1): حكيمة شتو، المبادئ التنظيمية لقيادة الثورة الجزائرية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: عبد الحميد زوزو، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص 211
(2): محمد حربي، المصدر السابق، ص 194.

الجديدة لكن دون جدوى. كان عضوا في المجلس الوطني للثورة و وقف في صف بن بلة في 1962 وأصبح كاتباً عاماً لجبهة التحرير.

محمد الأمين دباغين: ولد بسطيف سنة 1917، متخرج من كلية الطب، عضو قيادي بارز في حزب الشعب الجزائري مابين (1939/1949). وقع في خلاف مع زعيم الحزب مصالي الحاج حول قضية المشاركة في الإنتخابات لأنه يحبذ فكرة العمل المسلح، إلتحق بالثورة سنة 1955 فعين رئيساً للبعثة الخارجية بالقاهرة ثم عضواً بلجنة التنسيق والتنفيذ، فوزيراً للشؤون الخارجية سنة 1958⁽¹⁾.

هواري بومدين: اسمه الحقيقي محمد بوخروبة، ولد قرب ولاية قالمة من اسرة فلاحية. درس القرآن بمسقط رأسه ثم تابع دراسته بالمدرسة الكتانية القرآنية التي كان يشرف عليها مناضلوا وأنصار مصالي الحاج، بعدها إنتقل إلى تونس وتابع دروسه في الزيتونة، ليلتحق بعد ذلك إلى الأزهر بالقاهرة. شارك في العمل الثوري منذ سنة 1955⁽²⁾.

باجي مختار: ثوري جزائري من القادة 22 التاريخيين ولد في 17 أبريل 1919 بعنابة من عائلة متعلمة وكان أبوه موظفاً في محكمة سوق أهراس، زاول باجي مختار تعليمه الإبتدائي والمتوسط في نفس المدينة لكنه اضطر إلى مغادرة مقاعد الدراسة نتيجة تعسف وعنصرية أساتذته الفرنسيين سنة 1936. سقط في المعركة بعد محاصرته من طرف القوات الفرنسية في غابة بني صالح في منطقة مجاز بقالمة في 19 نوفمبر 1955.

زيغود يوسف: ولد في 18 فيفري 1921 بدوار الصوادي ببلدية سمندو بولاية قسنطينة. تربى في أسرة فقيرة⁽³⁾، دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية حتى وصوله السنة الثالثة دخل الكتاب لحفظ القرآن

(1): حكيمة شتواح، المرجع السابق، ص 214

(2): نفس المرجع، ص 217

(3): محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 69.

الكريم. بعدها امتهن الحدادة واصبح بارعا فيها. إنخرط في حزب الشعب الجزائري في سن 17 سنة وأصبح المسؤول الأول بالحزب في قرينته. قاد مظاهرات 8 ماي 1945، وانضم إلى المنظمة الخاصة سنة 1948. تولى قيادة المنطقة الثانية تاريخيا الشمال القسنطيني بعد استشهاد ديدوش مراد حيث نفذ بها هجومات عسكرية في 20 أوت 1955. كما لعب زيغود يوسف دورا هاما في التحضير لمؤتمر الصومام، استشهد في 23 سبتمبر 1956.

عبد الحفيظ بوصوف: ولد بوصوف سنة 1926 ببلدية ميله تربي بأسرة فقيرة تمتهن الفلاحة، دخل المدرسة الابتدائية وفي عام 1944 سافر إلى قسنطينة للعمل⁽¹⁾. إنخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري بمدينة ميله وهو في سن 16 عاما، وأسس بها خلايا تضم مجموعة من المناضلين منهم سليمان بن طوبال. وبفضل نشاطه السياسي الدؤوب وحنكته في مواجهة المواقف الحرجة أصبح مسؤول فوج بالمنظمة الخاصة. كان نائبا للعربي بن مهيدي في قيادة المنطقة الخامسة وأنتخب عضوا في المجلس الوطني للثورة. توفي بباريس في 1980.

(1): نفس المرجع، ص 15.

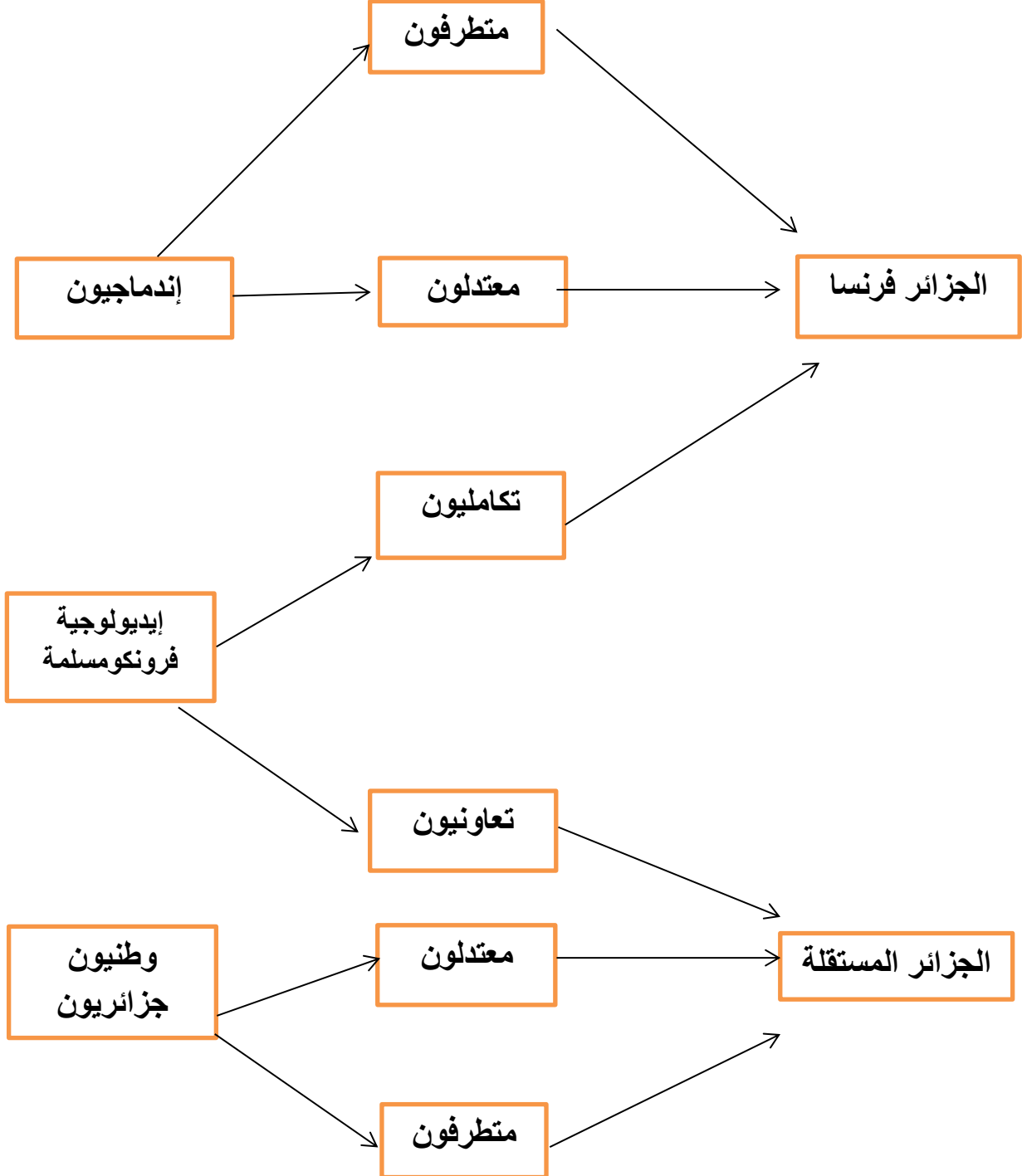
الإطارات السامية ضحايا التصفيات الداخلية للقيادة: (1)

الاسم	المسؤولية	المنظمة التي ينتمي إليها	السبب
عبان رمضان	مسؤول الإعلام	لجنة التنسيق والتنفيذ	رفض الإعراف باولية العسكريين
لغزور عباس	قائد الأوراس	الولاية 1	رفض الإعراف بقرارات الصومام
لزهر شريط	قائد النمامشة	الولاية 1	رفض الإعراف بقرارات مؤتمر الصومام
العقيد عموري	قائد ولاية	الولاية 1	رفض الإعراف بقرارات الصومام
العقيد نواورة	قائد ولاية	الولاية 1	مؤامرة ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية
الرائد مصطفى لكل	ممنندب بالقاهرة	الولاية 4	مؤامرة ضد الحكومة المؤقتة
ملاح علي	قائد ولاية	الصحراء	تعسف وجهوية
جغلالي	قائد ولاية	الصحراء	تعيين رفضه قادة الولايات
الرائد عبد اللطيف	عضو مجلس الولاية	ناحية الجزائر	لقاء ديغول

(1): نواورة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، مرجع سابق، ص 201

لقاء ديغول	ناحية الجزائر	عضو مجلس الولاية	الرائد لخضر بوشامة
تأييد اللقاء مع ديغول	ناحية وهران	قائد قطاع	النقيب عبد الله

تصنيف الطبقة الفرونكفونية من الطلبة الجزائريين: (1)



(1): عبدالله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية، مرجع سابق، ص 68.

أثر الحرب على تـمدرس المسلمين في الجزائر: (1)

السنة	إبتدائي/عمومي	ثانوي / عمومي	منهم طلبة ثانويون فرنسي - إسلامي	عالي
1954-1955	306737	6260	740	589
55-56	294642	7132	860	684
56-57	270175	3888	269	267
57-58	332043	6806	805	421
58-59	450568	8661	-	530
59-60	593911	10242	-	814
60-61	700658	11760	-	1317

(1): نـواره حسين، المـثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، مرجع سابق، ص 201

المبادئ العشرة لجيش التحرير الوطني:

- 1- مواصلة الكفاح إلى أن تتحرر البلاد ويتحقق استقلالها التام.
- 2- مواصلة تحطيم قوات العدو والإستيلاء على المواد والأدوات ألى أقصى حد ممكن.
- 3- تنمية المقدرة المادية والمعنوية والفنية في وحدات جيش التحرير الوطني.
- 4- الجنوح بأقصى مايمكن إلى الحركة والخفة وإلى التفرق ثم الإلتنام بعد ذلك والهجوم.
- 5- تقوية صلة الوصل بين مراكز القيادة ومختلف الوحدات.
- 6- توسيع شبكة الاستخبارات في وسط العدو ووسط السكان.
- 7- توسيع الشبكة العاملة على إقرار وتعزيز نفوذ جبهة التحرير الوطني لدى الشعب لتجعل منه سندا أميناً ثابتاً.
- 8- تقوية روح الإمتثال للأوامر والملازمة للنظام في صفوف جيش التحرير الوطني.
- 9- تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل المشترك في نفوس المجاهدين.
- 10- مراعاة المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو¹.

(1): المجاهد، العدد 34، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 31.

التشكيلات الثلاث للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية:

- التشكيلة الأولى (1960/1958):

- السيد فرحات عباس.....رئيس الحكومة
- السيد كريم بلقاسم.....نائب الرئيس ووزير القوات المسلحة
- السيد أحمد بن بلة.....نائب الرئيس
- السيد حسين آيت أحمد.....نائب الرئيس
- السيد رابح بيطاط.....نائب الرئيس
- السيد محمد بوضياف.....وزير الدولة
- السيد محمد خيضر.....وزير الدولة
- السيد محمد لامين دباغين.....وزير الشؤون الخارجية
- السيد محمود الشريف.....وزير التسليح والتموين
- السيد لخضر بن طوبال.....وزير الداخلية
- السيد عبد الحفيظ بوصوف.....وزير الإتصالات العامة والمواصلات
- السيد عبد الحميد مهري.....وزير شؤون شمال إفريقيا
- السيد أحمد فرانسيس.....وزير الشؤون الاقتصادية والمالية
- السيد أحمد يزيد.....وزير الإعلام

- السيد بن يوسف بن خدة.....وزير الشؤون الإجتماعية

- السيد أحمد توفيق المدني.....وزير الشؤون الثقافية

- السيد الأمين خان.....كاتب دولة

- السيد عمر أوصديق.....كاتب دولة

- السيد مصطفى اسطنبولي.....كاتب دولة¹

التشكيلة الثانية (1961/1960):

- السيد فرحات عباس.....رئيسا

- السيد كريم بلقاسم.....نائب الرئيس ووزير الشؤون الخارجية

- السيد أحمد بن بلة.....نائب الرئيس

- السيد حسين آيت أحمد.....نائب الرئيس

- السيد رابح بيطاط.....نائب الرئيس

- السيد محمد بوضياف.....وزير دولة

- السيد محمد خيضر.....وزير دولة

- السيد السعيد محمدي.....وزير دولة

- عبد الحميد مهري.....وزير الشؤون الإجتماعية والثقافية

- السيد عبد الحفيظ بوصوف.....وزير التسليح والاتصالات العامة

(1): ملف خاص بالحكومة الجزائرية، مجلة الذاكرة، العدد 3، مرجع سابق، ص - ص 233-235.

- السيد أحمد فرانسيس.....وزير المالية والشؤون الاقتصادية

- السيد محمد يزيد.....وزير الإعلام

- السيد لخضر بن طوبال.....وزير الداخلية¹.

التشكيلة الثالثة (1961/1962):

- السيد بن يوسف بن خدة.....رئيسا ووزيرا للمالية والشؤون الاقتصادية

- السيد كريم بلقاسمنائب الرئيس ووزير الداخلية

- اسيد أحمد بن بلة.....نائب الرئيس

- السيد محمد بوضياف.....نائب الرئيس

- السيد حسين آيت أحمد.....وزير دولة

- السيد رابح بيطاط.....وزير دولة

- السيد محمد خيضر.....وزير دولة

- السيد لخضر بن طوبال.....وزير دولة

- السيد سعيد محمدي.....وزير دولة

- السيد سعد دحلب.....وزير الشؤون الخارجية

- السيد عبد الحفيظ بوصوف.....وزير التسليح والاتصالات العامة

- السيد أمحمد يزيد.....وزير الإعلام⁽¹⁾.

(1): المرجع نفسه

بيبلوغرافيا البحث

أ - المصادر:

- المدني توفيق ، حياة كفاح، الجزء الثالث، مع ركب الثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،
- آيت أحمد حسين، مذكرات مكافح 1952/1942، روح الاستقلال،ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، (252 ص)
- الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (425ص)
- بوداود عمر، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007،(270ص)
- بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، إتفاقيات إيفيان، تعريب: لحسن زغدار، مراجعة: عبد الحكيم بن الشيخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (139 ص)
- بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الشاطبية للنشر والتوزيع،الجزائر، الطبعة الثانية، 2012، (ص 612)
- بوضياف محمد، التحضير لأول نوفمبر 1954، الطبعة الأولى، 2010، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، (117ص)

- دحلب سعد ، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر ، المؤسسة الوطنية ، الجزائر ، 2007 ،
(340ص).

- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة:نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم
للنشر، الجزائر، 2007، (205ص)

- عباس فرحات، الشباب الجزائري، ترجمة : أحمد منور، تقديم: ابوالقاسم سعدالله ، 2007،

- هارون علي، الولاية السابعة ،حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي
(1962/1954) تذييل: محمد بوضياف، ترجمة :الصادق عماري و مصطفى ماضي، دار القصة
، الجزائر، 2007، (652ص)

- كافي علي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1962/1946، دار القصة للنشر،
الجزائر، (441ص)

- لشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة : حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر،
2007، (468ص)

- لشرف مصطفى، أعلام ومعالم، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، مآثر عن جزائر منسية، دار القصة
للنشر، الجزائر، 2007، (478ص)

- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1938/1898، ترجمة: محمد المعراجي، تصدير: عبد
العزیز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، (183 ص)

ب/ المراجع باللغة العربية:

- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، (1956-
1962)، دار هومة، الجزائر، (331ص)
- أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر، من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير،
المجلد الثاني، الطبعة الأولى، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، (1018ص)
- الجابري محمد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة
العربية، 2000، (155ص)
- إحدادن زهير، شخصيات ومواقف تاريخية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،
(210ص).
- الذيب فتحي، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المسقبل العربي، القاهرة، الطبعة 1990، 2،
(727ص)
- الزبيري العربي، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،
الجزائر، (183ص)
- الزبيري العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، الطبعة الأولى، 1984، (262ص)
- الزبيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، جزء 1، منشورات إتحاد الكتاب العرب،
1999، (238ص)
- العقاد صلاح، المغرب العربي الكبير في التاريخ الحيث والمعاصر، الجزائر تونس المغرب
الأقصى، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، (608ص)

- أوندرية ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص ، ترجمة: ميشال سطوف، مراجعة وإشراف:
سمير سطوف، الجزائر، 2007، (227ص)
- برفيلي غي، النخبة الجزائرية الفرونكفونية، (1962/1880)، ترجمة: حاج مسعود وآخرون،
دار القصبه للنشر، الجزائر، (634ص)
- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1989/1830 ، دار المعرفة، الجزائر، (552ص)
- بلاسي نبيل ، دور الإتجاه العربي الإسلامي في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية العامة
للكتاب، (420ص)
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، الطبعة الأولى، 1997، (624ص)
- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية
الجزائرية (1945/1939) ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، (392ص)
- بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1954/1830، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر، (143 ص)
- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة، دار البصائر،
الجزائر، 2009، (535ص)
- جغابة محمد ، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب، رسالة للسلام، قراءة في البيان، تقديم: محمد
العربي ولد خليفة، دار هومة للطباعة، الجزائر

- جونسون بول، المثقفون، ترجمة: طلعت الشايب، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة 1، 1998، (357ص)

- حمادي عبدالله، الحركة الطلابية الجزائرية 1962/1871، مشارب ثقافية وإيديولوجية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، الطبعة 2، (160ص)

- حمانة البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، دار الغرب، الجزائر، 2005، (294ص)

- عبد الحميد براهيم، في أصل الأزمة الجزائرية (1999/1958)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (284ص)

- خلوفي بغداد، نشاط الحركة الطلابية أثناء الثورة التحريرية (1962/1954)، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، (310ص)

- رخيلة عامر، أحداث 8ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (199ص)

- زوزو عبد الحميد، المراجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات وموثيق)، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة 2013، (405ص)

- زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، (552ص)

- ستورا بنجامين، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1962/1988، ترجمة: صباح ممدوح كعدان، منشورات الهيئة العاملة السورية للكتاب، دمشق، 2012، (144ص)

- سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1962/1954)، الجزء العاشر، دار البصائر، الجزائر،
2007، (685ص)

- سعد الله أبو القاسم ، خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير (1962/1830)، الطبعة الأولى،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، (214ص)

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
الطبعة 4، 1992، (302ص)

- سعدالله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني (1930/1900)، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، الطبعة 4، 1992، (494ص)

- سعيد ادوارد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، (205 ص)

- سعيود أحمد، العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني (1958/1954)، الجزائر، (206ص)

- سيد علي مبارك مريم، أعلام الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، (240ص)

- شريعتي علي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، لبنان، دار الأمير، الطبعة الثانية،
2007، (199 ص)

- عباس محمد، مثقفون في ركاب الثورة، في كواليس التاريخ، دار هومة، الجزائر، (259ص)

- عبد الكريم شوقي، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954، دار هومة، الجزائر،
2004، (262ص)

- علوي محمد، قادة ولايات الثورة الجزائرية (1962/1954)، دار علي بن زيد، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، (208ص)

- عمورة عمارة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002، (220 ص)

- عميرايو أميدة، أبحاث في الفكر والتاريخ، (الجزائر وفلسطين)، دار الهدى، الجزائر، (248ص)

- قنانش محمد، المسيرة الوطنية، آفاق مغربية وأحداث 8ماي1945، منشورات دحلب، الجزائر، (95ص)

- فاضلي إدريس، حزب جبهة التحرير ثوابت ومرجعيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013،

- كميل ريسليير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962/1830)، ترجمة: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الطبعة الأولى، 2016، (472ص)

- كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1962/1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، (354ص)

- لونييسي رابح، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، (276ص)

- لونييسي رابح، دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة 1، 2012، (327ص)

- محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991. (168 ص)

- معمري خالفة، عبان رمضان، تعريب: زينب زخروف ، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007، (547ص)

- مقالاتي عبدالله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1962/1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، (304ص)

- ملاح عمار، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى ، الجزائر، (296ص)

- مهساس أحمد ، الحركة الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود ومحمد عباس، دار القصة للنشر، الجزائر،(429ص)

- مناصرية يوسف، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين 1919 / 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، (117ص)

- نايت بلقاسم مولود قاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر 1954، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، (253ص)

- هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، دار هومة، الطبعة الخامسة، 2012، (206ص)

- ثنيو نورالدين، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2015، (639ص)

المراجع باللغة الفرنسية:

- Abdelkader Hamid, les six initiators d'une revolution, édition almaarifa, algerie, (158p)
- Abdelkader Hamid , Houari Boumedienne , un homme, une révolution,(1954/1962), chihab éditions, Algerie, (124p).
- Benkheda Benyoucef ,Alger capital de la resistance(1956/1957) ,
- Khalfa Maameri ,colonel Lotfi , 2eme édition , thala édition ,alger,2010 , (37p)
- Khalfa Maameri, Abane Ramdane , finalement le père de l'indépendance,5eme édition , thala édition ,alger, (421p)
- Meynier Gilbert , histoire interieure du FLN (1954/1962), casbah édition, algerie 2003, (812p)
- Rédha Malek, l'algerie à évian, histoire des négociations secrètes , édition ANEP ,algerie.
- Smati Mahfoud, Les élites Algérienne sous la colonisation, tome 1, maisonneuvre et la rose,1999.
- Teguia Mohamed, L'Algerie en guerre , office des publication universitaires ,Alger, 2009, (435p)

المجلات والجرائد:

- المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 34، الجزء الأول، 19 سبتمبر 1958

- المجاهد، العدد 34، الجزء الثاني، 1958/12/25

- المجاهد ، العدد 63، 7 مارس 1960

- المصادر، العدد 11، عدد خاص للمقاومة والحركة الوطنية، المركز الوطني للدراسات والبحث

في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.

- الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، العدد الثالث، خريف 1995، الموافق لـ

.1415

- عصور، مجلة فصلية محكمة، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران 1، عدد 24-25 جانفي-

جوان 2015.

- مجلة إيلاف الإلكترونية، العدد 6234، 21 ماي 2001.

هـ / المقالات:

- إبراهيم لونيبي، أزمة الشعب الجزائري خلفياتها وأبعادها، المصادر، العدد 2، 1999-1420هـ.

- بوضربة عمر، دور مكاتب جبهة التحرير الوطني في حشد الدعم للقضية الجزائرية في بلدان غرب أوروبا(1955-1960)، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد20، جوان2018
- زمام نور الدين، حول سوسولوجية المثقف الجزائري، نشر في مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، مجلة فصلية أكاديمية، العدد الأول، 2008
- لزهر بديدة، العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية من خلال الوثائق والشهادات(الأهمية والأسس والآليات والأهداف)، مجلة جامعة الامير عبد القادر، المجلد 30، العدد2.
- السعيد تريعة، دور الثقافة والنخب في إندلاع ثورة الجزائر، 2009/11/01،

www.midle.east-online.com

- كرليل عبد القادر، القضية الجزائرية في الامم المتحدة (1955/1961)، مجلة أفكار وآفاق، العدد 8، 2016.
- فتحي الحبوبي، الحوار المتمدن، المثقف وهواجس قول الحقيقة وفعل التغيير واستقلالية الموقف، 02مارس، 2015.
- بشارة عزمي، عن المثقف والثورة، مجلة تبين، العدد 4، ربيع 2013.
- بوزيان سعدي، الثورة الجزائرية بين طلاب اللغة العربية وطلاب الفرنسية، جريدة رأي اليوم، 19 ماي 2015.
- عمري الطاهر، تأثير المعلمين الفرنسيين في إتجاهات المثقفين الجزائريين إلى نهايات القرن 19، مجلة علوم إنسانية، العدد 73، مارس2006، www.uluminsania.net

- عمري الطاهر، النخبة الجزائرية المفرنسة (1914/1900)، مجلة علوم إنسانية، العدد 73، مارس 2015.

د/ الرسائل الجامعية :

- مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية والثورة التحريرية 1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ.د ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، (673ص)

- حلوى فاطمة الزهراء، المثقفون الجزائريو والثورة- دراسة وصفية تحليلية للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، رسالة لنيل شهادة الماجستير تربوي ثقافي، إشراف: عبد الغني مغربي.

- يحياوي عبد الوهاب، دور مصطفى بن بولعيد في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (1961/1954) رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: د مسعودة يحياوي، جامعة الجزائر، 2004، (258ص)

- خيشان محمد، مهام الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني بالقاهرة 1954/1947، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.شاوش حباسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002/2001.

- لعزازي عتيق حسان، العقيد عبد الحفيظ بوصوف ودوره في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (1962/1943)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د، أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، (117ص)

- خيثر عبد النور، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية(1962/1954)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، إشراف: أ.د شاوش حباسي، جامعة الجزائر، 2006/2005، (531ص)

- لهلالي أسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1962/1954) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف: أ.د عبد الكريم بوصفصاف، جامعة قسنطينة، 2012، (318ص)
- شلي أمال، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية(1962/1954)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ.د عبد الكريم بوصفصاف، جامعة باتنة، (566ص)

- شتواح أمال، المباديء التنظيمية لقيادة الثورة الجزائرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الحميد زوزو، جامعة الجزائر، (246ص)
- بكاكية جودي، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري، (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى لشرف)، رسالة لنيل شهادة الماجستير ثقافي تربوي، إشراف: عبد الغاني مغربي، جامعة الجزائر، 2009/2008، (363ص).

- القواميس:

- البستاني فؤاد، منجد الطالب، بيروت، دار المشرق، 1986.

فهرس الأعلام:

- أ -

ابن منظور: ص 6

الإبراهيمي البشير: ص 77،78،144،145،148،156،157

الإبراهيمي أحمد طالب: ص 160،165

الجابري عابد: ص 14

ابن باديس عبد الحميد: ص 37،44،68،69،155،171

ابن بريهمات أحمد: ص 25

ابن جلول: ص 77،78

ابن أبي شنب: ص 39،42

ابن الأكل: ص 37

ابن حبيلس: ص 29

ابن بلة: ص 99،111،120،254،266،267،268،270،274،284،314

ابن التهامي: ص 39،40،45،48

التبسي العربي: ص 86، 90

ابن سماعيل أحمد: ص 21

أوزقان عمر: ص 76،193

إيميل زولا: ص 2،3

الأفغاني جمال الدين: ص 56

المكي الشيخ: ص 42

أنطونيو غرامشي: ص 11،67،121

المجاوي عبد القادر: ص 37،39،44،45،46

آيت أحمد حسين: ص 95،98،99،111،118،119،120،266،267،268،284،314

المقراني، الحداد: ص 36

الشريف محمود: ص 174

أوصديق عمر: ص 40،57،170

- ب -

باران بول: ص 13

بلوزداد محمد: ص 95،98،99،100

بيطاط رابح: ص 66،111،114،119،266،315

بن مهدي العربي: ص 66،94،114،119،120،212،254،257

بن يوسف بن خدة ص 69،82،101،104،106،109،142،193،222،260،268،303،314

320،

جميلة بو حيرد: ص 162،165،209

بوضياف محمد: ص 66،95،96،101،109،111،114،119،120،266،267،268،315

بن بولعيد مصطفى: ص 66،94،111،114

بناي واعي: ص 56

بلقاسم كريم: ص 251،305،310،325،328

بوضربة أحمد: ص 33

بوضربة عمر: ص 29

بوصوف عبد الحفيظ: ص 111،249،268،303،304،305،310

بن مهنا صالح: ص 38

بن يحي محمد: ص 128

بن طوبال لخضر: ص 111،241،246،249،303،305،311،312

بلعيد عبد السلام: ص 205،164،165

برفليي غي: ص 168

بوتفليقة عبد العزيز: ص 212

- ج -

الجابري عابد: ص9

جوريس جان: ص29

- ح -

حاج علي عبد القادر: ص62،63

حمدان خوجة: ص42،48،55

حاج سعيد الشريف: ص40

حسين نواراة: ص222

- خ -

خالد الأمير: ص54،59،60،61،63

خيزر محمد: ص79،111،118،151،266،268،284،314،315،320

- د -

دباغين لمين: ص68،79،97،222،226،255،289،295،304،312

ديدوش مراد: ص94،109،166

دريفوس: ص2،4

دندان الصادق: ص33

ديغول شارل: ص168،181

دحلب سعد: ص193،222

- ز -

الزبيري العربي: ص17،33

زيغود يوسف: ص94،111،244،256،269

زموشي سعيد: ص40

- س -

سارتر جان بول: ص12،121

سعدالله أبو القاسم: ص43،124،166

- ش -

شلاله يوسف: ص8

- ع -

عباس فرحات: ص25،26،63،71،72،76

248،305،309،316،317،325، 77،78،79،115،149،150،151،152،153،156،179،

163،193،222،224،248،250،251،252،253،255،256،305،320

324،

- ف -

فولتير: ص 3، 13

- ك -

كافي علي: ص 242

- ظ -

ظريف الزهرة: ص 162، 165، 194، 209

- ل -

لحول حسين: ص 79، 97، 98، 105، 109، 111، 143، 163

لونيبي حمدان: ص 37، 40

لشرف مصطفى: ص 10، 222، 270

لاكوست: ص 136

- م -

مارسي جورج: ص 18

مصالي الحاج:

62، 66، 67، 71، 72، 77، 79، 81، 91، 96، 97، 98، 103، 105، 106، 107، 109، 110، 139، 140،

142، 154، 157، 181، 310، 324

المدني توفيق: ص 145، 146، 176

مهساس أحمد: ص 34،55،144،145

مندیس فرانس: ص 179

فهرس الأماكن والمدن:

- أ -

الأوراس: ص 75،100،153،254،255،256

أروبا: ص 4،5،86

الأرجنتين: ص 285

آسيا: ص 61،273،293،296

إفريقيا: ص 35،61،97،107،273،296

ألمانيا: ص 2،215

- ب -

باريس: ص 14،21،62،71،143،159،182،275

بروكسل: ص 63

بلغاريا: ص 215،216

- ج -

الجزائر: ص 16،17،18،19،20،33،35،37،39،40،42،43،45،49،50،52،55،59،62

65،72،73،75،76،79،81،88،94،96،98،113،144،152،153،158،159،167،171،17

7،182،184،192،206،263،289،290،291،296،299،300،302،305،319

- ت -

تركيا: ص 32،37،42

تونس: ص 162،167،168،206،216،263،267،287،288،291،294،298،300،302

304،316،

تولوز: ص 3

- ر -

روسيا: ص 5،86،118

- س -

سوريا: ص 198،199،201،205،218،224

سويسرا: ص 215،216

- ش -

الشام: ص 32،201

- ع -

العراق: ص 198،200،201،202،206،214

- ف -

فرنسا: ص

2،4،16،17،18،19،21،40،41،44،50،51،52،57،58،60،62،63،64،69،70،74،79،81

،82،101،109،150،153،158،164،167،171،178،179،214،216،218،219،248،26
5،267،271،287،290،294،296،299،300،302،306،308،314،320،321،323،324،
326،329

غويانا: ص2

- ق -

القاهرة: ص145،150،163،202،203،218،284،289،291،295،314،329،330

قسطنطينة: ص35،36،44،100،148،171

- ك -

الكويت: ص199،200،201،202،214

- ل -

ليبيا: ص294

- م -

مصر: ص5،198،199،201،214

المغرب: ص168،206،255،267،287،288،291،294،298،302،304

فهرس الموضوعات:

إهداء

شكر وعرهان

قائمة الرموز

مقدمة.....(أ، ر)

مدخل:

1- نبذة تاريخية عن مفهوم المثقف.....02

2- المعنى اللغوي والإصطلاحي لمفهوم المثقف والمثقف الثوري.....05

3- الأوضاع الثقافية بالجزائر قبل إندلاع الثورة.....15

4 - الإيديولوجيات الثقافية بالجزائر قبل إندلاع الثورة.....18

الفصل الأول:

أصول ومنطلقات المثقفين الجزائريين وعلاقتهم بالثورة

- المبحث الأول: الحركة الوطنية ونشأة المثقف الثوري

أولاً:- تبلور الوعي الوطني وظهور المثقفين.....27

1- النهضة وبوادر الوعي الوطني.....28

2 - كتلة المحافظين وجماعة النخبة.....39

ثانيا: الإتجاهات الفكرية وتبلور التيار الثوري.....49.....

1 - إنخراط المثقف الجزائري في تيارات الحركة الوطنية.....50.....

2 - أحداث 8ماي 1945 في منظور المثقف الجزائري.....66.....

- خلاصة المبحث الأول.....78.....

- **المبحث الثاني: المثقف الثوري وعلاقته بالثورة التحريرية**

أولا: التحضير للثورة وتبلور النخبة الثورية.....85.....

1- المنظمة الخاصة والإعداد للثورة.....85.....

2- أزمة الحركة الوطنية وموقف المثقف الثوري.....93.....

ثانيا: لجنة 22 نموذج المثقف الثوري.....102.....

1- دراسة اجتماعية لبعض رموز الثورة التحريرية.....102.....

2- ثورة نوفمبر في إيديولوجية المثقف الثوري.....111.....

- خلاصة المبحث الثاني.....120.....

الفصل الثاني:

موقف المثقفين الجزائريين من الثورة وإنضمام الطلبة الجزائريين

- **المبحث الأول: إندلاع الثورة التحريرية وموقف المثقفين منها**

أولا: موقف المثقف الجزائري في ظل التشكيلات السياسية.....126.....

- 1- موقف المرزبين والمصاليين.....127
- 2- جمعية العلماء المسلمين ونوفمبر.....131
- 3- موقف الإدماجين والشبوعيين.....135
- ثانيا: الطلبة الجزائريين والثورة التحريرية.....144
- 1- إلتحاق الطلبة بالثورة ومواقفهم المختلفة منها.....145
- 2- الإيديولوجيا الثقافية للطلبة الجزائريين الوطنيين والفرنكفونيين.....159
- خلاصة المبحث الأول.....168
- المبحث الثاني: علاقة المثقف الجديد بجهة وجيش التحرير الوطني ودوره في الثورة
- أولا: كفاح الطالب الجزائري في صفوف الثورة.....174
- ثانيا: مهام الطلبة داخل جبهة وجيش التحرير الوطني.....187
- ثالثا: علاقة الطلبة الجزائريين بالمثقفين الثوريين مفجري الثورة.....199
- خلاصة المبحث الثاني.....207

الفصل الثالث:

إيديولوجيات المثقف الجزائري ودوره في الثورة بعد مؤتمر الصومام 1956

- المبحث الأول: دور المثقف الجزائري في الثورة بعد 1956

أولا: مؤتمر الصومام والمثقف الجزائري.....213

1- الظروف التاريخية لإنعقاد المؤتمر.....	213
2- المثقف الجزائري من خلال قرارات مؤتمر الصومام.....	223
ثانيا: مؤتمر طرابلس والمثقف الجزائري.....	236
1- ظروف إنعقاد مؤتمر طرابلس.....	236
2- قراءة في محتوى ميثاق طرابلس.....	244
- خلاصة المبحث الأول.....	252
- المبحث الثاني: المساعي الدبلوماسية للمثقفين الجزائريين خلال الثورة	
أولاً: الدور الدبلوماسي للمثقف الجزائري على الصعيد الخارجي.....	256
1- سعي المثقفين إلى تدويل القضية الجزائرية.....	257
2- نشاط المثقفين على المستوى الإقليمي.....	264
ثانيا: المثقف الجزائري وتحقيق الاستقلال.....	274
1- تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ودور المثقفين فيها.....	274
2 - المفاوضات الجزائرية الفرنسية من منظور المثقف الجزائري.....	289
- خلاصة المبحث الثاني.....	299
خاتمة	
.....	303
ملاحق البحث	
.....	313

341.....بيبليوغرافيا البحث

351.....فهرس الأعلام

361.....فهرس الأماكن والمدن

364.....فهرس الموضوعات